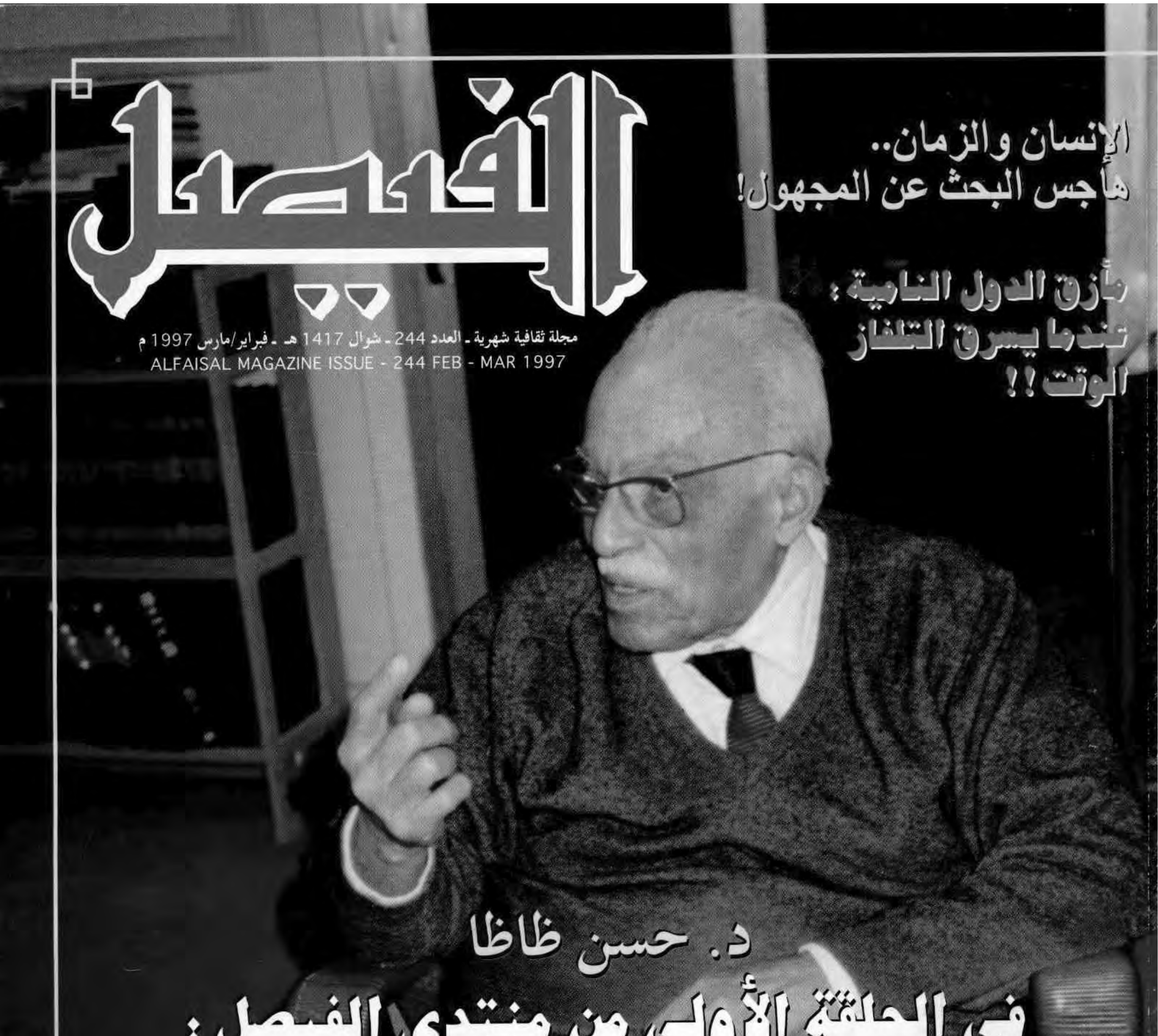


الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد 244 - شوال 1417 هـ - فبراير/مارس 1997 م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE - 244 FEB - MAR 1997

الإنسان والزمان.. هاجس البحث عن المجهول!

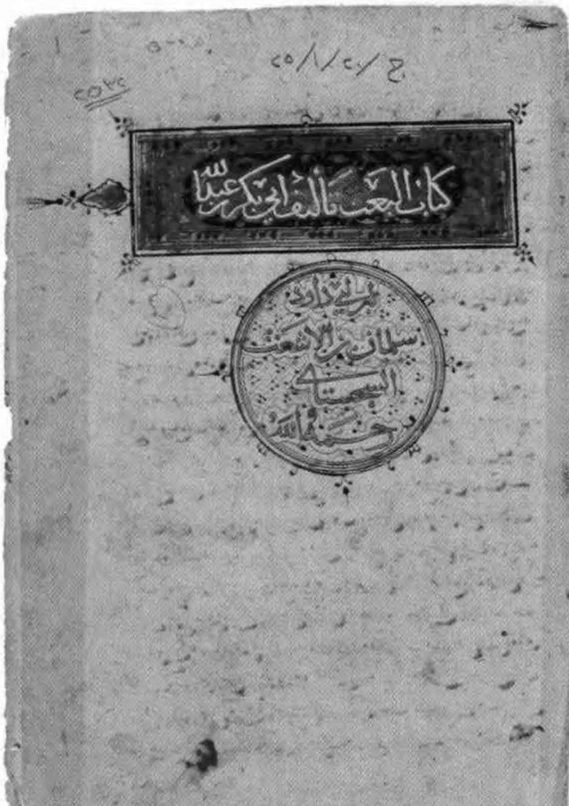
مأزق الدول النامية: عندما يسرق التلفاز الوقت!!

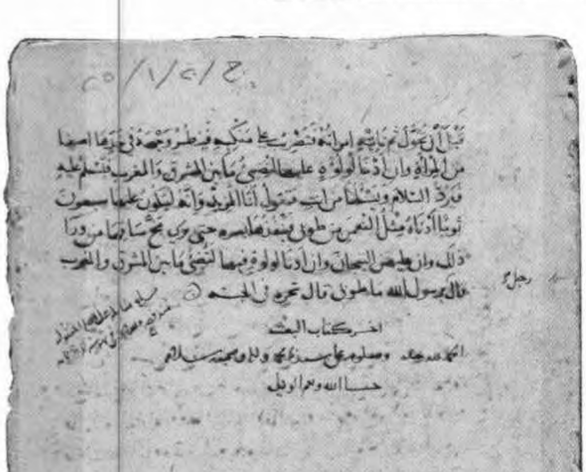
د. حسن ظاظا

في الحلقة الأولى من منتدى الفيصل:

- عصر السرعة خدعة كبيرة لفكر الشباب
- قبل نائب هرتسل بأوغندا وطناً لليهود فاغتيل!
- لا أكتب شيئاً على مقاييس «الزبون»، وإنما أعبر عن فكري الخاص
- نعم، العرب أمة بلا ذاكرة، واليهود أمة مؤرخة
- اليهود ينكرون البروتوكولات ويعملون بها

البعث والنشور





تأليف: أبي بكر عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة 316هـ.

كتاب جـمع فـيـه المؤلف من الأحـاديث النبـوية الشريفة الكثير والكثير؛ وذلك في لقاء الله - سبـحانه وتعالى - ومن أحبَّ ذلك من عبـاده المؤمنين، وفي عذاب القبر للكافرين والضالين ومنكر ونكير وفتنة القبر، وفي قيام السـاعة وكيف يُبعث الناس عندئذ. وفي يوم الحشـر والحسـاب والصـراط، وأخيـرًا في حـال الصالحين وصـورتهم يوم القيـامة ومـواضعهـم ودرجاتهم في الجنة، وحال الكافرين وصورتهم يوم القيامة وكذلك مواضعهم ودرجاتهم في النار.

كُتب على ورق مشـرقي بخط النسخ في القرن التـاسع الهـجري تقـديرًا، وعليـه بعض الحـواشي والتعليـقـات والتصحيحات.

أمـا صفـحة العنوان فـقد كُتب في أعلاها اسم الكتـاب بالحبر الأبيض أو الفضي على أرضـية مـذهبة، تحيط به رسـوم وأشكال مذهبـة وملونة بالحبـر الأحمـر والأزرق ومجـدول بماء الذهب. وفي وسط الصـفحة كُتب اسم المؤلف بـالحـبـر الأصـفـر وسط دائرة ملونة بالأزرق والأصفر وبداخلها رسوم ملونة.

يقع في 10 ورقـات ومـسطرته 21 سطرًا ومـقـاسـه 18,3×26,5سم.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم 2532.

إعداد: **فراج عطا سالم.**

في العدد القادم:

- الشُّعَب المرجانية.. عالم من الجمال والبهجة!
- توظيف اللغة الفصحى في التراث القصصي
- السياسات البيئية العالمية.. والعجز عن المواجهة!

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

1 - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

2 - ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

3 - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

4 - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

5 - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (3) الرياض 11411 - المملكة العربية السعودية

هاتف 4653026 - 4653027 - 4647884 - فاكسملي: 4647851

ردمد 1140 - 0258 رقم الإيداع 14/0542

الاشتراكات السنوية :

للأفراد 150ريال سعودي، للمؤسسات 250 ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.



عن العدد الماضي

لقد كانت مجلة الفيصل، ومازالت، في طليعة المجلات الثقافية التي اكتسبت مكانة كبيرة وحظيت بمتابعة متميزة ونالت اهتمامًا واسعًا. ولم يأت ذلك من فراغ، بل ثمرة للجهود المتواصلة التي يبذلها المسؤولون عن هذه المطبوعة. وبما أني من عشاق مجلة الفيصل المريدين لأعدادها منذ أول صدورها فقد تكون شهادتي فيها مجروحة، ولكن من خلال قراءة متأنية للعدد الماضي (243) لشهر رمضان 1417هـ، استرعى انتباهي أكثر من موضوع، واستوقفني غير باب من أبوابها العامرة بالجديد والمفيد، وكأن القارئ يتنقل فيها بين جداول وظلال في دوحة الثقافة والأدب. وعلى سبيل المثال لا الحصر: إطلالة.. اسم على مسمى.. إنها أولُ ماتقع عليه عين القارئ؛ فهي إطلالة المجلة على القارئ وإطلالة القارئ على المجلة. وبأسلوب متميز يحرص القائمون على المجلة أن تتنوع بثقافتها وعطاءاتها، يريد بها رئيس تحريرها معالجةً لقضايا الأمة الإسلامية مع التعريج على المناسبات والقضايا الوطنية. كما يحظى القارئ في كل عدد برصد ممتاز للحركة الثقافية على مدى شهر بأكمله؛ فيجد نفسه أمام جهد واضح ومتابعة واعية مميزة تسبر له غور هذا الجانب على نحو منظم ومرتب. كما تصافح عيناه وتقرآن بشغف ومحبة الزاوية الثابتة «قصة قصيدة» التي يتناول فيها د. محمود جبر الربداوي جوانب مشرقة من روائع التراث الأدبي بأسلوب عذب جميل، ولغة تكاد تتراقص طربًا وجمالاً. وغير بعيد من هذه الزاوية يطل علينا العالم الموسوعي د. حسن ظاظا فيتحفنا بموضوع طريف عن «الضحك اليهودي»، وكما هي عادة الدكتور ظاظا يكتب بقلم العالم المتبحر وبأسلوب السهل الممتنع الذي يجمع بين عمق التحليل وطرافة العرض.

كما حفل العدد بطائفة من الموضوعات الجيدة مثل: «كنوز من الإعجاز القرآني» و«من مدرسة الصيام» و«الصيام والعلم الحديث» وحوار جيد مع د. يوسف القرضاوي، وكلها جاءت مواكبة ومناسبة لشهر رمضان المبارك. ودَعَم ذلك وآزره وتوجه قصيدة رائعة للشاعر يس الفيل: «رمضان أنت على الشهور أمير».

وقد أحسنت مجلة الفيصل صنعًا أن نشرت عبر زاوية «تأريخ الأدب» موضوعًا يعد على جانب من الأهمية؛ ألا وهو «مراحل كتابة السيرة الذاتية في الأدب السعودي» بقلم الأستاذ عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري - الحلقة الأولى -، وأرجو أن توفق المجلة في نشر باقي الحلقات لتكتمل الصورة وينتظم باقي العقد.

وقبل الختام.. حرصت مجلة الفيصل على إتحاف القارئ باستراحة جميلة خفيفة الظل لا عيب فيها إلا أنها تؤذنه بقرب انتهاء نصيبه منها.

وإن كان لي من اقتراح فهو أن تمضي «الفيصل» قدمًا في مسيرتها الموفقة وخططها الطموح نحو اكتساب واستكتاب المزيد من الأقلام المميزة والعقول النيرة وأرباب الكلمة الذين أعطوها حقها فكانت لهم نعم المطية في إبحارهم الثقافي.

محمد الخنيني

إذاعة الرياض

الأسعار

السعودية 8 ريالات - الكويت 650 فلس - الإمارات 7 دراهم - قطر 7 ريالات - البحرين 750 فلس - عُمان 750 بيسة - الأردن 500 فلس - اليمن 40 ريالاً - مصر جنيهان - السودان 150 جنيه - المغرب 8 دراهم - تونس 600 مليم - الجزائر 10 دنانير - العراق 400 فلس - سورية 30 ليرة - ليبيا 800 درهم - موريتانيا100أوقية - الصومال 2000 شلن - جيبوتي 150 فرنك - لبنان مايعادل 4 ريالات سعودية - الباكستان 20 روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

الملفات المتخصصة والإصدارات «الهدايا» إثراء للمكتبة الإسلامية

لقد لاقت مبادرتكم إلى تخصيص ملف عن الملك فيصل ـ رحمه الله ـ، واستعراض حياته الحافلة بالعطاء والإخلاص للإسلام وللوطن وللعروبة، تقديري، وتقدير غيري من القراء. وقد غطت الكتيبات التي تصدرونها «هدية» مع العدد مساحات مهمة ومطلوبة من تاريخ الملك فيصل بوصفه شخصية عظيمة، ورائدة، لها وزنها في التاريخ العربي، وفي الوجدان الإسلامي. وبالنظر إلى ما يمثله ذلك الملف، وتلك الكتيبات من إثراء للمكتبة العربية والإسلامية، بالإضافات المفيدة التي تضمنتها، فإنني أقترح أن تتبنى الفيصل إصدار كتيبات مماثلة عن الملك عبدالعزيز، وغيره من ملوك آل سعود ـ رحمهم الله جميعًا ـ؛ إذ كم ستكون هذه الإصدارات مفيدة لقراء «الفيصل» المنتشرين في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي.

د. عبدالرحمن محمد العيسوي

أستاذ علم النفس، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، مصر.

تدبروا أمر التوزيع في اليمن

لديَّ ملاحظة واقتراح، أما الملاحظة فهي تأخر وصول أعداد الفيصل إلى اليمن، فالقراء هنا يتساءلون: لماذا يصل العدد بعد أسابيع من صدوره؟ فالعدد 241 لم يصلنا إلا في 22 رجب 1417هـ، وهذا التأخير أصبح مثار تعليق القراء؛ فبعضهم يقول مازحًا: لو تم تكليف عامل يقوم ـ شهريًا ـ برحلة إلى الرياض سيرًا على قدميه، ليتسلم الأعداد، ويوزعها في مدن اليمن، لما استغرق المشوار (ذهابًا وإيابًا) هذا الوقت الذي تهدره وسائط التوزيع.. لذا نأمل تدبر أمر التوزيع في اليمن.

وأما الاقتراح، الذي يقترن بتذليل مشكلات التوزيع، فهو بحث إمكان زيادة النسخ المخصصة للقراء في اليمن، فبسبب قلة النسخ المرسلة يتم حجز العدد قبل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع من وصوله، ومن تأخر تضيع عليه نسخته، إضافة إلى ذلك أعتقد أن من الضروري أن تضعوا في حسبانكم الزيادة المستمرة في أعداد القراء.

أحمد فارع عباس

ص.ب 2664

صنعاء، اليمن.

أرجو أن تعملوا على توفير المجلة في مكتبات محافظة الحديدة، فقد استفسرتُ عنها في شهر رجب، وقبل ذلك، فأفاد أصحاب المكتبات بأنها «منقطعة» عنهم، وهذا الأمر يحتاج إلى متابعة الوكيل، وإشعاره بضرورة إيصال العدد إلى منافذ التوزيع في جميع المحافظات.

محمد سعيد فارع

ص.ب 4037

الحديدة، اليمن.

وفي الجزائر أيضًا

بعد طول غياب التقيت «الفيصل» مجددًا، وبقدر سعادتي بعثوري على مجلتي المفضلة ـ خلال زيارة إلى تونس في الصيف الماضي ـ تحسَّرتُ كثيرًا لأن المطبوعة الثقافية التي فتحت عيوني عليها وأكسبتني معارف عديدة، تسجل غيابًا ملحوظًا في الساحة الجزائرية.. أملي أن تعود مجلة «الفيصل» إلى قرائها الذين يفتقدونها في مناطق عديدة من الجزائر.

عبدالغني بوصنوبرة

بلدية هواري بومدين 24140

ولاية قالمة، الجزائر.

المجلة:

لقد كثرت الشكاوى من التوزيع في العديد من البلدان العربية والإسلامية، ولاسيما في اليمن والجزائر والسودان. ونظرًا لحرص المجلة على أن تصل إلى جميع الإخوة الراغبين فيها، فإنها تنشر (على غلافها الأخير من هذا العدد) إعلانًا عن طلب موزعين في البلدان المذكورة، وغيرها من البلدان. أما ما يخص زيادة الكميات المرسلة إلى جميع البلدان، حيث تزايدت المطالبات بذلك من أنحاء عديدة، مثل: السودان واليمن والجزائر والمغرب وتونس وسورية؛ فالمجلة ستقوم بذلك قريبًا إن شاء الله. مع شكرنا الجزيل لجميع الإخوة القراء على هذا الحرص والمتابعة.

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على بعضها الآخر للقراء **يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض**

حول قصة قصيدة

يسرني أن أرفع شهادة التقدير والإعجاب للدكتور محمود جبر الربداوي على زاويته «قصة قصيدة» إعجابا بعيدا من الإطراء وممحصًا من كل شوائب الحدود والانزواءات الشخصية. وهذه الشهادة من أحد القراء المتابعين لمجلة الفيصل على علمي أنها شهادة لا تقدم ولا تؤخر في شخصه، ولكن كالشاعر العربي القديم الذي يقصد سوق عكاظ ويفيض مما درّت به القريحة ويدع الحكم لأهل النقد والرأي والحس المرهف. ولا داعي للإطالة فالغرض الذي حملني على كتابة هذه الرسالة هو طلب يسير أرجو النظر فيه، إذا لم يكن ثمة حائل، بأن يكتب الدكتور الربداوي عن قصيدة: قُريط بن أُنيف العنبري التي مطلعها:

لو كنت من مازنٍ لم تستبح إبلي

بنو اللقيطة من ذُهلِ بن شيبانا

وقصيدة أخرى لفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة أبي العلاء المعري (ت: 449هـ):

غير مجدٍ في مِلّتي واعتقادي

نوحُ باكٍ ولا ترنُّم شادِي

وتقبلوا مني فائق الاحترام.

فهد محمد فلاح الديري

بلدة قصر ابن عقيِّل

الرس، القصيم.

لماذا لا ندرج اللغة العبرية في مناهجنا الدراسية ؟

ترددت كثيرًا قبل الكتابة إليكم عن فكرة تراودني منذ زمن بعيد، وهي: «تدريس اللغة العبرية لأبنائنا». ولكن بعد مطالعتي مقالات الدكتور حسن ظاظا عن اليهود وتاريخهم وأحوالهم، وجدت لزامًا عليّ أن أعرض عليكم الفكرة.. وفحواها المطالبة بتدريس اللغة العبرية في مراحلنا التعليمية كافة، وعدم قصرها على الكليات المتخصصة. ويحضرني مضمون الخبر الذي نشرته صحفنا العربية من قريب عما أعلنته وزارة التربية الإسرائيلية بأن تعليم اللغة العربية، سيصبح إلزاميا في المدارس الرسمية في إسرائيل، وذلك بناء على طلب الجيش الإسرائيلي الذي يحتاج إلى متحدثين بالعربية لتوظيفهم في مجال الاستخبارات.

من هنا فإن الواجب يفرض علينا أن نتعلم لغة هؤلاء القوم حتى تأمن أجيالنا القادمة شرورهم، وتنشأ على معرفة حقة بفكرهم وأساليبهم، وتتقي مكرهم وخداعهم.

أتمنى أن تنهض مجلة الفيصل الغراء بهذه المبادرة، وتستطلع آراء خبراء التربية والتعليم في العالم العربي، بوصفهم ذخيرة الأمة وبناة نهضتها وقادة فكرها، ومن المؤكد أنهم سيتوصلون إلى رأي مؤسس في هذا الأمر الذي أعده حيويًا.

مهندس/ عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود

الإدارة الزراعية بالمنصورة

محافظة الدقهلية، مصر.

تايلندية وقصيدة عربية

أنا تايلندية الجنسية، غير أنني لم أنس لغتي العربية، التي هي قسم من تراث أجدادي. أنتظر «الفيصل» بشوق، وأقرؤها بمتعة زائدة، فهنيئًا لقراء «الفيصل» بهذه الذخيرة الفكرية التي تقدمها المجلة، فهي من موجبات السعادة التي نفتقر إليها في هذا العالم المضطرب.

هذه مشاركة متواضعة عبارة عن قصيدة شعرية حاولت أن أعبِّر من خلالها عن تقديري للدور الفكري الثقافي الذي تضطلع به «الفيصل»، أرجو قبولها دليلاً على الود والصداقة.

شريفة بنت ماهاما دادولا عبدالرحمن

[ملحوظة إلى القارئ العزيز: القصيدة التي ذُكرت في رسالة الأخت التايلندية منشورة في هذا العدد في صفحة 137].

حتى نتعرف أفكار هؤلاء من قريب

من المفكرين من نلمس في بعض كتاباتهم نوعًا من الانحياز للإسلام، وإنصاف حضارته وثقافته، ومن هؤلاء روجيه جارودي وإدوارد سعيد. فليت «الفيصل» تعمل على إخراج كتب أمثال هؤلاء المفكرين ليطلع عليها القارئ العربي غير المتخصص، ذلك أن كتبهم شبه معدومة، وغالبًا ما تنقصها الترجمة. وهناك مفكرون، من أمثال صموئيل هنتجتون وبرنارد لويس، تزخر مؤلفاتهم - حسبما نسمع - بالتعصب الواضح والحقد على الإسلام والمسلمين، وإخراج كتب هؤلاء وهؤلاء وترجمتها سيتيح معرفة أفكارهم بصورة متكاملة.. أرغب أن يكون «للفيصل» قصب السبق في هذا المضمار الثقافي الفكري.

أحمد عبدالرحمن عواجي

ص.ب 11032، الأحساء 31982

المملكة العربية السعودية.

الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

إطلالة



مَنْ تَعَلَّ الحَقّ

سؤال أحد الأصدقاء لي عن كتابتي عن الجانب السلبي في الحضارة الغربية وأهلها، مثّلَ في ذهني امتداداً لرسالة من قارئ لامني فيها على الكتابة في هذا الجانب، حيث كان يراها ويرى أصحابها (القدوة)، بل إنهم - في رأيه - في منتهى الكمال.

والواقع أنني استغربت لهذا السؤال، ولا أستبعد أن يكون هناك آخرون قد استنتجوا الرأي نفسه الذي عبَّرَ عنه السؤال، وفسروا ما طرحته عن إشكالية العلاقة بين الإسلام والغرب في مقالات ماضية على أنه تحيز.

ومثل هذا الرأي القائل بالضدية ينتج من كون غالبيتنا تجنح إلى استنتاج رأي قاطع للكاتب في الموضوع الذي يتناوله، وتصنيفه طبقًا لذلك إلى فريق من فريقين لا ثالث لهما، وهما (مع) أو (ضد)، ولعل هذا التسرع في الاستنتاج هو ما يؤدي إلى ما نراه من خلافات وهمية على صعيد الطرح الثقافي والفكري.

وفيما يتصل بقضية شائكة ومتشعبة الأبعاد مثل إشكالية العلاقة بين الإسلام والغرب يصبح من الخطورة بمكان الاحتكام إلى النظرة الأحادية التي تؤطر هذه العلاقة بكل تشعباتها وتفريعاتها في إطار قالب جامد، لا يأخذ في الحسبان تفاعلات الواقع ومتغيراته في الجانبين، إضافة إلى العمق التاريخي للعلاقة الذي لا يمكن اختزاله - كذلك - في رأي واحد، وإنما هناك طائفة من الآراء التي يأتي كل منها في سياق معين، بحيث لا يمكن انتزاع الرأي من السياق الذي جاء فيه، وإلا بدا مشوّهًا وغير معبر بدقة عما أراد صاحبه.

ولعل ما أعطى الانطباع بتحيزي ضد الغرب هو تركيزي في مقالات مضت على ظاهرة التشويه التي تعرضت لها صورتنا في أذهان الغربيين على مدى قرون طويلة من خلال كتابات ارتكزت على تلك الخلفية الشوهاء التي كونتها العقلية الغربية عن الأمم الأخرى في عصور تدهور حضارتها، إذ حاول أصحاب هذه الكتابات حين فوجئوا بالإسلام يدق أبواب القارة الأوربية واستشعروا خطره على حضارتهم - لما ألفوا فيه من إمكانات الاستمالة والإقناع - حاول هؤلاء أن يغذوا ما في العقل الغربي من خرافات وأساطير عن الشرق عامة، وعن الإسلام والمسلمين خاصة، بطروحات ترسخ ما هو موجود وتؤكده، وتنحو إلى إيغار الصدور بالحقد والكراهية تجاه الإسلام، وتصوير المسلمين على أنهم أمة بربرية وهمجية، ديدنها السلب والنهب والقتل.

وإذا كان وجود مثل هذه الصورة الزائفة في القرون الوسطى - التي تعثرت فيها سبل الاتصال المباشر والمستمر - مسوغًا مقبولاً، لقلة المعلومات وتواضع المستوى الحضاري في أوربا في ذلك الوقت، فإنه ليس من المستساغ أبداً أن تظل هذه الصورة على حالتها الأولى، أو تزداد تشويهًا في ظل الوجود الأوربي في ديار المسلمين، إلا إذا كان الأمر مقصوداً ومدبراً من أجل تحقيق غايات محددة، وهذا ما عبر عنه الأستاذ عباس محمود العقاد بقوله: «فمن الأسباب ما هو مقصود لأغراض سياسية أو تجارية كتمثيل المسلمين في صورة تسوغ للدول المستعمرة أن تعاملهم معاملة المتأخرين الذين لا يصلحون لقوانين الحضارة وقواعد الحرية. ومن الأسباب ما هو مقصود لأغراض فنية، ونعني بها الرغبة في التأثير والإغراب وتشويق القارئ إلى العجائب التي لايألفها في بلاده وبين أبناء وطنه. ومن الكتاب الغربيين من يتعمد التحريف في أخباره لأنه يخشى أن يخيب أمل القراء فيه، إذا أصغوا إليه ليحدثهم عن شعوب الشرق وأحوال الإسلام، فإذا هو يحدثهم بما يألفونه ولا يستغربونه». ومن العجيب أن يصدق مثل هذا الرأي الذي ساقه العقاد منذ نحو ستين عامًا على واقع اليوم، على الرغم من النقلة الهائلة التي تمت على صعيد تقنيات الاتصال التي قاربت المسافات وألغت الحدود، فنجد ذلك الربط المتعمد من جانب الغرب بين المسلمين وغرائب الأحداث في العالم وأكثرها مأساوية، وتوظيف الإمكانات الاتصالية العظيمة التي توافرت لديه في صياغة رسالة إعلامية تستوحي صورها من تلك الذهنية العتيقة، وصبها في قوالب فنية عالية المستوى، تتيح للرسالة كل مقومات الجذب والتشويق والإقناع. وقد أطلق المشاركون في ندوة «الفيصل» التي أقيمت في فرنسا في ربيع الآخر 1415هـ على هذا النوع من الكتابات «الاستشراق الصحافي» ليميزوه من الدراسات الأكاديمية عن الإسلام؛ إلا أنني أرى أن كليهما موظف لخدمة أغراض الغرب، ولا أدلّ على ذلك من طروحات بعض المستشرقين التي تشكك في عقيدة الإسلام، وتحط من قدر المسلمين، كقول المستشرق كيمون: «إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا. بل هو مرض مروع وشلل تام وجنون ذهني يبعث الإنسان على الخمول والكسل.. وما قبر محمد في مكة إلا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجؤهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع». فرأي مثل هذا يمتلىء بالمغالطات التاريخية والآراء الجزافية التي تحتاج - بلاشك - إلى من يرد عليها، لأن الإلحاح عليها وتكرارها قد يؤديان إلى تصديقها، والنظر إليها على أنها حقائق، لكونها تتخفى في ثوب العلم، ومن ثم فإنني حين أناقش مثل هذا الواقع الملموس من طريق تحليل مكوناته والاعتماد على الحقائق الواضحة للعيان من غير غلو أو تجنٍّ، فإن ذلك لا يكون من باب العداء أو الأحكام المسبقة، وإنما هو دفاع مشروع عن الحقيقة يتعين على كل مستطيع أن يقوم به، لما يمثله جنوح بعض الطروحات الغربية إلى التركيز على الجوانب السلبية في حياة المسلمين من خطر على البناء النفسي للأمة المسلمة، ولاسيما أن كثيرا من هذه السلبيات التي يرددها بعض الغربيين هي في حقيقتها جوانب إيجابية في المنظور الإسلامي الذي يحتكم إليه المسلمون، والتي من المفترض أن تجد الاحترام من الغرب، من منطلق شعاراته التي تعبر عن الحرص على الحرية الدينية واحترام عقائد الآخرين؛ ذلك الاحترام الذي تجده عقائد وخرافات كثيرة - ولا أقول أديانًا - من صنع الإنسان، هي مدعاة لكل امتهان واحتقار، وما الحكم عليها إلا من نتائجها السلبية التي ظهرت في شكل صرعات مخيفة، من قتل وانتحار جماعي وممارسات شاذة.

وعندما تمس تلك السلبيات المزعومة قيم الأمة وتشريعها المنزل فإن الأمر يبدو أكثر إلحاحًا حتى يقوم المثقف بمسؤولياته في تحصين هوية أمته، والحفاظ على مقومات شخصيتها من خلال إيجاد سياج نفسي لدى أبناء الأمة يعينهم على دحض تلك الافتراءات والمزاعم، ومجابهتها من واقع استحضار القيم الأصيلة لأمتهم، وتمثل التجربة الحضارية لها في حلبة الصراع الحضاري الذي لم تنطفئ جذوته منذ إشراق نور الإسلام وخروج المسلمين من شبه الجزيرة العربية حاملين رسالته إلى كل أركان المعمورة.

ويكتسب العامل النفسي في العلاقة بين الإسلام والغرب أهميته بالنظر إلى المواقف النفسية المختلفة التي يتخذها بعضنا من الغرب، إذ ليست دعوات الانكفاء على الذات أو الانفتاح غير المشروط على الغرب أو محاولة التلفيق بين النموذجين الإسلامي والغربي إلا تعبيراً عن عقدة نفسية عميقة إزاء الغرب، مردها فقدان مقومات الثقة بالذات التي هي أساس البناء الحضاري لأي أمة.

ولقد وظف الغرب آلياته الإعلامية ومؤسساته لبلوغ هذه الغاية منذ وقت بعيد، حتى بلغت ذروة سيطرته على العالم في هذا العصر، وهو ما يعترف به مفكر غربي مثل هنتينغتون حين يقول: «إن الغرب يستغل المؤسسات الدولية، والقوة العسكرية، والموارد الاقتصادية لإدارة العالم بطرائق تحافظ على الهيمنة الغربية وتحمي المصالح الغربية، وتدعم القيم السياسية والاقتصادية الغربية».

وهذه السيطرة الغربية هي التي دفعت إلى إيجاد (ميكانزمات) الدفاع التي تعبر عنها المواقف النفسية المختلفة للمسلمين، مجسدة حجم المأزق الحضاري الذي نعيشه.

وفي ظل هذا المأزق يبدو دور المثقف العربي المسلم عظيمًا في ضرورة تلمس السبل التي تعيد التوازن النفسي للأمة حتى تصل إلى مرحلة الندية التي تجابه بها معطيات الحضارة الغربية، تمامًا كما حدث في عصر انطلاقها الحضاري، وتسنمها قمة الحضارة الإنسانية. وتبدو الحصانة النفسية مهمة في المواجهة الحضارية، لأن تعامل الآخرين معنا يعتمد على تصورنا لذاتنا، فإذا لم نكن نمتلك مقومات الاعتداد بالذات والثقة بالنفس، فإن هذا التعامل يتم بنظرة فوقية وتجاهل لقيمنا ومصالحنا. ولكن يتعين علينا تفادي النظرة الأحادية التي لا ترى إلا عيوب الآخرين، لأن في ذلك تضليلاً لنا أكثر من كونه حطًا من قدرهم، ولأن خططنا في تقديم الذات وإعطاء الصورة الواقعية لقيمنا الحضارية يجب أن تعتمد على نقد ذاتي ومراجعة أمينة لواقعنا، ورؤية منصفة للآخرين تشمل كل السلبيات والإيجابيات، من أجل أن يقوم بناؤنا الحضاري على أساس متين من الواقع، لا مجال فيه لتضخيم الذات، أو الإحساس بالنقص والدونية أو إنكار الآخر.

انطلاقًا من هذا المفهوم، فإن علينا أن نفيد من إيجابيات الحضارات الأخرى وفق معايير المنهج الإسلامي، وإذا كان لنا أن نتطرق إلى الحضارة الغربية بحسبانها الحضارة الغالبة في هذا العصر، فإنه - مع كل ما يمكن أن يقال عن سلبيات الغرب - إلا أنه لا يمكن

ضاقت مذاهبه

لأي منصف أن ينكر ما يتمتع به من إيجابيات عديدة في جوانب العلم والفكر والعمل والسلوك، كانت أساس نهضته وبلوغه هذه المرحلة العظيمة من التقدم التقني والمادي.

فإذا كان لنا أن نعتد بابتكار المسلمين للمنهج العلمي التجريبي، فإن من حق الغرب أن نعترف له باستيعاب هذا المنهج، ووضعه في محك الممارسة والتطبيق، حتى استطاع أن يحقق به كل ما أنتجته حضارته من إنجازات علمية وابتكارات تقنية. ولم يكن الطريق ممهداً له بأي حال لبلوغ ما بلغه، وإنما تَطَلَّب ذلك أن يعكف علماؤه على التعمق في دراسة نظريات علماء المسلمين وغيرهم لمعرفة القواعد التي تقوم عليها، واستكمال جوانب النقص فيها، ثم تطبيقها تطبيقًا عمليًا بصبر وتؤدة، حتى بلوغ النتائج المتوخاة، التي لم تكن لتتحقق لولا ما تميز به هؤلاء العلماء من روح إبداعية حفزتهم إلى الإضافة والابتكار وعدم الوقوف عند حدود النقل، كما تحلوا - كذلك - بروح المغامرة التي دفعت كثيرين منهم إلى حد المخاطرة بأرواحهم في سبيل إثبات نظرية من النظريات أو تحقيق اكتشاف علمي.

واقتضت هذه الروح العلمية التي تفجرت في الذهنية الغربية بعد طول كُمون توافر مجموعة من الصفات والخصائص، مثلت ركائز لدعم هذه الروح وترسيخها في ثقافة الغرب، ولعل أهمها ما يألفه المرء فيهم من احترامهم الكبير للوقت، وحرصهم على استغلاله أحسن ما يكون الاستغلال، بوصفه موردًا محدودًا لا يتجدد، ويقوم تعاملهم مع هذا المورد على أساس تنظيمه بدقة حتى يتسع للعمل والإنتاج والترفيه والتسلية، مما يقتضي من كل أفراد المجتمع مراعاة أوقات الآخرين، واحترام المواعيد، والتزام النظام في الأماكن العامة، مثل أماكن البيع أو عند انتظار المواصلات أو في الدوائر الحكومية، أو في الدخول إلى قاعات المحاضرات أو دور السينما، وغيرها.

وهذه السلوكيات الحضارية التابعة من مبدأ احترام الوقت أعطت الوقت مفهومًا شاملاً، حتى غدت إدارته ترادف إدارة الحياة بكل جوانبها، واستنبط الغرب من هذا المفهوم المتحضر علمًا أطلق عليه إدارة الوقت TIME MANAGEMENT، يعد الآن من أهم المواضيع الإدارية في كل الجامعات الغربية.

كما أن من القيم الإيجابية للغرب سريان روح الشعور بالمسؤولية في المجتمع، إذ ينشأ الطفل منذ نعومة أظفاره على مبدأ الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية، فلا يعتمد على أحد في ترتيب حاجياته أو تنظيم أموره، وإنما يُنمي في داخله الأسلوب الحضاري للتعامل مع مكونات البيئة من حوله، فيستشعر في نفسه القيم الجمالية، ويعرف لكل شيء قيمته، فلا ينزع إلى تشويهه وتخريبه، ويكتسب كذلك قيم النظام والعمل والإدخار واحترام حرية الآخرين بأساليب تربوية وعملية، من خلال التفاعل مع بيئته. وعلى أعتاب مرحلة الشباب، يبدأ الشاب في الاعتماد على نفسه، والعمل في أي مجال من مجالات الحياة حتى يلبي حاجاته، مما يساعد على تنمية شخصيته، وإكسابه مقومات الثقة بالنفس.

ويمثل أسلوب الحوار الموضوعي قيمة يحرص عليها المجتمع الغربي في مناقشة قضاياه ومشكلاته، فيسود فيه احترام الآراء والأفكار مهما بدت قليلة القيمة، من منطلق أن الأعمال العظيمة تبدأ بالأفكار البسيطة.

ومن القيم التي يأنسها من يعيش في الغرب تلك القيم الإنسانية التي تغلف مهنة الطب عندهم، والتي تعبر عنها سلوكيات الفريق الطبي في أي مستشفى أو مستوصف، بالحرص الشديد على أدق التفاصيل التي تتصل بحياة الإنسان، والاهتمام الفائق الذي يحظى به أي مريض، بل إن ذلك الاهتمام يمتد إلى أفراد أسرة المريض، حتى إن الطبيب يحرص على مجالستهم، ورفع معنوياتهم، وإعطائهم المعلومات الطبية المتعلقة بالمريض. وبحكم وجودي في الولايات المتحدة الأمريكية مدة زادت على خمس سنوات للدراسة استشعرت ما يتميز به الشعب الأمريكي من رقي وتهذيب وإنسانية في تعامله مع الآخرين، وحرصه على التعامل معهم على أساس من الاحترام والمودة، مما لا يُشعر الغريب بغربته.

ولا أراني في حاجة إلى الحديث عن تجدد بنى التربية والتعليم في الغرب بما يساعد على نمو الفكر وتطوره، ووجود تلك البيئة البحثية المتجددة في المجتمع، التي تهتم بدقائق الحياة في هذا الكون.

إن الحديث عن إيجابيات الغرب وإنجازاته يحتاج إلى صفحات وصفحات، ولكن ينبغي التنبيه على ضرورة التفريق بين الشعوب والجهات والمؤسسات الرسمية والسياسية، لأن الأخيرة تحكم توجهاتها الأطماع وعلاقات المصالح التي لاتقيم وزنًا للقيم.

وقد كانت هذه الإنجازات المبتكرة للغرب جديرة بأن تحقق السعادة لكل بني البشر، ولكن غياب المعيار القيمي الذي يضبطها ويوجهها، أدى إلى أن يكون كثير منها أدوات تهديد للآخرين، وأسلحة دمار لمظاهر الحياة، إلى أن باتت في النهاية تهدد الحضارة الغربية نفسها، بل الحضارة الإنسانية كلها. ولعل تراكم الإنجاز المعرفي والعلمي أدى بالقيادة السياسية الغربية إلى غرور القوة، والنزوع إلى السيطرة والهيمنة من خلال معيار نفعي يدور حول الذات، ويتغافل عن مصالح الآخرين، لذا، لم يكن غريبًا أن تقوم في ظل حضارته حربان عالميتان حصدتا أرواح أكثر من مئة مليون إنسان، وأن يشهد العالم في كل ركن من أركانه حروبًا ونزاعات وصراعات تودي بحياة الملايين سنويًا، بأسلحة دمار تصنعها مصانع الغرب، وتروج لها شركاته المتعددة الجنسيات، حتى رأينا من مفكري الغرب من يقول بأن السلام ينبغي أن يكون خصوصية غربية، لأن إشاعته في أنحاء العالم الأخرى تعني إغلاق مصانع الأسلحة الغربية وتشريد العاملين فيها.

إن هذه الرؤية الأنانية التي ينطلق منها بعض الغربيين هي التي تدفع إلى إيجاد المواقف النفسية السلبية في نفوس الشعوب الأخرى تجاه الغرب، لأن هؤلاء الذين يعتقدون في مركزية الغرب يندفعون في تسفيه قيم الآخرين التي تتعارض مع قيم الغرب ومعتقداته، في محاولة لتشكيل المجتمعات وفق المنظور الغربي. فهذا جياني ديميلكيس رئيس المجلس الوزاري الأوروبي - مثلاً - يعبر عن رأيه في ضرورة تنميط حياة الشعوب غير الأوروبية، فيقول: «ينبغي أن تحل أوروبا مشكلاتها ليصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولاً من جانب الآخرين في مختلف أنحاء العالم. وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي في العالم سيصبح مكانًا في منتهى الخطورة». وكما هو واضح، فإن مثل هذا الرأي الذي يراهن على النموذج الغربي بوصفه طوق النجاة للعالم، يتأسس على نظرة أحادية تُغَيِّب الحضارات الأخرى. ولكن - في الجانب الآخر - يبدو أن الانفلات القيمي في المجتمع الغربي وما تولد منه من مظاهر فساد كثيرة تهدد بنيته واستمرار تفوقه دفع كثيراً من مفكري الغرب وسياسيه إلى إعادة النظر في البناء القيمي لمجتمعهم، وما خطاب الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الذي ألقاه في 5 فبراير الماضي إلا تأكيد لذلك، حيث ركز على أهمية دعم التعليم، حتى يصبح النظام التعليمي الأمريكي هو الأفضل في العالم، وثَمَّنَ التزام القيم الأسرية، والترابط الأسري، بل أصبح هناك في الغرب من ينادي بتطبيق قوانين كانوا يرونها - في نظرهم - تناقض الرحمة والإنسانية؛ فشرعت بعض ولايات أمريكا في إعادة تطبيق عقوبة الإعدام في بعض الجرائم، وارتفعت في فرنسا أصوات تنادي بمحاربة الربا وفوائد القروض، بعد أن أصبحت تكبل الفرد، وتستنزف موارده المالية أولاً بأول. ولعل الغرب الذي دأب على مهاجمة التشريعات والحدود الإسلامية يحاول أن يفيد من روح التشريع الإسلامي وواقعيته، وهو يمارس النقد الذاتي لمنظومته القيمية التي انفرط عقدها، وبدأت تتحلل مكوناتها.

وهذا ما يبدو واضحًا في دعوة بعض المنصفين من الغربيين إلى ضرورة الإفادة من قيم الإسلام بعدما أصبح المذهب المادي مصدر تهديد دائم للإنسان، لعدم التزامه ضوابط ومعايير تضع حدودًا فاصلة بين الغث والسمين والضار والنافع، ومن أولئك المنصفين ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز الذي أشاد في كلمة له في ندوة ويلتون بارك في 13 ديسمبر الماضي بقيم الإسلام ورسالته، فقال: «إنني استهل أفكاري بالاعتقاد أن الحضارة الإسلامية في حقيقتها لها رسالة مهمة تقدمها للغرب، وذلك بنظرتها المتكاملة والمتحدة لروحانية العالم الذي يحيط بنا، وإني أشعر أننا هنا في الغرب يمكن أن نساعد في إعادة اكتشاف جذور تفهمنا للحياة، وذلك بتقدير ذلك الاحترام العميق في التقاليد الإسلامية لنظام الكون الذي أبدعه الخالق... إن المذهب المادي العصري الذي يقول بأن الدين والأهداف العليا تتمثل في الرفاهية وفي زيادة التقدم المادي هو حسب رأيي المتواضع ليس مذهبًا متوازنًا، وهو ضار في عواقبه على المدى البعيد».

إن مثل هذه الآراء التي يطرحها المنصفون في الغرب دليل وجود تيار غربي رافض للنظرة الأحادية التي ينطلق منها المروجون لمركزية الغرب. ولكن إلى أي حد يمكن أن يتنامى مثل هذا التيار المنصف، ليعيد لحضارة الغرب الروح الإنسانية التي أفقدتها إياها ماديتها وتسلطها؟

وما كتابتي عن السلبيات هذه، إلا لرغبتي في تكامل ذلك البناء الحضاري لمجتمع يتسم بصفات إيجابية رائعة يعجز الإنسان عن حصرها، وذلك بأن يكون هذا البناء محكومًا بقيم إنسانية عليا تصون هذه الحضارة من أن تنزلق إلى الهاوية.

وليس ما يدفعني إلى هذا الشعور هو معرفتي بأن الإنسانية نعمت وستنعم - تقريبًا - بكل تقدم غربي، ولكنها تلك النظرة الإنسانية الشاملة لبني الإنسان التي وجه إليها الإسلام، والتي هي أساس التكليف والتفاضل.

في قضية شائكة مثل إشكالية العلاقة بين الإسلام والغرب

يصبح من الخطورة الاحتكام إلى النظرة الأحادية

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل
العدد 244 ـ السنة 21 ـ شوال 1417هـ ـ فبراير/مارس 1997م



ظاظا للشباب في منتدى «الفيصل»:

لا يخدعنكم عصر السرعة !!

في الحلقة الأولى من الباب الجديد «منتدى الفيصل» ـ الذي يمد جسورًا فكرية بين الإخوة القراء ومفكرينا وعلمائنا من مختلف التخصصات ـ يجيب الدكتور حسن ظاظا عن كثير من تساؤلات القراء واستفساراتهم فيما يتعلق بالفكر اليهودي وبه شخصيًا.

فقد تناول د. ظاظا بالحديث العهد القديم والعهد الجديد وبروتوكولات حكماء صهيون وقضايا التعليم والتعريب والإعلام والتكوين الفكري للشباب. ومن الأسئلة التي أجاب عنها: ماذا لو طُلِبَ منك أن تكون عضوًا في فريق المباحثات حول القدس؟

ومن آرائه أن على الشباب ألا ينخدع بأننا في عصر السرعة، لأن السرعة يمكن أن تكون في كل شيء إلا التكوين الفكري الذي لا يتأتّى إلا بالغوص في العمق.

طالع ص 19



الطفل المفرط الحركة:

هل يمكن علاجه بالحمية ؟

هناك نوع من الأطفال لا يعرف الهدوء، ولا يستطيع الجلوس بسكون، أو التركيز على أي شيء مدة من الزمن، وقد يتهور ويندفع وينزعج بسهولة، ويتهيج ويصبح سريع الغضب والانفعال وعدواني السلوك، ويعاني صعوبات في التعلم؛ ليس بسبب عجزه أو ضعف ذكائه، بل لعدم قابليته الجلوس على المنضدة في الصف والتركيز على الدروس.

وقد اصطلح العلماء على إطلاق مصطلح «الطفل المفرط الحركة» على هذا النوع من الأطفال، ولكنهم اختلفوا في طرائق علاجه.

د. منيرة البياتي تورد نتائج مجموعة من الدراسات التي تناولت هذه الحالة.

طالع ص 15



التلفاز : كيف يدعم المفاهيم الإنسانية ؟

يواجه التلفاز، بوصفه جهازًا إعلاميًا بالغ التأثير والخطورة، تحديات كبيرة في الدول النامية؛ نظرًا للحجم الكبير للمشكلات والقضايا التي عليه أن يتناولها حتى يكون وسيلة تثقيف وتعليم وإعلام. لذلك، فقد حَذَّر خبراء الإعلام من أن تَغْلِبَ على التلفاز في تلك الدول الصفة التجارية، فيقوم ببيع الوقت بدلاً من أن يكون طاقة حضارية جديدة تعوض شعوب تلك الدول ما فاتها من مسافات التقدم.

إبراهيم محمد قمر يجيب عن سؤال: كيف يدعم التلفاز المفاهيم الإنسانية ويصبح جسرًا للسلام في العالم؟

طالع ص 98

فكر وأدب

علوم

تعريب وترجمة

بيئة

تراث وتاريخ

من كتّاب العدد



عبدالرحمن بن محمد عبدالله السدحان

- حاصل على بكالوريوس إدارة من جامعة جنوب كاليفورنيا الأمريكية، وماجستير إدارة من الجامعة نفسها 1970م.
- تقلّد عدداً من المناصب في معهد الإدارة العامة بالرياض (1390- 1395هـ)، وعمل مستشاراً إدارياً بديوان رئاسة مجلس الوزراء (1396- 1397هـ)، ثم أميناً عاماً لمجلس الخدمة المدنية (1397- 1416هـ).
- يعمل مساعداً للأمين العام لمجلس الوزراء منذ بداية عام 1416هـ.
- شارك في كثير من المؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية ذات العلاقة بمجال الاختصاص في مدة عمله بمعهد الإدارة العامة.
- يشارك بقلمه في أكثر من مطبوعة محلية من خلال الزوايا الثابتة.



د. مؤنس محمود غانم

- من مواليد دمشق، سورية 1956م.
- حاصل على الدكتوراه في أمراض العيون وجراحتها من جامعة بوردو في فرنسا 1989م.
- عضو الجمعية السورية لتاريخ العلوم، ومعهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب، والجمعية الوطنية الفرنسية لأطباء العيون.
- له عدد من الكتابات في مجال طب العيون، وفي تاريخ الطب منشورة في المجلات العربية والأجنبية.



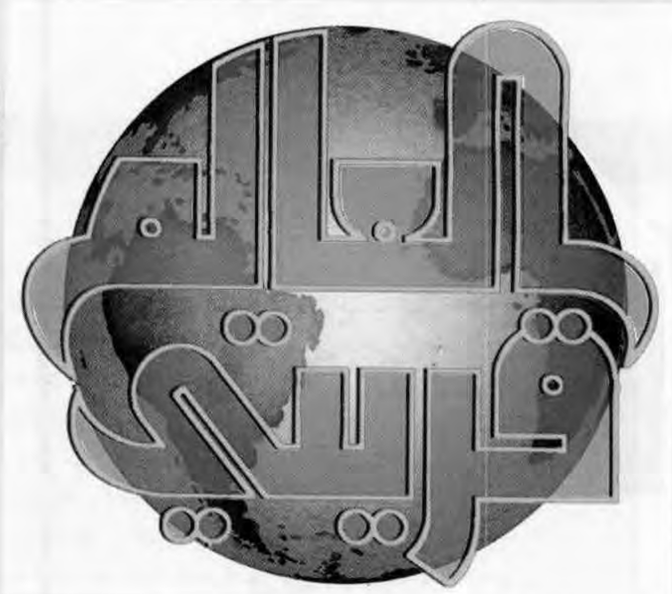
إسحق أحمد فضل الله

- من مواليد الخرطوم، السودان 1946م.
- حاصل على دبلوم هندسة مدنية، ودبلوم إدارة من جامعة السودان للعلوم (المعهد الفني سابقاً).
- محرر صحافي وكاتب قصة قصيرة.
- له مجموعة قصصية بعنوان «البحث عن نهر قديم»، ومجموعتان تحت الطبع عنوانهما «الشاجيون يحيونكم» و«الشاطئ الثالث».



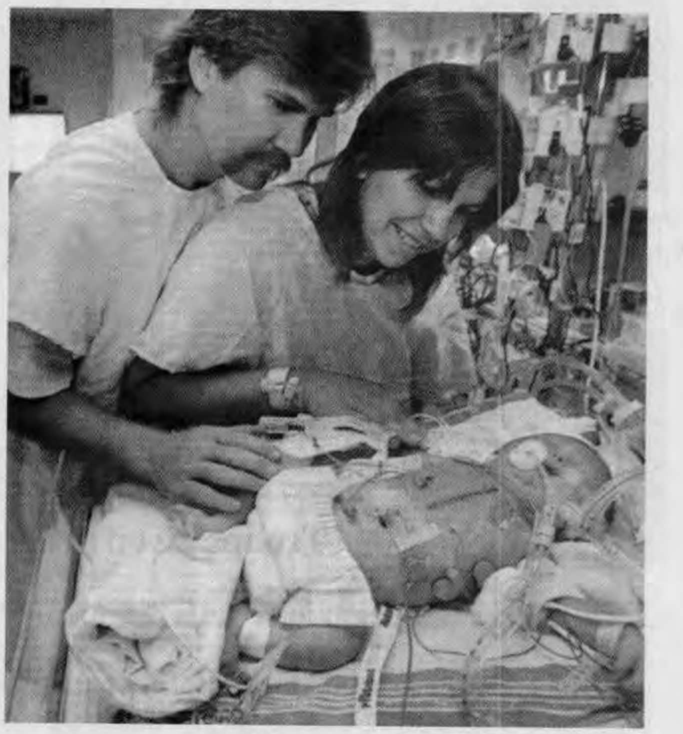
محمد بن مصطفى الدنيا

- من مواليد حمص، سورية 1950م.
- تخرج في جامعة حلب، متخصصاً باللغة الفرنسية وآدابها.
- يعمل مدرساً في معهد إعداد المدرسين والمعلمين، كما يعمل بالصحافة والترجمة.
- من الكتب التي ترجمها: «الأم والطفل»1987م، «الطفل بين الصحة النفسية والإبداع»1989م، «أمراض الطفل» 1992م، «الطفل والتطور الذهني والبدني» 1994م، «المرأة - الفهد» رواية 1994م، «الطفل الرضيع» 1996م، وله عدد آخر من الكتب تحت الطبع.
- له بحوث ومقالات منشورة في الصحافة المحلية والعربية.



أصغر قلب مزروع

أصبحت الطفلة تشيين بيل، التي تمت ولادتها بعملية قيصرية في مستشفى جاكسون للأطفال بميامي في نوفمبر الماضي، أصغر مريض في العالم يُزرع له قلب. فقد أجريت لها العملية بعد ساعة واحدة فقط من مولدها، وتم نقل القلب الجديد من مولود آخر توفي لحظة ميلاد تشيين. وقالت أم الطفلة تشيين السيدة أليبرتا بيل (28 عامًا) ـ حسبما ذكرت الديلي تلجراف ـ: إن ذوي الطفل المتوفى تبرعوا بقلبه لصغيرتنا، وكان ذلك أمرًا محزنًا ورائعًا في الوقت نفسه.



لقد تابع الأطباء قلب تشيين قبل مولدها، حيث اكتشفوا ـ بوساطة الأشعة فوق الصوتية التي أجروها للسيدة بيل، وهي حامل في أسبوعها الرابع والثلاثين ـ، أن الجانب الأيسر من قلب تشيين ضعيف، وغير قادر على ضخ الدم. وذكرت صحيفة الديلي تلجراف أن السيدة بيل وزوجها ستيفن (29 عامًا) كانا بين ثلاثة خيارات: الزراعة، أو الجراحة المحفوفة بالمخاطر ـ مستقبلاً ـ والتي قد تسبب الإعاقة للطفلة، والخيار الثالث أن تُترك الطفلة تموت. وقد فضَّل الدكتور ريتشارد بيرمان إجراء العملية التي تستغرق ست ساعات، لزراعة القلب للطفلة التي تزن سبعة أرطال وتسع أوقيات عند الولادة، وقام بمعاونه فريقه الطبي بسحب دم الطفلة، ثم تبريد جسمها إلى درجة 17مئوية، وهي الدرجة التي يتوقف عندها عمل أعضاء الجسم. بعد ذلك أتموا عملية الزراعة خلال ساعة واحدة، وبذلك تفادوا احتمال تلف الدماغ والأعضاء الأخرى، إذ استغرقت العملية أكثر من ساعة.

الصيد الجائر يهدد النمر السيبيري بالانقراض

ثمة قضية مثيرة للجدل، هي محاولة إيجاد توازن بين رغبات الإنسان وأطماعه وجشعه وتغوله على البيئة من ناحية، والتحذيرات العلمية من الخطر الذي يتهدد الإنسان نفسه نتيجة انفراط عقد التوازن البيئي من ناحية أخرى.. بعيدًا من مشكلات التلوث، وآثارها في الحياة على الأرض، فإن ما يمكن أن يُسَمَّى ضمور عناصر الحياة الفطرية، وتقلصها بسبب الاستغلال غير المُرَشَّد من قبل الإنسان، يمثل قضية حيوية، تسترعي انتباه المهتمين من منظمات وأفراد، لديهم رؤية مؤسسة للحياة المتوازنة.

من أهم الوسائل التي يُوصى باتباعها، لإدراك ما يمكن إدراكه في قضية حماية البيئة والحفاظ على الحياة الفطرية، إقامة محميات للحياة البرية، بغرض حماية الحيوانات المعرضة للانقراض، وقد أقرت دول عديدة سياسات مختلفة في هذا الشأن، منها حظر الصيد الجائر، ومنع

صيد بعض الأنواع منعًا نهائيًا، وتحديد مواسم محدودة يمارس خلالها محبو الصيد هوايتهم..

ففي أصقاع سيبيريا، يواجه نوع من الحيوانات البرية خطر هذا الانقراض. فالنمر السيبيري، الذي يُعدّ أكبر أنواع النمور، يتعرض للصيد بطرائق غير قانونية، ويتذرع الصيادون بأنهم يفعلون ذلك بغرض الاستخدام في العقاقير الطبية التقليدية. وقد اتضح أن ما هو موجود من هذا النوع من النمور في سيبيريا، ضعف ما افترضه العلماء الأمر الذي أثار دهشتهم، فقد سُجِّل أن نحو 415 أو 475 نمرًا سيبيريًا تجوب المنطقة الممتدة من نهر أمور إلى السواحل الروسية المطلة على المحيط الهادي. هذه الزيادة غير المتوقعة، جاءت نتيجة لعملية إحصاء أفضل.

ويقول بول توين، أحد علماء البيئة، الذي يعمل مع الصندوق الدولي لتمويل أبحاث الطبيعة: إنهم أجروا دراسة أكثر شمولاً، وفي فصل الشتاء الماضي تَحَمَّل الصندوق والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية أجور 675 فردًا روسيا تم تكليفهم البحث عن آثار خطى النمور فوق الثلج، وقد غطى المستطلعون مساحات واسعة، بصورة أكثر شمولاً من أي وقت مضى.



الصندوق يصدر التحذير تلو التحذير، وقد أوردت مجلة نيو سينتست ضمن تقرير لها يجسم المشكلة: أن 50 نمرًا سيبيريًا يتم اصطيادها سنويًا بطريقة غير قانونية.

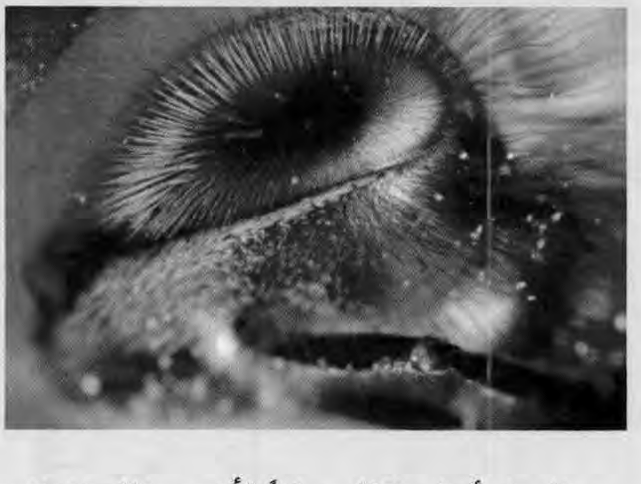
قدرة المرأة على تحمل الألم سببها الأستروجين

يرى باحثون من السويد أن هورمون الأستروجين الأنثوي قد يقوم بدور مسكن الألم، وذلك من طريق تحفيز الأعصاب في الحبل الشوكي، الذي يمنع الإحساس بالألم. فمن المعروف أن الأستروجين يعزز إنتاج الإنكيفالين، وهو مخدر طبيعي لتسكين الآلام في الهايبوتلاموس (ما تحت السرير البصري). إلا أن كثيرًا من الألياف العصبية، التي تنقل الإشارات التي تسبب الألم المزمن، تجرى في القرن الظهري للحبل الشوكي. كما أن الخلايا في هذه المنطقة تنتج أيضا الإنكيفالين.

وتتساءل آزا أماندوسون الطالبة التي تعد لنيل الدكتوراه في جامعة لينكوبنغ، عما إذا كانت تلك الخلايا تتأثر بالأستروجين أيضا.

قامت أماندوسون بقطع مقاطع عرضية رفيعة من الحبل الشوكي لبعض الفئران الإناث، وعالجت تلك الشرائح بأجسام مضادة معدلة، ظهرت بوضوح عندما ارتبطت بالجزئيات المستقبلة للأستروجين. وقد شخصت خلايا إنتاج الإنكيفالين من طريق غمر كل شريحة في حمض نووي مشع، وترتبط بمرسل الحمض النووي لمورث (الجين) الإنكيفالين. وقد وجدت أماندوسون - وفق ما أوردته «ميديكال جورنال» - أن نحو ثلثي خلايا العصب التي تنتج الإنكيفالين لها مستقبلات أستروجين. يقول أندرز بلومكفست المشرف على رسالة أماندوسون: إنه من المحتمل أن يصدق ذلك على البشر. فالانسحاب المنتظم للأستروجين خلال الدورة الطمثية (الدورة الشهرية) قد يساعد على تفسير سبب معاناة المرأة مرات أكثر من الرجل من أعراض الألم المزمنة المتزامنة، مثل الشقيقة (الصداع النصفي) وآلام الظهر.

حيل النحلة لمعالجة قصور الرؤية في الظلام



من المعروف أن النحلة لا ترى ليلاً، لأن عينيها لا تتلاءمان مع الرؤية في الضوء المعتم. ومع ذلك فإن أنواعًا معينة من نحل العسل تجمع رحيقها تحت جنح الظلام. والآن يذهب باحثون من السويد وألمانيا إلى أن النحل يستخدم دماغه لتقوية الرؤية الليلية الضعيفة لديه.

بعد مغيب الشمس تستقبل كل عدسة في عيون النحل مقادير ضئيلة من الضوء. إن معظم الحشرات التي تنشط ليلاً تنتقل إلى إحساسات أخرى، أو أن لها عيونًا ذات عدسات كبيرة. ولكن النحل يفتقر إلى هذه الخاصية. وكما يقول عالم الأحياء العصبية إيريك وارنت من جامعة لوند بالسويد: إن أعين النحلة في الليل ميؤوس منها، وللتحقق من رؤية النحلة في الليل استخدم وارنت وزملاؤه في جامعتي فودزبيرج وكونستانس بألمانيا معطيات على الخصائص البصرية والفسيولوجية لأعين النحل، ليبتكروا محاكاة كمبيوترية مبرمجة، لتتنبأ بمدى قدرة النحل على الرؤية في أي قدر من الضوء.

قام الباحثون ـ وفقًا لما أوردته مجلة نيو سينتست ـ بتدريب 44 نحلة عسل من نوع «أبيس ميليفيرا» للربط ذهنيًا بين عينة من الخطوط العمودية وطبق من العسل. وضعت تلك النحلات في غرفة معتمة تحتوي على ممرين أحدهما به عينة بخطوط أفقية على طرفه، والآخر بخطوط عمودية، ثم قاموا بتقليل سماكة الخطوط حتى لم يعد النحل يميز بينها. إلا أن النحل كان دائمًا، وبإصرار، يختار الخطوط العمودية التي كانت أقل سماكة في النموذج. وكان ذلك يُتحرَّى بوساطة العين فقط.

يقول وارنت: إن النحل باتباعه هذا الأسلوب يجب أن يكون قد استخدم حيَل معالجة الصور لتقوية مقدرته على الرؤية في الظلام، وهنالك احتمالان: الأول هو كما يحدث مع المصور الذي يبطئ من سرعة مصراع آلة التصوير، فإن الدماغ قد يطيل الزمن بحيث تجمع مستقبلات الضوء أكبر قدر من الضوء قبل أن ترسل إشارة. أما الاحتمال الآخر فهو أن مستقبلات الضوء المتجاورة قد تجمع إشاراتها لاستحداث صور فسيفسائية مركبة من عناصر مختلفة بقطع أكبر وأكثر لمعانًا.

إلا أن كلاً من الاحتمالين له استدراكاته، فإذا ما جمعت المستقبلات الضوئية الفوتونات (وحدات الكم الضوئي) خلال مدة أطول مما ينبغي فإن الأشياء المتحركة ستتمازج معًا وتصبح ضبابية، كما أن جمع الإشارات من المستقبلات المتجاورة يُحَسِّن الرؤية الليلية لأنه يقلل من وضوح تفاصيل الصورة.

ويشك وارنت في أن النحل الذي ينشط ليلاً يستخدم الاحتمالين معًا على الرغم من هذه المساوي. ويقول إنها حالة تمكن النحل من أن يرى شيئًا ما بدلاً من أن لا يرى أي شيء.

إعلانات التلفاز تغري الأطفال بأطعمة رديئة

يواجه الأطفال يوميًا سيلاً من الإعلانات عن أطعمة لا طائل وراءها. ذلك ما تؤكده دراسة دولية للإعلانات الترويجية. إذ قامت المؤسسة الاستهلاكية الدولية، وهي هيئة تمثل مؤسسات الاستهلاك الوطني، بإجراء دراسات في ثلاث عشرة دولة، وتخشى الهيئة بأن تلك الإعلانات التجارية قد تدمر ما يُسدَى من نصائح حول تناول الطعام الصحي.

توصلت الدراسة إلى أن الأطفال في استراليا هم أكثر مشاهدي الإعلانات التجارية عن الطعام، حيث إن معدل تلك الإعلانات يبلغ اثني عشر إعلانًا في الساعة الواحدة. بينما الأطفال الأمريكيون يشاهدون أحد عشر إعلانًا في الساعة الواحدة. أما الأطفال البريطانيون فيشاهدون إعلانات ترويجية عن الطعام أكثر من أي أطفال آخرين في جميع أنحاء أوربا؛ حيث

يشاهدون عشرة إعلانات في الساعة الواحدة. وفي السويد والنرويج، حيث يُحظر توجيه الإعلانات الترويجية للأطفال، فإن الصغار هناك يكادون لا يشاهدون أي إعلان ترويجي.

تشكل الحلويات والحبوب والوجبات السريعة ما يزيد على نصف الإعلانات الترويجية للطعام حسبما ورد في تلك الدراسة التي غطت ٢٠ ساعة مما يوجّه للأطفال في التلفاز يوميا من الثلاثة عشر بلدًا التي شملتها الدراسة، و95٪ من الأطعمة المروَّج لها في التلفاز البريطاني تحتوي على مقادير كبيرة من الدهون والسكر والملح، أو مزيج من هذه المواد. أما الدعاية للأطعمة الصحية، مثل الفواكه والخضروات فغير موجودة فعليا.

تقول لوسي هاريس منسقة المشروع لمجلة نيوسينتست: إنها تعتقد أن ذلك الأمر يفتقر إلى التوازن، وتضيف: إنها إذا تحدثت بشكل إجمالي فإن تلك الإعلانات غير صحية، وتقف أمام جهود الآباء والمدرسين والمربين للارتقاء بالطعام الصحي. وتضيف: إن النتائج تدعو إلى القلق، وخاصة إذا علمنا أن الأطفال دون الخامسة يكافحون لتعرف الإعلانات الترويجية من بين البرامج التي يشاهدونها في التلفاز. وأن بعض الأطفال يشاهدون الاعلانات الترويجية دون وعي بمضمونها، لغاية سن 12عامًا.



لذلك فإنها ترى المروجين يستغلون سذاجة الأطفال؛ الأمر الذي يؤدي إلى تفضيلهم للأطعمة الرديئة المعلَن عنها والتي تقود في النهاية إلى اعتلال الصحة.

معجزة إلهية تنقذ طفلاً من إعصار قاتل



الأعاصير العاصفة مسؤولة عن أمور كثيرة يحلو لبعض الناس ربطها بأسباب غامضة. من تلك الأمور ما كان يُروى في الغرب خلال عهود سابقة: «السماء تمطر ضفادع وأسماك». وينجلي هذا التفسير الغريب عند إخضاع الظاهرة للعلم، يقول بيرز كوربين خبير الأعاصير: «إنه من الممكن أن تعلق الأشياء في بؤرة الإعصار وتسافر في الجو». هذا الرأي العلمي يوضح أبعاد الواقعة الغريبة التي حدثت لأسرة أمريكية من ولاية أركنساس عندما دمرت عاصفة هوجاء منزل الأسرة، وقذفت بالطفل الصغير جوشوا - الذي لم يكن قد بلغ سبعة أشهر من العمر - إلى خارج المنزل مسافة 1240 مترًا تقريبًا. وقد قُتل في الحادث والداه دونا وكيث، وبقي الطفل جوشوا على قيد الحياة. وقد أوردت

صحيفة ذي إكسبريس اللندنية تفاصيل الحادث الذي ينم على معجزة إلهية، أخذت بيد هذا الطفل. يقول إيرل لووري شريف مقاطعة بريري بأركنساس: إنه عندما سلط رجاله الأضواء في تلك الليلة على منزل أسرة كيث أصيبوا بصدمة: لقد اندثر المنزل بالكامل، وعندما علموا أن الأسرة كانت في داخل المنزل ساعة هبوب الإعصار بدؤوا بتمشيط الحقول المجاورة، وكانت المفاجأة: لقد سمعوا صوت طفل يصرخ.. كأن شخصًا ما قد حمله ووضعه بعناية وسط حقل الأرز، وقد رعته العناية الإلهية، فقد كان الجزء الأسفل من جسمه مغمورًا في الماء، ولو كان الوضع معكوسا لغرق ومات!! وكان الطفل يرتدي ملابس النوم، فقد داهم الإعصار الأسرة بعد أن تهيأ أفرادها للنوم. وعندما أسرع رجال الإنقاذ بالطفل جوشوا إلى مستشفى قريب، كانت ثمة مفاجأة أخرى: لم يجد الأطباء ـ بعد فحصه ـ سوى كشط صغير في وجهه، وكدمة في رجله، ولم يحدث أي كسر في عظامه.. والآن ـ بعد عام من ذلك الإعصار ـ يعيش جوشوا مع جده وجدته.. وما يزال لقبه «الطفل المعجزة».

الأسماك قد تحل مشكلات الأنسولين عند الأطفال



من المستبعد أن تصبح أحشاء الأسماك مصدرًا لاستزراع أجزاء عضوية للإنسان، إلا أن علماء كنديين يحاولون تحويل نوع من الأسماك بعد هندسة جيناتها (مورثاتها) إلى أسماك تتبرع بخلايا البنكرياس لديها لمعالجة الأطفال الذين يعانون من مرض السكر. وإذا ما نجحت هذه الطريقة فإن هذه الأسماك قد تضع نهاية لمعاناة ملايين الأطفال الذين يتم حقنهم بالأنسولين يوميًا.

ويحاول العلماء منذ عقد من الزمن أن يزرعوا غددًا صحية، وهناك قليل من الناس الذين استؤصل البنكرياس عندهم وأعيد زرع جزر غدة لانغرهانز الخاصة بهم مرة ثانية بنجاح، فهذه الخلايا تُدمج في أنسجة الكبد. كما أن زراعة جزر غدة لانغرهانز من أناس آخرين أحرز نجاحًا لدى عدد قليل جدًا من مرضى السكر. ولكن هذا النمط من الزراعة لا يمكن أن يكون علاجًا روتينيًا للأطفال. هذا ما يقوله جيم رايت من مركز إسحاق والتون الصحي في هاليفاكس.

يرى الباحثون أنه يمكن حل مشكلة التزود بالبنكرياس نظريًا من طريق الأخذ من الحيوانات، وأكثر الحيوانات احتمالاً للاستخدام لهذه الغاية هو الخنزير، ولكن العالم رايت يقول: إنه حتى لو أثبتت التجارب صلاحية غدة الخنزير فإن توفير المقادير الكافية من هذه الغدد يشكل مشكلة ضخمة، فالحصول على 1,4مليون خلية من غدة لانغرهانز التي يحتاج إليها مريض واحد بالسكر يحتاج إلى عشرة خنازير. كما أن هذه الحيوانات يجب أن تُربَّى في ظروف صحية معقمة مدة عامين، وإذا خُصِّص لكل حيوان أربعة أمتار مربعة فهذا يعادل 20000 متر مربع لتهيئة 200 حظيرة للخنازير لمعالجة 10000 شخص، وبذلك فإن التكاليف ستبلغ أرقامًا فلكية. نتيجة لهذه المشكلات والمحاذير فإن الرهان الآن على سمكة التيلابيا TILAPIA التي تعيش في المياه العذبة في المناطق الاستوائية. فعلى العكس من الخنازير يمكن تربية هذه الأسماك بكثافة عالية في مساحات صغيرة وتكلفة أقل، كما أن أسماك التيلابيا يمكن أن تحل بعض المشكلات الرئيسة الأخرى المتعلقة بزراعة الأنواع الأخرى من الغدد، وأول هذه المشكلات إيجاد طريقة لإيقاف جهاز المناعة عن مهاجمة الأنسجة الحيوانية دون اللجوء إلى العقاقير المثبطة لجهاز المناعة.

تعيش سمكة التيلابيا في البرك الدافئة بمستويات منخفضة من الأكسجين. فخلاياها لا تحتاج إلا إلى خُمس كمية الأكسجين التي تحتاج إليها الخلايا البشرية، وبذلك تستطيع البقاء على قيد الحياة في تلك الغلافات.

أما الميزة الكبرى الأخرى التي تتوافر في سمكة التيلابيا فهي أنها تمتلك بنكرياسين، أحدهما للأنزيمات الهاضمة والآخر لإفراز الأنسولين. وحيث إن أحد البنكرياسين يعود ـ في الأساس ـ لتكتل جزر غدة لانغرهانز فإن فصل الخلايا عن الأنسجة الأخرى يصبح أكثر سهولة. أما غدد البشر أو الخنازير فإن عملية إفراز العصارة تكلف 3000 دولار أي ما يعادل 90٪ من تكاليف زراعة غدة بشرية.

الطفل المفرط الحركة
هل يمكن علاجه بالحمية؟

د. منيرة البياتي



الطفل قد يعترض على الطعام لجلب انتباه الأبوين

اختلفت وجهات النظر ما بين المؤيد والرافض لنظرية الدكتور الأمريكي بنجامين فينجولد (1974م) القائلة أن 50٪ من الأطفال المفرطي الحركة Hyperactivity يهدؤون عند اتباعهم حمية خاصة تدعى Feingold diet المنسوبة إليه، والتي حازت على إعجاب آباء الأطفال والهيئات التعليمية والصحافة. وظهرت في كل من أمريكا وبريطانيا دراسات مشتركة لوضع معايير محددة لتشخيص هذه الحالة، وطرحت الدراسات الأمريكية سؤالاً عن ماهية المقياس المناسب لمعرفة الطفل الطبيعي أو غير الطبيعي في نشاطه وحركته، وهل تختلف من بلد إلى آخر باختلاف نمط الحياة والمعتقدات؟ وهل تُعدّ حالة شاذة أم هي جزء من سلوك الطفل في مختلف مراحل النمو؟

لا يوجد تعريف واحد متفق عليه عالميًا لحالة الطفل المفرط الحركة، فليس من السهولة تشخيص مجموعة أعراضه أو تقويمها أو علاجها. وفي الماضي كان قد أُطلق على هذه الحالة مصطلح: اختلال وظيفة الدماغ Minimal Brain Dysfunction. ثم اصطلح عليها: عجز الانتباه والحركة المفرطة Attention Deficit Disorder with Hyperactivity وأخيرًا، استبدل



هذه الأطعمة قد تجعل الطفل مفرطًا في حركته

بهذه المصطلحات مصطلح: الطفل المفرط الحركة Hyper-active child، إذ لا يعاني مثل هذا الطفل من عجز في الإدراك والعواطف، أو خلل عصبي كأعراض المصاب باختلال وظيفة الدماغ.

والطفل المفرط الحركة لا يعرف الهدوء، ولا يستطيع الجلوس بسكون، أو التركيز على شيء مدة من الزمن، وقد يتهور ويندفع وينزعج بسهولة، ويتهيج ويُصبح سريع الغضب والانفعال وعدواني السلوك مقارنةً بالأطفال الآخرين، ويعاني صعوبات في التعلم ليس بسبب عجزه أو ضعف ذكائه، بل لعدم قابليته الجلوس على المنضدة في الصف والتركيز على الدروس. ويشكو أحيانًا من القلق وألم في الرأس والشعور بالعطش، وقد يعاني من الرشح الموسمي أو حمّى القش والربو وينام قليلاً، فساعات قليلة من النوم كافية له.

ويرهق هذا الطفل أسرته ومدرسته، ويؤدي سلوكه إلى مشكلات اجتماعية ودراسية. ويصاب بهذه الحالة نحو 5٪ إلى 10٪ من أطفال المدارس عادة. وتبلغ نسبة إصابة الذكور ثلاثة أضعاف إصابة الإناث، وتزداد الإصابة عادة في عمر ست سنوات، وقد يصاب بها وهو في عامه الأول، أو في أي مرحلة من مراحل الطفولة.

بدأ الاهتمام بهذه الحالة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتشير الإحصاءات إلى أن من بين كل عشرة أطفال أمريكيين هناك طفل واحد مفرط الحركة. وتنخفض هذه النسبة في المملكة المتحدة إلى 1٪، وكانت تُشَخَّص في الماضي كحالة من مرض الصرع أو التخلف العقلي أو الأمراض العصبية.

ويحار الأطباء في الأسباب التي تؤدي إلى هذه الحالة، ويعزونها إلى عدد من العوامل كالوراثة والبيئة والحالة النفسية وغيرها، كما قد تؤثر مشكلات الأسرة وعلاقاتها في سلوك الطفل، وتتضخم المشكلة أحيانًا بسبب قلق الأسرة من عادات الطفل في الأكل عندما يلجأ إلى التقيّؤ المتعمّد أو اجترار الطعام أو ردّ الطعام التي غالبًا ما يمارسها لجلْب اهتمام الوالدين. ويعزو فريق آخر العوامل إلى الحساسية من الطعام، أو تدخين الأم في أثناء الحمل والتأثير الضار لمادة النيكوتين والقار الموجودة في اللفائف.

وقد لاحظ الدكتور بنجامين من خلال خبرته الشخصية أن المواد الحافظة Food preservative التي تضاف للطعام للمحافظة عليه من التغيُّر، أو مادة الساليسيلات الطبيعية والمصنعة، أو تلك المواد التي تعطي نكهة للطعام Fla-vourings تسبب تهيجًا وحركة غير عادية لدى

الطفل المفرط الحركة

هل يمكن علاجه بالحمية؟



المواد المنكهة التي تُضاف إلى الأطعمة مثل الحساء من الأسباب الداعية لفرط الحركة عند الأطفال

وقبل عشر سنوات استخدمت حمْيَة فينجولد علاجًا من طريق اختيار الغذاء، وأعطت نتائج إيجابية، ولوحظ أن الطفل المفرط الحركة يهدأ وتخف حركته ويزداد تركيزه عند اتباعه الحمية مدة 4 إلى 6 أسابيع. وتتضمن الحمية الامتناع عن الفواكه والخضار لاحتوائها على مادة الساليسيلات الطبيعية الموجودة في الخيار والطماطم والباقلاء والتفاح والمشمش والموز والفراولة والعنب والزبيب والكشمش والبرتقال والخوخ والكمثرى والراوند واللوز والمكسرات. وتتضمن الحمية أيضًا الامتناع عن الأطعمة الأطفال. وهنا يثار عدد من الأسئلة: هل يمكن عدّها حالةً من حالات التسمم، أو نوعًا من أنواع الحساسية التي تحفز جهاز المناعة في الجسم، أو هي مجموع لكل هذه الحالات؟

عند الفحص المختبري لوحظ ارتفاع مادة الكريسول Cresol في الغائط بعد تناول أطعمة معينة؛ فالكريسول يرتبط بالسلفات ويُطرح مع البول عادةً بمساعدة بعض الأنزيمات التي تحتوي على الفينول Phe-nol، ولكن بعض الأطعمة والمشروبات، مثل مادة الكتخين Catechins الموجودة في الشاي ومادة انثوسينين An-thocyanins التي تلون بعض الفواكه والخضار، تمنع عمل هذه الأنزيمات مما يؤدي إلى خلل في الارتباط، وهكذا تبقى هذه المواد في الدم لعدم إمكان طرحها مع البول.

ويختلف الأطباء في طرائق علاج هذه الحالة، إذ يميل بعضهم إلى استعمال العقاقير كدواء أمفتامين ومثيل فنيدات المستخدم في كندا والولايات المتحدة، الذي ساعد على علاج بعض الحالات، ولكنه، مثل كل أنواع الأدوية، يملك تأثيرات جانبية مثل الإدمان وأضرار أخرى. ويفضل فريق آخر من الأطباء العلاج السلوكي Behaviour ther-apy والتعليمي من خلال برنامج استشاري موسَّع لأسر الأطفال وتعريفها مختلف الطرق السليمة للتعايش مع الطفل بطريقة إيجابية ونافعة، وغالبًا ما تختفي هذه الحالة وتزول الحركة المفرطة بتقدم العمر، وتبقى أعراض مثل الارتباك واللهو Distraction.



لا بد من مراقبة سلوك الطفل وحركته من قِبَل أحد الأبوين

الطفل المفرط الحركة

هل يمكن علاجه بالحمية؟

الجاهزة، وتفضل الأطعمة الطازجة وغير المصنّعة، فالطعام الجاهز تضاف إليه عادة مواد كيماوية للحفاظ عليه؛ كاللحوم المعلّبة والمجمّدة والأسماك المجمّدة أو السمك المغلّف بالبقصم والمقلي، والصوصج والهامبرجر. وتتضمن الحمية أيضًا الامتناع عن الأطعمة التي تحتوي على المواد المنكهة والملوَّنة، ويفضّل عادة استعمال الألوان الطبيعية كالكارامل البني الذي يستعمل في الخبز الأسمر والبسكويت والمعجنات (الكيك) بدل الألوان المصنّعة والمستخرجة عادة من قير الفحم؛ كصبغة آزو المستعملة في الحلويات والبوظة والكيك والبسكويت والجلي والتريفل والشوربة والصلصة والفواكه المعلبة والحليب المحلّى والروبة المحلاة والبودينج والشوكولاتة التي تحتوي على اللوز أو الفواكه وأقراص النعناع وعصير الفواكه المصنّع والمشروبات الغازية والعلك والمربّيات والخل والمخلل والبطاطا المقليّة الجاهزة والبيرة. وهناك مواد أخرى غير الأطعمة كالأسبرين لاحتوائه على مادة الساليسيلات المصنّعة، ومعجون الأسنان والشراب المضاد للسعال، وأقراص تلطيف البلعوم، والعطور وأقراص الأدوية الملونة.

وتُتبع في الوقت الراهن طريقة المنع والتقديم في العلاج وهي الطريقة المتبعة في علاج حساسية الطعام، إذ يُمنع الطفل كليًّا عن الأطعمة المعروفة المسببة للإفراط في الحركة مدة أسبوعين أو ثلاثة، فإذا تحسنت حالته يتم تقديم نوع واحد من الطعام As tolerated تدريجيًا، ثم التالي على أن يفصل بين نوع وآخر أسبوع، فإذا عادت الأعراض إلى الظهور يُحَدَّد بالضبط الطعام المُضرّ به. ويفضل أن تحتوي وجبات طعام الطفل المفرط الحركة على سعرات حرارية عالية وكمية أكبر من المعتاد، أو تضاف وجبات صغيرة بين الوجبات الرئيسة بسبب الطاقة الكبيرة المبذولة في الحركة المستمرة. ويحذر خبراء التغذية في الولايات المتحدة من المشكلات العديدة لأي حمية خاصة بالنسبة للأطفال الذين يحتاجون إلى مختلف الأطعمة التي تساعدهم على النمو والتطور. ومن الضروري الانتباه لئلا يصاب الطفل بسوء التغذية في الأسر التي تستعمل الأغذية الجاهزة والمعلّبة في غذائها اليومي فيما لو التزمت الحمية، ويجب أن تكون قصيرة الأمد لتفادي هذه المشكلة. وقد أضافت جمعية مساعدة الأطفال المفرطي الحركة Hyperactive Children's Support Group إلى الحمية: 50 ملغم فيتامين سي يوميًا وذلك بسبب منع الفواكه والخضار، ومنعت الحليب والسكر والبيض ومادة الصوديوم جلوتميت والصوديوم بنزوات والنترات.

ومنذ سنة 1986م بدأ استعمال ما يسمى نظام: الأرقام إي E number system في الأطعمة الجاهزة عند الدول الأوربية، إذ يُكتب رقم مضاف إلى الطعام على العلبة. مثلاً صبغة السنست الصفراء وهي مشتقة من صبغة آزو تضاف إلى عصير البرتقال المصنّع تحمل عادة الرقم E110، وصبغة الكارامل تحمل الرقم E150. وتختلف القوانين والضوابط في صناعة الأطعمة باختلاف الدول، إذ تسمح الولايات المتحدة الأمريكية باستعمال الساليسيلات في الطعام المصنّع في حين تمنعها المملكة المتحدة. لهذا من الضروري قراءة ما هو مكتوب على العلبة بتدبر ومعرفة محتويات الطعام قبل الشراء.

ولِتَعاوُن الأم مع الطبيب في التزام الحمية والاهتمام بها تأثير نفسي إيجابي في الطفل ويؤدي إلى تحسن الحالة. وتؤدي مسؤولة التغذية دورًا مهمًا بإسداء النصيحة، ويجب أن يُحوَّل الطفل من قِبَل الطبيب المختص بعد الفحص والتشخيص للإشراف المشترك كما هو معمول به في بريطانيا. أما إذا لم يتم الشفاء بعد التزام الحمية فمعناه أن الطعام ليس سبب الحركة المفرطة.



هل تنجح الحمية في جعل الطفل هادئًا غير مفرط الحركة؟

منتدى «الفيصل»

مع: د. حسن ظاظا



اليهود ينقلون علوم الأمم إلى لغتهم منذ عام 1917.. فلماذا تقاعسنا نحن؟

يسر مجلة «الفيصل» أن يكون ضيف الحلقة الأولى من الباب الجديد «منتدى الفيصل» - الذي يقيم حواراً حراً بين القراء وإحدى الشخصيات الفاعلة في مجال من مجالات الفكر والعلم - هو الأستاذ الدكتور حسن ظاظا؛ الذي له إسهامه الكبير في دراسة الفكر اليهودي وتدريسه في عدد من الجامعات العربية والأجنبية.

في هذا الحوار الصريح: القراء يسألون، والدكتور ظاظا يجيب معطياً إجاباته العمق التاريخي الذي يجلّي الحقائق ويؤكد وجهة نظره، بلغة هادئة تلتزم الموضوعية. ولعل القارئ يستشف في بعض الإجابات نوعاً من الاستطراد، لكن نقول إنه استطراد مقصود لجأ إليه الدكتور ظاظا حتى يدعم آراءه بنماذج من واقع تجربته أملاً في أن يكون فيها ما يغني معارف القارئ، ولاسيما أنها تجربة عريضة تمتد إلى أكثر من نصف قرن.

منتدى «الفيصل»
مع: د. حسن ظاظا

. صدرت لك عشرة كتب في الآداب العربية وفي اللغات السامية والفكر اليهودي، وأنا أتتبع دراساتك التي تنشرها في مجلة الفيصل التي تدحض كثيراً من دعاوى اليهود. ترى هل توجد متابعة في إسرائيل لهذه الكتب والدراسات؟

عماد أسد الله، سوري الجنسية
طبرجل، الحدود الشمالية، السعودية.

ـ كتاباتي مقروءة في إسرائيل، ويتم ترجمة ما يُكتب منها بالعربية، بل إن أحاديثي الإذاعية يهتمون بها كثيراً، حتى إنني فوجئت ذات مرة بأنهم يردُّون على حديث لي في إذاعة الرياض بالعربية والعبرية.

. هل لكم كتب باللغة العبرية؟ وهل تُرجمت كتبك باللغة العربية إلى العبرية؟

أحمد ناصر الحراني
حي العليا، الرياض.

ـ لي كتاب مطبوع باللغة العبرية كان أصله رسالة الماجستير التي قدمتها للجامعة العبرية في القدس، وكانت عن أثر الفكر الإسلامي في الفكر العبري في إسبانيا الإسلامية، وحصلت بها على الماجستير بتقدير ممتاز. كان ذلك في التاسع والعشرين من فبراير 1944م، وكان عمري حينها خمسة وعشرين عاماً.

. ما موضوع رسالتك للدكتوراه؟

صالح بن مبارك الهملاني
عرعر، الحدود الشمالية، السعودية.

ـ حصلت على الدكتوراه من جامعة السربون في باريس، لأنني عندما ذهبت إلى باريس وجدت كثيراً من العلماء والمثقفين والفنانين والإبداعيين في كل علمٍ وفنٍ من اليهود. وكان من المفترض أن أكمل دراستي في الجامعة العبرية، ولكن حدث أن عدت إلى مصر في إجازة بعد حصولي على الماجستير، بعد أن سجلت موضوع رسالة الدكتوراه، فأخبرني وزير المعارف الأستاذ عبدالرزاق السنهوري باشا، وكان مستشار الصياغة لميثاق جامعة الدول العربية، أن استمراري في الجامعة العبرية قد يمثل اعترافا بوجود علمي وأكاديمي لإسرائيل في فلسطين، وهو ما يتعارض مع توصيات جامعة الدول العربية التي لم يكن قد صيغ ميثاقها بعد، وخيَّرني بين إكمال دراستي في مصر أو الانتظار حتى تنتهي الحرب لأسافر في بعثة إلى الخارج، ففضلت الانتظار، حتى جاء التحاقي بالسربون، وتتلمذت على علماء من اليهود فيها، ودرست التلمود مع «لَيْبر» الحاخام الأكبر في فرنسا كلها، وبعد وفاته واصلت مع جوجنهايم، وكان الرجل يحفظ التلمود غيباً. والتلمود 12مجلداً كبيراً، والواحد منها يتجاوز الألف صفحة.

حاخام آخر هو «فايدا»، وكان أستاذاً في مدرسة الحاخامات الإسرائيليين في باريس ومتخصصاً بالموازنة بين الفكر الإسلامي والفكر العبري، وهذا حضر مناقشتي في الدكتوراه. وبعد انتهاء دراسة الدكتوراه أتممت الرسالة وأودعتها في عام 1954م؛ أي أنني قضيت تسع سنوات في إعداد ثلاث رسائل لمعهد الدراسات العليا، ورسالة في قسم الأديان المقارنة ورسالة الدكتوراه.

فقد كان يُطلب من الدارس في تلك الأيام رسالتان: رسالة رئيسية وأخرى فرعية، وكان لا بد من موضوعين مختلفين. وكانت الرسالة الثانية للدكتوراه بعنوان «منهج سيبويه في النحو العبري بين يهود الأندلس»، وهذا المنهج لا يزال يُرجع إليه في عمل الموسوعات النحوية حتى في بولونيا أو تل أبيب أو روسيا. اليهود هناك لا بد أن يرجعوا إلى كتب يهودا بن قريش أو مروان بن جناح أو ابن غياث، وهؤلاء كلهم يهود أندلسيون تأثروا بكتب سيبويه وابن جني لدرجة أن مروان بن جناح عندما ألف كتابه في النحو أسماه بنفس اسم كتاب ابن جني «اللُّمع في النحو العبري». وكانوا إذا كتبوا يكتبون بالعربية لأن اللغة العبرية لم يكن بها مصطلح علمي.

وهناك أسماء لعلماء يهود كبار هي أسماء عربية، حتى ليظُن المرء أنهم عرب، من أمثلة ذلك أبو زكريا يحيى بن داود الطبري، وهو عالم تلمودي كبير، كان يُقيم في مدينة صفد. وأبو الوليد مروان بن جناح القرطبي وهو أكبر نحوي عندهم، وكانوا يلبسون الملابس العربية. ومنهم الطبيب موسى بن ميمون، الذي كان يلبس العمامة والجبة العربية، وكان طبيب صلاح الدين الأيوبي وموضع ثقته. وكان طبيباً أيضاً لقيادة الجيش الذي يحارب الصليبيين.

وكان فايدا من بين الذين ناقشوني الرسالة، وهم خمسة أعضاء: رئيس الجلسة وعضوان للرسالة الأولى وآخران للرسالة الثانية، وكانت رسالتي الكبرى للدكتوراه عن «القَسَم عند الساميين القدماء»، وفيها موازنة بين شريعة اليهود والشرائع التي قبلها عند الساميين «حمورابي ـ الآشوريين». ولم تتم مناقشة الرسالة حتى عام 1958م، بعد عودة العلاقات بين مصر وفرنسا، بعد أن كانت قد انقطعت بسبب العدوان الثلاثي.

كان أحد المناقشين هو البروفسور ريجيس بلاشير الذي ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، وهو أستاذ للأدب العربي، وقد ألف كتاباً عن المتنبي بالفرنسية.

ووجد البروفسور بلاشير أن الحاخام فايدا متحامل عليٍّ لدرجة أنه قال لي إنني جعلت كل علماء اليهود تلامذة للعرب، فقلت له: إن الله سبحانه وتعالى الذي جعلهم كذلك.

وبيَّنتُ أن الحضارة في الأندلس لم تكن حضارة أندلسية، إنما كانت حضارة إسلامية. فالخليفة عبدالرحمن الثالث سمح لليهود بدخول المسجد الجامع لسماع الدروس العربية باستثناء دروس القرآن الكريم. ثم بنى اليهود مدينة جامعية في «أَلِيْسْنه» وبدأ العلم اليهودي ينحط في هذه الجامعة؛ فالعلم ازدهر عندهم لحضورهم دروس الجامعة الإسلامية في قرطبة. وضعف إنتاجهم عندما تقوقعوا على أنفسهم. لذلك قد تتكرر المأساة لليهود في إسرائيل الآن؛ لأنهم يشجعون على الانفصال عن العالم العربي والإسلامي. وإذا دخلنا إلى أي معبد يهودي الآن نجدهم يوم الجمعة في المساء ويوم السبت في المساء ينشدون أناشيد وابتهالات واستغاثات موجهة للخالق سبحانه وتعالى باللغة العبرية على أوزان الخليل بن أحمد. أما الآن فيرددون في أشعارهم أوزان الشعر اللاتيني كما هو حاصل في ألمانيا وفرنسا وفي كل مكان، لكن أوزان تراتيل المعبد اليهودي للآن على أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي، والذي أدخلها هو دُونَشْ بن لَبْرط، وهو اسمه غريب، لكن تفسيره بسيط فدونَشْ هو التحريف العامي الإسباني في العصور الوسطى لأدونيس، ولبرط من الكلمة اللاتينية ليبرادوا، أو من لبرتي يعني المعتق أو الحاصل على حريته.

. ما اللغات التي تجيد التحدث بها؟

حماد عامر
الكرك، الأردن.

ـ اللغات التي أستعملها دون تفكير وتأتي في الأحلام ـ يقولها ضاحكاً ـ هي اللغة العربية واللغة الفرنسية واللغة العبرية. لأنني أقرأ بها وأكتب بها. ثم تأتي الإنجليزية، التي أستطيع أن أتحدَّثَ بها، فقد كنت أستاذاً في جامعة ولي عهد بريطانيا في مالطة وذلك قبل أن آتي إلى المملكة؛ إذ بقيت سنة أدرِّس بالإنجليزية هناك. وقُدِّر لي أن مثلت جامعة الدول العربية في الأسبوع العربي الإسلامي في طوكيو فألقيت محاضرة ارتجالية باللغة الإنجليزية في قاعة نقابة الصحفيين والإعلاميين حول المشكلة الفلسطينية؛ ففوجئت بقيام سيدة مسنة، قيل

العلم ازدهر عند اليهود لحضورهم دروس الجامعة الإسلامية في قرطبة، وعندما انعزلوا تدهورت الحياة العلمية عندهم

اليهود ينقلون علوم الأمم إلى لغتهم منذ عام 1917م..

فلماذا تقاعسنا نحن؟

لي إنها عضو في البرلمان الياباني ورئيسة جمعية المرأة اليابانية، فقالت: ظاظا كلّمنا الآن بوضوح عن القضية القائمة بين العرب وإسرائيل، وقالت: كنت أظن أن الإسرائيليين من جهة والأمريكان من جهة قادرون على تنسيق الكذب فيما بينهم بطريقة جعلتني أظن أن الإسرائيليين هم المظلومون، ولذلك أدخلت زوجة السفير الإسرائيلي عضو شرف في مجلس اتحاد النساء الياباني، وأنا أعلن الآن أنني أطردها من هذا الاتحاد؛ لأننا كنا مُضَلَّلين.

وبالمناسبة دعني أتحدث عن جوانب في هذه المحاضرة لثقافة القارئ:

أوضحتُ في هذه المحاضرة الأمور التاريخية وأسماء الشخصيات وبيّنت فيها أن الضحية البريئة هم العرب؛ وأعتقد أن هذه ثمرة من ثمارالمحاضرة. بعدها طلبتني جامعة «كيُوتو» هناك حتى أحاضر فيها، فهمس إليّ أحد أعضاء وزارة الخارجية اليابانية بألا أتناول موضوع إسرائيل لأسباب من بينها أن كيوتو بلد متحرر ويمكن أن تقوم بها مظاهرات؛ فاخترت موضوع تبادل المعارف الطبية والكيماوية بين اليابان والعالم العربي في العصورالوسطى، وأوضحت كيف أن الأطباء مثل الرازي وابن البيطار كانوا يستوردون بعض الأصباغ المأخوذة من النباتات لمداواة الحروق والجروح وعمل المراهم وكانوا



الزميلان سليمان العيدي وحسين حسن يوجهان أسئلة القراء إلى د. ظاظا

يستوردون الشاي لعلاج الإسهال. وعندما كثر الغش كان الشاي يُخلط بأي نوع من العشب فكان لا يؤدي الأثر المطلوب؛ فاشتكوا إلى إمبراطور الصين، لأن الصين كانت تحتل اليابان، فقال: لا تقبلوا من الشاي إلا الطرود التي عليها ختمي بالشمع الأحمر. فكانوا مندهشين جداً لأنها معلومة جديدة بالنسبة لهم.

• إلى أي مدى ترى إمكان التوافق والتعايش بين اليهود والعرب في المستقبل، وهل بالإمكان التطرق لموضوع العلاقات العربية اليهودية؟

أحمد ناصر مرتضى
البصرة، العراق.

ـ الإجابة عن هذا الموضوع من أصعب ما يمكن؛ لأن الظروف التاريخية القديمة كلها بيّنت أن اليهود بقوا منهزمين في الشتات والتفرق ونُسيت لغتهم ولم تقم لهم أيّ دولة على مدى ألفي سنة. بعد سقوط حصن (بيتار) قلعة المساوة، وبعد تدمير الرومان للقدس (أورشليم) وتسويتها بالأرض، وإقامة صنم كبير الآلهة على أنقاض مدينة القدس والهيكل، هذه المزاعم تَعبّد بها اليهود وتعبوا من أجلها، ويقولون نريد بناء هيكل سليمان. أين كان هيكل سليمان؟ وقد بُني بعد هيكل سليمان هيكلان احتفظ بهما التاريخ، وكل واحد منهما دُمّر وأُحرق وسوّي بالأرض. فليس للهيكل أي وجود ولا أي علامة ولا مكان معلوم. والثّابتُ أنه موجود في منطقة القدس. وهذا النفق الموجود حالياً الذي أثار ضجة عُمل لنقل العتاد والماء إذا حوصرت المدينة من عين «سلوان» في جنوب القدس، وعُمل بدلاً منها قناة مغطاة تصل إلى داخل البلد. ويرجع تاريخ النفق إلى العصر البيزنطي، أي إلى القرن الثالث الميلادي، وهم يطلقون عليه نفق البراق(1). أما عن التعايش بين العرب وإسرائيل فأعتقد أنه إذا كان تفكير كل المسؤولين في الحكومة الإسرائيلية مثل تفكير بنيامين نتنياهو لا أتوقع أبدًا الوصول إلى شيء؛ لأن هذه هي العقلية التي كانت تحكم مملكة يهوذا القديمة عندما حاصرها «بختنصر»، وقام نبيهم إرميا يخطب فيهم ويقول: أنتم لا تستطيعون مواجهة قوة «بختنصر» فعليكم بتسوية سلمية واقبلوا أي تنازل كان، وإرميا كان يدعو إلى تسوية سلمية، لكن قامت في وجهه مجموعة وقالوا: نحن أيضا أنبياء مثلك.

كان إرميا يناقش هؤلاء الأنبياء، وكان هنالك خمسون يدّعون أنهم أنبياء أُرسلوا من الله وكلهم كذابون. وانتهى الأمر بسقوط أورشليم ودمّرها بختنصر وأشعل فيها النار وأرسل لقائد جيشه يقول: احرثها؛ بمعنى أن لا يُبقي فيها حجراً ملتصقًا بالأرض.

لقد كانت فلسطين إما جزءًا لا يتجزأ من الإمبراطورية الفرعونية، أو جزءًا لا يتجزأ من الإمبراطورية الآشورية، أو جزءًا لا يتجزأ من الإمبراطورية البيزنطية. أو جزءًا من المملكة الإسلامية. وعندما تسلم القدس سيدنا عمر بن الخطاب من «صفرْونيوس» كبير بطارقة القدس لم يكن اسمها أورشليم ولا القدس. كَان اسمها إيلياء؛ لأن الرومان كانوا قد عفّوا على آثار كل ما هو يهودي ومقدس. وسُميت باسم امبراطور الرومان هدريان الذي أعاد تدميرها تمامًا. وأصدر أمرًا إمبراطوريًا بتغيير كل كلمة أو تبديل كل شيء وإبداله بالاسم الروماني. من هنا انتهت التسميات القديمة. وقيل له كيف تسمي القدس فأتى بالصنم «جُوبيتر» إله الرومان من معبد الكابتول، وكان اسمه هو قبل أن يصير إمبراطوراً: إيلايوس، فقال سموها باسمي وباسم المعبد فصار اسمها «إيلياء كابتولينا». وعندما احتلت الدولة البيزنطية بيت المقدس، أدخلت الدين المسيحي هناك فقيل: لا بد من تغيير الكابتول لأنه معبد وثني فسميت إيلياء فقط.

وسيدنا عمر رضي الله عنه استلمها من صفرونيوس بهذا الاسم. وهو الاسم الموجود في الطبري وكتب المؤرخين «العَرب والغربيين». وفي ذلك الوقت لم يكن بها يهود أصلاً لأنه كان في مكان «ملكي صادق» الذي استضاف سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو راجع من هضبة الجولان وكانوا في مفاوضات لتخليص جماعة أُسروا هناك، وسأله قضاء الليل في ضيافته قائلاً له: اسمح بأن أقدّم لكم العشاء. بعدها قام سيدنا إبراهيم يصلي فسأله «ملكي صادق»: لمن تصلي؟ فأشار إلى السماء وقال: أصلي لله العلي ـ وهذا موجود عندهم في التوراة ـ فباركني باسم الله العلي فدعا له. فهذا هو المسجد الأقصى ولا أحد يعلم أين؟ ولكن كانوا على جبل من جبال القدس. إن اليهود يستغلون جهل العامة من المسيحيين والمسلمين ويطلقون تفاسير على هواهم. والأمر يحتاج إلى شيء من التحقيق الموسوعي الموثق المدعوم بالدليل.

• هل لكم أن تحدثوا القراء عن حياتكم في فرنسا؟

أحمد بن محمد الربدي
القصيم، بريدة، السعودية.

ـ أقمت في فرنسا مدة اثني عشرة سنة، وتزوجتُ منها وأسرتي ما تزال تقيم هناك. ورزقني الله بابن وابنه، فابني مالك سلك طريقًا علميًا ودرس الهندسة الذرية والكمبيوتر وهو الآن مدير الصيانة لشبكة الاتصالات بأحد البنوك، وهو خريج جامعة تولوز. أما ابنتي فتُدَرِّسُ اللغات وتخرجت في السوربون، وهما يحملان الجنسيتين المصرية والفرنسية.

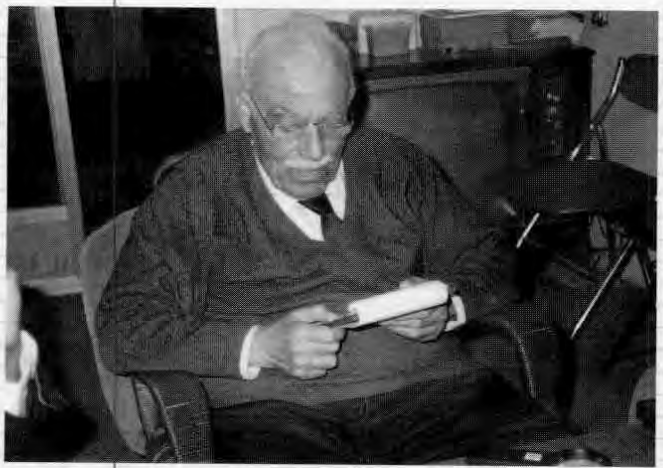
وقد أقامت زوجتي معي في الإسكندرية، وتبعتني عندما أُرسلت إلى جامعة محمد الخامس في الرباط، ثم رجعت إلى فرنسا، بعد أن أنهى الابنان الدراسة الثانوية في مصر، أخذتْهما إلى فرنسا، فأنهيا هناك دراستهما الجامعية.

• هل كنت تتوقع هذه التغيرات السياسية والعلمية بين عامي 1945 ومشارف عام 1997؟

بدرية العاموري
العقبة، الأردن.

منتدى «الفيصل»

مع: د. حسن ظاظا



ـ التغيرات العلمية كنت أتوقعها لأني كنت أستمع إلى محاضرات أساتذة كبار في السوربون مهتمين بالعلوم، منهم البروفيسور «لَنْ جيفان» الذي كان أستاذاً في الطاقة الذرية، وكان على صلة صداقة «بآينشتين» وبالعلماء الأمريكيين والبريطانيين وغيرهم.

كنت أحضر بعض المحاضرات التي لم تكن بها حسابات كثيرة وأستطيع فهمها. وكان الرجل يسطُ جداً وكانت نظرته إنسانية جداً، يقوم بتنبيه السلطات إذا أسرفت في ضرب الحركات الوطنية في المستعمرات، فيقول للمسؤولين فيها: أنتم تنسون بأن هؤلاء بشر، وأنهم يحبون الحرية مثلكم تماماً. كان هذا رده على مسؤول هو «جورج بيدو» الذي كان يقول إن هؤلاء متخلفون، فقال له «لَنْ جيفان»: أنتم تحكمونهم منذ خمسين سنة وأكثر، وتجرؤون على وصفهم بالتخلف! من المسؤول عن هذا التخلف؟! إذا كان لكم الحكم في التنظيم وفي الأمور المالية والتعليمية.. هذا عليكم وليس لكم.

لا شيء يدهشني في مجال التقدم العلمي إطلاقاً. الآن بالهاتف الجوال يستطيع الإنسان التحدث مع طوكيو من أي بلد، فمن كان يتصور هذا؟ وأنا أتوقع إنجازات كبيرة وأرجو الله أن تكون في مجال الطب والجراحة؛ لأن هناك كثيرين يعانون من الأمراض المستعصية مثل الإيدز والسرطان، وبعض الآلام مثل آلام الظهر التي أعاني منها أنا شخصياً.

ـ ماذا عن تجربتك في باريس وعن اتصال الحضارات بين الشرق والغرب. وهل سنقرأ لكم شيئاً في هذا؟

لافي عماد الحماد

حائل، قرية فيد، السعودية.

ـ لا، لم أفكر في كتابة شيء عن تجربتي، بل إن ابنتي تثور عليّ كثيراً لأن اتجاهاتها أدبية فتسألني لماذا لا أكتب مذكراتي؟ فأقول لها: عندما يقرب انتهاء عقدي مع الحياة، سأبدأ في كتابة مذكراتي، فانتظري عندما أكبر «شوية» قليلاً. فتضحك لذلك وتسخر مني، وتقول هذا تهرب منك.

ـ الشيخ عبدالسلام الذي تتكئ عليه في الكتابة الأسبوعية في الكشكول منذ سنوات.. ألا يمكن أن يحمل شيئاً من المذكرات؟

مطيع عبدالله اليمني

تعز، اليمن.

ـ هو كان صديقي فعلاً وتأثرت به كثيراً عندما عرفته. وهو الشيخ عبدالسلام العسكري من الوجوه الصحفية التي نُسيت، وكان محرراً ومراجع أسلوب في جريدة الأهرام بين عامي1955، 1960م، وتوفي بعد ثورة عبدالناصر بقليل فما زلت أذكره. وقد اشتغلت مصححاً في مطبعة جريدة الأهرام. واختيرت لي هذه الوظيفة، لأن الوضع المالي للأسرة كان دقيقاً . ولما كنت متفوقاً في الدراسة وأرادوا ألاّ أحرم من مواصلتها، أوجدوا لي هذا العمل، فكان المصحح يبدأ عمله من الساعة السابعة مساءً إلى الواحدة صباحاً، لذلك تراني تعودت أن أبقى مستيقظاً حتى الواحدة صباحاً إلى يومنا هذا. فكان هذا الرجل يشجعني جداً. وكان أديباً ونحوياً ولغوياً وفقيهاً في الدراسات الإسلامية وأزهريا وشيخاً معمّماً، وكان يمزح ويقول لي: إن جاءني شيخ للتصحيح سأقبل تصحيحه في اللغة فقط.

ـ ماذا عن قراءاتك؟

علي المحيسني

قرية العليا، الحدود الشمالية، السعودية.

ـ أنا أقرأ في تخصصي وأستمع يومياً إلى الإذاعة العبرية حتى لا تصدأ أذني، لأن اللغة عندهم يصنعونها كما يشاؤون، لأنني في وقت من الأوقات انقطعت عن المطالعة فكانت تمر عليّ كلمات كثيرة استحدثوها ولا أعرف مدلولها، كنت أبحث عنها في القواميس فلا أجدها في اللغة العبرية. وأنا درست اللغات السامية على يد أستاذ أصبح مدير المجمع اللغوي الإسرائيلي، هو البروفسور تورشَيْنر، وهو تشيكي من براغ؛ وكان يستخدم العبرية الحديثة. وذكرني ذلك بنظام مصطفى كمال أتاتورك في تركيا، عندما ألغى الكتابة بالحرف العربي وأبدل بها الحروف اللاتينية. وقال في المجمع اللغوي: كل كلمة ليست قرآنية وجاءت من اللغة العربية احذفوها، وضعوا بدلاً منها كلمة تركمانية أو طورانية. فقابلني زميل لنا كان أستاذ الآداب التركية في جامعتي الإسكندرية والقاهرة، وكان أبوه شيخ الإسلام في اسطنبول الشيخ مصطفى صبري، فقال: أستمعُ إلى الأخبار التركية فلا أكاد أفهم منها شيئاً، لأنهم غيَّروا كل الكلمات ونُطقَ الحروف. فقلت له إن هذه الظاهرة تتكرر عند اليهود أيضاً.

ـ ماذا تقدم من تجربتك للشباب وخاصة في الثقافة المعاصرة ومرحلة التلقي. ماذا تقول لأبنائك؟

هدى عبدالله المروغي

كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.

ـ لو سمح لي الشباب بالمهاجمة، أقول: يجب علينا ألا ننخدع بأننا في عصر السرعة، لأن السرعة قد تكون في كل شيء إلا التكوين الفكري، فهذا يحتاج إلى ضبط وإلى الأخذ شيئاً فشيئاً والغَوْصِ في العمق وليس الاكتفاء بما هو على السطح. ومن ثم فإن الشباب الذي يعد نفسه للمستقبَل عليه أن يتأنَّى في تكوين فكره، ويكفي أن أقول لهم إنني إلى الآن ما زلت تلميذاً.

ـ في منظوركم هل ترى إمكان حل قضية القدس من طريق التفاوض؟

عاتكة السامرائي،

دير الفرات، العراق.

ـ لو لم يكن في الفكر الإسلامي إلاّ أن المسلمين حاربوا من أجل فلسطين 200 سنة (الحروب الصليبية) لكان هذا كافيا لإعطائنا وجهة النظر الإسلامية، ليس فقط من ناحية المقدسات الإسلامية، وإنما من حيث موقع فلسطين وسط العالم الإسلامي كله. فإذا قست المسافة بين القدس والباكستان أو بين القدس والمغرب تجد المسافة تقريباً واحدة، وحتى إذا توجهنا جنوباً، نجد المسافة ذاتها بين القدس وجنوب السودان. إن القدس في قلب العالم الإسلامي من الناحية الجغرافية. فلا شك أنه موقع مهم لا بد من المحافظة عليه.

والمتبحر في الفكر اليهودي، يعلم أن موسى ـ عليه السلام ـ لم يدخلها ولم يقم فيها يوماً واحداً، ولم يَعدّها قبلة لليهود قط. ولم تأخذ وضعها الحالي إلاّ بعد موسى بخمسمئة سنة عندما جاء داود وابنه سليمان وعملا بها قاعدة عسكرية وتحصينات فأصبحت مدينة. واليهود أنفسهم لم يحبوا المدينة؛ لأن سليمان استعان بصنّاع غير يهود في بنائها، من لبنان ومصر وعمال عرب محليين من فلسطين، كل هذا موجود. واليهود كانوا يكرهون مجيء هؤلاء إلى القدس؛ والإشراف على مشاريع معمارية للملك. أنتم تعلمون أن

اليهود ينقلون علوم الأمم إلى لغتهم منذ عام 1917م..

فلماذا تقاعسنا نحن ؟

اليهود أمة تعيش على الخرافات وتحب استهلاك الخرافة أكثر من استهلاك الحقيقة التاريخية واليهود لن يتخلوا عن شيء إلاّ مجبرين عليه.

• لماذا لا تأتي بالدليل من القرآن والسنة في إجاباتك عن اليهود؟

عقيل حامد الشمري
حائل، قرية فيد، السعودية.

- أنا لم أبتدع هذا المنهج، ولو رجع السائل إلى كتابَيْ الدكتور محمد عزة دروزه: «اليهود في القرآن»، و«تاريخ اليهود من أسفارهم»، نجد الرجل فَصَلَ «اليهود في القرآن» عن «تاريخ اليهود في أسفارهم»، لأن التوفيق بين الاثنين غير ممكن. فأنا أتكلم عن تصور اليهود قديماً وحديثًا لتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم ونظام معيشتهم، وأرد عليهم من خلال منظورهم، لأن فكرتنا عن اليهود أصيلة، وهي منبثقة من القرآن والسنة ومن طريق معايشتنا لهم على مدى قرون طويلة.

• إلى أين هاجرت القبائل اليهودية التي كانت في الجزيرة العربية؟

- القبائل اليهودية التي كانت موجودة في الحجاز بعد ظهور الإسلام وبعد محاولاتهم أكثر من مرة عرقلة مسيرة الإسلام نجدهم حين يسألهم العرب: من أين أنتم؟ يردون: نحن من ذرية هارون الكاهن؛ بمعنى أنهم من نسل شقيق موسى - عليه السلام -. وهذا، بالتأكيد، غير صحيح، فهارون الكاهن لم يكن في يوم من الأيام في المدينة أو مكة. وهذه دعوى لا دليل عليها، لو رجعنا إلى كتب الأنساب أو إلى تاريخ الطبري. نجدهم يرددون هذا. ولا توجد قبائل يهودية الآن في الجزيرة العربية، فبعض اليهود انضموا إلى يهود مصر، إذ كانت أقرب منطقة للجزيرة العربية، ومنهم من هاجر إلى العراق وسورية، إلى جانب يهود اليمن الذين بقوا هناك.

• هناك بعض الأماكن التي كانت مرشحة لتكون وطنًا قوميًا لليهود، فما هي تلك الأماكن، ولماذا اختيرت فلسطين؟

سعود مبارك اليامي
جازان، السعودية.

- اختيرت لهم أماكن كثيرة أشهرها: أوغندا، وكينيا، إضافة إلى ليبيا قبل أن يظهر بها البترول. وأجزم أن اليهود الآن يأسفون لعدم قبولهم لليبيا لأن بها بترولاً. وهرتسل كاد يقبل وطنًا قوميًا في أوغندا، إلا أنه في أحد الأيام أطلق أحد اليهود المتعصبين النار على نائبه الدكتور ماكس نوردوي؛ صائحًا: يسقط الأفارقة. وعرف المحققون بعد ذلك أن الحادث أساسه قبوله بأوغندا وطنًا لليهود، وعدم التمسك باحتلال فلسطين. بعدها جاء هرتسل في افتتاح المؤتمر الثاني للصهيونية العالمية، وقال: «انظروا إلى وجهي هل فيه شيء من سحنة العبيد؟! هل أصلح أن أكون إفريقيًا؟! أنا متمسك بصهيون والقدس». وانتهت مسألة أوغندا!

• بين اليهود علماء واقتصاديون وفنانون وأدباء، فهل لهم دور وبروز في الفن التشكيلي، وهو كما تعلمون فكر إنساني؟ ومن هم أشهر الفنانين، وهل الفكر اليهودي اجتماعي أم فلسفي؟

راضي جودة، فنان تشكيلي مصري
الرياض.

- الفكر اليهودي اجتماعي وعنصري، وفلاسفة اليهود اضطُهِدوا من اليهود، ومنهم الفيلسوف اسبنوزا. الفن التشكيلي موجود في مدرسة الفنون الجميلة في تل أبيب، وكذلك لها فرع في القدس، وهي مدرسة فنون وصنايع، كما تُسمَّى في مصر Handcraft وهي صناعات يدوية أكثر منها فنون تشكيلية إبداعية، وعندهم من الأسماء المشهورة ميرو وحاييم سوتين. وأذكر أن أحد اليهود كان مجنداً في الجيش البريطاني، فانتهز فرصة إقامته في مصر، وأقام معرضاً لأعماله في الإسكندرية، وشاهدت تلك الأعمال فوجدته يستخدم اللون الأخضر فقط بدرجات مختلفة، والتصرف في الألوان مستوحى من الزراعة، والأرض الخصبة. وأذكر أنه لم تكن له عبقرية الفنان صاحب الأسلوب المميز، وكل ما يملكه إتقان الصنعة فقط. وعرض قرابة 30 لوحة وطُلبت شخصياً للترجمة بينه وبين الصحفيين لأنه لم يكن يعرف إلا العبرية واللغة الروسية. ولكن الفنانين اليهود برعوا في مجال التصميم المعماري، وهذا مجال ضروري وملح عندهم. والمسكن ينون به بأقل التكاليف. وقد ذهب أحد المسؤولين عن الإسكان في البرازيل إلى إسرائيل في زيارة استطلاعية، وأُعجب بسياسة هندسة البناء وطلب منهم أن يساعدوه في حل مشكلة الإسكان عندهم بالتكاليف المعتدلة نفسها، فأرسلوا معه في الطائرة بعثة من مهندسي الإسكان أشرفت على مشروعات إسكانية في البرازيل. فهم في مجال الإعمار والإسكان مَهَرة بلا شك.

• ماذا يعني لقب الحاخام لليهود؟

علاء قصب أنور
مسقط، سلطنة عمان.

- الألقاب المستعملة لديهم عليها تدقيق شديد: فالحاخام أو الرِّبي (ربّاي) هو إمام الطقوس والشعائر في المعبد. ونسميه حاخاماً على الطريقة الشرقية؛ وهو يعنى الحكيم. أما (الربّاي) فمعناه: الكبير العظيم، وكان يضاف إلى الحاخام صفة أخرى قديمة هي «جاؤون» ومعناها العظيم. وكان يوجد من الألقاب «حَزَان» وهو المنشد للابتهالات أو من يقوم مقام المؤذن عندنا. وهناك تلميذ حاخام وهو الذي يتعلم من الحاخام الشريعة ليقوم بالمهمة نفسها في المستقبل. وهناك لقب كوهين ويعني الكاهن، وهو رجل يجيد التنجيم كما هو العراف عند العرب، أما الخوري فهو قسيس قائم بالخدمة في «قرية» أو بلد صغير، وهو مسؤول عن إقامة الشعائر، والكلمة أصلها يوناني، وهذا اللقب خاص بالنصارى.

• هل لك علاقات بمفكرين يهود؟ فإذا كانت لك علاقات بهم فما موقفهم منك ومن كتاباتك؟

سعيد خلفان
مسقط، سلطنة عمان.

- نعم، كانت لي علاقاتي في الجامعة العبرية بمفكرين كثيرين منهم البروفسور «برجمان» وهو من أكبر المتبحرين في الفلسفة الحديثة، والبروفسور «جويتاين» المتخصص باللغة العربية الفصحى واللهجة اليمنية العامية، وله كتاب مطبوع بعنوان «مجمع الأمثال الشعبية اليمنية»، وهو ألماني الأصل أمريكي الجنسية.

أما عن موقفهم، فأنا مقيّد عندهم ضمن المهتمين بالبحث، الذين لا يعادون السامية، وقد كتبت صحيفة «ها آرتس»، وتعني الأرض الوطن، عن كتابي الفكر الديني اليهودي وقالت: إن الكاتب عرض حقائق عن الفكر الديني اليهودي لا نستطيع أن ننكر منها شيئًا أو نكذبه في شيء قاله إلاّ في شيء واحد أزعجنا جداً، وهو قوله في مقدمة الكتاب: إن هذا الكتاب يسهم في مزيد من معرفة العرب لعدوهم الإسرائيلي. وقال المحرر: إلى متى سنظل أعداء؟ ونصنَّف بين الأعداء؟ علماً أنهم كانوا يتابعون إذاعة الشرق الأوسط التي كانت تذيع لي برنامجاً بعنوان «من قلب إسرائيل» ويردون على ما يجيء فيه.

• ما هو الشيء الذي يتباحث فيه رئيس التحرير مع الكاتب؟

علي بن ثامر
الحديدة، اليمن.

- عندما أجتمع مع رئيس تحرير الفيصل فإنني أتباحث معه حول التوقيت المناسب لنشر مقال ما، أو مناقشة قضية فكرية معينة! علمًا بأن كل ما نشرته إلى الآن هو خاص بمجلة الفيصل، ويعلم الله أن هذه المقالات تأخذ مني وقتًا وجهداً كبيرين. لأن المقالة طويلة في تسع ورقات «فلوسكاب» والواحدة ثلاثة وثلاثون سطراً. وإذا طُبعت في كتاب وقرأها

تعرضت كثيرا للهجوم من الإعلام الإسرائيلي بسبب كتاباتي وبرنامجي الإذاعي «من قلب إسرائيل»

منتدى «الفيصل»

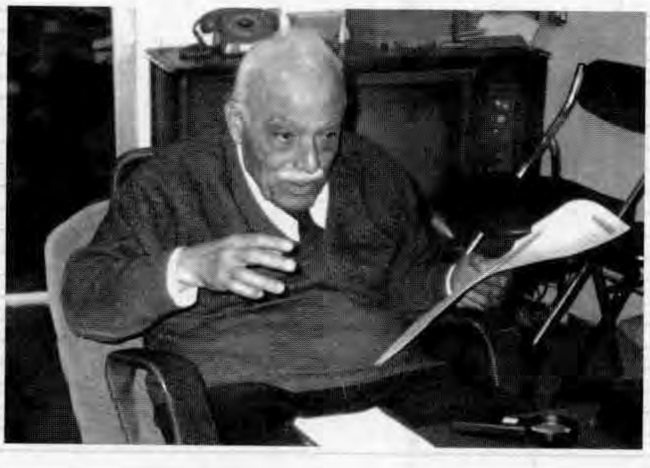
مع: د. حسن ظاظا

اليهود فسوف يوافقونني لأن اليهود الموجودين في إسرائيل جاؤوا نتيجة ظروف قاهرة.. وإذا تُركت لهم الحرية ما كانوا جاؤوا إلى فلسطين. هم أتوا إلى فلسطين تحت إغراء الدعاية الصهيونية، ولفظتهم الأمم الغربية لوجود أزمة البطالة بها.

• ما رأيكم في تقسيم الدعاية سكان العالم إلى عوالم ثلاثة هي: الأول والثاني والثالث؟

محمد أحمد حامد
القاهرة، مصر.

ـ العالم الأول كان يُصنَّف فيه أمريكا وروسيا على أساس أنهما الدولتان اللتان وصلتا إلى القمة في اتساع الرقعة وفي استيفاء التقنية والقوة العسكرية، والآن أصبح العالم الأول يضم أمريكا واليابان وألمانيا وفرنسا. العالم الثاني هو الدول الأوروبية، أما العالم الثالث فهو ما ليس كذلك ـ كما يقولون في النحو العربي ـ، وكلمة العالم النامي إنما هي للتفاؤل فقط.



• هل من تعريف بالعهدين الجديد والقديم والكتب المحتواه فيهما؟

عامر سلام
الجهراء، الكويت.

ـ العهد القديم هو الكتاب الذي يؤمن به اليهود. وكلمة العهد ليس معناها الزمان، وإنما معناها الميثاق. وقد تضخَّم هذا العهد القديم مع الزمن، وكان لا يحتوي إلا على توراة موسى، فأصبح الآن يحتوي على أربعة أجزاء: الجزء الأول توراة موسى، والجزء الثاني أسفار الأنبياء الأول، والجزء الثالث أسفار الأنبياء المتأخرين، والجزء الرابع يُسَمَّى الكتب، وهي مرويات تراثية، وصفةُ الوحي ليست واردة فيها، وإنما هي تراث ديني وأدبي من رواية الشعب اليهودي قديمًا.

والعهد القديم فيه توراة موسى وبه خمسة أجزاء: الجزء الأول «سفر التكوين» ويحكي عن بداية العالم وخلق الأرض وآدم وحواء واستمرار هذا التاريخ إلى ما بعد طوفان نوح عليه السلام حتى ظهور بني إسرائيل. ويحكي «سفر الخروج» قصة خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى بعدما اضطهدهم أحد الفراعنة. والسفر الثالث هو «سفر اللاويين» وهو عبارة عن أحكام خاصة بالطقوس والعبادات والشعائر، واللاويون هم كهنة اليهود المنحدرون من لاوي أخي يوسف الجد الكبير لموسى. وأصبح تقليداً عندهم أن يثبت أي كاهن ولو في معبد صغير أنه من سلالة لاوي الذي حُرِّف إلى (ليفي). ومن المعلوم أن بيننا وبين لاوي أكثر من ثلاثة آلاف سنة، فكيف إذن تصح نسبتهم إليه، إنهم حقًا متساهلون في كل شيء.

و«سفر العدد» تكثر فيه الأرقام لأن موسى عمل تعداداً لبني إسرائيل، وكان في هذا التعداد رعاة ومنجمون ونساء ورجال وأطفال وكهنة.. إلخ...

وآخر أسفار التوراة هو «سفر التثنية»؛ ويزعمون أن موسى بعدما حطم الألواح رجعوا وقاموا بكتابتها مرة أخرى وهو ملخص لأحكام التوراة، وهذا عُمل على يد مؤلف لَخَّصَ الأسفار الأربعة الأولى للأحكام الشرعية والقصص.

أما أسفار الأنبياء الأول فتبدأ من يوشع خليفة موسى. ويظهر فيه النبي صمويل وأسفار الملوك. وأما أسفار الأنبياء المتأخرين فهم أنبياء الأزمة، عندما أحاط استيطان اليهود في فلسطين أزمات من البابليين والآشوريين والمصريين والعرب والسوريين الآراميين وكانوا يواجهون المشكلات التي ضيعت المملكة. وكان يظهر فيهم أنبياء يحاولون تحليل الموقف دينيًا وسياسيًا، منهم النبي إرميا وإشعياء وحبقوق وعموس وهوشع وكل واحد منهم خطيب، إلا أن أبلغهم إشعياء وإرميا وعموس، وهذا الأخير يصب اللعنات على يهودا والسامرة وعلى كل جيرانهم.

بعد هذا جاء الأنبياء الأُخر ومعهم أنبياء الأزمة وهم وعاظ للأمة، وصفَةُ النبي عندهم تُطلق على أي شخص ينبئ بالغيب أو يقوم بالعرافة، وكانوا في البداية من السيدات في المجتمع اليهودي أمثال «دبوره وخُلده ويهوديت»، وكادت العرب تقلد اليهود عندما صدّق بعضهم نبوءة سجاح.

والكتب التي تتمم العهد القديم هي مجموعة من الآثار الأدبية الرائعة، التي ليس لها سند ثابت في الرواية. منها سفر أيوب ومزامير داود وأشعار نشيد الأناشيد، وهي قصائد غزل صريحة جداً؛ ومع ذلك يعدونها مقدسة على أساس أنها في التغني بالأمة التي أصبحت معشوقة لله!!

وهذا غير صحيح؛ فمنها ما يُعرف بزفة العروس، وهي أناشيد كانت تقال للعروس ليلة دخولها عش الزوجية، وقال بهذا كثير من الباحثين، منهم الباحث الكاثوليكي «جيتون». وهذا ينتهي بكتاب اسمه أخبار الأيام.

وأخبار الأيام ملخص لكل العهد القديم ولا يغني عن طرائف العهد القديم لأن طرائف العهد القديم مسلية جداً. إن النبي «هوشع» مثلا هاجم اليهود مهاجمة بشعة، ويقول في أول سفره: «جاءني وحي الرب يقول لي اذهب واخطب امرأة زانية وتزوج بها لأن الأمة كلها زنت وستنجب ولداً منها اسمه «ليس هذا شعبي» وتأتي بعده بنت وتسميها «هذه لا ترحم»...». وهو هنا يستعمل الرمزية، معبرًا عن تهديد من الله لبني إسرائيل.

أما العهد الجديد فهذا، كما يقولون، ميثاق مع المسيح، فالمسيحيون يعترفون به ويحوي الأناجيل الأربعة. وفيه أولاً سيرة المسيح مروية عن أربعة من الحواريين، هم «متى ولوقا ومرقس ويوحنا». وأناجيل متّى ولوقا ومرقس يسمونها الأناجيل المتطابقة، ويوحنا منفرد لأن به نزعات صوفية وفلسفية. وأُقرَّت الأناجيل الأربعة سنة 325م في «نيقيه» بتركيا. وقبل هذا كان هناك أكثر من عشرين إنجيلاً موجوداً، فاتفق قساوسة النصارى على أن هذه الأربعة تغني عن البقية.

والعهد الجديد يضم كذلك أعمال الرسل، وهي رسائل كتبها الحواريون وتلاميذهم عندما أمرهم المسيح أن ينتشروا في الأرض، ومنها رسائل بولس الذي يُعدّ مؤسس المسيحية؛ لأن المسيح استمرت دعوته على الأرض قبل أن يرفعه الله ثلاث سنوات، وجاء بولس وكان يهوديًا. وأحسّ أن الدين الجديد له مستقبل فدخل فيه، مع أنه قبل ذلك كان يطالب بصلب المسيح. وقال للحواريين إن المسيح أمر بأن يأتي إليهم، ويبلغهم ليجاهروا بالدين ولا يبشروا اليهود به لأنهم لن يتبعوه. ويضم العهد الجديد أشياء صوفية أخرى أو ما يسمى رؤيا القديس يوحنا اللاهوتي، وهو غير يوحنا الإنجيلي، وهذا رأى في المنام أنه تكلم مع الله والملائكة والرسل وعرف تاريخ العالم في المستقبل إلى يوم القيامة. وما زال كثير من الدجالين النصارى إلى الآن ينجمون، وينبئون ـ كما يزعمون ـ بما سيحدث هذا العام أو في العام المقبل، ويحاولون من خلال التنجيم تفسيرمواقف معينة في السياسة. وهذا كذب وإدعاء لا شك فيه.

اليهود ينقلون علوم الأمم إلى لغتهم منذ عام 1917م..

فلماذا تقاعسنا نحن ؟

ـ هل بإمكانكم أن توضحوا لنا علاقة اليهود بالدولة العثمانية من حيث مكانتهم ودورهم في الحياة وعلاقتهم بالسلطة؟

محمد صفاء بيوض، وسالم بن رحومة
قصور الساف، ص.ب 5180
المهدية، تونس.

ـ مما يذكر في هذه العلاقة، أن اليهود كان لديهم المال، فوصل بعضهم من طريقه إلى القصر السلطاني. ويُروى أنه في القرن السادس عشر الميلادي ظهر في مدينة البندقية يهودي اسمه يوسف. كان ثريا معاصراً للسلطان سليمان القانوني، الذي كان يعاني أزمة مالية، أعجزته عن دفع رواتب الجيوش بضعة أشهر. فكتب يوسف إلى خالته الثرية في هولندا فأتت ومعها صناديق من العملة الذهبية، وقاما بزيارة إلى السلطان سليمان الذي رحب بهما. قال يوسف للسلطان: سمعنا أن لديكم ضائقة مالية، لذا نقدم إليك الصناديق هدية، وهي مملوءة بالذهب، وأنا أعمل تاجراً. وكافأه السلطان على ذلك بأن عَيَّنه أمير بحر، وصارت إمارته في جزيرة نيكسوس القريبة من جزيرة كريت وسمي «أميرال نيكسوس». أما خالته فأصبحت كبيرة وصيفات القصر السلطاني. وسأله السلطان: هل تريد شيئًا آخر؟ فقال: اسمح لي بزيارة القدس ورؤية حائط المبكي. وبعد أن قام بزيارته إلى القدس أتى السلطان يبكي، فسأله عن سبب بكائه، فقال: وجدت حائط المبكي مهدماً وآيلاً للسقوط؛ والمسلمون يلقون عليه الأوساخ. فأرسل السلطان إلى حاكم القدس التركي يأمره بتنظيف الحائط وترميمه وأمره بأن يكنس ويرش بماء الورد ويُمنع الناس من إلقاء القاذورات فيه. وظلت العلاقات طيبة، لدرجة أن اليهود انتشر بينهم مذهب القرائين الذين يرفضون التلمود ويرونه خرافات يهودية.

وزعيم هذا المذهب هو عنان بن داود الذي كان مقلِّداً للمعتزلة في رفضهم للحديث النبوي الشريف بوصفه مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي. وعندما قامت دولة إسرائيل كان القراؤون قد استوطن بعضهم في مصر وفي تركيا وفي سورية. واتفق بن جوريون مع الدولة التركية التي لم تقطع علاقتها بإسرائيل على أن تضغط على اليهود القرائين حتى يهاجروا إلى فلسطين لدرجة أنهم طُبِّقت عليهم قوانين تجعلهم كفاراً، وبُنيت لهم معابد لا يدخلها اليهود الآخرون. وكان خوف ابن جوريون من رفض القرائين لاستيطان فلسطين، لأنهم لا يرون ذلك أمراً إلهيًا كما يزعم الصهاينة، فخشي أن تنتشر آراؤهم في أوساط اليهود الآخرين. والحاخام الأكبر لطائفة اليهود القرائين اسمه شيشمان.

وشيشمان هذا درست معه في باريس وكان زعيم القرائين الدولي، وحصلت منه على وثائق كثيرة بعضها أُرسل للأمم المتحدة. ويقول إن اليهود القرائين الموجودين في إسرائيل سُلِّمُوا من قبل تركيا وروسيا وهم ليسوا بإسرائيليين ولا يؤمنون بما يؤمن به اليهود. وكان له نشاط كبير مناهض للاستيطان في فلسطين. ولكن الدول العظمى في هذا الوقت كانت مع إسرائيل.

ـ ما سبب عدم توافر كتبك في المكتبات؟ ولماذا لا تجمع مقالاتك في الفيصل في كتاب؟

أحمد عبدالله عواجي
ص.ب 11032 ، الأحساء 31982، السعودية.

ـ يمكنك أن تطلب كتبي من دار المنارة بجدة، ودار القلم في دمشق والدار الشامية في بيروت، كما أنها توجد بالكامل في معارض الكتب التي تقام في الدول العربية. أما المقالات فهناك نية لجمعها في كتاب يُنشر قريبا إن شاء الله.

ـ من خلال كتاباتكم المتبحرة في الفكر اليهودي، ألم تتعرضوا لهجوم من الإعلام الإسرائيلي من جراء ما تكتبه؟

عثمان أبو الذهب
أسوان، مصر.

ـ تعرضت كثيرًا لمثل هذا الهجوم، بنعومة تشبه نعومة الأفاعي؛ خصوصًا أنني كنت أقدم برنامجًا إذاعيًا يوميًا بعد هزيمة مصر في عام 1967م، عنوانه: من قلب إسرائيل. وكنت أستقي مادة البرنامج كله من الصحف الإسرائيلية اليومية، وأعلّق عليها في اليوم نفسه، وكان عدد المستمعين يقدر بالملايين من الناس. فكانت الإذاعة الإسرائيلية تحاول الرد عليَّ أحيانًا. وفي وقت من الأوقات بعد وصولي إلى المملكة كان اطلاعي على الصحف الإسرائيلية اليومية نادرًا، لأنها لا تأتي إلى هنا، فكنت أعتمد على نشرات الإذاعة، وآخذ منها موضوع الحديث.

ـ ما القضايا التي كنت تطلع عليها في الصحافة الإسرائيلية وترد عليها. ما أبرز هذه القضايا؟

أميرة البيضاوي
أغادير، المغرب.

ـ قضية المطران كابوتشي مثلا خصصت لها نحو خمسة عشر يومًا، فكانت الإذاعة ترد أحيانًا، ثم انتهى الأمر. وهذا الرجل مولود في سورية، واتُّهم بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية، وبأنه جعل كنيسته مستودعاً للسلاح، وكرَّمت سورية هذا الرجل بأن جعلت صورته في طابع بريد تذكيرا بتضحياته وتعرضه للعذاب على يد الصهاينة، وبعدها أصدرت مصر طابعًا بريديًا له وكذلك فعلت ليبيا. بعد ذلك حصلت مفاوضات بين إسرائيل والفاتيكان وأُطلق سراح كابوتشي شرط ألاَّ يُقيم في فلسطين وقبل البابا الشرط. ثم بعدها حصل اجتماع بشأن القضية الفلسطينية في العراق، فراح كابوتشي إلى هناك، فإذا بإسرائيل تقول بأن هذا يعدّ نقضًا للاتفاق الذي تم من قبل مع الفاتيكان، والفاتيكان كان يقصد بأن لا يُعيَّن مطرانًا في مدينة القدس ولا يُقيم فيها، وتجنبًا للمشكلات، قرر البابا تعيينه مطرانًا للكنيسة الكاثوليكية في البرازيل، فذهب إلى هناك. ثم عاد إلى البابا معترضًا وقال له: أنتم زوجتموني كنيسة القيامة بالقدس، وعلى هذا الحال أصبح الفرد منا يستطيع أن يتزوج باثنتين وذلك حرام في الديانة المسيحية، فأفحم البابا، وكان أن أبقاه في قصر الفاتيكان، حتى يجد للموضوع حلاً ومازال مقيمًا هناك. وقد قابلته مرتين في روما، وخطب ذات مرة خطبة مطولة أشار فيها للحملة التي قمتُ بها، وكانت سببًا في الإفراج عنه.

ومن الحوادث التي كنت أتناولها ما يتعلق بمصادرة مساكن الفلسطينيين، والتي لاتزال مستمرة إلى اليوم.

وهناك هيئة مكونة من محامين إسرائيليين وعرب يعارضون المصادرة، لكونها انتهاكًا لحقوق الإنسان، هؤلاء لهم نقابة لاسترداد الحقوق المسلوبة، وأعرف أستاذًا كبيرًا منهم في كلية العلوم في جامعة حيفا اسمه «إسرائيل شاحاق»، بولندي الأصل، أصدر كتابًا بعنوان «التفرقة العنصرية في إسرائيل» وهو يُجيد اللغة الإنجليزية والفرنسية. وطبع كتابه في فرنسا عام 1980م، فحصلت له أكثر من محاولة لاغتياله. وهو مازال حتى الآن في حيفا، ويصدُر كتُبا من حين لآخر حول التعسف الإسرائيلي في الأراضي التي يحكمونها والتي بها سكان عرب. الشيء المضحك أنهم نسفُوا المطبعة التي قامت بطبع الكتاب وصاحب المطبعة يهودي، فكان يضحك منهم ويقول: أنا صاحب المطبعة ويهودي ومؤمِّن على المطبعة في شركة يهودية وهي التي ستدفع مبلغ التأمين.

ـ إذا طُلب إليك أن تكون عضوًا في فريق المباحثات حول القدس هل كنت تقبل هذا الترشيح، وماذا يمكنك تقديمه في هذا المجال؟

مبارك محمد إبراهيم
الصفاة، الرياض.

ـ كنت سأقبل هذا من دون أتعاب وبلا راتب، لأن هذا جزء من واجبات كل عربي ومسلم له صلة بهذه القضية، وأخشى ما أخشاه من واقع معرفتي باليهود وبالفكر

الاحتراس من الغزو الفكري من أهم ضوابط الحوار الثقافي. والاتصال باللغات والأمم الأخرى واجب، ولكن ضمن معايير لا تطغى عليها الاجتهادات الفردية

منتدى «الفيصل»
مع: د. حسن ظاظا

اليهودي أن مثل هذه المفاوضات يمكن أن تمتد إلى أكثر من عشرين سنة دون الوصول إلى حل أو نتيجة. فالمتفاوض معهم ربما يتعب فيُسلِّم لهم بما يطلبونه حتى يقفل الموضوع. وأنا عندي صبر طويل، ولكن هم عندهم صبر أطول مني.

• ما أثر تنقلكم - من الناحية الفكرية - في الدول العربية والغربية؟

محمد حسن وردي

عمائر الملك سعود، البطحاء، الرياض.

- هذا التنقل فتح عندي مفاهيم جديدة ودقيقة وإنسانية للإنسان العربي. يعني هناك فرق بين إنسان عاش لا يتعاطى مسائل الفكر إلاّ في بلده وإنسان يتعاطاها في بلاد متعددة عربية أو أجنبية.

لذلك، فإن الأخير - بلا شك - ستتسع دائرة معلوماته، ومعرفته بالإنسان ستكون أوسع وأكثر تفصيلاً؛ مما يساعده على الوصول إلى نوع من الشمولية.

أنا درّست في مصر والعراق والمغرب، وفي السودان، ودرّست في فرنسا، وفي مالطة ولبنان، وأخيراً في المملكة، وحضرت مؤتمرات كثيرة خاصة بالقضية الفلسطينية في طوكيو وليبيا وفي إيران. فكل هذا يُعطى للإنسان نوعًا من التدريب حتى لا ييأس إذا اصطدم بأول قطعة صلبة يصعب تفتيتها. وعندما تتكررهذه المسائل تصبح جزءاً من العمل اليومي، وتكون كأحد متاعب المهنة، وهذه النشاطات أكسبتنا أصدقاء حتى من اليهود. وأذكر أنه في وقت من الأوقات كان الأستاذ عبدالله المحيسن المخرج السينمائي السعودي قد أنتج فيلمًا قصيراً عن الحرب الأهلية في لبنان وسماه «اغتيال مدينة»، أخذ مجموعة من الجوائز في مهرجانات السينما في القاهرة وبغداد ولندن. ونصحه بعض أصدقائه أن يتخصص بسينما المدن العربية واتجه فكره إلى مدينة القدس. ولجأ إلى كاتب سيناريو بريطاني اسمه «بيتر هويتل» وطلب منه أن يكتب سيناريو عن مدينة القدس. فكتب هويتل السيناريو، وجاءني به المحيسن بناء على اقتراح الأساتذة زملائي في جامعة الملك سعود. وأعطاني الأصل الإنجليزي وترجمته باللغة العربية وسألني عن رأيي في الموضوع، وكان رأيي أنهما لا يصلحان أن يكونا فيلمًا. فقال: لماذا؟ فقلت له: إن من المفترض أن تكون القصة مسلية لمن يدخل السينما لقضاء وقت ترفيهي، فهي ليست درسًا في التاريخ أو الآثار. وطلب أن أكتب تقريراً ليعرضه على كاتب السيناريو، فقمت بكتابة التقرير، وكان تقريراً هادئًا، لكنه كان حاسمًا. ومن الأشياء التي آخذته عليها تاريخيًا أنه في وقت من الأوقات في القرن السادس الميلادي، كان هناك نزاع بين الفرس والروم، وكان الرسول - عليه الصلاة والسلام - موجوداً، فأرسل الفرس جيشًا وحملةً عقابية للروم في فلسطين، ودخلوا القدس وخربوها مدة أربع وعشرين ساعة وانسحبوا منها. بعدها بقليل حصلت حادثة الإسراء والمعراج. فصاحبنا كتب صفحات طويلة وغير مهمة عن الغارة الفارسية على القدس، ولم يذكر مسألة الإسراء والمعراج وكيف حصل هذا؟!

وكان المحيسن يظن أن بيتر هويتل سوف يغضب، فإذا به يتصل هاتفيًا من لندن ليقول إن كلام ظاظا معقول جداً، ولكن الأشياء المطلوبة يجب كتابتها تحت توجيهه هو شخصيًا. وجاء بنفسه إلى عندي، وبدأت أحكي له قصة القدس وأحضر مسجلاً وسجّل كلامي وبقينا ثلاثة أسابيع في جلسات مستمرة بواقع ست ساعات يوميًا.

بعد ذلك أرسل إليَّ رسالة ما زلت محتفظًا بها يشكرني فيها على تسجيلاتي له، وأنها أضفت على المشروع الحياة والجدية والمعلومة الصحيحة. لأن تعامله في البداية كان بمنطق أن القدس منطقة أثرية، وأنا تعاملتُ معها على أساس أن بها ناسًا ولها ماض وحاضر ومستقبل.

• ماذا ستكتب إذا صارت العلاقات ودية بين العرب واليهود؟

سليم المهنا

بيروت، لبنان.

- سأواصل الشيء نفسه تمامًا. لأنني أبحث فيما أكتبه عن الحقيقة الاجتماعية والتاريخية القائمة التي هي أصل هذه المشكلة. وأنا لا أكتب شيئًا على مقاييس «الزبون»، وإنما أعبِّر عن فكري الخاص وفق مقاييسي ورؤيتي للموضوع..

• في رأيكم ما الفوائد التي ترتجى من تعريف أولادنا بأحوال اليهود وطبائعهم وقيمهم، وما السن المقترحة لذلك وبأي أسلوب ترونه أن يتم؟

محمد أسامة

ص. ب 5207 الرياض 11422.

- أولاً: يجب أن ندرك تمامًا أهمية أن يعلم النشء العربي التركيبة الفكرية عند اليهود، فمثلاً يمكن أن نعرفه في سن المرحلة الابتدائية الأعياد عند اليهود وعند الأمم الأخرى. ونبيِّن له محاولاتهم تحويل أعيادهم إلى أعياد سياسية. فمثلاً عيد النيروز عند الفرس الذي نسميه في مصر شم النسيم والعالم كله يسميه عيد الربيع؛ هذا العيد موجود عندهم وسموه «عيد الفصح»، وقالوا إن مناسبته سياسية وتاريخية، وهي عبور بني إسرائيل البحر الأحمر مع موسى.

وجعلوا مُدته أسبوعًا وهو أهم عيد عندهم. العيد الثاني يسمى «عيد الكبُّور أو الغفران»، وهذا ليس عيداً إنما هو يوم حزن، لأن مشايخهم قرروا أن أورشليم دُمِّرت مرتين: مرة على يد الرومان ومرة على يد بختنصر البابلي، وحددوا لها 9 آب في التقويم اليهودي على أواخر الصيف ومشارف الخريف، وهو يوم الصيام الكبير، ويذهبون فيه إلى حائط المبكى ويبكون على تدمير القدس.

وفي «عيد الأبوريم» على اليهودي أن يسكر حتى الثمالة، وهو يسمى عيد التماثيل المضحكة، يعملون فيه تماثيل من القش لمن يرونهم أعداء لهم ويعلقونهم في المشنقة بشكل كاريكاتيري. وقد أطلق عليه المؤرخون العرب «عيد المسخرة» ويقابل عيد الأقنعة التنكرية أو الكرنفال عند الغرب.

• هل صحيح أن العرب أمة بلا ذاكرة؟

حسن فتيني

المحويت، اليمن.

- صحيح، فالعرب سريعو النسيان. نحن في مصر - مثلاً - لا نعرف حقائق كثيرة حول قناة السويس وكيف تم حفرها؟ وكيف تم تأميمها من قبل عبدالناصر؟ وهذه الحقائق عاصرناها؛ في حين أن اليهودي لا ينسى بختنصر، ويُحكى للأجيال الجديدة عن هيكل سليمان وموسى وفرعون، بل يحكى لهم عن آدم وحواء وقابيل وهابيل؛ وهناك خرافات وحكايات مضحكة كثيرة يمتلئ بها التلمود، وهذا معين لا ينضب، واليهود في الواقع أمة مؤرخة.

• هل تود أن تقول إن المناهج في البلاد العربية قاصرة عن توثيق تاريخنا؟

تحرير الفيصل.

- هي قاصرة - بلا شك - عن توثيق تاريخنا وعن غرس هذا التاريخ في عقليات العامة. بينما الأمور التاريخية تُحفظ في إسرائيل، لأنها جزء من كيانها الفكري، وهم غير مستعدين للتنازل عنه، فمثلاً، عيد الفصح، وهو ذكرى انتصار موسى على فرعون، له ثلاثة نصوص في القصة نفسها؛ واحدة تقالَ للكبار وأخرى تقال للشبان، والثالثة تقال للأطفال.

أقول للشباب : يجب علينا ألا ننخدع بأننا في عصر السرعة ، لأن السرعة قد تكون في كل شيء إلا التكوين الفكري لأنه يحتاج إلى ضبط

اليهود ينقلون علوم الأمم إلى لغتهم منذ عام 1917م..
فلماذا تقاعسنا نحن ؟

• ما أهم ما يتضمنه كتابكم «الفكر الديني اليهودي»؟

تحرير الفيصل.

ـ الفكر الديني اليهودي عند ظهوره أول مرة كان عنوانه: الفكر الإسرائيلي؛ وفي الطبعات التالية اضطررت أن أغيّره حتى لا يُظن أنه قاصر على الدولة الصهيونية وأنني قصدت الفكر الديني «لبني إسرائيل» بشكل عام. وهو كان حصيلة زهاء سبع سنين من التدريس في هذه المادة في المعهد العالي للدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية. والمهم في الكتاب، أنني عندما بدأته بطريقة منطقية لكنها طريقة مزعجة لليهود، قلت: نحن جميعًا كُنا في يوم ما جاهليين عبدة أصنام. ونزل علينا الدين فآمنا بالدين، بينما اليهود يقدمون أنفسهم بأنهم أمة ليست لها جاهلية. فهم يظنون أنهم عبدوا الله من دون المرور بمرحلة الجاهلية. وذلك لأنهم شعب الله المختار، وهذا غير صحيح. وأتيت بأدلة ـ من التوراة نفسها ومن الكتب التي يعتقدون أنها مقدسة ـ، على أنهم كانوا يعبدون الأصنام، وفيهم أناس مرتدون. وتكلمت عن التوراة وحالتها الحالية الآن وترجمتها إلى اللغات الأخرى، وتناولت «المشنا» وهي مرويات دينية خاصة بالعبادات والمعاملات والجنايات والحدود، وبعد هذا عكفت على التلمود.

• أرى الدكتور حسن ظاظا لا يهتم بالتوثيق في كتاباته عن اليهود، فما المراجع التي تعتمدون عليها؟

عقيل بن حامد

حائل، قرية فيد، السعودية.

ـ دراسة الفكر اليهودي ينبغي ألا تعتمد أبدًا على الفكر الإسلامي، وإنما على منابع الفكر اليهودي مهما كنا لا نؤمن بها. نحن ندرس الفكر اليهودي وليس الفكر الإسلامي، وهم عندهم المراجع لهذا التي هي التوراة وتفاسيرها، والمشنا وتفاسيرها، والتلمود وتفاسيره، وبعض الكتب الصوفية القديمة مثل القبالة والزُوهَر والبهير وبدء الخلق، كل هذه موجودة عندهم، وتُعدّ مراجع. وعدم الإشارة إلى هذا في كتاباتي هو أولاً غير صحيح لأنني أورد النص مترجمًا في داخل المقال وليس في الهوامش. ولا أضع هوامش ولا مراجع لهذا السبب، وأترجم مباشرة من التوراة والتلمود من غير الاعتماد على الترجمات العربية، وإنما يتم ذلك من الأصل مباشرة وآتي به على مسؤوليتي.

• نرجو في منتدى الفيصل أن تقف قليلاً عند بروتوكولات حكماء صهيون وحقيقتها. وهل وقف اليهود عند هذه البروتوكولات؟

حسن علوي الكاف

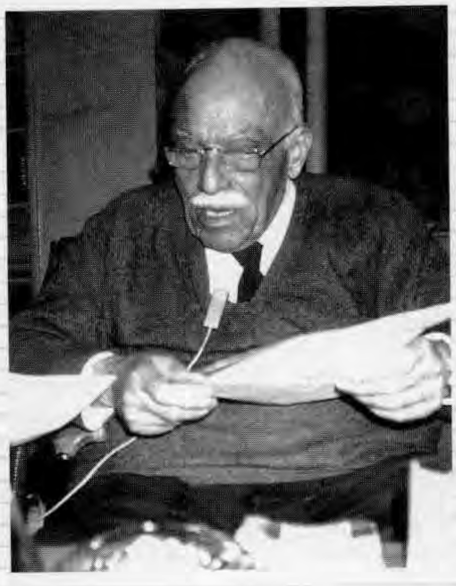
الرياض.

ـ الصهيونيون يتبرؤون من بروتوكولات صهيون. الحاخام موريس ليبر حاخام فرنسا الأكبر كتب فتوى بتكذيب كل حرف جاء في هذه البروتوكولات. وأكذَبُ من تناولَها هو ليبر نفسه، لأن كل كلامه في إثبات كذب البروتوكولات أثبتَ كذبه هو شخصيا. المسألة كلها أن البروتوكولات حدثت عندما كانت روسيا القيصرية تخوض حربًا ضد اليهود باعتبار أنهم هم الذين صلبوا المسيح، وكان النصارى الأرثوذكس الذين كانوا في روسيا في منتهى الكراهية لليهود، وفي الوقت نفسه ظهر كارل ماركس وهو يهودي ووالده كان حاخامًا، وأخذ النظرية الشيوعية من التلمود، لأن التلمود في باب المبايعات يقول: إذا اشتريت مزرعة لا تكتب أنك امتلكت هذه المزرعة، لأن الذي يملك السموات والأرض وما بينهما هو الله. إنما اكتب أنك امتلكت الارتفاق بهذه المزرعة واستغلالها مدة 99 سنة، تؤول بعدها إلى ذريتك من بعدك.

وجاءت فكرة البروتوكولات في وقت ظهور الماركسية، وكان اليهود لهم جمعيات «أحباء صهيون»، وكانوا يعانون من التفرقة العنصرية، فقاموا بتأمين عمل مثل هذه الجمعيات لأهداف سياسية يهودية.

وجاء في وسطهم أناس يريدون توجيههم للهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها، وبقي الوضع غامضًا، إلى أن جاء هرتسل فوحّد الجمعيات في مركزية واحدة في المؤتمر الصهيوني العالمي، وفي الوقت نفسه كان القياصرة يرتابون في اليهود، لأن بينهم زعيمهم الشيوعي كارل ماركس، وتبعته مجموعة كبيرة من اليهود في أوديسا ولننجراد في مؤتمر من المؤتمرات، كان يبدو أنه مؤتمر تحضيري «لأحباء صهيون» الذي انعقد في جنيف، فجاء القيصر وسمع بأن هناك مجموعة من الروس والبولنديين ذاهبون إلى جنيف لحضور المؤتمر فأرسل خلفهم قوة من المخابرات، حيث ظل أحد ضُبّاط المخابرات يحوم حول الفندق الذي يقيمون فيه، وعندما دخلوا طلبوا من صاحب الفندق مفتاح الصالة لإغلاقها من الداخل، وحاول هذ الضابط التنصت فلم يجد طريقة.

فما كان منه إلا أن اتفق مع عمال الفندق وحاول أن يفتعل حريقًا، حتى يجد مسوغًا لكسر الباب، وتمت العملية بنجاح، وهجم رجاله على القاعة وجمعوا الأوراق المبعثرة أمام المجتمعين وهربوا بها إلى القيصر في لننجراد.



ووجد القيصر أن كل واحد من المجتمعين قد أحضر مذكرة بعضها كُتب بالفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية أو البولندية، فانتابته الحيرة، وطلب من يترجمها، فقيل له: إن هناك راهبًا أرثوذكسيًا اسمه «نيلوس» يعرف لغات المنطقة كلها، فأُعطي الأوراق وقام بترجمتها وترتيبها في أبواب وبنود، سميت البروتوكولات. بعدها قال الراهب: لابد أن تُطبع على «الرونيو» فاختفت كل الطبعات، فأمر القيصر بطباعة عدد آخر، لكن الراهب وُجد مقتولاً في حمام الدير.

بعد هذا كان هناك مراسل اسمه «بريتان» من London Illustrated News في لننجراد، ذهب إلى المطبعة وقال لهم: أريد نسخة من البروتوكولات، فقالوا له: إن القيصر طلب منهم الطبع، فسأل: ومتى يتم هذا؟ قالوا له: بعد أسبوع. وذهب بعد أسبوع فأُعطي نسخة سافر بها إلى لندن، ووصل إلى المتحف البريطاني وطلب منهم أن تُعطى أختام المتحف ولا تُعار، لأن هذه البروتوكولات قُتل مترجمها وهُرّبتُ أنا قبل قتلي. وهي موجودة في صورة كتاب ألّفه الراحل «عجاج نويهض». عمل الكتاب في أربعة أجزاء وطُبع في مجلد واحد بعنوان «وثائق حكماء صهيون». والكتاب موجود بالرياض. واطّلعت على النسخة الأصلية، ونسخة محمد خليفة التونسي، مع أن عباس العقاد عمل لها مقدمة، لكنها ترجمة مستعجلة.

فاليهود ملتزمون تمامًا تشجيع عوامل التصدع الاجتماعي والفكري في المجتمعات غير اليهودية، ولاسيما من طريق الخمر والمخدرات وعبادة المال والنساء والقمار والملاهي المشبوهة وإفساد المجتمعات. ولكنهم يتبرؤون من هذه البروتوكولات.

• لكم تجربتكم في جامعات الدول العربية. ما العوائق التي تراها تقيّد دور الجامعة؟

علاء عامر يوسفي

ص.ب 41، الجزائر.

ـ دور الجامعة شاق جدًا لأسباب، منها: أن العلم سواء كان علمًا كونيًا كالفيزياء والكيمياء والرياضيات، أو علمًا إنسانيًا مثل علم الأجناس البشرية (الأنثروبولوجي)، أو علم الآثار أو التاريخ، أصبحت فيه نظريات جديدة جدا. وهذه النظريات الجديدة والبحوث التي نُشرت في الخارج تكاد تكون غير معروفة في الجامعات عندنا، لأن جامعاتنا تأتي في ذيل المستحقين في ميزانيات دولنا العربية، ولا يُرصد لها إلا النزر القليل. ونتج من ذلك أن بعض الحاملين لدرجات البكالوريوس والليسانس أو حتى من عندهم الماجستير أو الدكتوراه لم يتكوّنوا علميًا بشكل ناضج، لأنهم يفتقدون الأدوات التي تعينهم على الرجوع إلى الكتب والمراجع الموثوقة.

منتدى «الفيصل»
مع: د. حسن ظاظا

ولي أن أذكر أنه عندما وضع الخليل بن أحمد أساس كتاب العين لم تكن لغات أوربا معروفة. ولغة العلم كانت هي اللاتينية، وبدأت اللغات الأوربية تتشكل في القرن الخامس عشر الميلادي، وظهرت المعاجم عندنا في المشرق قبل الغرب بكثير، لكنها تطورت عندهم بسرعة؛ فظهرت المعاجم التأصيلية، تلك التي ترد الكلمات إلى أصلها في اللفظ والمعنى. وكان اقتراحي أن جميع المعاجم العربية الموجودة ليس فيها معجم تأصيلي واحد. وحدث مرة أن أحد المستشرقين الألمان وهو فيشر قضى خمسين سنة في إعداد معجم تأصيلي للغة العربية. وكان مراسلاً للمجمع اللغوي بالقاهرة وباع لهم المعجم مخطوطًا فوضعوه في سطح المبنى حتى أتت عليه الحشرات والمطر والعوامل البيئية، وبعد وفاته لم يعد للكتاب فائدة تُذكر، لأن فيشر كان مهتمًا باستخدام المختصرات التي تحتاج إلى مفاتيح خاصة، ولأن أحدًا لم يقف على الأسلوب الذي استخدمه فيشر.

• هل أنت مع تعريب العلوم؟

تحرير الفيصل.

ـ نعم يجب أن تُعَرَّب وتُعَرَّب بشكل جيد جدًا ودون تحريف كما هي حتى لو كانت مسألة في الآثار أو علم الأجناس البشرية. واليهود عملوا هذا من بداية تأسيس الوكالة اليهودية عام 1917م، وأنشؤوا دارًا خاصة لنشر جميع العلوم باللغة العبرية. وفي مقدمتهم الدكتور «رفْلين» الذي قام بترجمة معاني القرآن الكريم، وهو أستاذ في الجامعة العبرية، وترجمته ـ بحق ـ ترجمة أمينة جدًا ودقيقة جدًا. وقام «قوي تاين» وكان عميد كلية وأستاذًا ومستشرقًا مع آخرين بترجمة كتاب فتوح البلدان للبلاذري، وتناول فيه كيف تكونت الإمبراطورية الإسلامية وكيف انتشر الإسلام من الصين إلى الأندلس، ثم نشره باللغة العبرية في إسرائيل، وأُخذ الرجل في جامعة فيلادلفيا رئيسًا لقسم الدراسات الشرقية، وأنا درسْتُ عليه وكان يواصل الكتابة إليَّ من أمريكا. فلو كان حيًّا يكون قد شارف الآن على سن المئة. ولقد سمعت بخبر وفاة «تورشِنْر» رئيس المجمع اللغوي الإسرائيلي، وهذا كان أستاذي وغيّر اسمه أخيرًا إلى اسم عبري: تُورسناي... وكان هناك أحد الهولنديين ويسمى «فايل» وهو متخصص بالأدب التركي والنحو العربي، نشر لأول مرة في التاريخ كتاب «الإنصاف» في مسائل الخلاف بين نحاة الكوفة والبصرة، وطبعه بالعبرية وقدمه باللغة الألمانية وتمت طباعته في إسرائيل، ولقد طبع أشياء كثيرة من الأدب التركي وهو يدرس اللغة التركية ويتقنها. وهناك الدكتور «نوح براون» الذي كان يجمع الشعر، وجمع مليونين وخمسمئة ألف بطاقة من الشعر العربي، وبعدها ظهر التسجيل الآلي وربما وصل إلى رقم كبير جدًا الآن.

• هل اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم التطبيقية؟

يوسف الملاذي
البحرين.

ـ نعم، اللغة العربية مؤهلة لذلك، ويحضرني هنا أن جاءني في مرة من المرات طالب سعودي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لأقترح عليه موضوع رسالته للماجستير في فقه اللغة، فقلت له: إن المترجمين العرب هم الذين ترجموا كتبًا في علم الفلك والملاحة والطب والكيمياء والهندسة المعمارية، فلماذا لا يكون موضوعه عن: «كيف تغلّب المترجمون القدماء على مشكلة المصطلح العلمي في هذه الكتب». وأعطيته نموذجًا لذلك، وهو حُنين بن إسحق الذي كان كبير التراجمة في عهد المأمون وترجم كُتبًا في الطب والصيدلة والكيمياء والتشريح.

القارئ الإسرائيلي يعرف جيداً طه حسين ومحمد عبده والأفغاني، بينما نحن نجهل تركيبة المجتمع الإسرائيلي ونوعية العقليات الموجودة فيه

واقتنع الطالب باقتراحي، وأراد أن يسجل الموضوع باسمه، ففوجئ برفض الجامعة، وكان مسوغها أن هذا الموضوع خارج عن اهتمامات كلية اللغة العربية، لأنه في الطب والعلوم ولأن المؤلف نصراني. وكان وقع ذلك عظيمًا على الطالب، فأوصيتُه بتكرار المحاولة، وأن يبيّن بإلحاح أن اللغة العربية إذا حُبست في الشعر والنثر والقواعد، فإن ذلك إيذان بوأدها. وأن يذكر أن حُنين بن إسحق كان كبير المترجمين والأطباء والصيادلة في قصر أمير المؤمنين المأمون. فقُبل الموضوع على مضض، فنصحته بأن يتعلّم شيئًا من اليونانية مع السوريانية، على أن أتكفّل بتعليمه السوريانية، وأشرت عليه بمن يتعلم على يديه اليونانية. وقد التقيت بعد مناقشة الرسالة مع الشيخ الدكتور محمد المفدى أستاذ النحو والصرف الذي كان من المعارضين لموضوع الرسالة، فقال لي الرجل: حقا ما قاله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الناس أعداء لما جهلوا»، فأنا كنت معارضًا في هذا، ولحسن الحظ الطالب ألحّ حتى قُبل موضوعه، وهو لا شك مكسب للغة العربية، وفهمت أن هذا من أعظم الخدمات التي تُقدَّم للغة العربية. ونال الطالب الماجستير بتقدير ممتاز وأُرسل إلى ألمانيا في بعثة كي يتخصص باللغويات المقارنة أيضًا، وهو الصديق الباحث أحمد الدبيان من القصيم، ورسالته طُبعت على نفقة الدولة في مكتبة الملك فهد الوطنية في مجلدين.

• يكثر الحديث عن الحوار الثقافي بين الحضارات، فما منظوركم لهذا الموضوع؟

ـ من أهم ضوابط الحوار الثقافي الاحتراس من الغزو الفكري. فالاتصال بالأمم واللغات المختلفة أمر واجب. لكنَّ هناك أمرًا مهمًا هو ألاَّ يُترك الحبل على الغارب. إن تطعيم الثقافة مازال مسألة فردية ويجب أن تكون هناك سياسة ربط الأمة بالتيارات الثقافية المختلفة وتكون سياسة شجاعة، وهذا الموضوع ـ في رأيي ـ يجب أن يكون من اختصاصات وزارات الثقافة أو الإدارات المشرفة على الثقافة، وأن يُخطَّط لهذا الموضوع تخطيطًا جيّدًا بحيث لا يطغى عليه الحكم الفردي لكل من قرأ كتابًا أو قصة أو قصيدة أو رواية كما يحدث في مناهج التعليم مثلاً.

والأشياء التي يجب أن يُهتم بها وأن تكون الأمة على علم ببعض المسائل المهمة أكثر مما تطلع عليه في الصحف والمجلات والترجمات الفردية، هي أمهات كتب المفكرين وقادة الرأي في بلادهم مع عدم حذف أي شيء أو التصرف فيه، ويكفي في هذا تنبيه القارئ على ما في هذا الرأي أو ذاك من تعارض مع عقائدنا أو سمات حضارتنا.

• يقال إن اهتمامنا باللغة العبرية والأدب العبري أقل بكثير من اهتمام اليهود بأدبنا العريق تأليفًا وترجمةً، هل هذه المقولة حقيقة؟

نهى إبراهيم صالح
الخرطوم، السودان.

ـ أولاً هذه المقولة صحيحة تمامًا. نحن عندنا جامعات قررت تعليم العبرية في بعض أقسامها لكن نوعية الأساتذة والبرامج المرسومة لا تسمح بإخراج الشخص الجامعي الدارس لهذه اللغة والبارع فيها، وأنا كنت دائمًا على اتصال بالقائمين على تدريس اللغة العبرية في مصر وفي المغرب وفي العراق وسورية، وكنت أجد فرقًا كبيرًا جدًا بين ما عندنا مما يخص اللغة العبرية وما عند اليهود فيما يخص اللغة العربية. فعندهم علماء حقيقيون في اللغة العربية أسهموا في إغناء المكتبة عندهم بتحقيق مخطوطات عربية ونشرها وترجمة بعضها كالقرآن الكريم. إن القارئ الإسرائيلي يعرف جيدًا طه حسين وتوفيق الحكيم ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني وغيرهم كثير من أعمالهم المترجمة إلى العبرية. هذا فضلاً عن جهلنا نحن بتركيبة المجتمع الإسرائيلي ونوع العقليات القيادية لديهم.

• هل يوجد معهد متخصص لدراسة الفكر الصهيوني في العالم العربي؟

ـ لا، وإنما يوجد مركز الدراسات الاستراتيجية في مؤسسة الأهرام في مصر.

وأيضًا هناك قسم خاص بدراسات فلسطين في معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية.

- لكم في «الكشكول» بعض الأبيات الشعرية التي تنشرونها بين تضاعيف مقالتكم، فماذا عن تجربتكم مع الشعر؟

تحرير الفيصل.

- بدأت تجربتي في الشعر، وأنا في سن الثانية عشرة. كانت هناك مجلة «الصباح» التي يملكها الأديب الصحفي مصطفى القشاشي، وكانت من أكبر المجلات الثقافية في القاهرة في العشرينيات والثلاثينيات، ونشرت لي قصيدة شعرية في صفحة من الصفحات المخصصة للناشئين. فكان هذا موضع فخاري، أن أرى اسمي في مجلة كبيرة مثل مجلة الصباح. ثم تمر الأيام، حتى تمكنت من قول الشعر، وكان مما أعانني على ذلك أن أمير الشعراء أحمد شوقي كان صديقًا لجدي لأمي، فأخذني إليه في أحد الأيام، وهو في المرض الأخير، وأهداني الجزء الأول من الشوقيات الذي ما زلت محتفظًا به إلى اليوم. بعد ذلك، كنت أقابل محمد الهراوي، وكانت له قصائد مقررة للأطفال في المدرسة، وكذلك الشيخ الأزهري محمد الأسمر، وكان شاعر القصر الملكي، وقد ألف القصيدة التي غنتها أم كلثوم في لقاء الملوك والرؤساء العرب لإعلان ميثاق جامعة الدول العربية.

وتمضي الأيام، وَعُرِفْتُ شاعرًا، وأنا طالب في كلية الآداب، جامعة القاهرة، ولم أحاول احتراف الشعر، وإنما كان نظمي له يعتمد على الظروف، ولاسيما عند الإصابة بأزمات عاطفية، ولم أنشر إلا بضع قصائد، من أهمها: قصيدة ألقيتها في النادي القومي الإسلامي في يافا عام 1944م، عن «الأندلس والشاعر ابن زيدون»، إذ كنت أرى في فلسطين صورة من ضياع الأندلس، بسبب ما وجدت فيها من نفوذ صهيوني مدة إقامتي بين عامي 1942- 1944م.

وكانت لي جلسات مع الشعراء عزيز أباظة ونزار قباني وفاروق شوشة. وعندما كنت أستاذًا في جامعة الإسكندرية وقع عليّ الاختيار لأكون عضوًا في المجلس الأعلى للفنون والآداب، لكن الغريب أن الأعضاء أصروا أن تكون عضويتي في لجنة الشعر، وليس في لجنة اللغة التي هي اختصاصي. وبقيت عضوًا حتى مجيئي إلى المملكة العربية السعودية. وبعد ذلك، بدأت في عمل شعري طويل جدًا، يحتوي على مجموعة من الأناشيد، كل نشيد فيه قرابة خمسمئة بيت من الشعر العمودي وشعر التفعيلة. وكان أملي كتابة نشيد واحد، ولكني كتبت حتى الآن نحو ثمانية عشر نشيدًا، والعنوان الذي يضم هذه الأناشيد هو «سيرة البهلول». والبهلول مصري كان يدعي الجنون ويعيش في عصر هارون الرشيد في الكوفة بعد حضوره من مصر.

تصورت أن بهلول بُعْثَ حيًا، ومضى في عالمنا الحالي متصنِّعًا الجنون، ولكن بعكس ما جرى له في الماضي كانت الشرطة تقبض عليه وتحبسه، فيقول شعرًا في الحبس. وله تعليقات سياسية فيما يقع في العالم الإسلامي من نزاعات ومظالم وانتشار العادات الغربية الدخيلة من غير تمييز. فهذا العمل تسجيل «جنوني» لما يحدث في واقعنا العربي اليوم من حروب وخلافات ونزاعات مذهبية.

- نعلم أن لكم أزجالاً كذلك، فما قصتها؟

جمال عبداللطيف الرياطي
العقبة، الأردن.

- لي أزجال كثيرة جدًا، وكان الشاعر بيرم التونسي معجبًا بها؛ حتى إن محافظة الإسكندرية في العام الأول لوفاته، دعتني وجعلتني المتحدث الأول في الحفل، لسرد بعض ذكرياتي معه، ثم أتبعتُ ذلك بزجل أرثيه فيه. وشاركني الشاعر محمود الكمشوشي، وهو من الزجالين المجيدين في الجيل الذي يلي بيرم، وكنا أعضاء في رابطة اسمها رابطة أدباء الشعب في الإسكندرية، كانت تجمع أبا رواش وكامل حسني وفرج السيد فرج وسيد عقل والكمشوشي وأنا. وكانت هناك مهرجانات مشتركة مع زجالي القاهرة، ومنهم محمد عبدالمنعم (أبو بثينة) ومحمود رمزي نظيم وسيد أبو ذكري، وكان همزة الوصل بيننا، نقيب الزجالين عبدالفتاح شلبي - يرحمه الله -، وهو له عمل جليل، إذ كتب «سيرة ابن هشام» زجلاً، وكان يرى أن الإنسان البسيط الذي لا تمكنه ثقافته من الاطلاع على سيرة ابن هشام، من حقه أن يقرأ هذه السيرة بلغة بسيطة يفهمها، وقد نشرتها وزارة الثقافة المصرية.

اليهود ينقلون علوم الأمم إلى لغتهم منذ عام 1917م..
فلماذا تقاعسنا نحن ؟



الدكتور حسن محمد توفيق ظاظا في سطور:

- **من مواليد القاهرة 1919م.**
- **ليسانس اللغة العربية واللغات السامية، جامعة القاهرة، 1941م.**
- **ماجستير في الأدب العبري والفكر اليهودي 1944م، وعنوان الرسالة «أثر الفكر الإسلامي في الفكر العبري في إسبانيا الإسلامية».**
- **دبلوم الدولة العالي في الآثار وتاريخ الفن والحضارة، مدرسة اللوفر بباريس 1951م.**
- **دبلوم مدرسة اللغات الشرقية بباريس 1955م.**
- **دكتوراه الدولة في الآداب، جامعة السوربون، فرنسا 1958م، وعنوان الرسالة «القَسَم عند اليهود الساميين القدماء».**
- **عمل معيدًا ومحاضرًا ومدرسًا إلى أن شغل كرسي الدراسات اللغوية بجامعة الإسكندرية في 1969م، حتى بلوغ سن المعاش عام 1979م.**
- **دَرّس في جامعات عين شمس والقاهرة والأزهر ومعهد الدراسات السامية (مصر)، ومحمد الخامس (المغرب)، وبيروت (لبنان)، والموصل وبغداد والبصرة (العراق)، والخرطوم وأم درمان (السودان)، ومدير مؤسس لمعهد اللغات الشرقية والحضارة العربية الإسلامية في جامعة مالطة.**
- **أستاذ فقه اللغة والدراسات العبرية بجامعة الملك سعود مدة 12عامًا.**

- لماذا لم تحصل على الجنسية الفرنسية حتى الآن؟

- قيل لي إن حصولي على الجنسية لا يتطلب إلا أسبوعًا، فقلت لهم إن منحي الجنسية كي أصبح مواطنًا فرنسيًا، يعني أن تكون لي حقوق، وأن يكون عليّ واجبات. وبما أنني قد كبر سني، فستكون لي حقوق من غير واجبات، لأنني خدمت في خارج فرنسا طوال حياتي ولم أقدم لها شيئًا، ومن ثم لا أرى موجبًا لحصولي على الجنسية.

الهوامش:

1- البراق: موضع انطلاق براق الرسول صلى الله عليه وسلم نحو السماء في المعراج.

التحرير: نود تنبيه القراء الكرام على أن «منتدى الفيصل» مع:

معالي الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين

سوف يُنشر في العدد (246) الذي سيصدر - إن شاء الله - في مطلع شهر ذي الحجة 1417هـ. لذا؛ فإن الفرصة متاحة لإرسال المزيد من الأسئلة في موعد أقصاه نهاية شهر شوال 1417هـ.

مراحل كتابة السيرة الذاتية في الأدب السعودي

2

عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري

العقود التي تلت «أبو زامل» لأحمد السباعي كانت ثرية للغاية - وخاصة مطلع هذا القرن - في حضور هذا الفن في وجدان الأديب السعودي، وتعدد كتّابه واتجاهاته، وهذا يدعونا إلى محاولة تحديد اتجاهات السيرة الذاتية وأبرز الملامح التي طرأت على هذا اللون خلال أربعين عامًا.

ففي وسع الكاتب أن يحدد بعض هذه الاتجاهات بالآتي:

1- الاستفادة من شكل القصة وحبكتها التقليدية: ويمثل هذا الاتجاه بوضوح أحمد السباعي في «أبو زامل/ أيامي»؛ غير أن هذا الاتجاه لم يكن مؤثرًا فيمن بعده لطرق هذا اللون والكتابة فيه؛ ربما لأنه لم يفصح عن اسمه في وقت مبكر.

2- الاتجاه المقالي: (مقدمة، عرض، خاتمة). وهذا الاتجاه يغلب على معظم السير الذاتية التي بين أيدينا، وهذا شيء غير مستغرب، فأدباؤنا - أو أكثرهم - هم في الأصل كتّاب مقاليون، ويندر ألا تجد لأعلام الأدب لدينا مقالات في الصحف.

ويمكن أن يُمثَّل لهذا الاتجاه بعطاء: حمد الجاسر، وعبدالكريم الجهيمان، وحسن نصيف، وعبدالعزيز الربيع، وأبي عبدالرحمن بن عقيل، وعلي العمير. على أنه من المهم الإشارة إلى أن المقالات التي كتبها هؤلاء للحديث عن أنفسهم تتخذ في مجموعها موضوعًا واحدًا يبعدها من التمزق المقالي: (نقدي، اجتماعي، سياسي... إلخ)، كما أن عددًا منها طال نفسه بحيث خرج عن الطول المعتاد للمقال، كما صنع علي العمير في كتابه «بداياتي في الصحافة والأدب» الذي استطاع - إلى جانب ذلك - أن يوظف الحوار في مقالاته توظيفًا موفقًا(1).

3- الاتجاه الروائي: ويمثّل هذا الاتجاه عزيز ضياء في سيرته «حياتي مع الجوع والحب والحرب». وهذا الاتجاه أقرب الأشكال إلى أسس السيرة الذاتية الفنية لدى الغرب، وفيما عُرف من نماذجها الرفيعة في الأدب العربي. وربما يكون لثقافة عزيز ضياء الغربية العريضة بصفته أحد المترجمين عنها(2) دور في اختياره هذا الاتجاه.

4- الاستفادة من النهج المجمعي أو الجامعي (الأكاديمي) في البحث، كصنيع غازي القصيبي في تقسيم رحلته في الحياة وتجربته في الشعر إلى فصول وأجزاء في «سيرة شعرية».

5- التحام السيرة الذاتية بالغيريَّة، ولدينا من الأمثلة على هذا الاتجاه صَنيعُ فهد المارك في كتابه «فهد بن سعد ومعرفة ثلاثين عامًا»، الذي أراد فيه أن يكتب سيرة غيريَّة عن الأمير فهد بن سعد، فجاء كتابه سيرة مزدوجة التقى فيها الحديث عنه وعمَّن أراد أن يكتب عنه. وقد يكون من المستغرب أن يكتب المارك نفسه زهاء 140 صفحة تمهيدًا للحديث عن علاقته بفهد بن سعد؛ ولذلك لم يسلم من نقد الناقدين(3).

ويهمنا في كتاب المارك هذا إدراكه لأهمية فن السيرة الذاتية ووعيه لضرورته، حيث يشير في أكثر من موضع في كتابه «فهد بن سعد ومعرفة ثلاثين عامًا» إلى أن لديه كتابًا مخطوطًا اسمه «من الطفولة إلى الكهولة» لم تسمح الظروف له بإبرازه، أحصى فيه كل ما وعته ذاكرته وما أدركه من العلم، سواء ما هو له، أو ما هو عليه - كما يقول -(4).

وقد سألت ابنه محمد بن فهد المارك في مناسبة أدبية عن كتاب أبيه «من الطفولة إلى الكهولة» وما مصيره؟ فقال: إنه فُقدَ في أحداث لبنان.

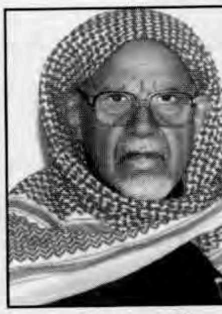
وامتزاج السيرة الذاتية بالغيرية لدى فهد المارك يُذكرنا بكتاب سايمنز Symons وعنوانه «البحث عن كوفو» الذي يصفه ليون إدل في كتابه «فن السيرة الأدبية» بأن السيرة(5) والسيرة الذاتية تمتزجان فيه «امتزاجًا لا تجده في السير الإنجليزية الكثيرة في أيامنا هذه»(6).

6- رواية السيرة أو الترجمة الذاتية: هذا المصطلح يُراد به أن يعمد الأديب إلى كتابة سيرته الذاتية أو أجزاء منها في قالب روائي محض لا يفصح فيه عن هويته الحقيقية وأنه بطل أحداثها. بل يختار أسماء أخرى يرمز فيها إلى اسمه وإلى من شاركوا معه في الأحداث. ولدينا من الأمثلة على هذا الاتجاه روايتان هما: «ثمن التضحية» لحامد دمنهوري، و«شقة الحرية» لغازي القصيبي، حيث يميل بعض الدارسين والباحثين إلى أنهما تمثلان حياة صاحبيهما، وبخاصة رواية القصيبي(7).

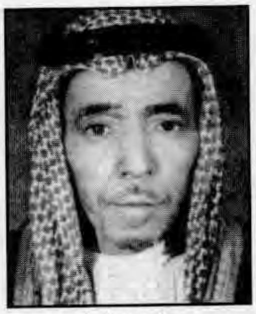
وهذا النوع يخرجه بعض نقاد السيرة الذاتية منها؛ لفقدانه شرطًا مهمًا، هو الإفصاح والتصريح بأن أحداثها - أي الرواية - تعنيه هو.

هذه أهم الاتجاهات التي وُجدت في مراحل ما بعد البدايات، إذ لا يلحظ الباحث أيًا منها قبل عام 1374هـ/1954م، حيث اقتصرت الجذور الأولى للسيرة

ـسيرة الذاتية


الشيخ حمد الجاسر


عبد الكريم الجهيمان


عبد السلام الساسي


علي حافظ


محمد حسن عواد


محمد علي السنوسي

الذاتية على الترجمة الموجزة والمقالات الذاتية فقط. وللباحث أن يتساءل: ما شأن هذين الاتجاهين في العقود التي تلت البدايات؟، وهل تراجعا أمام الاتجاهات السابقة؟، وهل ثمة تجديد طرأ على هذين الاتجاهين؟

لم تخل السنون الأربعون السابقة التي شهدت ميلاد السيرة الذاتية في بلادنا من تراجم ذاتية موجزة تقف جنبًا إلى جنب مع الكتب المؤلفة في هذا الفن. وهذه التراجم لا تستقل بمؤلف خاص، بل يعمد الأديب ـ أو المؤلف بشكل عام ـ إلى تخصيص صفحات محدودة جدًا من كتابه لترجمة نفسه، ويمهد لذلك بأن دافعه إلحاح الأصدقاء.

وعلى الرغم من هذا التمهيد لم يسلموا من مؤاخذة النقاد(8).

ولعل من الترجمات الذاتية المبكرة في المرحلة التي نحن بصدد دراستها الآن (1374هـ ـ ...) ترجمة عبدالقدوس الأنصاري لنفسه عام 1377هـ/1957م، والتي أشار إليها الدكتور السيد تقي الدين في كتابه «مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية»، وهو من أوائل الكتب التي حاولت أن تدرس شيئًا من إنتاج أدبائنا في فن السيرة.

ويتضح من العنوان اقتصار الدراسة على مصدر واحد، هو مجلة «المنهل» ومدى اهتمامها بفن السيرة بجانبيه: الذاتي والغيري. أما الغيري فلا يعنينا في هذا المقام، على الرغم من أنه أخذ اهتمامًا من المؤلف أضعاف ما خصصه للسيرة الذاتية.

ويلحظ الباحث قَصْرَ تقي الدين الحديث عن السيرة الذاتية في «المنهل» على ما كتبه الأنصاري تحت عنوان «قصة حياتي»، والتي اطلع عليها «في كتيب صغير ملحق بعدد ذي القعدة وذي الحجة 1403هـ/1983م من مجلة المنهل»(9).

ويشير إلى أن تاريخ كتابتها يعود إلى 1377/2/8هـ(10). ولقد أخذت تقي الدين عاطفة المجاملة وهو يكتب عن مجلة المنهل ومؤسسها إلى التردي في أخطاء واضحة، فهو يخلط بين فني السيرة: الذاتي والغيري في تناوله، ويمزج كلامه بكلام الأنصاري؛ بحيث يعسر على القارئ ـ أحيانًا ـ تمييز كلام الباحث من كلام الكاتب؛ لأن علامات الاقتباس أو التنصيص « » لم تعرف إلى كتابه طريقًا!

وأبرز أخطائه التي تعنينا مناقشتها أنه أعطى الأنصاري ما ليس له، وأعلى من قدره وشأنه في فن السيرة الذاتية بأن جعله رائدًا لها في أدبنا، وهو ما لا يقره الدارس المنصف لهذا الفن في الأدب السعودي.

صحيح أن عبدالقدوس الأنصاري له ريادته الصحفية والأدبية، وله ريادة في الرواية(11) وله عطاء معروف في التاريخ والآثار، لكن لا يصح ـ بأي حال ـ وصف محاولته العادية (ترجمة نفسه) بأنها رائدة، وأنه مبرِّز فيها، وأنه رائد فن السيرة الذاتية في الأدب السعودي(12). فهذه الأحكام مبنية على غير هدى(13).

إن ترجمة الأنصاري لنفسه يعوزها الكثير من خصائص السيرة الذاتية، فهي محدودة المساحة، تسير على النمط التقليدي المتوارث منذ آماد على يد العلماء الذين يُترجمون لأنفسهم، إذ كتب ترجمته بطريقة سردية مباشرة تضمَّنت اسمه كاملاً ونسبه، ومكان الولادة وتاريخها، والشيوخ الذين تلقى العلم على أيديهم، وتأسيسه مجلة المنهل، ورئاسته تحرير جريدة أم القرى، والمؤلفات التي قام بتصنيفها.

وهذا المنهج يشكل امتدادًا للسير والتراجم التراثية القديمة من مثل صنيع ابن خلدون والسيوطي، أو محمد سرور الصبان 1344هـ، وعبدالسلام الساسي 1370هـ ـ في أدبنا ـ اللذين سبقا الأنصاري بسنوات.

يستهل عبدالقدوس الأنصاري ترجمته بالقول: «أنا عبدالقدوس بن القاسم بن محمد بن محمد الأنصاري الخزرجي أمًا وأبًا. ولدت عام 1324هـ بالمدينة المنورة. وقد ماتت والدتي ـ واسمها آمنة بنت محمد بن زين ـ وعمري نحو أربع سنوات، ومات أبي وعمري نحو ست سنوات، وكفلني المرحوم خال أبي الشيخ محمد الطيب الأنصاري عالم المدينة المنورة، ومجدد شباب العلم الأدبي والديني فيها».

وعن بدايات المنهل يقول: «وقد صدر أول عدد من المنهل في ذي الحجة سنة 1355هـ ضعيفًا مهلهلاً في طباعته وإخراجه وموارده وكل شيء فيه، ولكنه خرج على كل حال. وكان صدوره إذ ذاك يُعدّ شيئًا مهمًا، ولم يكن معي سوى أربعين ريالا سعوديًا وقت إصداره دفعتها كلها للمطبعة..»(14).

على أن الدكتور السيد تقي الدين عاد في حديثه عن «قصة حياتي» للأنصاري فقال: «وقد تعلو الترجمة، وقد تهبط، ولكننا يجب أن ننظر إليها في هذا الإطار [على أنها](15) تراجم صحفية قصيرة تُكتب للمرة الأولى. ومن هذه التراجم حديث الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري عن سيرته الذاتية»(16).

ومثل ما ترجم الأنصاري لنفسه كتب عبدالله بن إدريس في الصفحات الأخيرة من كتابه «شعراء نجد

المعاصرون» 1380هـ، كلمة موجزة عن حياته في أقل من صفحتين بناءً على إلحاح الأصدقاء والقُرّاء - كما يقول -(17).

ومما يلاحظ أنه يغلب على ترجمته الاختصار الشديد والطريقة الرسمية، حيث يستهلها بالقول: «هذا موجز لترجمة حياتي التي تناسب المقام:

- تاريخ الميلاد: عام 1349هـ في حَرْمة من مقاطعة سدير.

- الدراسة: تلقيت مبادئ معلوماتي الأولية في مدرسة حَرْمة، ثم انتقلت إلى الرياض، حيث كانت دراستي في علوم الدين واللغة العربية على بعض علمائها.. إلخ.

وهذاالأسلوب في التراجم يذكرنا بالأوراق الرسمية التي تقدمها بعض الجهات الحكومية لإنهاء معاملة ما، لكن عذر ابن إدريس أنه لم يدر في خلده أن يذكر شيئًا عن حياته في كتاب من تأليفه، وأنه لم يفكر بكتابتها إلاّ بعد أن تلقى «إلحاحًا فيه شيء من العذل وكثير من التأكيد الطلبي»(18). وليته إذ فعل مدَّ النفس وكتب لنا ترجمة وافية شافية.

وإذا ما انتقلنا إلى عام 1386هـ وجدنا علي حافظ



حمزة شحاته



فهد المارك



د. حسن ناصيف

يُترجم لنفسه في صفحة واحدة بناء على طلب مجلة المنهل(19)، فيما نجد ترجمة أطول عام 1400هـ لأخيه عثمان حافظ كتبها بطلب من عبدالسلام الساسي حينما كان يجمع مادة كتابه «الموسوعة الأدبية»(20).

ولا نستطيع أن نغفل دور كتابي ابن إدريس والساسي عندما نكتب عن السيرة الذاتية في الأدب السعودي، فالمؤلفان كانا يطلبان تراجم للأدباء ويلحان في الطلب(21).

بل إن الساسي - كما وصفه محمد حسن عواد في تقديمه للموسوعة الأدبية - «ترك الترجمة للكاتب نفسه يصور حياته كما يشاء، ويسرد وقائع أعماله كما يشاء، ويكتب ترجمة حياته بنفسه...»(22).

وهذا الصنيع الذي يقدمه ابن إدريس والساسي للأدباء اختبار عملي لهم إذا ما أرادوا مستقبلاً كتابة تراجمهم بتوسع؛ لذلك فإن الكتابين وأمثالهما يضافان إلى دوافع كتابة السيرة الذاتية في مراحل ما بعد البدايات.

ومن خلال استعراضنا لترجمتيْ: الأنصاري وابن إدريس لنفسيهما يتضح جليًا أنه لم يطرأ تجديد في هذا النوع من التراجم، بل ظل شبيهًا بالمحاولة الأولى التي نهض بها محمد سرور الصبان عام 1344هـ.

أما المقالة الذاتية فلها شأن آخر، حيث أقبل الأدباء على الإسهام فيها في مراحل ما بعد البدايات، ورأينا عطاء متنوعًا في هذا الجانب لكل من: علي حافظ (1326- 1408هـ)(23)، ومحمود عارف (1327هـ - ...)، وحسين سرحان (1332- 1413هـ)(24)، ومحمد بن علي السنوسي (1342-1407هـ)، وعلي العمير (1357- ...)(25)، وغيرهم من الكتّاب(26).

إن المراحل التي نحن بصدد دراستها غزيرة جدًا في هذا الجنس الأدبي - وبخاصة من مستهل هذا القرن وحتى الآن - حيث نجد أشكالاً متعددة تقترب من السيرة الذاتية أحيانًا فتلتحم بها، وتبتعد منها في أحايين أخرى فلا نجد فيها ارتباطًا بالسيرة إلاّ مع التجوز الشديد.

فكتب الرسائل الأدبية لا تخلو من لمحات هنا وهناك من حياة الكاتب وتفكيره وثقافته وبيئته، وفي بعضها وصايا من الأدب المدرك لحقيقة الزمن وحقيقة الفوارق بين الأجيال، غير أن الرسائل - في الواقع - لاتدخل من أبواب السيرة الذاتية إلاّ بصعوبة شديدة. ويمكن للباحث أن يمثل عند الحديث عن الرسائل الذاتية بما كتبه حمزة شحاته في رسائله إلى ابنته شيرين، وبما كتبه عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري في كتبه المتعددة، وغيرهما(27).

يقول شحاته لابنته: «ابنتي الحبيبة شيرين: سيبدو كل شيء رائعًا في ضوء آمالك المليئة بالأحلام، وستجدين أن مقدارًا من التعب ضروري للشعور بالراحة. إن الإذعان للواقع ليس دليل الرضا.. تمت عزلتي الآن ولم تعد لي علاقة بأحد إلاّ بالمقدار الذي لا يزيد عما يتهيأ لأي نزيل في فندق صغير!»(28).

أما التويجري فيمزج تأملاته في الحياة وأفكاره بذكريات طفولته، ليوقظ في ابنه/ الجيل الجديد/ المسافة بين الأجيال وما يجب على الأبناء تجاه وطنهم وأمتهم: «ولدي! يوم كنا صبية صغارًا نأخذ بنادق الصيد، نخاتل بين الأشجار والنخيل حمامة الدوح وهي تغني على الأغصان، ثم نقتل اللحن الجميل وتسقط ذبيحة في يد الرامي فلا تملأ كفه الطفولي، أتراها سدت جوعه، أم أرضت دمويته؟!».

ويمضي إلى القول: «ولكن ألا ترى أن أعظم الرسائل التي لم يصنعها ذهن أبيك أو أخيك أو جدك أو جارك أو معلمك هي في عظمة هذا الكون؟، فأرضك هذه رسالة بكل ما فيها من إنسان وحيوان وبحار...»(29).

وبشكل أوضح نجد ملامح ذاتية من سيرة الكاتب في كتب الرحلات على اختلافها وقربها من الذات وبعدها منها، بيد أن كتب الرحلات بصفة عامة تصف العالم الخارجي، وتهتم بالمشاهدات والملاحظات وصدى رؤية الأشياء أول وهلة أكثر من اهتمامها بالنفس وحقائقها وتجاربها وتطور مراحلها وتغيّرها؛ ولذلك فإن من العسير أن ندخل «الرحلات» في باب الصور الذاتية إلاّ مع التجوز الشديد؛ ذلك لأنها تبين لنا الفترة الزمنية التي قطعها الكاتب في رحلته وما شاهده. أما أحاسيس الكاتب وأثر الرحلة في نفسه فلا نكاد نلمسه»(30)، إذ الوصف في الرحلات ظاهري محض.

وكما عُني الباحث بظهور مصطلحات السيرة الذاتية وأشكالها في مرحلة البدايات واستخداماتها ومدلولاتها، ومدى مطابقتها لمفهوم السيرة لدى نقادها، فإنه من المناسب أن ننظر في كل ذلك في مراحل ما بعد البدايات. ففي فن «اليوميات» نجد كتاب محمد عمر توفيق «46 يومًا في المستشفى»، الذي تكمن أهميته في أنه يعد نموذجًا مبكرًا في هذا الفن في أدبنا السعودي إذا أخذنا في الحسبان تاريخ طباعته المتقدم (1374هـ/1954م).

ومما يحسن التنبيه عليه أن محمد عمر توفيق في هذا الكتاب لم يلتزم شكلَ اليوميات المعروف من حيث تسجيل اليوم والشهر والسنة في مستهل كل موضوع، بل يرى القارئ أنه أغفل الشكل والتزم شيئًا أو أشياء من متطلبات المضمون، فالقارئ يمكنه تحديد اليوم والشهر والسنة - تقريبًا - من سطور المؤلف. ومن هنا يمكن أن نطلق على هذا الكتاب «يوميات» تجاوزًا؛ لفقدان الشكل وبعض ملامح المضمون:

«كان المستشفى طرازًا أمريكيًا ومن الدرجة الأولى، ولكنه بدأ يستحيل في إحساسي إلى (زنزانة).. وأتذكر الآخرين من الأهل والعيال الذين يحبون ويعيشون معي بأفئدتهم وأرواحهم - وإن كانوا بعيدين عني وعن المستشفى - فتضيق (الزنزانة) عليّ وأكاد أختنق..»(31).

وإذا ما انتقلنا إلى عام 1378هـ وجدنا لحسن عبدالله القرشي يوميات أدبية يسميها «مذكرات أديب»، وإنما هي أقرب إلى «اليوميات» منها إلى المذكرات. فهو

مراحل كتابة السيرة الذاتية
في الأدب السعودي
2

يكتب ملحوظاته يومًا بعد يوم، ويتضح ذلك من التاريخ الذي يضعه في مستهل خواطره وملحوظاته. يقول على لسان أديب مغرور يعترف بأن الشهرة حافزه الأساسي إلى الأدب:

«5/15: عجيب أمر هذا الأدب؟ إنه عامل سحري مهم يوقظ في النفس أحاسيس شتى، ويدفعه إلى الهيام في كل واد؟ ولست أدري بالضبط التاريخ الذي بدأت فيه أحب الأدب وأتعشقه، ولكنه على أي حال تاريخ قديم ضارب في القدم. ولا أقول هذا لأدلل على أنني أديب بلغ من العمر عتيًا، فأنا الآن في الأربعين من عمري بادي النشاط، وافر الفتوة، واسع الشهرة!.. وآه من الشهرة لعلها الحافز الأساسي الذي دفعني إلى اتخاذ الأدب!»(32).

ومقال القرشي هذا يوحي بأنه كُتب في خمسة أيام من الشهر الخامس (ولم تحدد السنة)، والأيام هي: 15، 17، 20، 25، 5/27 (اليوم الأخير)، وفيه يقول القرشي على لسان هذا الأديب المتطاول: «تسلمت اليوم عددًا من مجلة «...» نُشر لي فيه مقال أهاجم فيه الأدب هجومًا عنيفًا، كانت العبارات قوية، والحبكة ناضجة، والأسلوب بارعًا باهرًا.. إنه أسلوبي وكفى!»(33).

وقد لا يعني بالضرورة أن القرشي كتب مقالته في التواريخ المحددة آنفًا، ولكنه ربما أراد أن يكشف جانبًا من أفكار المخدوعين بأنفسهم وبما حققوا من شهرة زائفة ومجد خادع بنقل صورة من تخيلاتهم وأمجادهم المزيفة خلال شهر واحد فقط؛ ليعطي قارئه فرصة تخيل مدى الوهم الكبير الذي يقع فيه بعض الناس طوال سنوات لو أتيح لهم كتابة ما يعتقدون على النحو الذي كتبه القرشي على لسان أحدهم! وبما أن القرشي ألزم نفسه تحديد التاريخ في مطلع كل موضوع، فإن أقرب المصطلحات إلى ما كتب مصطلح «يوميات»، وليس «مذكرات».

ومن الكتب التي تحمل اسم «يوميات» كتاب أحمد السباعي «يوميات مجنون»(34)، وهو «بحوث في فلسفة الحياة تتناول ألوانًا من غرائب المفارقات فيها كُتبت على لسان مجنون»(35). وغني عن القول أن مضمون الكتاب وكونه بحوثًا يخرجه من مفهوم «اليوميات».

وفي العقد التاسع من القرن الماضي - الذي لم يلحظ الباحث فيه مؤلفًا واحدًا في السيرة الذاتية - نجد يوميات لعثمان الصالح في خمس صفحات تصفها مجلة «المنهل» بأنها يوميات هادفة. وقد سجل فيها الكاتب مشاهداته خلال أسبوع (من السبت حتى الجمعة) دون تحديد تاريخ - كما فعل القرشي -، بل يكتفي بتعيين اليوم. يقول في مستهل يومياته:

«يوم السبت: ورد إليّ خطاب في البريد من فتاة - يظهر أنها غير سعودية، وربما تكون من المتعاقدات - قالت فيه: كانت بلادكم قبل أعوام ليس فيها مدرسة واحدة للبنات، واليوم في مملكتكم أكثر من ثلاثمئة مدرسة: ما بين ابتدائية، وإعدادية، ومعاهد للمعلمات..».

والرسالة طويلة أوردها كاملة ولم يستطع أن يعلق عليها؛ لأن الله لم يفتح عليه بشيء - كما يقول -(36).

وكتب (يوم الاثنين): «زرت صديقًا لي فوجدته مكبًا على رواية يقرؤها بنهم لكاتب معروف شهير في رواياته - وإن كان سخيفًا في المعنى الذي تحمله تلك الروايات -، فأخذت الرواية حينما ذهب إلى داخل البيت، فقرأت منها صفحة في أولها، وصفحات من الرواية الضخمة فكانت غرامًا وهيامًا..»(37).

والملاحظ أن يوميات عثمان الصالح هذه لا يُعنى فيها بشخصيته وداخله بقدر ما يسجل انطباعاته عن الناس والأشياء من حوله. ومثل هذه «اليوميات» تُعدّ مادة أساسية مهمة للكاتب فيما بعد إذا أراد أن يتوسع في كتابة أحداث حياته منذ وعيه للحياة وحتى تاريخ كتابته.

فالسيرة الذاتية التي يريد صاحبها أن تكون متكاملة يجب أن يستفيد من كل أوراقه المتناثرة حين يعمد إلى كتابتها، وفي مقدمة ذلك «اليوميات» التي تسجّل الأحداث الكبيرة والصغيرة على السواء حال وقوعها.

ومما نستطيع أن ندخله في اليوميات (تجوُّزًا) ما كتبه

عندما نكتب عن السيرة الذاتية لا نستطيع إغفال دور كتابي عبدالله بن إدريس وعبدالسلام الساسي؛ فقد قدَّما إلى الأدباء حافزًا كبيرًا لكتابة سيرهم الذاتية بتوسعٍ

حمزة شحاته من مدونات - يبدو أنها كانت يومية -، ولا نستطيع الجزم بذلك؛ لأنه لم يحدد تاريخًا لذلك، بيد أننا نستشف من أسلوب كاتبها أنها تسجيل لبعض الخواطر التي ترد إلى خاطره يومًا بعد يوم.

وقد طُبعت عام 1400هـ بعد وفاته بنحو عشر سنين بعنوان «رُفات عقل» وضمَّت كثيرًا من آرائه في الأدب وفي الناس. ويذكر جامع الكتاب أنه جمع مادته من مذكرات حمزة شحاته الخاصة التي عثر عليها «بخط يده بين أوراقه المهملة المتناثرة»(38). فَتَحْتَ عنوان «من أنا؟» يقول حمزة شحاته: «يبدو لي أنني لم أستقبل حياتي منذ وعيت حتى هذه الساعة، كنت أعيش متأثرًا بجملة الظروف والدوافع والمقاومات.. أسير وأتقهقر وأقف وأحيانًا أعدو بجنون! وحيث يتاح لي أن أتأمل ذاتي أرى أنني أداة تملي عليها مقررات حركتها وسكونها، إنني أجهل من أنا، أو ما أنا؟ لأني لم أستقبل قط ما أستطيع أن أسميه حياتي!». وعن مدى رضاه عن آثاره الأدبية يقول شحاته: «ولم أكن راضيًا قط عن أثر من آثاري الأدبية بعد تأمله؛ ولذلك لم أفكر في جمع هذه الآثار»(39).

إن المذكرات الخاصة هنا - كما يُطلق عليها جامع الكتاب - ما هي إلا يوميات يعود إليها الكاتب كلما عنت له فكرة؛ ولذلك نرى في هذا الكتاب أفكارًا مختصرة لا تتجاوز سطورًا معدودة، ومع ذلك فإنها تعين الدارس على معرفة كثير من أسرار كاتبها وأفكاره وتطلعاته، فلقد أعطتنا السطور السابقة لحمزة شحاته تصورًا عن الحيرة التي عاشها في حياته والطابع التشاؤمي الذي عُرف به، كما أننا ظفرنا بتفسير لعدم عناية شحاته بعطائه الأدبي بحيث لم يُطبع له شيء في حياته، وهو أنه غير راض عما كتب.

ويبقى لمصطلح «ذكريات» الحظوة لدى كتابنا، لما يحمله من توسع في المفهوم بحيث يشمل كل ما تسترجعه الذاكرة من أحداث تخص كاتبها. وليس للباحث أن يحصر كل الإسهامات خلال مراحل ما بعد البدايات - والتي تحمل عنوان «ذكريات، أو ذكرياتي... إلخ» -، فهي كثيرة جدًا(40).

وإذا كنا لم نعثر على وجود لمصطلح «اعترافات» في البدايات، فإننا في المراحل التي تلتها واجدون له حضورًا لدى بعض كتابنا، كما نجد من يتساءل: هل نعترف؟، ونجد كذلك من يصرح بأخطائه ويعترف بها مما لم نكن نعهده في العقود التي سبقت المراحل التي نتحدث عنها.

وربما يكون علي محمد العمير من أوائل من استخدم هذا المصطلح، وذلك في مقال نشره بجريدة البلاد 1394/10/12هـ، وفيه يشكك في مقدار الصدق الذي التزم أن يقوله «جان جاك روسو» في اعترافاته من أنها تحدثت عن كل شيء في حياته بمنتهى الصدق والصراحة. وعلق على ذلك بقوله: «لكن بعض النقاد زعموا في مواجهة اعترافاته أنها لم تستوعب كل شيء، وأن هناك ما ستره ولم يذكره في الاعترافات..»(41).

ويقول في مقال نشره عام 1404هـ تحت عنوان:

مراحل كتابة السيرة الذاتية في الأدب السعودي
2

«اعترافات وجودية» وأعاد نشره في كتابه «ركض الخاطر»، يقول تعليقًا على نشر عشيقة سارتر (سيمون دي بوفوار) رسائله إليها طوال حياته: «تقول الأخبار الأولية عن هذه الرسائل التي نشرتها العشيقة.. إنها - أي الرسائل - ستجعل من سارتر في مقدمة من كتبوا اعترافاتهم الذاتية، وإن جان جاك روسو سيأتي بعد الآن في ذيل القائمة!»(42).

وهذا النقد للاعترافات، وهذه المناقشة لمدى الصدق فيها من العمير يدل على الوعي الذي وصل إليه الكاتب السعودي في رفض ما لا يناسب بيئته وتقبل فن السيرة الذاتية كأحد الأجناس الأدبية الجديدة والتعامل مع أشكالها بانتقاء.

ومما يُحمد للعمير - حقيقة - وعيه المبكر لفن السيرة الذاتية وترحيبه به والإسهام فيه إبداعًا وتنظيرًا، فكُتُب السير الذاتية في نظره «هي أمتع الكتب.. ذلك لأنها بعض ما بقي من مباهج الحياة»(43).

ومن أجل ذلك لا يجد العمير حرجًا في أن يعترف بأنه لا يكتفي بالنظرة العابرة الواحدة - التي هي من حقه شرعًا كما يقول -، بل يتبعها أحيانًا بنظرات أخرى. ويعلق على ذلك بالقول: «أرجو أن يغفرها لي الغفار الرحيم مع ما اقترفته من ذنوب وآثام، كما أرجو ألا أُعتبر باعترافي هذا من المجاهرين بالسوء والعياذ بالله، فإنما أردت مجرد الدعابة والتفكه مع القُرّاء الكرام..»(44).

ومن أجل العظة والاعتبار يروي أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري في عبارة صريحة ما ابْتُلي به من شرب الدخان ومعاناته في إخفاء ذلك عن الناس(45).

وإضافة إلى ذلك تتساءل الكاتبة فوزية الجارالله: هل نعترف؟، وتضيف: هل يوجد لدينا من أدبائنا من يقدم على البوح بمثل اعترافات بعض الغربيين دونما تردد؟

ولأنه لا يوجد من أدبائنا من يقدم على ذلك، فإن فوزية تحاول أن تبحث عن التعليل الذي ترجعه إلى القيود الاجتماعية - كما تقول - وإلى احترام العادات والتقاليد التي لا تغفر للأديب خطأً ولا تنساه!(46).

وليس يعنينا تحقق ذلك في سيرنا الذاتية العربية من عدمه، ولكن مثل هذه المقالات من الجنسين توحي بأن فن السيرة الذاتية أصبح يلقى الاهتمام من كتّابنا في مراحل ما بعد البدايات.

وإذا كنا قد تحدثنا عن مصطلحات السيرة الذاتية المتفرعة عنها من مثل: اليوميات، والمذكرات، والذكريات، والاعترافات، فلماذا لا نتحدث عن مصطلح «السيرة الذاتية» نفسه ومرادفه «الترجمة الذاتية»؟

فأما مصطلح «الترجمة الذاتية» فاستخدامه ليس شائعًا ويكاد يكون نادرًا، ويستعين الكاتب السعودي بدلاً منه بالمصطلح الأشهر «السيرة الذاتية» الذي وجدت أقدم استخدام له - حسب ما توافر لي من مصادر - لدي «علي العمير» عام 1384هـ، غير أنه لم يخل استخدامه من اضطراب في العبارة، فهو يعبر بالسيرة الذاتية للدلالة على معنى «الحياة الخاصة»، يقول: «كيف يمكن للأديب أو الشاعر أن يكون في معطياته صادق التجاوب مع نفسه، كي يكون أكثر واقعية في فنه؟، هل يستوحي من ذاته تجاربها؟، بمعنى آخر: هل يعبر عن سيرته الذاتية؟»(47).

وبذلك يمكننا أن نقول بارتياح: إن الوعي الجماعي من كتابنا لمصطلح «السيرة الذاتية» بدأ أواخر القرن الرابع عشر، أو بالتحديد منذ عام 1398هـ/1978م(48).

الهوامش:

1- علي العمير، بداياتي في الصحافة والأدب. جدة: دار العمير للثقافة والنشر، ط1، 1413هـ/ 1992م، ص16، 86، 105 وغيرها من الصفحات.
2- الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد 719/2. وتطلعنا قائمة أعمال عزيز ضياء على أن معظمها ترجمة من الإنجليزية، منها: عهد الصبا في البادية، النجم الفريد، عام 1984م لجورج أورول.، (معجم الكتّاب والمؤلفين 93).
3- فهد المارك، فهد بن سعد ومعرفة ثلاثين عامًا. الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط1، 1393هـ/ 1973م (انظر حديثه عن نفسه من المقدمة حتى الصفحة 139 من الجزء الأول. وانظر مقالته «هل نجوت مما أخشاه من سهام الناقدين؟» 687/2).
4- المرجع السابق 241/1، 263.
5- عندما تطلق كلمة «سيرة» فإنما تعني السيرة الغيرية، أو الموضوعية كما يسميها الدكتور منصور الحازمي (ينظر: في البحث عن الواقع. الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، 1405هـ/ 1984م، ص64).
6- فن السيرة الأدبية 54، 55.
7- حامد دمنهوري، ثمن التضحية. الرياض: النادي الأدبي، ط2، 1400هـ/ 1980م. (مقدمة الطبعة الثانية بقلم د. منصور الحازمي 26). وانظر: سعدية مفرح، غازي القصيبي في «شقة الحرية» سيرة لم تنل حريتها إلاَّ في رواية، جريدة القبس الكويتية، ع 7390، 1414/8/2هـ - 1994/1/13م ص37.
8- ينظر: د. عبدالله الحامد، نقد على نقد. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ط2، 1411هـ - 1990م، ص15.
9- د. السيد تقي الدين، مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1406هـ/1986م، 2/ 313. وقد تعذّر علي الحصول على هذه الترجمة؛ لأنها كانت ملحقة بالعدد المشار إليه ولم تكن ضمن المجلة، حيث طالعت عدد ذي القعدة وذي الحجة 1403هـ من المنهل ولم أجد شيئًا، وكان أن كتبت رسالة تاريخها (1414/9/22هـ) إلى رئيس تحرير المجلة نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري أطلب فيها الكتيب الذي حوى ترجمة والده، ولم أتلق ردًا حتى كتابة هذه الأسطر.
10- مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية 313/2.
11- أصدر الأنصاري - رحمه الله - رواية «التوأمان» 1349هـ عن مطبعة الترقي بدمشق، وتعد أول رواية سعودية. كما أنه مؤسس أول مجلة في المملكة «المنهل» التي صدر عددها الأول في ذي الحجة عام 1355هـ.
12- مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية 311/2.
13- كيف يكون رائدًا لفن السيرة وقد صدرت أربعة كتب هي: أبو زامل (1374هـ)، 46 يومًا في المستشفى (1374هـ) هذه حياتي (1376هـ) مذكرات طالب (1376هـ) قبل ترجمته الموجزة؟ ولعل سبب وقوع الكاتب في الخطأ قلة اطلاعه على الأدب السعودي بحكم بعده منه.
14- مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية 313/2، 316، 317.
15- ما بين المعقوفين من إضافة الباحث حتى تستقيم العبارة.
16- مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية 312/2. وقد طالعت ترجمة موجزة أخرى للأنصاري نشرتها المنهل عام 1405هـ بعنوان «حياتي» وذكرت أنها في الأصل كُتبت لوزارة المعارف بناء على طلبها عام 1399هـ؛ لكون الأنصاري ضمن مرشحي المملكة للجائزة التقديرية للرئيس التونسي - آنذاك - الحبيب بورقيبة. وقد اعتمد الأنصاري في هذه الترجمة على الكتب التي تحدثت عنه. انظر: المنهل، ع430، المحرم وصفر 1405هـ، الصفحات 50 - 65.
17- عبدالله بن إدريس، شعراء نجد المعاصرون. القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، ط1، 1380هـ - 1960م، ص287.
18- المرجع السابق 287.
19- المنهل، رجب 1386هـ (عدد خاص بتراجم الأدباء السعوديين) 758.
20- الموسوعة الأدبية، ج3، ص 198-201.
21- يقول عبدالسلام الساسي في تقديمه للجزء الثاني من الموسوعة الأدبية: «يعلم الله أنني تعبت كثيراً في مراجعة هؤلاء وأولئك ووقوفي معهم موقف المستجدي...»، (الموسوعة الأدبيَّة. مكة المكرمة: دار الثقافة 1395هـ/1975م، الجزء الثاني ص4.
22- عبدالسلام الساسي، الموسوعة الأدبية. مكة المكرمة: دار قريش للطباعة والنشر 1388هـ الجزء الأول ص ي (مقدمة العواد تاريخها 1388/4/11هـ).
23- انظر مقالته: «كيف نظمت الشعر وكيف تعلمت أكتب؟» في المنهل (رجب 1386هـ ص759، العدد الخاص بتراجم الأدباء السعوديين).
24- من مقالات حسين سرحان 186 (هدية العيد)، 195 (الحلاق ميشال). وانظر مقالته (أنا) في جريدة الرياض 1408/6/25هـ.
25- انظر مقالته «ذكريات وتطلعات» في كتابه أدب وأدباء 125-127.
26- للاستزادة عن إسهام أدبائنا في المقالة الذاتية انظر: المقالة في الأدب السعودي الحديث 261/1-350.
27- كرسائل سعد البواردي إلى ابنه نازك، ورسائل د. عبدالعزيز الخويطر إلى ابنه في كتابه «أي بني».
28- حمزة شحاته، إلى ابنتي شيرين. جدة: مطبوعات تهامة، ط1، 1400هـ/1980م، ص 34.
29- عبدالعزيز التويجري، منازل الأحلام الجميلة. لندن: الدار العالمية للنشر، ط1، 1403هـ/1983م، ص397، 399.
30- السيرة تاريخ وفن 266.
31- أيام في المستشفى، ط2، ص25.
32- حسن عبدالله القرشي، شوك وورد. جدة: النادي الأدبي الثقافي، ط2، 1401هـ/1981م، ص 39. (تاريخ الطبعة الأولى 1378هـ).
33- شوك وورد 42.
34- طبع في القاهرة، دار ممفيس 1378هـ/1958م (معجم الكتّاب والمؤلفين 72).
35- معجم المطبوعات العربيَّة 270/1.
36- عثمان الصالح، «يوميات»، المنهل، شعبان 1388هـ الصفحات 1118 - 1122.
37- المرجع السابق 1119.
38- حمزة شحاته، رفات عقل (جمع عبدالحميد مشخص). جدة: مطبوعات تهامة، ط1، 1400هـ/1980م، ص8.
39- المرجع السابق 12، 14.
40- ينظر: عبدالله الحقيل، من ذكرياتي عن التعليم في بلادنا 1، 2 (المجلة العربية، ع88، 89، جمادى الأولى وجمادى الآخرة 1405هـ).
عبدالكريم الجهيمان، من ذكريات الطفولة: أحاديث، وأحداث. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ط1، 1408هـ/1987م، ص323- 340.
د. حسن بن فهد الهويمل، من ذكرياتي الأدبية عن الكتب والمخطوطات (في الفكر والأدب: دراسات وذكريات، 1408هـ، ص181- 198).
سعد بن عبدالعزيز بن رويشد، ذكريات من الماضي، الجزيرة، ع6143، 1409/12/21هـ.
41- أدب وأدباء 41-43.
42- ركض الخاطر 21، 22.
43- بداياتي في الصحافة والأدب 21.
44- علي العمير، «فتاة دمشقية وأنا!»، المجلة العربية، ع108، المحرم 1407هـ ص76.
45- أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، «يوم كان مدخنًا»، المجلة العربية، المحرم 1413هـ ص72، «قصتي مع بلوى «الدخان» ثم الإقلاع عنه!»، المجلة العربية، صفر 1413هـ ص68. وانظر كذلك كتابه «شيء من التباريح» ص113- 120. ولا يغيب عن ذهن القارئ أن أبا عبدالرحمن يحمل «الماجستير» في الفقه، وسبق أن قدم برنامج «تفسير التفاسير» في إذاعة الرياض سنوات عدة.
46- فوزية الجارالله، «هل نعترف؟»، المجلة العربيَّة، ع126، رجب 1408هـ ص33.
47- على الماشي ص47.
48- ينظر: د. منصور الحازمي، في البحث عن الواقع، ص 64 (إجابته عن استفتاء عن الأدب السعودي طرحته مجلة المنهل عام 1398هـ).
عبدالعزيز الربيعي، وفيات الأعيان (فهد المارك)، المجلة العربية، شعبان - رمضان 1398هـ، ص 251، 252. وفيه يقول عن المارك: «لديه محاولة جادة في كتابه هذا (من الطفولة إلى الكهولة - خ) في أدب السيرة الذاتية».
د. غازي القصيبي، سيرة شعرية. الرياض: دار الفيصل الثقافية، ط1، 1400هـ/1980م، يقول في المقدمة: «فصلُ السيرة الشعريَّة عن السيرة الذاتية أمر بالغ الصعوبة».

الإنسان والزمان



عبدالعزيز بن عبدالله السالم

عندما تتفتح رؤية الفرد على هذا الكون الفسيح يحسّ أنه رقم باهت بين ملايين البشر الذين تضمهم المجتمعات الإنسانية ويتسع لهم الوجود الرحب، وفي خضم هذا الإحساس الذي تتجسد فيه تلك الرؤية المتفتحة تنداح في ذهنه تساؤلات شتى تتطلب منه إجابات محددة تُرضي عنده نزعة الفضول، وتُلبي هاجس البحث عن المجهول.

وعلى هدي هذه الإجابات، وفي ضوئها، تتشكل أنماط عيشه، وتتكيف نظرته إلى الحياة، وتتحدد مساراته في هذه الدنيا. وبإعمال فكْرِه وامتداد نظرته وتأمل سنن الله تبارك وتعالى في الخلق وفي الأرض، يجد أنه بذاته لا يمثل في دنيا الله الواسعة شيئًا مذكورًا، وتتبدد حيرته إذا نظر إلى نفسه وإلى ما خلق الله من خلائق كثيرة، فيدرك أن وراء الخلق خالقًا عظيمًا لهذا الوجود، إلهًا مدبّرًا، فيؤمن بأنه كما عاش فوق الأرض سيعود إلى باطنها مهما طال به العمر، وأنه بعد هذه العودة سوف يُبعث حيًا في يوم لا محيد عنه ولا مفر منه: *يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وبَيْنَهُ أَمَدًا بعيدًا*. **آل عمران**: 30.

أهمية وجود الإنسان على الأرض والسعي فيها

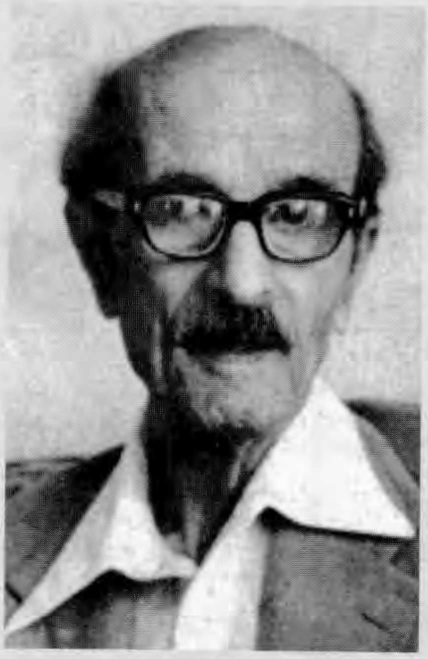
والإنسان مُهيَّأ لأن تطوف بذهنه أفكار وتصورات على مختلف النوازع والتوجّهات، وربما تذهب الأفكار وتذوب التصورات تحت إلحاح رؤية واعية تمحّص كل فكر وتجلو كل تصوُّر، وقد تتوهج لديه تلك الأفكار والتصوّرات على نحو معين أو في وضع محدد، فتبدو في صورة قيَم ومناهج وسلوكيات ومواقف أو ما سواها من الأفعال الإيجابية التي لها دور مهم في السلوك الاجتماعي بشكل خاص، وفي الحياة الإنسانية بصورة عامة؛ بما يؤكد أهمية وجود الإنسان على هذه الأرض وسعيه فيها. وتلك القيَم التي يؤمن بها، والمناهج التي يعمل بهَدْيها والرُّؤى التي يتبناها، كلها تعمل مجتمعة على توكيد مساره، وتلوين مشاعره، وتكييف أوضاعه بما يتناسب مع ما يؤمن به وما يسعى لتحقيقه.

التزاوج وسيلة لتحقيق الغاية الكبرى من وجود الإنسان

وقواعد الحياة العامة تقوم في ذاتها على ركائز ومقومات. أهم لبناتها وأمتن أسسها: الإنسان الذي يمثل البشرية منذ استهل آدم - عليه السلام - دوره في هذا الوجود حتى الآن، فقد جاء من بعده أولاده فعمروا الأرض واستخلفهم الله فيها: *هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا*. **هود**: 61. وبهذا الاستخلاف القائم على إعمار الأرض تأصلت حياة الاستقرار واتسع نطاقها وامتدت أرجاؤها. وكان التوالد أهم مقوّمات بقاء الجنس وحفظ النوع الذي جعله الله سبيلاً إلى التكاثر في هذا الكون الفسيح الأرجاء، فقد خلق الله الموت والحياة فكان لا بد من فناء أجيال وولادة أخرى تقوم مقام الأجيال الأولى، لكي تستمر هذه الدنيا كما أراد الله لها من وضع، وكما قدّر لها من مدة. وعلى أساس هذا الواقع تحددت العلاقات بين الذكر والأنثى سواء بين أجناس البشر أو بين أجناس الحيوانات لتكتمل بذلك مقومات البقاء واستمرارية الحياة، فكان

التزاوج وسيلة حتمية يتم من طريقها الإنجاب وتكاثر الأنواع لضمان انتظام العيش في الدنيا، وتحقيق الغاية من وجود الإنسان بالعبودية الخالصة لخالق الكون سبحانه، وتحمُّل أمانة الاستخلاف في الأرض: *إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ*. **الأحزاب**: 72.

ولقد كان لوجود الإنسان على هذه الأرض أهمية بالغة؛ فهو المطالَب بإعمارها، والسعي في مناكبها والانتشار في أرجائها، وتحقيق المقاصد التي من أجلها جاء إليها وعاش فيها. وقد ترد أسئلة كثيرة على الذهن الإنساني سواء كانت طارئة على الذهن أو محل تفكير دائم، وفي كلتا الحالتين قد تبدو في هذا الإطار تساؤلات تبحث عن إجابة تأتي على مثل هذا النسق: كيف جاء إلى هذا الوجود وما دوره فيه، وهل له رسالة يؤديها وغاية ينتهي إليها؟ وحينما يطرح المرء ما يشبه تلك التساؤلات على نفسه أو على مَنْ حوله، فإنه يُعبِّر عما بداخله وما يمازج أحاسيسه، فقد تتبلور في حسِّه ظلال غائمة أو أفكار عائمة، أو تبدو له فلسفات عقيمة أو توجهات غير مستقرة، فتكون مثل تلك الأسئلة السالفة. على أن فلسفة الشك مهما أوغل فيها المرء يمحوها نور اليقين عندما تشرق في القلب أشعة الصدق، وتنطلق في داخل الذات أنوار الإيمان. مع العلم أن الاختلاف بين الأفراد فطرةٌ طُبِعَ عليها البشر ونَهجٌ سار عليه الناس: *وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ*. **هود**: 118-119. ومنذ أن بدأت الأسرة الإنسانية الأولى بزوجين: (آدم وحواء) تكونت هذه الجموع البشريه التي تعمر المساحات الشاسعة من الأرض الواسعة، وقد قامت بدورها في الحياة الاجتماعية وفي مواكب الحياة المتواصلة الخُطى على امتداد الزمان، وأول دور وأهمه في هذا المجال يتركز في إنجاب الأولاد وتنشئتهم لتنطلق دورة النمو البشري في ظلال الأسرة وفي أفيائها، لأنها تملك أداة التوجيه نحوهم، كما تمتلك ضمان العيش لهم. ومع مرور الزمن بدأ الإنتاج يتكاثر والأعداد تزداد، وكُلَّما غاب فوج من الأفواج البشرية التي تعمر الأرض حل محله فوج آخر يقوم مقامه ويسدّ مكانه بحسب مقومات عصره وطبيعة بيئته.



ميخائيل نعيمة

الحركة مع الزمن سبيل التطور والنمو والتقدم

كيف نعايش الزمان في سيره الحثيث ونتعايش مع أحداثه التي نشهدها، والوقائع التي تسود الساحة الواسعة في المجتمعات البشرية التي نحيا بينها على هذه الأرض وننتهي فيها؟ فمنذ أن وُجد الإنسان في هذه الدنيا وهو يتعامل مع الزمان فكرة وأسلوبًا وطريقة حياة، فلو توقف الزمان بالإنسان عند حد معين كما توقف بأصحاب الكهف عند فترة معينة لأصبح له كيانه، لكنه جامد الحركة، ولَظَلَّ في وضع ملازم له وضمن حيِّز محدود، أشبه ما يكون بقالب قد صُبَّ فيه لا يتحول عنه ولا يتغير أو يتبدل، بل يبقى على وضع واحد ووفق حالة واحدة يلازمها طيلة توقف الزمن عنده، وهذا يعني توقف دورة الحياة فلا يتطور ولا ينمو ولا يتقدم. وقد نجد مثل هذه الحالة أو شبيهًا بها لدى الإنسان البدائي الذي لم يعرف المدنيّة ولم تمتد إليه يد الحضارة فعاش بمعزل عن الزمن الذي يمضي حثيثًا وهو متوقف عند بداياته، وعندما يبدأ مصاحبًا للزمن في مسيرته الأزلية فسوف يأخذ بأسباب التطور ويضع قدميه على بداية الطريق الذي يقوده في مجاهل الحياة، لكي يتسنى له التعامل مع الزمان من حيث الشعور بأهميته وإدراك قيمته ليستطيع التحرر من الجمود الذي كان عليه، والتكيف مع التقدم الذي يتطلبه المستقبل الذي وقف دونه فلم يبارح حاضره ولم يتجاوز نطاقه، وإنما توقف هو عند حد والزمن يسير بلا حدود؛ ذلك أن الزمان هو الوعاء الذي تنطلق منه الأحداث. كما أن المكان هو الوعاء الذي ترتبط به الوقائع، وإذا كانت الوقائع مرتبطة بالمكان فإن الأحداث مرتبطة بالزمان، فمنذ وعى الإنسان حياته وبدأ حركته واكتمل نموه بدأ انطلاقته في دنياه وهو يرى نفسه محور تطور ومركز حركة، ينبغي أن يصنع بذاته مقومات حياته

التزاوج وسيلة حتمية لضمان انتظام العيش في الدنيا، وتحقيق الغاية من وجود الإنسان بالعبودية الخالصة لخالق الكون، وتحمُّل أمانة الاستخلاف في الأرض

الإنسان والزمان

فلا يتخلف عن مسيرة زمانه وهو يشهد هذه المسيرة تملأ أرجاء الدنيا حركة وتفيض حيويةً ونشاطًا، وربما يرى غيره يحاول مسابقة الزمن وهو في واقعه غير مستطيع. وقد كان الزمان والمكان من قبل وكان الإنسان الذي يحتاج إلى الزمان والمكان ويعيش في ظلهما، حيث يحكمه الزمان ويؤويه المكان، فهو بحكم واقعه ووفق أسلوب حياته مضطر لأن يعيش مظاهر الحركة الزمانية والاستقرار المكاني، والتوفيق بين الاثنين قائم، فهناك تلازم زماني ومكاني في واقع هذه الحياة التي نعيشها، والإنسان هو الذي يمثل هذا التلازم بشخصه وبعمله، فلا وجود لفراغ بين الزمان والمكان، وإذا كان ثمة فراغ فالإنسان هو الذي يشغل هذا الفراغ.

عنصر الزمن وأهميته للتطور الحضاري

نعيش دورة حياتنا الرتيبة على نسق واحد تتشابه أيامنا ولياليها، وتتكرر صور الزمان في حركتنا: يُظلنا سكون الليل الذي يمحوه ضياء النهار، ثم تتعاقب فينا الأعوام بعد الأعوام، وتدور الفصول والأيام وخطواتنا وحركاتنا راكدة وانطلاقاتنا محدودة، وعندما نجوس خلال الديار تمرّ بنا فترات شاحبة تبدو فيها ثغرات واسعة وأحداث صاخبة، فنبدو عاجزين عن مواجهة الحدث وردم الفجوة، ونحن نعايش مجتمعات بلغت القمة في التقدم العلمي والتطور الحضاري؛ مما يشعرنا بإهمالنا لعنصر الزمن الذي يحرص على استغلاله غيرنا، ويُنتج فيه سوانا، ونحن ننظر إليه ونتعامل معه ببلادة، فلا نهتم باستغلاله ولا نأسى على زواله، والوقت في المنظور الواقعي أشبه بالظل الذي ينحسر سريعًا فلا يبقى له أثر بعد انحساره، وإذا لم يتم استثماره فإنه يُحسب على المجتمع ولا يُحسب له. لأنه ذهب سُدًى وترك خلفه فراغًا لا يملؤه سوى التحرك الجاد والعمل المثمر، ولعل من المناسب الاستشهاد في هذا المجال بما كتبه الأديب الكبير ميخائيل نعيمة، حيث قال: «إن نسبتنا إلى العالم لا تنتهي عند الزمان من حيث طوله وقصره، ولا عند الأشياء من حيث بُعدها وقربها وعلوّها وانخفاضها وثقلها وخفّتها، بل هناك نسبة تتعدى كل هذه الأمور وهي نسبتنا إلى كل ما في العالم، أو نسبة كل ما في العالم إلينا من حيث قيمته. فللزمان في حياتنا قيمة وللمكان قيمة وللأشياء بأنواعها قيمة أو ثمن، بل إنّ لكل شيء قيمتين: ماديةً

الشعور بأهمية الزمن وإدراك قيمته يُمَكِّن الإنسان من التحرر من الجمود، والتكيُّف مع التقدم الذي يتطلبه المستقبل

وروحيةً. أما القيمة المادية فنقيسها بحسب حاجاتنا الجسدية، وأما الروحية فبحسب حاجاتنا الروحية، لكن مقاييسنا (القيمية) ليست ثابتة كمقاييس الزمان والمسافة والوزن. بل هي تتكيف بالزمان والمكان وبدرجة رقيّنا المادي والروحي». يُجري الكاتب هذا التحليل لعلاقة الإنسان بالزمان وصلته بالقيم الروحية وبالحاجات المادية وفق المقاييس الزمانية أو المكانية بحسب واقع كل عصر وتطوره، واختلاف المفاهيم بين كل عهد وآخر، وتباينها بين الأمم ذاتها في كل العصور والأمكنة، ثم يتحدث عن موقفنا من الحياة الشاملة، فيشير إلى المفارقات التي تحدث في واقع الحياة ويرسم الصورة المشاهَدة لمسيرة الإنسان ومدى حاجتنا لنور يهدينا إلى حقيقة تقودنا نحو معارج الرقي وتسلك بنا طريق النجاح، ويرصد دور النجاح والفشل بين الأحياء في هذه الدنيا على هذا المنوال: «بين النجاح والفشل مثلما بين الموت والحياة وكل المتناقضات: خط من الظل المتنقل تنظر إليه في لحظة من الزمن فلا يصعب عليك أن تقول في هذا الأمر: إنه ناجح وفي ذاك: إنه فاشل، ثم ينتقل الظل وإذا بالنجاح فشل والفشل نجاح». وهذه صورة الحياة في عمومها وفي مجرياتها بين مدٍّ وجزر واندفاع وتراجع، ونجاح يعقبه فشل أو فشل يتلوه نجاح.

حذار من تجاهل قيمة الزمن.. وإلا!

وللزمان في حياة الشعوب المتقدمة أهمية كبرى؛ أما الشعوب المتخلفة فإنها لا تعوّل عليه ولا تتعامل معه بجديّة، ولذلك تظل في مكانها رهن قيود التخلف، وعندما يتجاهل الإنسان قيمة الزمان فإنما يتجاهل قدر نفسه، فالزمن هو الذي يؤهل الإنسان لإعمار الأرض حينما ينبسط أمامه ويمتد معه بامتداد الأمل في ممارسة العمل. وللزمان حسابات تنطوي على خسائر وأرباح، فمن أحسن توظيفه واستغل كل جزء منه صعد إلى مدارج النجاح، ومن استهتر به ولم يلتفت إليه هبط إلى منحدرات الفشل. وكما أن الركود يمثل جمودًا لحركة الزمان، فإن التقدم يمثل حركة فاعلة في أجواء الحياة، والإنسان المسلح بالوعي يدرك قيمة الزمان ويتفاعل معه، وعند هذا المنحنى الزمني تلتقي المدارك المتفتحة لترسم صورة تؤطّرها رؤية واعية. وإذا تأملنا بإمعان مكانة الزمان في كل مجالات الحياة المعاصرة فسوف ندرك كَم هو مهم في حاضرنا ومستقبلنا؟ ففي هذا العصر يتجسد الاهتمام بالتفاعل مع طابع الزمان والتكيف مع روح العصر التقدمي الذي يحفل بتطورات كثيرة أهمها إحساس الإنسان بقيمة الزمان.

أقوال
الماضي للحاضر

رزق مكتوب



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

عندما يريد الله - سبحانه وتعالى - لأحد رزقًا لم يحسب حسابه، يُسَهِّل أسبابه، وتأتي الأسباب من حيث لا يدري بها المتسبِّب، ولا المتسبَّب له؛ وما يأتي في هذا الباب لا يكاد يُحصى، وأنواعه متعددة، وبعضه مما يهمنا هنا، يأتي بصفة «مقلب»، يقع فيه شخص دون أن يقصد.

والمقالب متنوعة، وأصدقها نتيجة، وأنجحها غاية، تلك التي يُخطَّط لها، ويُعدّ لها إعدادًا متقنًا، وتأتي من أناس حباهم الله الذكاء، والفطنة، وتنصب جهودهم في هذا السبيل على أناس عُرفوا بالغفلة، أو انتُهزت تجاههم فرصة مواتية، اهتبلها مهتبلها، وأحسن توجيه سهمه إلى الهدف الذي خطط له، والمرمى الذي قصده.

«والمقالب» يُدخَل إليها من جانب النفس، فإن كان المرء طمَّاعًا شرهًا دُخِل إليه من هذا الباب، وإذا كان بخيلاً صِيد بسهولة من جانب البخل، وإذا كان ذا هواية شغف بها، واستولت على تفكيره جاءه المقلب من هذه الزاوية، وقد لا يرتبط ذلك بزمن، ولا يقتصر على مكان، ولكنها سانحة تُقتَنَص، أو خطة تدبر.

وبعض المقالب يرتبط بزمن، فقد يرتبط بالأعياد، أو بحفلات الأعراس، أو الختان، أو القدوم من سفر، ومن أشهر ما يرتبط بوقت «كذبة نيسان/ أبريل»، وهي عادة غربية، يعمد الناس في أول يوم من شهر «أبريل» فيكذب بعضهم على بعض، كذبة يؤمل أن تكون كذبة بيضاء، لا تحدث أضرارًا، ولا ينتج عنها أذى كثير، وتنتهي في نهاية ذلك اليوم، فإذا لم يكتشفها من ألقيت عليه، كشفها له في آخر النهار من ألقاها. ويأتي من هذه الكذبة أحيانًا ضرر بالغ، إذا أقدم عليها من لا يعرف أصولها، ومن قد يغريه فكر من الأفكار، فينساق خلفه، دون أن يحسب حسابا للعواقب، وما يترتب على عمله، أو قوله، من تبعات. وكذبة نيسان/ أبريل، على هذا، إما أن تنتهي بابتسامة، أو بدمعة.

واشتهر في التراث الإسلامي العربي أناس بأنهم حاذقون في هذه المقالب، ومنهم نعيمان بن عمرو النجاري الأنصاري (ت: بعد 41هـ)، وكان في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم -. ويقال إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - كان يبتسم لبعض ما يأتي به نعيمان في هذه السبيل، بل إنه لم يتورع أن يكون بعض ما جاء منه، موجها له - صلوات الله عليه وسلامه - مثل شرائه عسلاً، وإرساله ببائعه إلى بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - مما اضطره إلى دفع ثمنه.

واشتهر في كل عصر من العصور الإسلامية رجل، عُرف بطرافة ما يأتي منه تجاه الآخرين من مقالب، وكان بعض الحكام يباركها، بل يحرض عليها، لأنه يعدّها جزءًا من بهجة بلاط الحكم، وجلساته؛ وكان بعضهم يغسل الإحراج فيها، أو العنت، أو العناء، بمبلغ من المال مجزٍ، مما يجعل مَن وقع عليه «المقلب» يتمنى تكراره!

وفي زمننا زاد الإقبال على هذا النوع من الفكاهة، وعُرف عن بعضهم تخصصه في هذا، ومقدرته على صنع مقلب، في

أي لحظة يريد، أو يراد منه، مع توجيهه إلى من يشاء، كائنا من كان، في المقام، أو المرتبة؛ وقد سُجِّل في تاريخ مصر الحديث كثير من هذا، وعُرف أناس به، وافتنّوا فيه، وأصبح شبه وقف عليهم. ولو جُمع ما جاء في هذا المجال من أخبار عن هذا الجانب من حياة المجتمع، لكان أدبا غزيرًا؛ يكشف عن قدرة ذهنية، وملكة فائقة، تستحق أن يُدرس عنها مجاري الفكر فيها، والمؤهلات الفطرية لها، أو المكتسبة؛ وهذا جانب لا يزاحمه اليوم إلا ملكة «النكتة» في بعض المجتمعات العربية.

هذا جانب من الجوانب في هذا الأمر، وهناك جانب آخر، هو ما يوقعه الإنسان نفسه بنفسه، دون أن يدري، حتى «تقع الفاس في الراس» كما يقول المثل العامي؛ وهذا النوع كثير، يأتي نتيجة غفلة الإنسان عن جانب من جوانب الإجراء الذي اتخذه، أو القول الذي قاله؛ يقوله دون تبصر، ودون إدارة له في الذهن، لأنه يظن أنه في مأمن، ولا يأتي في ذهنه أن في قوله خللاً، حتى يتبين له مؤخرًا ذلك الخلل، حينئذ يدرك تقصيره، فيتقبل الخسارة التي سببها لنفسه، أو الموقف المحرج الذي أوقع نفسه فيه؛ إذ لا أحد غيره يلام على ما حدث؛ وفي النص الآتي من التراث ما يُري حالة من هذه الحالات:

«أراد هارون الرشيد الخروج إلى القاطول (نهر في سامراء) فقال يحيى بن خالد لرجاء بن عبدالعزيز - وكان على نفقاته -:

ما عند وكلائنا من المال؟

فقال: سبعمئة ألف درهم.

قال: فَتَسلَّمها يا رجاء.

فلما كان من الغد، غدا إليه رجاء، فقبَّل يده وعنده منصور بن زياد، فلما خرج قال يحيى بن خالد لمنصور:

قد تَوَهَّم الرجل أنَّا قد وهبنا له المال، وإنما أمرناه بتحصيله عنده، لحاجتنا إليه.

فقال منصور: أنا أعلمه ذلك.

قال: إذًا يقول لك: قل له يقبل يدي كما قبلت يده، فلا تقل له شيئًا، وقد تركت المال له».

[البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (ت: 400هـ) 21/7، تحقيق: د. وداد القاضي، ط دار صادر].

قصيدة

خفقة الجمال

شعر: عبدالسلام كامل عبدالسلام

وَحينَما تبسَّمَ الصَّباحُ في سَمَائِها الضَّحُوكْ
رأيتُ بهجةَ النَّهار خِلْسةً
وعندها عشقتُ زُرقَةَ العُيُونْ
وبَسْمةً بَعيدةً عن عالَمِ الظُّنونْ
ولم أجِدْ سِوَى خَواطري دُعَاءْ..
فما الذي تريد من شعور لاهثٍ
يحبُّ كلَّ نابِضٍ بِخَفْقَةِ الجَمَالْ
وينتشي إذا رأى لِبُرهةٍ عَوَالِمَ الرَّبيعِ في الخَيَالْ
ويستريحُ إذْ يَرَى جَمَالَكِ الحَلاَلْ..
أفِقْ.. تَعِبتَ يا مُطارِدًا قَوافِلَ الهوَى
فلِلْهوَى مَطِيَّةُ الخَبَالْ
وعَالَمٌ تحُفُّهُ شَوَاهِقُ المَحَالْ
والمِحَالْ..
ألَمْ تَجِدْ عُيُونُها بنَظْرَةٍ إلَيْكْ؟
ألَمْ تقُلْ إجابَةً بَعيدَةَ المَنَالْ؟
فكيف تَستَمِرُّ في هُزائكَ الجميل؟

قصة شمشون ودليلة

السلاح النووي الإسرائيلي بين الأسطورة والحقيقة

د. خالص جلبي

لـم تُولد فكرة السلاح النـووي الإسرائيلي في المـدراشـا(1)، بـل ولـدت في الفانيـن زي Wannensee(2). ولم تتشكل في المناقشات السرية بين صانعي القرار في إسـرائيل، في قبو مجمع المـوساد جنوب تل أبيب عام 1964م، بل في الضاحيـة الجميلة على ضفاف بحيرة برلين في مطلع العام 1942م؛ حينما خطط هايدريش الرهيب مساعد هملر رئيس الجستابو النازي للقضاء على 11 مليون من اليهود في أوربا. ولم يولد الجنين النووي الإسرائيلي في ديمونا، بل في معسكرات الاعتقال والإبادة في بولونيا.

ومن الغريب ـ وهذه آلية معروفة في علـم النفس ـ أن الضحية تتشرب نفسيـة الجاني فـتعيد فعلته وتـكرر جريمته، فـهذه مأسـاة إسرائيل (إسبرطـة) الجديـدة، التي تعـيش على ذكريات القـائد الروماني تيـتوس(3) ومحارق النازية في آوسشفيتز Ausschwitz وتيريبلنكا. فالنازيون خططـوا للحل النهـائي الجرمـاني، ومـؤسـسـو الصـهـيـونيـة خططـوا لـلحل النهـائي الإسرائيلي: خيـار شمشون. ولكن العلم الجديد يحـمل في جعبته مـفاجآت الاستراتيجية النووية في العالم فلنسمع قصته المثيرة.

البداية من رعب «الهولوكوست»!

لا يمكن فـهم أي حـدث بمعـزل عـمـا سـواه، مـعلقًـا في الفـضـاء، مفصولاً عـمـا حوله، ما لـم يدخل ضمن القانون الجـدلي الخاص به، ضمن شبكة علاقاته، فكل حدث هو نتيجـة لما سبقه، مرتبط به بشكل عضوي، وهو في الوقت نفـسـه سـبب لما سيـأتي بعـده، ينطبق هذا على علاقـات التاريخ وتفاعلات الذرة وحركـات المجرات، ولايشذ عن هذا القانون، بل يصـدق عليه أكـثر حـدث «شـمـشـون الجبار» الذي بين أيدينا؛ فـالأدمغـة اليـهودية من أمـثال إيرنست بيـرغمـان وبن غوريون وعـاموس ديزحـاليط ولدوا وعاشـوا في الهولـوكوست(4) لذا فذاكـرتهم مشبـعـة بالرعـب إلى مداه الأقـصى، وحذرهم غـير مـتناه، وشكهم في العالم وفي من حَـولهم دون حدود، بما فيها الغرب ممثلاً بفرنسا التي بنت لهم مفاعل ديمونا ونظام الصواريخ، أو الولايات المتحدة التي غـضت النظر ودعمت النشاط النووي الإسرائيلي(5)، ففي مثل هذه الأجواء النفسـية من الهلوسة العقلية والرعب الفظيع يجب أن نتوقع كل شيء. وأكثر من هذا فحتى «مشروع مانهاتن» الذي انطلقت به الولايـات المتحـدة الأمـريكيـة للتصنيـع النووي انطلق من شبح أن هتلر يُصنّع السلاح النـووي، وتبين بعد ذلك أن العلماء الألمان لم يكونوا قـد خطوا في الطريق شـيئًـا يذكـر، على الرغم من بعض الكتـابات التي تزعم ذلك(6)، وكان في «مشروع لوس آلاموس» ـ المخبر الذري الذي ضم الفـيزيائيين النوويين في ذلك الـوقت ـ طائفة من العلمـاء اليهـود الذين اندفـعـوا أيضًـا للعـمل تحت ضـغط هذا الـشعـور. يـكفي أن نعلم أن رأس المشروع الـعلمي كان يهـوديًا هو روبرت أوبنهايمر، ولا ننسى أن نـذكـر أن آينشتـاين العبقـري نفسه، وهو يـهودي وصهيـوني في الوقت نفسـه، تقدم بفكرة تطوير المشروع النووي إلى الـرئيس الأمريكي في ذلك الوقت، تحت الرعب الذي اسـتولى عليه مع العـالم اليهـودي الهـنغاري الهارب سيـلارد، وقد ندم على ذلك بعد فوات الوقت وأوقف بقية حياته للسلام، كما اعتذر من عدم قـبول أول رئاسة للدولة اليهـودية الوليدة بقوله: الرياضيـات خالدة والسياسة زائلة!!.

ـرائيلي

أصل «خيار شمشون»

لا بد قبل الدخول في البحث من شرح كلمة خيار شمشون SAMP-SON OPTION ومن أين جاءت؟ فهذا المصطلح تم طرحه في لقاءالمدراشا الذي أشرنا إليه في قبو الموساد: الاستخبارات الإسرائيلية، حيث تم استعماله في ذلك اللقاء التاريخي الحاسم، وأصل هذه الكلمة من العهد القديم «التوراة»، وخلاصتها أن شمشون كان جباراً عاتيًا، وكان يكفيه قتل ألف شخص بلحي (فك) حمار، فلما أراد الفلسطينيون الإمساك به عجزوا عن ذلك لقوته الخارقة، فأرسلوا إليه فتاة جميلة هي دليلة كي يُغرم بها ويَدُلَّها على قوته، ويفضي إليها بسره: «قوتي في خصائل شعري السبعة، فإذا حُلقتْ ذهبت قوتي». فلما نام على ركبة دليلة خرج الكمين فقص شعر شمشون ليتحول إلى قط وديع، وإمعانًا في إذلاله أعموه بأن سملوا عينيه، ثم سَخَّروه في الطحن بدلاً عن حمار الرحى، ثم عَرَّضوه لكل الإهانات الممكنة أمام الناس، وفي يوم العيد الكبير، كان شعره قد نبت وعادت إليه قوته وهم لا يعلمون، «وكان هناك جميع أقطاب الفلسطينيين، وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة ينظرون لعب شمشون، فدعا شمشون الرب وقال: يا سيدي الرب اذكرني وشددني ياالله هذه المرة فقط فأنتقم نقمة واحدة عن عيني من الفسطينيين، وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائمًا عليهما واستند إليهما الواحد بيمينه والآخر بيساره، وقال شمشون: لتمت نفسي مع الفلسطينيين، وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب وعلى كل الشعب الذي فيه، فكان الموتى الذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته»(7).

فمغزى هذه القصة إذن هي المثل الشعبي المعروف «عليَّ وعلى أعدائي»؛ أي إن مصممي السلاح النووي الإسرائيلي أدركوا من نقطة البداية، أنه سلاح سوف يُستعمل مرة واحدة فقط، هي لحظة التهديد بالفناء، فإذا واجهوا خطر الفناء فإنهم لن يعيدوا قصة «الماسادا» قصة الانتحار الجماعي مرة أخرى. هذه الفكرة كانت وما زالت محور التفكير الإسرائيلي: «لن تتكرر مأسينا مرة أخرى»، و«لن تتكرر محارق آوسشفيتز»، هذا هو «الدينمو» الفكري، والنظارة اللونية التي ترى إسرائيل بها العالم. إن الذي افتتح القصة لم يكن أرنست ديفيد برغمان ولا أهارون كاتزير ولا شالحفين فراير الأدمغة العلمية اليهودية، الذي افتتح المشروع فعلاً هم هملر وهايدريش وأوزفالد بول!(8). ففي صبيحة يوم بارد هو العشرين من يناير/كانون الثاني



الفني الإسرائيلي فانونو

عام 1942م في ألمانيا النازية وعلى ضفاف بحيرة برلين، تم لقاء على غاية الأهمية بين أقطاب الحكم النازي، هذا اللقاء السري الذي أُعدَّ بعناية فائقة وبسرية مطلقة إلى درجة إنه لم يخلف وراءه أية مخطوطات أو وثائق ورقية. كان قائد اللقاء هايدريش مساعد هملر رئيس الجستابو والحرس الخاص SS. في هذا اللقاء تم طرح فكرة ترتعد لها المفاصل، وهي تنظيف أوربا من كل يهودي(9)، وهذا يحمل ضمنًا القضاء على زهاء أحد عشر مليون يهودي موزعين على الشكل التالي: 131800 يهودي مازالوا يقيمون في أراضي الرايخ الأصلية، وخمسة ملايين في الاتحاد السوفييتي، وثلاثة ملايين في أوكرانيا، ومليونان في بولندة، وثلاثة أرباع المليون في فرنسا، وثلث المليون في بريطانيا(10). كتب ويليم شيرر عن هذا اللقاء: «وقد دعا هايدريش إلى اجتماع ضم ممثلي الوزارات المختلفة كافة والوكالات المتفرعة عن الحزب النازي والفرقة الخاصة، وعقده في وانسي ضاحية برلين الجميلة في العشرين من يناير/ كانون الثاني 1942م، وقد أدت الوقائع المدونة لهذا الاجتماع دوراً مهمًا في بعض المحاكمات الأخيرة التي أقيمت في نورمبرغ. وعلى الرغم من النكسات الراهنة التي منيت بها القوات المسلحة الألمانية في روسيا، فقد اعتقد الموظفون النازيون أن بلادهم قد كسبت الحرب، وأن ألمانيا ستتحكم عما قريب في جميع أنحاء أوربا بما فيها إنجلترا وإيرلندا، ولهذا أبلغ هايدريش هذا المؤتمر الذي ضم نحو خمسة عشر موظفًا من كبار الموظفين أن زهاء أحد عشر مليونًا من اليهود سوف يشملهم الحل النهائي للمشكلة اليهودية في أوربا»(11). هذه الأجواء هي التي فَرَّخت السلاح النووي الإسرائيلي قبل أن يولد في صحراء النقب، فأفران الغاز في آوسشفيتز هي التي قادت إلى أفران المفاعل النووي في ديمونا. ولكن جرت العادة أن العقل يتعطل عن التفكير في الرعب الشديد والحزن الشديد، وهذا ماحصل للعقل اليهودي المعاصر المحاصر بذكريات الإعدام الجماعي وغرف الموت بالغاز!

الحفر يبدأ.. والأصدقاء يغضون الطرف!

لم يمر اجتماع المدراشا من دون معارضة أخلاقية أو تقنية، وخاصة من أولئك الذين عاشوا «الهولوكوست»، فكيف سيحرقون الناس وهم قد ذاقوا العذاب قبل ذلك؟! وقد صدرت عدة أفكار معوقة لفكرة الانطلاق النووي، منها النفقات المرعبة التي سوف تمتص خيرة العقول (بلغت 15000 حائز دكتوراه) وأفضلَ الأيدي الماهرة، وزبدة الصناعات، وجبلاً من الدولارات، في سبيل سلاح لن يُستخدم! هل هناك حماقة أكبر من هذا؟! وكان من الأوراق المهمة التي قُدِّمت في هذا اللقاء ورقة تقدم بها دماغ مهم هو بنيامين بلومبرغ تفيد أن العرب لن يصلوا للسلاح النووي قبل 25 عامًا، كما ورد عائق تقني آخر برز في عدم توافر جهاز القاذفات الاستراتيجي فضلاً عن غياب نظام الصواريخ الذي سوف يحمل الرؤوس النووية. لذا انتهى الاجتماع على ثلاثة خيارات: بين متابعة البحث العلمي، وإيجاد قطع تجميع

السلاح، أو توليد القنبلة وتخزينها ليوم النبأ العظيم! وهذا الذي كان.

بدأ حفارو القبور النوويون بالعمل الصامت في إزاحة مئات الأطنان من التربة في صحراء النقب لا يراهم إلا الغربان في السماء، وحشرات النهار وأفاعي الليل البهيم، يبنون طبقًا تحت طبق حتى بلغت ثمانية. كانت التقنية الفرنسية تصب عصارة فكرها وأحدث تقنياتها، وكانت الطائرات الأمريكية المتقدمة (يو -2) تصور وترى وتتشكك في طبيعة هذه الحركة الدؤوب في غبار الصحراء وقيظ الشمس، ولكن الإدارة الأمريكية كانت بين غاض للطرف أو مشجع أو متذمّر؛ إلا أنه لم يكن هناك أمر لإيقاف هذا العمل أو التأكد منه بجدية.

انفجار الفضيحة

وفي عام 1986م روى رجل اسمه «موردخاي فانونو» كان يعمل فنيًا في المفاعل النووي الإسرائيلي خبرًا مثيرًا عن طبيعة العمل في مفاعل ديمونا، وزعم أن عنده صورًا التقطها بنفسه (57 صورة ملونة) لكل أجزاء المفاعل، عندها أدرك العالم أن الدولة العبرية قطعت أشواطًا بعيدة في إنتاج السلاح النووي، وكلف هذا فانونو أن تصطاده الموساد في لندن ويُحكم عليه بالسجن مدة 18 عامًا. وفي عام 1991م نشرت مجلة «دير شبيجل» الألمانية الصورة التفصيلية بطوابقها الثمانية لـ «الرحم النووي» في ديمونا.

بعد الهجوم الثلاثي على مصر وانسحاب إسرائيل من سيناء، قايضت فرنسا قبول إسرائيل بقبول الانسحاب مقابل بناء مفاعل يشبه مفاعل



ماركول الفرنسي الذي يعمل في جنوب وادي الرون. وبدأ المشروع يغلفه السرية والصمت المطبقان. وفي أوائل عام 1968م بدأ إنتاج البلوتونيوم بمعدل 1,2كغ، وبذا أصبحت إسرائيل قادرة على إنتاج ما لا يقل عن خمس قنابل نووية سنويًا وكانت من النوع الانشطاري في المرحلة الأولى. ومع مضاعفة الجهد لبناء المزيد من القنابل النووية امتلكت إسرائيل في مطلع 1970م ما لا يقل عن عشرين رأسًا نوويًا، وفي الثمانينيات امتلكت قرابة مئتي رأس نووي، ثم مشى التطوير في الاتجاه العام للقوة الدولية نفسها من إنتاج أنواع جديدة من الأسلحة سواء في اتجاه التكبير أو التصغير.

وكما كان المفاعل يُبنى تحت الأرض، كان هناك في نفق آخر في منطقة هربات زكريا، وبمساعدة تقنية فرنسية (شركة داسو)، يتم تطوير نظام الصواريخ «ذُهلَ يغال ألون لما رآها وصرخ: كنا نحارب البريطانيين في عام 1948 برشاش صغير، وهاهي إسرائيل تبني صواريخ نووية، إننا شعب عظيم، لقد انبعثنا أحياء بعد أن كنا أمواتًا، في جيل واحد فقط أصبحنا مقاتلين. إننا اسبرطة عصرنا»(12). هل كان ما قاله يغال ألون صحيحًا؟ في الواقع لقد تحول داود إلى جوليات المدرع بعد مرور ثلاثة آلاف سنة!!

رحلة الصعود النووي

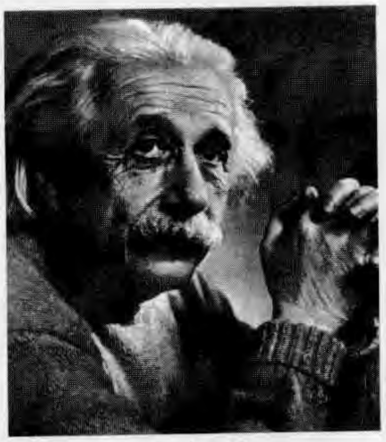
وفي الوقت الذي كانت الرؤوس النووية تنضج في إسرائيل لتُحْمَل من النقب إلى حيفا، حيث تُركَّب تهيأة ليوم الفصل، يوم شمشون الجَبار، كان العالم يمضي في طريق القوة بكل عنف، وإذا أردنا أن نأخذ صورة شاملة للخطط (بانوراما للاستراتيجية) النووية الجديدة، فإنها تبدأ مع قنبلة هيروشيما، حيث تم إلقاء قنبلة انشطارية من قوة 15 كيلو طن؛ أي 15 ألف طن من مادة ت. ن. ت الشديدة الانفجار. ويمكن تقسيم رحلة الصعود النووي إلى المراحل التالية:

1- كانت البداية مع السلاح الانشطاري بشكليه: اليورانيوم والبلوتونيوم، ويتم استخلاص اليورانيوم 235 من خام اليورانيوم 238 إلا أن البلوتونيوم 239 هو تركيبي، وتم الوصول إليه من خلال المفاعل النووي الذي نجح في إنشائه للمرة الأولى الإيطالي أنريكو فيرمي، والقنبلة التي أُلقيت على هيروشيما كانت قنبلة يورانيوم 235 - سُميت الولد الصغير وحجمها بقدر اسطوانة الغاز الكبيرة - ومن دون تجريب، في حين أن قنبلة ناغازاكي كانت قنبلة البلوتونيوم 239 وأخذت اسم الرجل السمين بسبب انتفاخها، وبلغ وزنها 2 طن واختلفت تقنيتها تمامًا عن قنبلة الولد الصغير، وهي التي جُرِّبت في صحراء نيو مكسيكو في منطقة ألاموجوردو وأُعطيت لقب «ترينتي» أي الثالوث المقدس!! وكانت القدرة التدميرية لا تزيد على عشرين ألف طن من مادة الـ ت. ن. ت. لكلا القنبلتين، ومع تركيب المفاعل النووي أصبح هذا التنور يخرج من «الأرغفة النووية» ما يشاء!! فلا غرابة أن أصبح مخزون الدولتين العُظميين ما يزيد على خمسين ألف رأس نووي تكفي لتدمير الكوكب الأرضي عدة مرات!!

2- مشى التسارع بعد ذلك في اتجاه زيادة القدرة التفجيرية بعد أن وصل الاتحاد السوفييتي إلى تفجير قنبلته الانشطارية الأولى عام 1949م وأعطاها لقب «جو 1» نسبة إلى جوزيف ستالين، فجُنَّ جنون البنتاغون واستدعوا إدوارد تيللر للمضي في مشروع جهنمي كبير لا تعدُّ القنبلة الانشطارية أمامه شيئًا مذكورًا، في الحين الذي تم استدعاء الرأس العلمي

السلاح النووي الإسرائيلي

بين الأسطورة والحقيقة



ألبرت أينشتاين

روبرت أوبنهايمر للتحقيق تحت شبهة تهريب المعلومات النووية للسوفييت وتهمة الجاسوسية.

وفي آذار/ مارس 1954م تم تفجير قنبلة بقوة 18 ميجاطن (أقوى من قنبلة هيروشيما بألف مرة!!)؛ فقنبلة هيروشيما متواضعة جداً إذ إنها من عيار 18 كيلو طن أي 18 ألف طن، أما هذه فهي من عيار «مليون طن» من المادة المتفجرة. كان بإمكان هذه القنبلة الجديدة مسح عاصمة عالمية من خريطة الوجود، مثل دلهي أو طوكيو إلى درجة إصابة الناس بأشد أنواع الحروق (درجة ثالثة) حتى بعد 45 كم من مركز الانفجار! وتُوِّج تصعيد التفجير في عام 1958م بتفجير قنبلة سوفييتية من عيار 58 ميجا طن أي أقوى من قنبلة هيروشيما بـ (3800) مرة!! وفكر البنتاغون بمشروع أشد هولاً - تفجير قنبلة عيار 100 ميجا طن -، ولكنّ الطرفين شعرا أنهما يمضيان في طريق الجنون المطبق!!

3- في المرحلة الثالثة تم الوصول لما عَدُّوه قنبلة نظيفة وما هي بنظيفة - القنبلة الشعاعية النيوترونية -، حيث يمكن الفتك بالوحدات العسكرية - البشر - دون المعدات والأبنية والمنازل، لأنها أثمن من الإنسان.

4- في المرحلة الرابعة بدؤوا في اتجاه تصغير القنبلة فبدلاً من الكيلو طن؛ ليكن عُشر الكيلو، وهكذا تم إنتاج قنابل من عيار 30- 100 طن من المادة المتفجرة، وبذلك بدأ السلاح الناري العادي والنووي في الاقتراب الواحد من الآخر، أي بروز السلاح النووي التكتيكي، ويمكن لهذه «التفاحات» الصغيرة أن تُقذف بمدافع الميدان المخصصة لها، وظن الاستراتيجيون أنهم اكتشفوا البديل، ولكن باتصال العالم النووي بالعالم العادي، بدا العالم العادي التقليدي مهدداً بالزعزعة، فأي نزاع يتطور عبر الأسلحة التقليدية يمكن أن يتزحلق إلى استخدام بدايات السلاح النووي التكتيكي ليصل في النهاية إلى السلاح النووي الاستراتيجي تحت مبدأ التصاعد الآلي الذي أشار إليه المنظر والخبير الاستراتيجي النووي الجنرال بيير غالوا(13).

5- كانت الحاجة ماسة إلى (نظام نقل) للرأس النووي. لذا قام الروس، الذين استفادوا من خبرات نظام الصواريخ الألماني في ألمانيا الشرقية التي وقعت تحت سيطرتهم، والتي كان هتلر قد وضع فيها مركز أبحاثه بعيداً من قاذفات الحلفاء، قاموا بتطوير نظام القاذفات الاستراتيجية، وأهم منها النظام الصاروخي، ومع إرسال «سبوتنيك 1ã» عام 1957م الذي يحمل القمر الصناعي الروسي أصبح بالإمكان حمل رأس نووي بدلاً من قمر صناعي!! وحمي الوطيس في تطوير الصواريخ العابرة للقارات، وفي النهاية أمكن وضع جهاز هجومي يمكن أن يصل إلى أي مكان في الكرة الأرضية خلال دقائق!! فالغواصات النووية السوفييتية الرابضة في قيعان المحيط الهادي والأطلنطي كان يمكن أن تصل إلى أي هدف في الولايات المتحدة الأمريكية في مدة أقصاها 4- 6 دقائق.

6- كان التكتيك الأول هو الهجوم فتحول إلى الدفاع، ثم بطل كلاهما، وشرح ذلك كما يلي: ففي الهجوم يمكن تحقيق الضربة الاستباقية وإبادة الخصم، ولكن تبين أنه مع السلاح النووي يمكن للخصم المضروب أن ينتقم وهو يغرغر في سكرات الموت النووي بما تبقى عنده من صواريخ ليأخذ معه إلى الدمار النووي خصمه المهاجم، كذلك بدأ الخوف من احتمال الخطأ، كما لو شعر أحد الطرفين، وبخطأ من خلل راداري، أن هناك هجوماً عليه، مما يجعله يحرك صواريخه التي لن يستطيع سحبها كما في القاذفات الاستراتيجية التي يمكن أن ترجع إلى قواعدها، فالصواريخ حققت السرعة الخيالية ولكنها إذا ضربت فلن تُسحب، فبرزت فكرة الانتظار النووي للتأكد من الهجوم الصاروخي النووي، حتى يتم الرد عليه كي يذهب الاثنان إلى الفناء النووي!! ولكن بأربعة شروط:

1- **الصواريخ المضادة المحمية.**

2- **التمكن من اختراقات العدو المهاجم.**

3- **الكمية الكافية.**

4- **العمل الآلي.**

ومن أجل تأمين حماية الصواريخ تم تطوير ثلاثة أنظمة: الأول: «السيلو» أي الفتحة المختبئة في الأرض فلا تُرى، وليس هذا فقط، بل خرسانة مسلحة لسبعين متراً أو أكثر تحيط بالصاروخ النووي، بحيث لا تؤثر فيه حتى الزلازل، لذا وجب على الصاروخ المهاجم أن يضرب فوهة (البئر) النووي المختبئ في الأرض وبقنبلة هيدرجينية، حتى يمكن تعطيل أسلحة الهجوم عند الخصم، ومن هنا ندرك عمق كلام شينتارو إيشيهارا الياباني الذي كشف النقاب في كتابه «اليابان الذي يستطيع قول لا لأمريكا» حين أشار إلى علاقة دقة تصويب الصواريخ بالحاسبات (الكمبيوترات) التي تصنع في اليابان. الثاني: المنصات المتحركة، والثالث: المحمول في الغواصات النووية.

ومن خلال هذا العرض السريع الذي كتب فيه الاختصاصيون كتباً وأفنوا أعمارهم يمكن عرض حزمة الأفكار التالية:

1- الفكرة الأولى تقول: إن علينا استيعاب العصر الذي نعيش فيه، ومن

حفارو القبور النوويون يزيحون مئات الأطنان من الأتربة.. والتقنية الفرنسية تصب عصارة فكرها.. والأصدقاء يغضون الطرف.. والمحصلة: مفاعل ديمونا وقرابة مئتي رأس نووي!

السلاح النووي الإسرائيلي

بين الأسطورة والحقيقة

ثم فهم الاستراتيجية النووية، ورحلة القوة النووية. وإن العصر «الحراري النووي» هو عصر جديد مختلف كلية ولم يعد عصر الكهف والهراوة، ولا عصر المدفع والبارجة، والذي تفطن لهذا هم العلماء لا السياسيون، لأن كثيرًا من السياسيين لا يرون أبعد من أرنبة أنفهم، وهو ما انتبه إليه غورباتشوف في كتابه «البيروسترويكا» فطرح فكرة «الانتحار النووي»؛ فلم يعد الأمر بحاجة إلى أن أُهاجم أو أُهاجَم. يكفي أن أفجر أسلحتي النووية فوق رأسي كي يتلوث سطح الكرة الأرضية وأن تُدمَّر الحياة، وإن في قصة شيرنوبيل لعظة. وهكذا أبطلت القوةُ القوةَ وبدأ الإنسان يضع قدمه في أول طريق السلام التاريخي، وهكذا رأت أعين الجنس البشري، وللمرة الأولى، توقف الحرب بين الذين يملكون المعرفة سواء امتلكوا السلاح أو فقدوه، وأصبح الذين يملكون المعرفة يتحكمون في مصير الحروب، وأصبحت الحروب أساليب العاجزين: عجزًا عن السيطرة عليها والتمكن من خاتمتها.

2ـ الفكرة الثانية تقول: أصبح السلاح النووي مثل الصنم الذي لا يضر ولا ينفع، فالناس يعظمونه ويهابونه، وهو سلاح ليس للاستخدام، ثبت هذا في أحلك الظروف وأكثرها احتياجًا، مثل حرب كوريا وفيتنام، وما حدث مع بني إسرائيل في هذا الصنم هو ما حدث مع السامري الذي أخرج لهم عجلاً جسدًا له خوار فقال هذا إلهكم وإله موسى!!

3ـ الفكرة الثالثة تقول: إن المضي في رحلة التسلح ستنتهي بالإفلاس والارتهان للآخرين، كما حدث مع الاتحاد السوفييتي الذي يفكك سلاحه الذري، ويبيع البلوتونيوم، ويصدر علماء الذرة، وأن الذي طلَّق القوة هو الذي يبني المستقبل ويكتسح الأسواق كما في نموذج اليابان.

4ـ وتقول الفكرة الرابعة: إن الصراع العربي الإسرائيلي كان وما زال «معركة حضارية»، فالإنتاج النووي يحتاج إلى قاعدة تقنية (تكنولوجية) علمية متقدمة، وهزيمة الجيوش العربية المتكررة أمام إسرائيل هي هزيمة الشرق أمام الغرب المتفوق تقنيًا (تكنولوجيا)، لأن إنجاز إسرائيل وعقول إسرائيل هي غربية كانت ومازالت، وليست إسرائيل أكثر من امتداد (جيب) غربي للمنطقة.

5ـ وتقول الفكرة الخامسة: إن مشكلة العالم العربي ليست إسرائيل بالدرجة الأولى فهي ليست أكثر من «ميزان حرارة» لكشف حرارة الجسم العربي المعتل، وما يخيف أكثر من الخُرَّاج الإسرائيلي وسلاح شمشون هو النزاع العربي/ العربي، وفي اللحظة التي يشعر فيها الغرب أن العالم العربي نهض كما نهض أبناء الصين فسوف يتخلى عن «فورموزا» الشرق الوسط.

> **مع السلاح النووي يمكن للخصم المضروب أن ينتقم، وهو يغرغر في سكرات الموت النووي، بما تبقى عنده من صواريخ ليدمر خصمه المهاجم معه**

6ـ وتقول الفكرة السادسة: إذا كانت هذه الأسلحة هي الأصنام الجديدة فلماذا تنتج؟ هل يجهلون أنها لا تضر ولا تنفع؟ أغلب الظن أنهم يعرفون كل أبعاد اللعبة، ولكن الذي لا يعرف ينقلب إلى الأشياء المُسَخَّرة، والذي يعرف قانون تسخير الأشياء هو الذي يتسخر له الكون أشياؤه وأناسيه. يقول الدكتور فؤاد زكريا: «ويظل بعد ذلك سؤال محير: هل هم يجهلون هذا؟ أغلب الظن أنهم لا يجهلون، وأنهم على وعي بأن الحرب التي يهيئون أنفسهم لها مستحيلة عقليًا، ما دامت تؤدي إلى عكس المقصود منها، بل إنهم على وعي بالمأزق الفكري لعملية التسلح النووي في عالمنا المعاصر، ذلك المأزق الذي يتمثل في أن هذا التسلح إذا حقق أهدافه بنشوب الحرب، فسوف تقضي هذه الحرب على النظام الذي هيأ لها الظروف الملائمة، أما إذا لم يحقق أهدافه ولم تقم الحرب فسوف يكون معنى ذلك أن صناع الأسلحة وتجارها قد أرغموا العالم كله على ارتكاب أكبر عمل جنوني في تاريخه، وهو أن يستنزف أثمن موارده البشرية والمادية في إنتاج «لُعب» مميتة لن يستخدمها أحد. وأغلب الظن أن هذا بعينه هو المقصود: فأسلحة الدمار الشامل تُنتج من أجل الإنتاج، لا من أجل الاستخدام، لأن الإنتاج عملية مربحة إلى أقصى حد، أما الاستخدام فسيكون الجميع خاسرين، ومن هنا كان واجبنا نحن شعوب العالم الثالث أن نحدد موقفنا من هذه المسألة مادمنا نعيش في عالم ينفق على إنتاج تلك اللعب المميتة، لأننا أكبر الخاسرين بسبب هذا الجنون اللامنطقي الذي يرغمنا صناع الأسلحة وتجارها على أن نقبله وكأنه حقيقة أساسية من حقائق الكون(14).

الهوامش والمراجع:

1ـ المدراشا: مجمع الموساد «الاستخبارات الإسرائيلية» جنوب تل أبيب.

2ـ الفانن زي WANNENSE: بحيرة برلين، وهو المكان الذي اجتمع فيه أقطاب النازية في مطلع العام 1942م في أثناء الحرب العالمية الثانية لاستئصال اليهود من العالم.

3ـ القائد الروماني الذي دمر الهيكل عام 72م.

4ـ الهولوكوست: أصبح تعبيرًا معروفًا عن محرقة اليهود في التاريخ وبخاصة معسكرات الإبادة النازية.

5ـ في إحدى مقابلات كيسنجر مع القادة الإسرائيليين قال لهم: إن أمريكا غير عازمة على خوض حرب عالمية ثالثة، وإنها ثانيًا لن تخاطر بشن حرب عالمية ثالثة من أجل إسرائيل، وثالثًا يعرف الاتحاد السوفييتي ذلك. راجع سيمور هيرش: خيار شمشون، مكتبة بيسان ص140.

6ـ يراجع في هذا كتاب «سجناء العالم الذري» الذي يزعم مؤلفه، وهو يحمل اسم أوبنهايمر نفسه الرأس العلمي للمشروع النووي في لوس آلاموس باستثناء أن الاسم الأول لصاحبنا المزعوم «إيرفين» والحقيقي في مشروع مانهاتن هو «روبرت» من أن الألمان أنتجوا ثلاث قنابل نووية وهي التي ألقيت على اليابان!! ولم يثبت هذا تاريخيًا.

7ـ سفر القضاة، العهد القديم، ص 408-409 وقصة الماسادا انتحر فيها 900 من اليهود المحاصرين دفعة واحدة في أثناء هدم الهيكل على يد القائد الروماني تيتوس عام 72م.

8ـ هملر رئيس الجستابو (الاستخبارات النازية) وهايدريش مساعده الأيمن وأوزفالد بول الحاكم النازي البولندي وأحد الرؤوس الإجرامية في الحرب العالمية الثانية، كانت نتيجة الثلاثة بالانتحار للأول والاغتيال للثاني والشنق للثالث. راجع تاريخ ألمانيا الهتلرية، وليم شيرر، الجزء الرابع ص52، وأما العلماء الثلاثة اليهود المذكورون فهم الرؤوس العلمية التي تسلمت رئاسة المشروع النووي.

9ـ استخدمت الكلمة الألمانية: تنظيف SAUEBERUNG بالضبط، وهناك من فلول النازيين اليوم من نسمع خبر إحراقهم للأجانب كما في حادثة إحراق العائلة التركية أخيرًا في ألمانيا!!

10ـ تاريخ ألمانيا الهتلرية جزء 4 ص63.

11ـ شركة «سان غوبان» الفرنسية هي التي بنت المفاعل النووي الإسرائيلي بقوة 24 ميجاواط، وكان يعمل بقوة أربعة إلى خمسة أضعاف طاقته أي حتى 120 ميجاواط. أما شركة «داسو» فقد بنت لهم نظام الصواريخ. راجع سيمور هيرش: خيار شمشون.

12ـ سيمور هيرش ص138.

13ـ استراتيجية العصر النووي، الجنرال بيير غالوا، ترجمة اللواء الركن محمد سميح السيد، دار طلاس، ص10.

14ـ عن كتاب «خطاب إلى العقل العربي»، فؤاد زكريا، كتاب العربي، ص164.

جبرا إبراهيم جبرا ناقدًا



د. ماجدة محمد حمود

كان جبرا إبراهيم جبرا أحد النقاد الفلسطينيين الذين عايشتهم أكثر من ثلاث سنوات، في أثناء تحضيري رسالة الدكتوراه، وكان أحد النقاد الذين حرصت على صحبتهم بعد إنجازي للرسالة، إذ نشأت بيني وبينه قرابة ثقافية، لعلها أقوى من قرابة الدم.

ومع أن جبرا ألّف سبعة كتب نقدية: «الحرية والطوفان»، «الرحلة الثامنة»، «النار والجوهر»، «ينابيع الرؤيا»، «الفن والحلم والفعل»، «تأملات في بنيان مرمري»، «معايشة النمرة»؛ إلا أنه اشتهر في الساحة الثقافية العربية بنشاطه الإبداعي، وخاصة في مجال الرواية، ولم يُعرف ناقدًا إلا في أضيق الحدود.

لو تأملنا بداياته الأدبية والنقدية، في الأربعينيات، للاحظنا التأثر القوي بالثقافة الإنجليزية، إلى درجة أنه كتب الأدب والنقد بالإنجليزية، وإذا اتفق له أن كتب بالعربية فموضوعه الأساسي هو الأدب الإنجليزي والفنون الغربية.

لكن جرح النكبة الفلسطينية عام 1948م ترك أثرًا عميقًا في نفسه، إذ فتحت النكبة عينيه على واقع أمته المتخلف، وبدأ يبحث عن أسباب هزيمتها، فحمّل المثقف مسؤولية التغيير، وبدأ بنفسه، فعاد إلى التعبير بلغته العربية من أجل أن ينقل قلقه وطموحه ورغبته في التغيير إلى أبناء أمته، لذلك ليس غريبًا أن تتعدد وسائل التعبير لديه (شعر، قصة، رواية، رسم، نقد...)؛ لعله يحقق بعض التوازن النفسي، ويجد حلاً لإشكالات الواقع المهزوم والمتخلف.

وبفضل اجتماع الممارسة الإبداعية لديه إلى جانب الممارسة النقدية فقد تَعرَّفنا تلك العلاقة الدقيقة بين الإبداع والنقد، صحيح أن الأديب يتأثر بالنقد، لكن المبدع الحقيقي أو العبقري يتجاوز القوانين المعروفة ويوجد قوانين جديدة، وكذلك الناقد الحقيقي يستطيع أن يطور نفسه باستمرار فلا يقيدها بقوالب جامدة، وإنما يحاول أن يستنبط من الإبداع ومن تطور الأفكار والعلوم قوانين جديدة تفيد الكتّاب والنقّاد معًا.

الذاتية قبل النزعة العلمية

لهذا لم يكن غريبًا أن يؤسس مفهومه النقدي على الموهبة، مضافًا إليها الموقف (من الإنسان وقضاياه) والمعرفة، أما الممارسة النقدية فقد كانت لديه عملية استغوار في أعماق النص، وبحث عن الدرّ الذي يكمن في أعماقه، فإذا لم يجده، رفض تناول النص الأدبي ونقده. إنه يرفض طغيان النزعة العلمية على النقد، ويرى أنه لابد من الذاتية إلى جانبها، نظرًا لخصوصية النص الأدبي الذي يحتوي عناصر عقلانية وغير عقلانية (مشاعر، خيال...).

ولكون جبرا رائدًا من رواد الحداثة إبداعًا ونقدًا في أدبنا الحديث، وجدناه معنيًا بدقة اللغة النقدية ووضوح المصطلحات النقدية في أذهان القُرّاء والأدباء والنقاد، فهذه المصطلحات تعدّ وسيلة مهمة لتقديم المضمون والشكل عبر مفاهيم جديدة ودقيقة، أي بلغة مكثفة أشبه ببطاقة الهوية. المشكلة أننا نستورد مصطلحات غربية قد لا نعي مفاهيمها ووقائعها فنطلقها على نقيض ما وُضعت له في الأدب الغربي، وبما أننا أمة متخلفة ومقلّدة؛ فلا شك أننا نعيش في أزمة على صعيد الفكر مما ينعكس سلبًا على اللغة والمصطلح النقدي.

إن ما يشغل جبرا هو أن نملك لغة نقدية أصيلة وفاعلة، وهذا مرتبط بوضعنا الحضاري، فحين نتطور نستطيع أن نجد لغتنا النقدية الخاصة بنا المعبِّرة عن واقعنا وعن ماضينا معًا، عندئذ تؤثر في إبداعنا فتطوره وتكشف كنوزه.

المعاناة من أجل الإبداع

لعل أهم إنجاز نقدي لجبرا هو تجسيده عملية الإبداع بلغة النقد. فلكونه مارس الإبداع استطاع أن يعبّر عن أزمة الإبداع، إذ غاص في أعماقه مستوضحًا ما يعتلج في ذاتية الفنان قبل ولادة العمل الفني وفي أثناء المخاض الإبداعي لينقل ذلك كله إلى القارئ، فمثلاً يقول: «في دخيلة كل فنان خلاّق صراخٌ صامت، إنها مأساة الفنان (ولعلها سرّ قوته) هذه الأصوات الهوجاء التي تعصف في صدره وفي شرايينه، لا يستطيع أن يسمعها الآذان إلا بعشر معشارها»(1).

إنه يعرّفنا بطبيعة الإبداع وماهيته وكيفيته، فيبين لنا أن الفنان يعاني توترًا وقلقًا وشدة، فيكون حينئذ في حالة من الوعي الحاد بموقفه الوسط المشدود بين الجمهور من ناحية ومتطلبات ذهنه من ناحية أخرى، والفنان الذي لا يحس التوتر وهذه الشدة لن ينتج على الأرجح ما يستحق التأمل والبقاء. النتاج الفني هو تفريغ الشحنة الهائلة التي يوجدها السالب والموجب عند التقائهما، إنه انفراج الأزمة إلى حين، فالفنان يجب أن يبقى في قلب المعاناة عند ملتقى الأطراف المتناقضة ليبقى خلاقًا(2).

ولكن كيف يستمر إبداع الفنان بعد أن يفرغ شحنات توتره؟ يوضح لنا جبرا أنه لا يمكن لمن لم يرم نفسه في غمرة الحياة ويعش تجاربها أن يأتي شعرًا أو فنًا «فالتجربة في أبسط أشكالها، فاعلة أو منفعلة، هي وجودنا وجودًا واعيًا عاطفيًا وحسيًا وذهنيًا، في ظرف ما قد يُؤثّر المرء فيه أو قد يتلقاه راضيًا أو راغمًا دون التمكن منه، التجربة هي مرور المرء في طوايا الحالة الإنسانية الجائشة، التي تلهب فيه اللذة أو الألم أو الغضب، إنها تَعاطي الإنسان حياته تعاطيًا عميقًا، حادًا، بعضنا يعرف ذلك كل

يوم، وبعضنا الآخر لا يعرفه إلا نادراً، لكننا جميعًا نعرفه في وقت ما، والفنان يعرفه أكثر منا جميعًا»(3)، لأنه أكثر حساسية من الإنسان العادي، لذلك نجد انعكاس تجارب الحياة على وجدانه أكثر قوة وتوترًا، من هنا تأتي ضرورة التجربة الحياتية، لأنها تزود الفنان بشحنات إبداعية متجددة، بعد أن تدفعه المعاناة إلى خضم الحياة فيعيشها بأفراحها وبأحزانها على نحو عميق، فتغني فكره وشعوره.

وفي موضع آخر يوضح لنا جبرا أن معنى التجربة الحياتية يتجاوز ذات الفنان ليشمل قضايا عصره، لذلك نجده يدعو الفنان للتورط فيها، «فهو لن يبقى له أثر إذا لم يكن أدبه نتيجة هذا التورط الخلاق الذي يصور فيه، لا ضميره فحسب، بل ضمير أمته كلها».

كما نجده يدعو إلى ضرورة تلازم التجربة مع الثقافة، ومثل هذا التلازم لن يؤتي أُكله إلا إذا أتيح للفنان مرحلة تأمل وهدوء ينظم فيها أفكاره ويتعمق مشاعره لتجد طريقها إلى الخارج، وبذلك يستقصي تجربته الداخلية على نحو خاص، فلا يكرر تجارب غيره، ويستطيع التعبير عنها بأسلوبه الخاص.

الهوة بين المبدع والقارئ

وقد حدثنا عن أزمة المبدع حين يحاول إرضاء قارئه المثقف وإرضاء ذاته، في الوقت نفسه، فينشأ عن هذه المحاولة توتر يستطيع الفنان الأصيل تجاوزه من طريق إبداع الجديد الذي يستند إلى الخيال والعمق الوجداني والفكري.

إن ما يزعجه هو أن القارئ العادي مازال متخلفاً لا يطور نفسه بتنمية ثقافية، في حين نجد الفنان في تطور مستمر، من هنا تنشأ الهوة بين المبدع وقارئه، ولهذا يسعى إلى النخبة من القُرّاء.

من المعروف أن لجبرا ثلاثة دواوين شعرية: «تموز في المدينة» 1959م، و«المدار المغلق» 1964م، و«لوعة الشمس» 1979م، لذلك ظفرنا بوصف دقيق وحيوي لعملية الإبداع الشعري، فهي تجربة «فذة» تتخطى، في رأيه، المواصفات الكونية والكيفية والموضوعية والذاتية «فهي عميقة عمق الوجود، وطرية طراوة هذا الصباح، وهي تجربة لا يكف الشاعر عن اقتناصها بالكلمة، إنها المحاولة الدائبة أبدًا لفرض الذات على الموضوع من خلال الكلمة. وكل قصيدة هي محاولة غير منتهية ومحاولة لن يرضى عنها الشاعر، محاولة لا محيد له عن الاستمرار بها، حتى يكون الديوان كله، بل الدواوين كلها»(4).

إذًا حين يكتب الشاعر قصيدة يعيش تجربة فريدة تمتد إلى عمق الحياة، فتلمس كل خالد فيها من حب وفرح وموت وحزن وألم، وهي تجربة ممتعة للشاعر، لكنها لم تستوعب كل أحاسيسه وأفكاره وتوتراته، لأن الاستيعاب الكامل، في رأيه، يعني نهاية للشاعرية، إذ ينضب معين الفن لدى الشاعر.

فن يستجيب للقلق والحيرة

ولو توقفنا عند فن الرواية لاحظنا أنه أنسب الفنون إلى نفسه، فقد استمر في إبداعه قرابة ثلاثين عامًا، فقدم لنا سبع روايات: «صراخ في ليل طويل»، «صيادون في شارع ضيق»، «السفينة»، «البحث عن وليد مسعود»، «عالم بلا خرائط» بالاشتراك مع عبدالرحمن منيف، «الغرف الأخرى»، «يوميات سراب عفان»، بالإضافة إلى مجموعة قصصية بعنوان «عرق وقصص أخرى»، وقد تَفرّغ للرواية في المرحلة الأخيرة من حياته.

لذلك كان من الطبيعي أن نجد لديه اهتمامًا كبيرًا في تصوير عملية الإبداع الروائي؛ ربما لأنه يريد أن يؤسس لفن جديد في أدبنا العربي، فعرّف الرواية وبيّن أنها فن مركب يشكل تحديًا لطاقات المبدع، كما أنها أكثر الفنون استجابة للقلق والحيرة والغضب، أي لحالات الظمأ الظالم الذي يتجدد بسرعة، ولابد له من ريّ هو الرواية، التي هي نشوة متواصلة، بل يعدّها الكهف الذي يدخله ليحقق رؤياه التي يحسّ من خلالها بأنه مع الناس كلهم ومع نفسه في الوقت ذاته، أي أن يكون إنسانًا مفردًا وجمعًا فيكون زمانه والأزمنة كلّها، لهذا يرى أنه لا حدود لطاقاتها كما لا حدود للآفاق التي يستطيع الروائي اكتشافها، إذ كل تجربة روائية هي انطلاق آخر نحو أفق يخيل للمرء أنه نهاية التقاء السماء بالأرض، وكل رواية تؤكد أن هذا الالتقاء لم يتم بعد، وأن هناك أفقًا آخر يجب السعي نحوه(5)، لأن النفس البشرية تحوي كثيرًا من المناطق المظلمة بما فيها من رغبات وأحلام وعذاب وفرح، لهذا تُعدّ الكتابة الروائية محاولة لتكثيف التجربة بأبعادها الحقيقية والحلمية معًا.

ومن طريق الكتابة الروائية يمكن للكاتب أن يقدم كل لحظة من لحظاته على مستويات كثيرة في وقت واحد، فالواقع اليومي لديه هو وقائع، والحقيقة الآنية هي حقائق، والإحساس الآني هو أحاسيس لا يضبطها الزمن، وبذلك يعني البعد الروائي ارتباطًا بين ما هو واقع يومي وما هو حياتي وتاريخي، ومن طريق هذا البعد ربما أوحى الكاتب بوجود سبل في الحياة تؤدي إلى تجديدها وإلى إدراكها على غير ما يتوقع المجتمع، لأنه يخرج عن المألوف، لهذا كثيرًا ما يعدّ الروائي، في نظر جبرا، مفسدًا ومقلقًا لأنه لا يمالئ أحدًا، بل يحرّض ويقلق ويثير الخيال ويرصد الجوانب المضيئة ويفضح الجوانب السيئة، فتتجدد الحياة على يديه.

إنصاف التراث الشعبي

لعل الإنجاز النقدي الأهم لجبرا، في مجال الرواية، هو محاولة تأصيلها وربطها بالتراث السردي العربي، لذلك نجده يتوقف عند أثر «ألف ليلة وليلة» في الرواية الإنجليزية والفرنسية، ليبين لنا أننا نملك في تراثنا جذوراً لفن الرواية، وهذا مدعاة للثقة بالنفس وحافز كبير للإبداع، إذ أسهم تراثنا في تطوير الرواية الغربية، فكانت «ألف ليلة» مثالاً يطمح إليه الروائي الغربي ويحتذيه، فقد وجد فيها تجسيدًا لعالم المُثُل، ولمقاومة الإنسان شتى الظروف، في حين استصغرها العرب طوال عصر الانحطاط لكونها عامية الصيغ، إذ لم يلتفتوا إلى روعة التركيب والفكر والصور المبثوثة في «ألف ليلة وليلة» بالإضافة إلى الجوانب النفسية والاجتماعية، مع أن هذه الجوانب هي التي تهم الرواية اليوم. كذلك نجده يبرز روعة بنائها، فهي تبدو حكايات سرد لكنها في نطاقها الأوسع حكايات بناء، إذ تبدأ بقصة شهريار وشهرزاد، لتصبح هذه القصة إطارًا لقصص متداخلة بعضها ببعض. وفي النهاية عبر ألف ليلة وليلة نجد أن هذه القصص في واقعها تركيب واحد متراص كبير.

كذلك بيّن لنا أن هذه الحكايات تحتوي على «سريالية» مدهشة لعل منشأها تداعي الأفكار تداعيًا حرًا، «حكايات السندباد البحري»، وبذلك يحاول جبرا أن ينصف تراثنا الشعبي. إنه من خلال تجربته الإبداعية يبين للقُرّاء عامة وللكتّاب خاصة، كيف

الرواية عند جبرا فن مركب يشكل تحديًا لطاقات المبدع، وهي أكثر الفنون استجابة للقلق والحيرة والغضب

تَعلَّم أسس الكتابة من تراثه، في فن جديد عليه هو فن الرواية، كما تعلمها من الرواية الغربية، إذ علمته «ألف ليلة» كيف يستدرج القارئ ليكون عنصراً مشاركًا في التجربة الروائية، وهو عندئذ يؤكد أن إبداع الكاتب لن يكون بمتحه من معين واحد هو الغرب، فلابد من معين آخر هو التراث «ألف ليلة، المقامات، السيرة، التاريخ».

في الحقيقة ما يهم جبرا هو أن نميّز الصالح من الطالح في التراث، وهو لا يكتفي بتسليط الضوء على الصالح منه فقط، وإنما يستخدم الوسائل كافة لتثبيته في الأذهان، فيبيّن ما يحتويه من عوامل معاصرة، وكيف نال إعجاب الغربيين، وهم مبدعو فن القصة العارفون بأصوله، ووضح لنا أن هؤلاء الغربيين قد استفادوا من تراثنا لكنهم لم يتوقفوا عنده، بل تجاوزوه وأبدعوا أساليب خاصة بهم، لهذا يدعونا إلى الاستفادة من تجربتهم، لنستطيع تحقيق إبداع خاص بنا، ينطق بهويتنا ويتحدث عن آلامنا وأحلامنا.

ويلاحظ المتتبع لكتبه النقدية أنه كثير الدعوة إلى التعمق في الجذور التي هي تعمق في شعاب الذات تحقيقًا لهويتنا الخاصة بنا، أي تحقيقًا لأصالتنا فلا نصبح مجرد أبواق تردد أقوال الغربيين وأساليبهم.

القريحة لا الذاكرة

لهذا كله تميز جبرا بعمق رؤيته للحداثة، إذ مدّ جذورها إلى التراث؛ فهو يدعو المجددين إلى الاستفادة من عناصر القوة في تراثهم. فتحقيق المستقبل، في رأيه، لا يكون إلا باستيعاب الماضي وإدراك إنجازاته، أما الانقطاع أو الانبتار فهو المطالبة بالبدء من الصفر، الذي يؤدي إلى خبط عشوائي ولن يؤدي إلى إضافة فاعلة في الذهن البشري، مما سيؤدي إلى الانكفاء والجمود، لهذا على المجدد أن يقيم لقاء متوازنًا بين الأزمنة: الماضي والحاضر والمستقبل.

كان جبرا من أشد النقاد حماسة للتجديد في الفكر والأسلوب في مجالات التعبير كلها، فقد رأى في التجديد وسيلة تقضي على الدمار والذل الذي خلفته الهزائم المتوالية، لهذا وهب هذه القضية جلّ إنتاجه النقدي منذ الخمسينيات حتى وفاته. فقد لاحظ كيف سيطر على الأدب الابتذالُ والجمالُ السطحي الذي هو إرث عصر الانحطاط، الذي جعل اللغة غاية لا وسيلة، وبيّن لنا أن اللغة تفقد فعاليتها إذا لم تشحذها التجربة التي هي محك الشخصية ومحك الإبداع، وأن القريحة لا الذاكرة هي التي يجب أن يستنبعها الفنان، لأنها تأتي بالجديد غير المألوف، أما الذاكرة فتكتفي بالتكرار وإعادة كل ما هو مخزون فيها.

ونجده يرى المثقف قائدًا لمواجهة التخلف وتخطيه لامتلاكه الوعي والقدرة على التعبير والإيصال إلى الآخرين، لذلك يدعو الفنان إلى أن يقرن بين أزمة الإنسان وأزمة الأسلوب، بين محنة الأمة ومحنة الفكر، ومن هنا جاءت دعوته التجديدية في الشعر الذي هو أهم وسائل التعبير عن الرؤية عند العرب، وقد شغلته الحداثة الشعرية أكثر من الحداثة القصصية فهو يقول: «لو لم يكن عندنا شعر رائع، لو لم يكن الشعر ذا تقاليد ثابتة ومعروفة لما كان هناك تجديد كالذي رأيناه في الشعر، إذ أصبحت هذه التقاليد تحاصر رؤية الشاعر فأحسّ أنها لا تنسجم مع التعبير عن رؤيته، وعن تعقد حياته ومجتمعه. أما حين نكتب رواية، فإننا نفاجأ بعدم وجود تقليد روائي لدينا، لهذا علينا أن نختصر فترة مئتي سنة من الفن الأوربي في عشرين أو ثلاثين سنة»(6).

لذلك رفض أن يكتب بأسلوب الرواية الحديثة في الغرب، لأنه عندئذ سيخذل موضوعه الذي هو عشقه الحقيقي، فيبتعد من مجتمعه الذي يمر بقضايا مصيرية، لذلك نجده يبدع في الكتابة الروائية لمزاوجته بين الكتابة التقليدية والكتابة الحديثة على غراره الخاص.

إنه بذلك يرفض التأثر غير الواعي بالحداثة الغربية، وينظر إلى خصوصية مجتمعنا وتجربة المتلقي العربي التي مازالت غير ناضجة في فن الرواية.

وبما أن التعميم آفة الفن؛ لذلك نجده يلح على الخصوصية، فالفنان لن يقدّم ما يستحق البقاء إلا إذا تفرّد، فقدم ما ينطق بخصوصية تجربته وتجربة أمته، عندئذ يستطيع الوصول إلى القارئ العربي وإلى القارئ الغربي، والحقيقة أن هاجس العالمية كان ملحًا على جبرا، لذلك بيّن للأدباء طريقها الذي يبدأ بالمحلية والتفرّد والعمق الإنساني.

الفارق بين الفن والشطحات

كان جبرا من أشد النقاد حرصًا على توضيح معنى الحداثة والجديد في الأذهان، إذ ليس هناك جديد بالمطلق، فجديد الأمس قديم اليوم، وجديد اليوم قديم الغد، لذلك فإن الأمر لا يدعو إلى القلق، فما دام الأدب حيًا لابد له من الأخذ والرد بين «القديم» و«الجديد»، والذي سيتبيّن جليًا فيما بعد هو أن صفة الديمومة في الأدب تتخطى صفتي القدم والجدة، هناك ما يحمل قيمة البقاء وهناك ما لا يحملها، والجديد إنما هو محاولة الاستزادة من هذه القيمة والمعاني الخالدة مما يهيئ جوًا ملائمًا يكون عونًا للمبدع على معالجة قضايا الإنسان الداخلية والخارجية برحابة أشمل وعمق أشد.

أما اللهاث وراء صراعات العصر فغالبًا ما يكون نتيجة ردود فعل آنية، لذا علينا التمييز بين الفن والشطحات التي قد تلبس لبوس الإبداع، لكننا نكتشف بعد مدة زيفها، لذلك على الجيل الجديد، في رأيه، «أن يسعى نحو الحقائق مسلحًا بخبرته ومعاناته الذاتية، ويهتدي إلى مواطن الجمال في الحياة بعد بحث وشك وقلق ومخاطرة. عليه أن يدرك أيضًا أن الجمال ليس هو الذي يطالعه كل يوم في مجلة مصوّرة وقصيدة مائعة، فمثل هذا الجمال لم يُعدَّ إلا لمتعة الذهن الخامل، ولا يقتضي البحث عن الصلة بين التجربة الذهنية العميقة وبين الحياة»(7).

قال جبرا هذا القول (1950م)، أي مع بداية الحداثة، التي نلاحظ أنه يريدها بداية قوية واعية وناضجة، كي تستطيع إقناع الأجيال بقيمتها، وكي لا يتردد الجيل الجديد في حمل أعبائها وإذكاء جذوتها.

إنه يريد أن يدمج الحداثة في حياتنا، فتسهم عندئذ في تطوير واقعنا، كما تسهم في تطوير الأدب على السواء.

لديّ إحساس أنني، في هذه العجالة، قد قصّرت في حقّك يا جبرا، فلم أتحدث إلا عن جزء يسير من إنجازاتك النقدية.

سنفتقد كلماتك يا جبرا، هذه الكلمات التي تغذي الروح والعقل، لكنّ عزاءنا أن هذه الكلمات ما زالت حيّة بيننا تعلمنا وتمتعنا معًا، إذ لا يمكن أن يموت فنان قَدَّمَ دائمًا ما ينفع الناس ويمكث في الأرض.

الهوامش:

1- جبرا إبراهيم جبرا: الرحلة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1979م، ص100.
2- المصدر السابق ص98.
3- جبرا إبراهيم جبرا: ينابيع الرؤيا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1978م، ص171.
4- جبرا إبراهيم جبرا: النار والجوهر، دار القوس، بيروت، 1975م، ص173.
5- جبرا إبراهيم جبرا: الفن والحلم والفعل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1988م، ص352 بتصرف.
6- ينابيع الرؤيا: ص137- 138 بتصرف.
7- المصدر السابق ص73.

بين الحُسْن والقبْح



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

من استقراء معاني مادة الحاء والسين والنون وُجد أنها تُطلق على كل ما يرادف الجمال والإنعام، ويضاد القُبح والإساءة، وأن نتيجته ملاءمة الطبع، وكمال الشيء في صفة ممدوحة.

قال ابن فارس: «الحاء والسين والنون أصل واحد، فالحُسْنُ ضد القُبح.. يقال: رجل حسن، وامرأة حسناء وحُسَّانة.. قال:

دارَ الفتاة التي كُنَّا نقول لها
يا ظَبْيَةً عُطلاً حُسَّانةَ الجيد

وليس في الباب إلا هذا.. ويقولون: الحَسَن جبل، وحبل من حبال الرمل.. قال:

لأمِّ الأرض ويلٌ ما أجَنَّتْ
غداة أضرَّ بالحَسَنِ السَّبِيلُ

والمحاسن من الإنسان وغيره ضد المساوئ.

والحسن من الذراع النصف الذي يلي الكوع، وأحسبه سُمِّي بذلك مقابلة بالنصف الآخر؛ لأنهم يسمون النصف الذي يلي المرفق القبيح، وهو الذي يقال له: كسرُ قبيح.. قال:

ولو كنتَ عَيْرًا كنتَ عَيْرَ مذلَّة
ولو كنت كَسْرًا كنْت كَسْرَ قبيح»(1).

ومسألة الحسن والقبح مشتركة بين العلوم الثلاثة:

كلامية من جهة أفعال الباري تعالى أنها هل تتصف بالحسن، وهل تدخل القبائح تحت إرادته، وهل تكون بخلقه ومشيئته؟.. والحق عند أهل الحق أن القبح هو الاتصاف والقيام لا الإيجاد والتمكين.

وأصولية من جهة أنها تبحث عن أن الحكم الثابت بالأمر يكون حسنًا، وما يتعلق به النهي يكون قبيحًا.

وفقهية من حيث إن جميع محمولات المسائل الفقهية يرفع(1) إليهما ويثبتان بالأمر والنهي.

ثم إن كلاً من الحسن والقبح يطلق على معان ثلاثة:

الأول: صفة الكمال وصفة النقص كما يقال: العلم حسن والجهل قبيح.

والثاني: ملاءمة الغرض ومنافرته، وقد يُعَبَّر عنهما بالمصلحة والمفسدة.

والثالث: تعلق المدح والذم عاجلاً والثواب والعقاب آجلاً.

فالحسن والقبح بالمعنيين الأولين ثبتا بالعقل اتفاقًا، أما بالمعنى الثالث فقد اختلفوا فيه.

قالت الأشاعرة: إنهما بحكم الشرع.. وقالت السُّنِّية والمعتزلة والكرامية: إنهما قد يُعرفان بالعقل أيضا، وهو اختيار الفقهاء أيضا، فإنهم ذهبوا إلى تعليل أحكام الله برعاية مصالح العباد، فكانت أولى بهم في الواقع، وإلا لما كانت مصلحة لهم.. وأيضًا لو لم يقولوا بالحسن والقبح العقليين لما استقام تقسيمهم المأمور به إلى حسن بعينه وغيره وإلى قبيح كذلك.. ولما صح قولهم: إن منه ما لا يحتمل السقوط والنسخ أصلاً كالإيمان بالله وصفاته.

وباقي التفصيل فليطلب في محله، وأول من قال بالحسن والقبح العقليين إبليس اللعين.

والحسن يقال في الأعيان والأحداث، وكذلك الحسنة إذا كانت وصفًا، وأما إذا كانت اسمًا فمتعارف في الأحداث»(3).

وقال الزبيدي: «الحسن بالضم الجمال.. ظاهرة ترادفهما.

وقال الأصمعي: الحسن في العينين، والجمال في الأنف.

وفي الصِّحاح: الحسن نقيض القبح.

وقال الأزهري: الحسن نعت لما حسن»(4).

قال أبو عبدالرحمن: تفسير القبح بالاتصاف والقيام دون الإيجاد والتمكين لا يفيد في مسألة القبح الكلامي بحيث يحصل

الفرار من وصف أفعال الله بغير الحسن.

والمحقق أن الاتصاف والقيام لايكون إلا بفعل فاعل، فهو إذن إيجاد وتمكين.

والصواب التفريق بين فعل الله ومفعوله، ففعل الله سبحانه كله حسن سواء كان المفعول حسنًا أو قبيحًا.. ووجه حسنه أنه مُتْقَن، وأنه مُحَقِّق لمراد الرب، وأنه عن علم وحكمة.

ومفعول الله ومخلوقه فيه الحسن وفيه القبيح.. فكل حسن وكل قبيح مخلوق لله.

فدمامة الخلق لا فعل للإنسان فيها، ويُعاقَب من يستهزئ بخلق الله، ويثاب من صبر وشكر.

والقبائح الشرعية يتعلق القبح فيها بفعل ابن آدم لها؛ لأنه خلاف إذن اللّه الشرعي، وفعل ابن آدم منسوب إليه لأنه اكتسبه بحريته التي منحها إياه ربه.. فإذا فقد حرية السلوك ارتفع عنه الوزر.

ومذهب الجمهور هو الصواب عندما قالوا: يُعرف بالعقل تعلق المدح والذم والثواب والعقاب بالحسن والقبيح عاجلاً وآجلاً.. ولا يلزم من هذا المذهب الصحيح أن الناس محاسبون بمجرد عقولهم من غير شرع لثلاثة أمور:

أولها: أن الله لم يترك العقل بغير شرع.

وثانيها: أن الله أمَّن الخلق ـ ووعده صدق وحق ـ أن يحاسبهم بغير شرع.

وثالثها: أن تعيين العقاب صفة وعددًا لا يكون إلا بشرع، ولا يستقل به العقل.

وأراد الكفوي بأولية إبليس ما ذُكر في قوله تعالى: *فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبليسَ قال أَأَسجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا*. **الإسراء:** 61، وقوله: *قَالَ أَنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ*. **الأعراف:** 12، **وسورة ص:** 76.

فتفضيله النار تحسين عقلي.. ولا لوم في التحسين العقلي إلا إذا كان بمعارضة الشرع، وها هنا إبليس يدفع الشرع بالعقل، وهو ملوم لأن وراء الشرع حكمة منزل الشرع وخالق العقل، واللعين قاصر عقله عن معرفة الحكمة إلا بالاستسلام للشرع.

قال أبو عبدالرحمن: وأما القبح فيعرض بضده، ولهذا قال الدكتور محمد التونجي: «القبح ما يثير النفور والاشمئزاز في مقابل الجمال الذي يريح النفس ويسرها.. وكما أن الجمال نسبي فإن القبح نسبي، ولا يمكن تحديده.

ولكنه يتمثل في كل مظاهر القبح والتي(5) يميل الأديب أو الفنان إلى إظهارها، وتكمن براعته في إظهار الشكل القبيح على قبحه، كأحدب نوتردام حيث إن الأديب يبرز كوامن الشكل بما يثير الإعجاب، فنقرأ أو نرنو إلى اللوحة مذهولين بتعبير القبح، وهكذا يصبح القبح مظهرًا من مظاهر الجمال»(6).

وعن المعنى اللغوي قال ابن فارس: «القاف والباء والحاء كلمة واحدة تدل على خلاف الحسن، وهو القبح.. يقال: قبحه اللّه، وهذا مقبوح وقبيح.. وزعم ناس أن المعنى في قبحه نحاه وأبعده، ومنه قوله تعالى: *وَيَومَ القِيَامَةِ هُم مِنَ المَقْبوحِينَ*. **القصص:** 42.

ومما شذ عن الأصل (وأحسبه من الكلام الذي ذهب من كان يحسنه)(7) قولهم: كسر قبيح، وهو عظم الساعد، والنصف الذي يلي المرفق.. قال:

ولو كنت عَيْرًا كنتَ عَيْرَ مذلَّة

ولو كنت كسرًا كُنت كَسْرَ قبيح(8).

وقال الراغب: «القبيح ما ينبو عنه البصر من الأعيان، وما تنبو عنه النفس من الأعمال والأحوال، وقد قبح قباحة فهو قبيح، وقوله تعالى: *مِنَ المَقْبُوحِينَ*. **القصص:** 42. أي من الموسومين بحالة منكرة، وذلك إشارة إلى ما وصف الله تعالى به الكفار من الرجاسة والنّجاسة.. إلى غير ذلك من الصفات، وما وصفهم به يوم القيامة من سواد الوجوه، وزرقة العيون، وسحبهم بالأغلال والسلاسل ونحو ذلك.. يقال: قبحه الله عن الخير.. أي: نحاه.. ويقال لعظم الساعد مما يلي النصف منه إلى المرفق: قبيح»(9).

ولقد حلل ريمون بولان مسألة القبح والخطأ والشر في الجدول الآتي:

بشع.	مرعب.	متطرف، غير معتدل.
متجاوز الحد.	تافه، متحذلق.	من يفقد الخيال ويعجز عن الإبداع.
فخم.	منتفخ، سطحي، مسطح.	عادي.
دون المتوسط، بين بين.	زري.	منمق.
مضطرب.	مشوه.	بلا شكل محدد.
وحشي.	لا متناسب.	غريب، غير مألوف، شائه.
باعث على الاستهزاء.	مضحك.	ثقيل [ناب أو مستغرَب].
باهت، غث، هش.	متصنع.	شنيع، معيب.

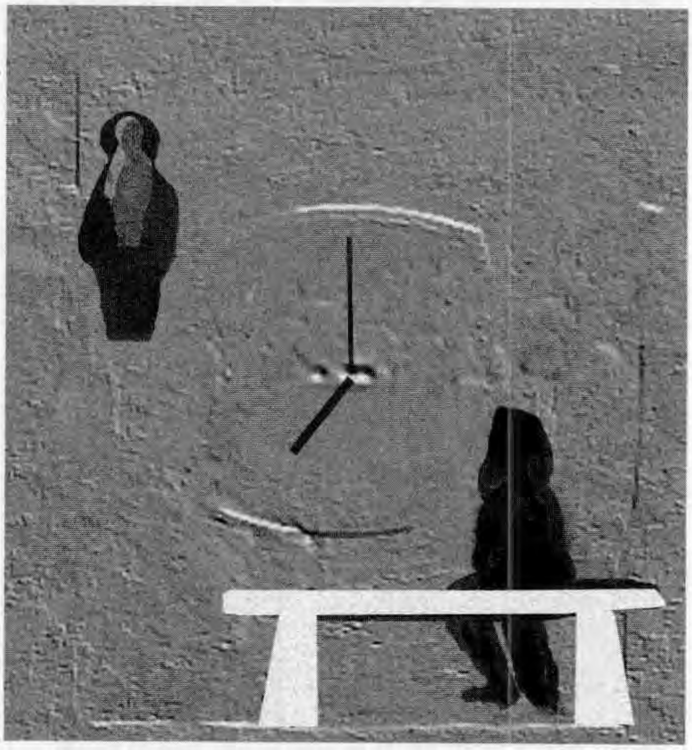
الحواشي:

1ـ مقاييس اللغة ص262.
2ـ لعل الصواب: يرجع.
3ـ الكليات ص 402ـ 403.
4ـ تاج العروس 140/18.
5ـ الواو ها هنا لحن.
6ـ المعجم المفصل في الأدب 700/2.
7ـ قرر ابن فارس في كتابه الصاحبي أن من اللغة شيئًا قد ضاع، وأن منها شيئًا بقي ونُسي تفسيره وتعليله.
8ـ مقاييس اللغة ص870.
9ـ المفردات ص651.

قصة قصيرة

مكان مزعج للغاية

السيد نجم



لست أدري لماذا يختارني دون غيري في هذه الحديقة الفسيحة الوديعة؟ يجلس إلى جواري، يحكي حكايات آلته، تلك الساعة الثمينة التي اشتراها منذ مدة قريبة.

لم يحدد لي تاريخ الشراء، لكنه أخبرني بإحالته إلى المعاش منذ أشهر قليلة، وأنه يحضر ها هنا بعد خروجه من المستشفى لتنشيط عضلات فخذيه على إثر سقوطه من فوق سلالم المصلحة المحطمة، تلك السلالم التي عاشرها أربعين سنة لا يُخطئها.. دومًا كان ينجح في اجتيازها حتى ولو كان منهمكًا في حديث عمل مع زميل آخر، إلا يوم استلام أوراق ومكافأة المعاش.

ولا أدرك أيضًا سر فشلي في مواجهة محاولاته معي؟ حتى حرمتُ نفسي من شمس الخريف الدافئة وغَيَّرتُ ميعادي. ينجح في اللحاق بي. يُدهشني إصراره على جُملته التي تقدم بها إليّ أول مرة حتى أقبلهُ شريكًا على الأريكة الرخامية، يقول:

- إني أمتدح ذكاءك في اختيار هذا الموقع الهادئ... وأمتدح الظل!!

ولأني لا أجد هاتين الميزتين، لا أشكره ولا أطلب تفسيرًا، ربما خجلاً من نغمة الثقة التي يتحدث بها ومن هالة الوقار الهائمة حول سحنته.

ثم تساءلت.. لعلها المصادفة؟!

أيقنت أنه يتربص بي، تعودت اقتحامه المباغت. رأيته من على البُعد يرفع إطار نظارته المدعمة بالبلاستر الطبي، يلتقمني بعينيه المجردتين. قال لي إنه ورث عن أبيه بُعد النظر ويفيض في وصفه لنعمة طول النظر عليه. وأعجز عن إفهامه الفارق بينهما.

يقطع المسافة بين موقعينا في خطوات وئيدة، منثني الرقبة، منحني الجذع حتى يرتطم بي من فرط انهماكه بالعبث في أزرار ساعته الفخمة.

حرتُ في أمره، لم أعد أسأله عن شيء، فهو لا يُجيب إلّا عما يريد الحديث عنه. تعوّدتُ أن يبدأ جلسته معي بالسؤال عن موقع عقربي ساعتي. أجبت بالساعة والدقيقة والثانية. مرة واحدة حاولت الاعتراض بأنها غير دقيقة وقد ورثتها عن جدي، فهاج في وجهي وأعلن سخطه على كل الشباب في شخصي!!

انقضضت على ساعته أتحسسها وأحملق فيها مليًا، أتأمَّل إطارها الذهبي اللامع، وكيف تُصبح بوصلة تحدد القبْلة، وميقاتة يدق جرسها في مواقيت الصلاة، وتكشف عن ذاكرة لأرقام الهواتف. أكثر ما بهرني أنها تسجل الأجزاء من الثانية، وهو ما يجعلها صالحة لمسابقات العدو. وأيضًا يمكنها تحديد اليوم والشهر والسنة، وما إذا كان الوقت نهارًا أو ليلاً، كأن شيخنا يستخدمها وهو تحت سطح المحيط!

انقضت شهور الخريف وأنا داخل غابة هموم الشيخ مع ساعته الثمينة، حتى فاجأني في عصر يوم شتوي جديد بالاختفاء!!

إصدارات جديدة
لدار الفيصل الثقافية

استمرارًا لرسالتها الثقافية الشاملة التي تضطلع بها، وتجاوبًا مع رغبات الإخوة الأعزاء قراء مجلة «الفيصل»، فإن دار الفيصل الثقافية سوف تُصدر عدداً من الكتب التي تضم بعض أبواب المجلة المتميزة، وهذه الكتب هي:

- دراسات في العهدين القديم والجديد:

مقالات الأستاذ الدكتور حسن ظاظا التي كتبها في مجلة «الفيصل» على مدى أكثر من أربع سنوات، تتناول العمق التاريخي للفكر اليهودي.

- دائرة المعارف:

عمل معجمي ميسر في كل باب من أبواب المعرفة مرتب ترتيبًا موضوعيًا وهجائيًا، وقد راجعه عدد كبير من المتخصصين بالمجالات المختلفة.

- من تجاربهم:

تسجيل تجارب ما يربو على 80 مفكرًا وأديبًا وعالمًا من كل أنحاء العالم العربي، تعد شهادات حية للتاريخ وإضاءات فكرية، وقد تمت فهرستها وترتيبها هجائيًا حسب الاسم ومجال التجربة الإبداعية.

- قصة قصيدة:

يضم حوادث ووقائع كانت وراء إنشاء قصائد من عيون الشعر العربي، تبرز الجوانب الإنسانية والظروف التاريخية المحيطة بهذه القصائد، مع شرح وافٍ لها، اعتماداً على المصادر الموثوقة.

- من نوادر التصنيف:

يُعَرِّف بكتب تراثية نادرة في بابها، تجمع بين العمق والطرافة، ويطلع قراء العربية على كنوز مجهولة من تراثهم العريق. وهو عمل موسوعي يستحضر ما في هذا التراث من تجارب إنسانية عميقة.

- نافذة على ثقافة العالم:

متابعة دقيقة وعرض وتحليل شاملان للكتب الحديثة الصادرة باللغات الأجنبية المختلفة، التي ترصد الاتجاهات والتيارات العلمية والفكرية في العالم.

قصة قصيدة

غادة من الأندلس

د. محمود جبر الربداوي

قال عمر أبو ريشة:

وثَبَتْ تَستقربُ النجم مجالا ... وتهادتْ تَسْحَبُ الذيلَ اختيالا(1)
وحِيالي غادةٌ تلعب في ... شعرِها المائج غُنجًا ودلالا
طلعةٌ ريّا، وشيءٌ باهرٌ ... أجمالٌ؟ جَلَّ أن يُسمى جمالا
فتبسَّمتُ لها فابتسمتْ ... وأجالت فيَّ ألحاظًا كُسالى
وتجاذبنا الأحاديث فما ... انخفضت حِسًا ولا سفَّت خيالا
كلُّ حرفٍ زلّ عن مَرْشَفِها ... نثر الطِّيبَ يمينًا وشمالا
قلتُ يا حسناء مَن أنت ومِن ... أيّ دوحٍ أفرع الغصن وطالا؟
فرَنَت شامخةً أحسبها ... فوق أنساب البرايا تتعالى
وأجابت: أنا من أندلسٍ ... جَنّةِ الدنيا سهولاً وجبالا
وجدودي، ألمح الدهر على ... ذكرِهِمْ يطوي جناحيه جلالا
بوركتْ صحراؤهم كم زخرت ... بالمروءات رِياحًا ورمالا
حملوا الشرقَ سناءً وسنًى ... وتخطَّوْا ملعبَ الغرب نِضالا
فنما المجدُ على آثارِهِمْ ... وتحدّى، بعد ما زالوا، الزّوالا
هؤلاء الصِّيدُ قومي، فانتسِبْ ... إنْ تجِد أكرمَ من قومي رجالا
أطرق القلب، وغامت أعيني ... برؤاها، وتجاهلت السؤالا

في أعماق وجدان كل إنسان عربي صورةٌ جميلة مشرقة لتلك البقعة المسماة «الأندلس»، وهي صورة، على الرغم من جمالها وإشراقها، تتّشح بالكآبة والحزن؛ ذلك لأنها تُشيع في أعماق وجدان العربي صورة المأساة التي ألمت بهذه البقعة من الأرض التي كانت في يوم من الأيام عربية الهُويّة، مسلمة العقيدة، ثم استُلبت من العرب، كما انتُزعت من المسلمين.

وما التعاطف الذي نجده في وجدان العربي لتلك الربوع الأندلسية إلا لأن كل عربي يرتبط دمه بدماء أولئك البشر الذين صنعوا تاريخ الأندلس وحضارتها ولون ثقافتها.

وكان أكثر الناس تفاعلاً مع هذا الفردوس المفقود: شعراء العربية، وخاصة الشعراء الذين جاؤوا في النصف الأول من القرن العشرين؛ فهذا شوقي يختار الأندلس دارًا لمنفاه عندما خُيّر بالنفي خارج مصر، ويكتب في الأندلس وعن الأندلس «أندلسياته» التي تُعَدّ من عيون الشعر ونفائسه، وهذا عزيز أباظة يكتب مأساة مسرحية (تراجيديا) عن «غروب الأندلس» ومثلها في الاتجاه ذاته عن «الناصر» سنة 1947م، وهذا عمر أبو ريشة ينظم قصيدته «في الطائرة»، وهي، على إيجازها، تُعدّ من أجمل ما كتب في تلك الحقبة.

وعمر أبو ريشة ـ كما نعرفه ـ شغل مناصب سياسية كبيرة وكثيرة، مكنته من أن يجوب آفاق الشرق والغرب، في القارة الهندية، وفي أمريكا وفي أوروبا، وسهّلت له مناصبه أن يلتقي بعظماء العالم كجواهر لال نهرو وأنديرا غاندي، والملك فيصل بن عبدالعزيز، وكنيدي، والملك عبدالله بن الحسين، وجمال عبدالناصر، وخوان كارلوس، وغيرهم. وهذا التجوال في أرض الله الواسعة، وهذه اللقاءات بالشخصيات المرموقة لم تعمق خبراته السياسية فحسب، بل أثْرَتْ قدراته الفنية، ولوّنت أغراضه الشعرية، وكان في كل بلد حلَّه، أو مع عظيم التقى به يخلد انطباعاته ويجسّد رؤاه، ولا تمر سانحة ولا بارحة إلا رصدها في قصيدة أو أكثر من شعره.

ولا يسمح المقام هنا بالإفاضة، ولكن



حسبنا أن نقف عند سانحة أطلقت شاعريته، وهو شاعر، والشاعر يتصيد المواقف والأحداث ليتخذ منها مادةً لشعره، وخاصة إذا كان الموضوع ذا سمة شاعرية يمس أحاسيس الشاعر كالأندلس، أو يلاقي قبولاً في نفس رجل كأبي ريشة مثل موضوع المرأة، فالمرأة تحتل مساحة كبيرة من ديوانه، فهذه القصيدة تراوح أبياتها بين محورين: الأندلس والمرأة.

وقصة القصيدة تتلخص في أن عمر الذي ناضل المستعمر الفرنسي طوال وجوده في سورية، وما هادنه ولا هادن أنصاره وأتباعه أكثر من ربع قرن، كافأته سورية بأن عينته سفيراً لها في عدة بلدان، وفي الحقبة الواقعة بين عامي 1949م و 1954م شغل منصب سفير لسورية في أمريكا الجنوبية: في الأرجنتين والبرازيل وتشيلي، فلما حزم أمتعته، ويمّم شطر تشيلي على متن الطائرة أحلّته المصادفة بجوار فتاة (إسبانية)، فكان بينه وبينها ما يكون بين المتجاورين من المسافرين في هذا القفص الطائر من حوار.

وأبو ريشة رجل عذب الحديث، ماهر في إدارة الحوار الذي يقيم جسور الود السريعة بينه وبين النساء، وخاصة إذا كانت المرأة حسناء تسترعي النظر (بشعرها المائج، وطلعتها الريّا وألحاظها الكسالى، وبسمتها الساحرة).

فما إن يبدؤها عمر بالسؤال التقليدي: من أنت؟ وما أصلك؟ حتى تندفع الفتاة تقدم (بطاقة تعريفها) بكل ثقة واعتزاز، يصمت عمر الشاعر الذي عوّدنا الكلام، والكلام عند غير الشاعر من وسائل الإغراء للمرأة فما بالك إذا كان كلام شاعر؟! والشاعر يؤمن بالمقولة التي مؤداها: «أن الرجل يعشق بعينيه، أما المرأة فتعشق بأذنيها». وعلى الرغم من إيمان عمر بهذه المقولة، وممارسته لها في كثير من المواقف، إلا أنه هنا يأخذ بنصفها الأول، ويترك للمرأة الإسبانية أن تتحدث عن دوحة أنسابها وجدودها، تتحدث بثقة واعتزاز، لأن عندها ما تقوله. صَمَت عمر، واكتفى بأن جعل عينيه تسرحان في الشعر المتماوج والطلعة الريّا، والألحاظ الكسالي، وهذه رؤى تعقد على الشاعر لسانه. وترك الفتاة توغل في الشموخ، وهي تقصّ على جارها الذي لا تعرف نسبه وأرومته العربية، تركها تحدثه عن قومها الذين جاؤوا من الصحراء، من بلاد الرمال، جاؤوا من الشرق يحملون معهم العزة والشموخ والرفعة، وتخطوا ملعب الغرب، فصنعوا هناك مجداً، بدأ طريفًا فغدا تليدا، فتحدّى ومازال يتحدّى الزوال والاندثار. والتفتت الفتاة إلى الشاعر قائلة: ها هي ذي آثار قومي مازالت تتحدى الزوال، فأنا أتحداك أن تأتي بقوم كقومي هؤلاء وجدود كجدودي العرب. وتسمّرتْ عينا الشاعر في وجه الفتاة الإسبانية الذي تتراءى فيه سحنة عربية، وتقاطيع شرقية، تشهد كلها أنها من نسل الذين هاجروا من الصحراء، ووفدوا من الشرق، تقول:

هؤلاء الصِّيدُ قومي، فانتسب
إنْ تجد أكرمَ من قومي رجالا

همَّ الشاعر بالرد على هذا التحدي، مع أنه كان يعيش لذة الاستماع، لا لأن:

كل حرف زلّ عن مرشفها
نثر الطِّيب يمينا وشمالا

وإنما لأنها تحدثه عن أناس يعرفهم حق المعرفة، فأراد أن يكشف لها عن بطاقة تعريفه فيتحداها بقومه العرب. غير أنه تَذَكَّرَ أنه من عرب القرن العشرين لا من عرب القرن الثامن، فلاذ بالصمت، ولكنه كعادته يختم قصائده ببيت القصيد، فقال:

أطرق القلب، وغامت أعيني
برؤاها، وتجاهلتُ السؤالا

الهوامش:

1- الحديث في البيت الأول عن الطائرة التي كانت تقل الشاعر.

ديوان "قلبي بين يديك"

بين زفرات الجراح والأغاريد

محمد حسن بريغش

قلبي بين يديك، أول ديوان للشاعر خالد بن سعود الحليبي(1)، ومنذ صفحاته الأولى يلحظ القارئ أن اختيار الشاعر هذا العنوان لديوانه كان ذا دلالة على خاصية واضحة في أكثر قصائد الديوان، هي التعبير عن مشاعره وقلبه ووجدانه في مواجهته للحياة، كيفما كانت التجربة: ذاتية خاصة، أو مناسبة عامة، أو تأملات فكرية في بعض العلاقات الاجتماعية.

وكان من تأثير ذلك أن الشاعر لم يتطرق إلى موضوع ليس له أثر في قلبه، أو لم يتفاعل مع مشاعره ووجدانه، لذا كنا نراه يتألق ويزداد شفافية وجَوْدة كلما كان التأثير عميقًا، وكلما كانت التجربة أكثر حرارة وأثرًا.

ومن تأثير ذلك أن الشاعر اختار الحوار مع الدموع(2) ليكون أول مطلع لديوانه، حيث يطالع القارئ زفرات الألم، ونفثات الآهات التي يحاورها الشاعر:

يا دمعُ، يازورق الأرواحِ في لُججِ
من الحياة، أما أنهيتَ مأساتي؟

ولكن الشاعر يتحصَّن بالصبر والإيمان، ويلجأ إلى الخالق الرحمن لمواساة أحزانه وجراحاته، ولايستسلم للألم أو اليأس:

يا دمعُ، نفسي لبعض الأنس ظامئةٌ
ولستَ تقوى على جلبِ المسرَّاتِ
لكن سأهْرَع للرحمن مُقتبسًا
من نوره مشعلاً يأسو جراحاتي
إذا تكالَبَت الأحداث تُلهبني
فالصبر في غمرة الآلام منجاتي(3).

يضم الديوان ثمانيًا وعشرين قصيدة، يعرض من خلالها الشاعر صوراً من نفسه، وفكره، ونماذج صادقة ناطقة لفنه، وتجربته في عالم الأدب، مصورًا، ومتأملاً، وداعيًا، ومتفاعلاً مع الأحداث.

ووزع هذه القصائد في أربعة أقسام، اختار لها العناوين التي تتناسب مع موضوعاتها وألوانها، وهي الآتية:

1- «أنين الضلوع»: وضم هذا القسم خمس قصائد تدور حول تجربته الذاتية وموضوعات خاصة به، وبتجاربه مع أصدقائه وإخوانه.

2 - «زفرات الجراح»: وضم هذا القسم أربع عشرة قصيدة، وأكثرها يتناول فيها الشاعر أحداثًا عامة وقعت في عالمنا الإسلامي، مع رؤية الشاعر وخلجاته إزاء هذه الأحداث.

3 - «أغاريد بلادي»: ويضم أربع قصائد، وهي نوع من الوصف والتصوير لمواطن جميلة ومناسبات عزيزة في مسقط رأس الشاعر.

4 - «شعاع من منزلي»: ويضم خمس قصائد، جلها ذكريات وصور ومشاعر نحو أفراد أسرته(4).

ولم ينس الشاعر أن يتوج ديوانه بدعاء يضم الآية الكريمة من سورة الشعراء: اللهم اجعلنا من: *الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات وذَكَرُوا الله كثيرًا وانتَصَرُوا من بعد ما ظُلِمُوا.* **الشعراء: 227.**

وإن القارئ لهذا الديوان يلحظ أن الشاعر يستجيب لدواعي الشعر إذا هتف له وحرك شجونه، ولايتكلف النظم إن لكم يكن هناك ما يؤجج في نفسه جمرة الشعر، لذا فطابع الديوان أنه صورة لمواهب الشاعر الكامنة التي تستجيب لكل ما يهزها؛ إن

كان ذكرى خاصة، أو حادثة عابرة، أو حدثًا عامًا، أو مناسبة من المناسبات.

وقد يؤثر الشاعر في قصائده أسلوب الخطاب المباشر الذي يهز المشاعر، ويوقد جمرات الأحاسيس النائمة. وقد يستخدم أسلوب التصوير الذي يعطي المعنى بعدًا أكبر وأثرًا أقوى وأبعد.

ها هو ذا يخاطب الشاعر - الذي جرّده من نفسه - بشكل مباشر:

خفِّفْ لواعجَ أشواقي بتغريدِ
وغنِّ دهرًا ولا تسأم بترديدِ
عسى فؤاديَ يسلو اليوم مَنْ رحلوا
وخلَّفوه بلا فجرٍ ولا عيدِ

ولكنه يعود بعد قليل إلى بعض الصور التي تفسح أمامه بعدًا آخر:

أنا الذي يُحر الأحبابُ في دمه
فليس يسلو بآلاف الأناشيدِ
أعيش في خافق الدنيا كمزرعةٍ
لو أُمطرت بالأذى جادت بعنقودِ
وأزرع الحبَّ في أقسى القلوب فلا
أشقى بقسوتها، والحُبُّ محصودي(5).

والشاعر في جميع قصائده، يصدر عن نفس مؤمنة راضية، تؤمن أن منهج الله - عز وجل - هو الطريق، والنجاة، والحياة، وأن ماعداه ضلال وضياع، لذا نراه في قصائده الذاتية، أو في قصائد الأحداث والمناسبات، أو في مواطن التأمل والفكر.. وفي كل أحواله يصدر عن موقف المسلم المؤمن الواعي الذي يلتزم هذا الطريق التزامه بالحياة ذاتها.

ففي تصويره لتنكُّر أحد أصدقائه للود، والأخوة، والعلاقة الحميمة، يصرخ بحرقة فيقرر أن موت المبادئ أقسى من موت الأشخاص مهما كانت مكانتهم:

موتُ الحبيبِ له صبرٌ يكافئُه
وما لموتِ المبادي قلبُ صبَّارِ(6).

وفي علاقاته بإخوانه وأصدقائه، وتعامله مع الناس، يؤثر التضحية والمحبة والوفاء والصبر لأنها فضائل إسلامية، ويكره الغدر والحقد والحسد والنكران:

إذا وَفتْ من أحبّائي معاتبةٌ
وافتْ بقلبيَ بابًا غير موصودِ
ويدفنُ الخلُّ في جنبيَّ نازلةً
تكاد لو كُتِمتْ بالنفس أن تودي
فلا أفارقه حتى أراه غدًا
يجري سرورًا، وأبقى غيرَ محمودِ
أظل أطوي سواد الليل محترقًا
بنار غيري، ولا أحْظى بتبريد(7).

وحين يخطف الموت أحد أصدقائه المقرّبين يرثيه بقصيدة رائعة ملؤها شعور التسليم والرضى بقضاء الله عز وجل، والدعاء للفقيد بالمغفرة مع تصوير الألم الذي شعر به من فقد هذا الأخ الفاضل:

يؤيِّد اللهُ بالتثبيت مَنْ صدقوا
قبل المماتِ ويُخزي الله من كَذَبا
صلّتْ عليه قلوب ملؤها حَزَنٌ
ترجو الثوابَ له من ربه رَغَبا
من كل فجٍّ أتَوا، اللهُ ألَّفهم
في حُبِّه جُمِعوا، لا مَالَ، لانسبا(8).

والقصيدة كلها صورة لوفاء الأخ لأخيه، وتقدير لمعاني الإيمان والقيم التي تمثلت بالفقيد الذي كان يقول:

كلُّ الهموم غدت - ربّاه - ذاهبةً
وهمُّ أمَّتيَ الغرَّاء ما ذهبا

وكذلك تتجلى معاني الإيمان في كل قصيدة من قصائد الديوان، ففي قصيدة - من أجود قصائد الديوان - يرثي الشاعر الشهيد عبدالله عزام، فيرثي في موته معاني الجهاد، والصدق، والثبات، والتضحية، والشهادة:

جاهدتَ حتى ضاق صدرٌ حاقدٌ
ومضيتَ لا تكبو ولا تتخوَّفُ
رصدوا لموتك ألفَ ألفِ مُنافقٍ
ومضاؤك العملاق لايتوقَّفُ
حتى إذا دنَت التي أمَّلْتها
وقضى الإله بأن شمسكَ تُكسفُ
غاضَ الضياء، فلاحَ في أُفُق السما
من نور شمسك أنجمٌ لاتُعرَفُ
الله يعرفُهم، ويعرفُ ماجَنَوا
من روضك الزاهي وإن لم يُعرَفوا
ناديتهم فتسابقوا نحو الوغى
وجثا على شهواتِهِ مُتَخلِّفُ

ثم يقول:

يا عالمًا، ومعلِّمًا، ومجاهدًا
ومُربيًا زُمَرَ القلوب يؤلِّفُ
هل أدرك العلماءُ أن حياتهم
لَعِبٌ بما قد جادلوا أو ألَّفوا
لو أنصفوك لكنت قائد خَطْوِهم
ولكنت نبراسًا لهم لو أنصفوا(9)

وهذه الروح الإيمانية التي يفوح من عطرها الديوان كله، تتجلى في صورة إنسانية فريدة، تمتاح من شريعة الله وأخلاق المسلم ونظرته لجميع البشر، نظرة ملؤها الخير والمحبة، والتعاطف، يصورها الشاعر في قصيدة بعنوان «رسالة خادمة إلى أولادها»(10) حيث يقول فيها، على لسان هذه الخادمة البائسة، مصورًا لواعج شوقها لأولادها:

هجرتُ مهدَ الصبا والموطن الحاني
وعفْتُ من أجلكم رَوْحي وريحاني
مضيتُ والشوق حادٍ في ركائبه
وحبُّكم زورق في نهر شرياني

يتألق الشاعر عندما يشترك وجدانه وعقله، ويميل إلى تصوير تجربته بهدوء، ويقترب من النثر حين تخبو دواعي الشعر

رحلت لكنْ فؤادي قيدُ وجهتكم
أنّى اتجهتم، فهل في الدمع سلواني

ويمضي الشاعر في تصوير رحلة الخادمة من أجل أولادها، حيث أجبرتها «الحاجة الماسة، والفقر المدقع على الخدمة خارج بلادها(11) وبيتها حتى يبدع لنا هذه الصور الإنسانية:

وإن تراقصتِ الأغصانُ هامسةً
حسبتُه صوتَكم بالحب ناداني
إذا الصغار تنادَوْا «أُمّنا» هتفَتْ
في القلب منكم نداءات كألحانِ
وإن تشاجر صبيانٌ على مَرَحٍ
حسبتُ بينهم ـ كالحلم ـ صبياني
إذا تداعى النّدامى نحو مَأْدُبة
وأسرجوا الأنس في روضات بستانِ
وأُترعت بالسّنا قمراء جلستهم
هاجت بذاكرتي أسمارُ «سيلانِ»
تمضي الدقيقةُ كالأيام في مَهَلٍ
حتى أظنّ بأن الوقت عاداني

هذه الخاصية التي أشرنا إليها ـ الروح الإيمانية ـ والتصور الإسلامي الذي يَسِمُ قصائد الديوان كله، تجعل الشاعر مهتمًا بما يصيب الأمة الإسلامية، يعيش مع أحداثها، ويتألم لجراحها، ويصور مآسيها، ويدعو شباب الأمة ورجالها للنهوض وتجاوز الآلام متجاوزًا في ذلك كله المصلحة الذاتية، والنظرة القاصرة.

فهو يخاطب المسلم ـ الذي هو أمل الأمة ـ ليكون في إيمانه وسلوكه وعمله أساسًا لنهضة الأمة الإسلامية:

أَقْبِلْ كالبِشر إذا روّى
نفسًا للفرحة عطشانَهْ
فبخطوك تخطو آمالٌ
شُلَّتْ في غدرٍ ومهانَه

ويوضح أن المسلم التقيّ المجاهد هو الذي يمحو أحزان الأمة:

لن يمحُوَ أحزاني إلاّ
من يُتعب في الله حصانَه
يكتسح الباطل يُرهبه
بل يحصد حتى أغصانه
يا حلمًا داعب أجنانًا
كجناح الرحمة هتّانه
ففؤادك راحة إيمانٍ
نتفيأُ فيها أركانه(12).

وفي قصيدة أخرى بعنوان «طموح وعوائق» يحدد الشاعر لنفسه وللشباب المسلم الأهداف والغايات التي تستحق السعي إليها، والعمل لتحقيقها، مع تصوير شباب الأمة الذين يضيعون في الملهيات، وتغريهم مفاتن الدنيا، فيمضون العمر في تفاهات ومتاهات حتى تضيع على الأمة فرص النهوض، وتبقى أسيرة الفتن:

بالله كنا وحدة
سدنا بها، فلِمَ الفروقْ؟
حتّام يخرس عالم
وتضجّ أصوات النقيق؟
وَجَدَتْ تفاهاتُ الورى
في سفحنا مأوى وريقْ
وغدت سموم الحاقديـ
ـن تُباع في عرض الطريق
وشبابنا في لُجَّةِ الـ
آثام كالطفل الغريق
أضحت عقولهمُ لكـ
ـل سواقط الأقوام سوقْ

ثم يعدد مظاهر الشباب العابث من أكل وشرب ولباس ولهو حتى يقول:

تجري الهزيمة في نفو
سهمُ بما تجري العروق
فغدوا كأغنام بأيـ
ـدي قائد أعمى نَزُوق(13).

ومن هذا التصور يخاطب العرب ليتعلموا من الصغار الذين نهضوا تلبية لنداء هذا الدين، حاملين الحجارة، والزجاجات والحصى لمقاومة احتلال يهود للديار المقدسة، وتلطيخهم حياتنا وحاضرنا ومقدساتنا بالعار، فيقول:

شَبِعَت بُغاث الأرض من قمم العُلا
ونسورنا حول الرِّغاب تُحوّمُ
عشقوا دروب اللهو وامتثلوا لما
يُملي الهوى، وديارهم تتضرَّمُ
الأربعون مضَتْ ومَسرى أحمد
يشكو تخاذلهم، ويشكو اليتّمُ
وقرود إسرائيل تعبثُ في مسا
جدهم فلا تلقى لها من ينقمُ

هذا هو واقع الأمة العربية، وهذه حال مقدساتها، فأين العرب من هذا كله:

يا عُرْبُ هذي صفحة قد سُطِّرت
بدم الشباب فأشرقت فتعلّموا
أبطال غزة علموكم: بالزجا
جة والحصى كيف المدجَّجُ يُهزَمُ
فرأيتُمُ أطفالهم يجرون للـ
ـموت الزُّؤام وليس فيهم مُحْجِمُ
ورأيتُمُ شِيبًا بهم روح الشبا
ب توثّبت، وعلى الشهادة صمموا

وبعدها ينادي الأمة العربية لتنهض، وترى وتسمع وتتعلّم وسط هذه المشاهد المخزية الدامية:

الديوان يجمع بين القوي الجيد الآسر والضعيف المتعثر؛ لأن قصائده تمثل تجربة الشاعر في مدى زمني طويل

أسمعتمُ بالطفل تُقلع عينه
أو ما سمعتم بالعظام تُحطَّمُ
أو ما سمعتم كيف يُحْرَقُ مسلمٌ
حيًا، وتحت الترب آخرُ يُردَمُ
يا من يُداس كتابُهم، وبلادهم،
وهمُ على فُرُشِ المذلَّة نُوَّمُ
كم خطبة أطلقتُمُ منها صوا
ريخ الحروف تخاف منها الأنجمُ
يا عُرْبُ قد شبعت فلسطين الجري
ـحة من موائدكم، فهلا تُقدموا؟
فلئن وهَتْ روح العقيدة في نفو
سكمُ هوى، فلربما يغلي الدَّمُ(14).

هذه روح الديوان وسيماؤه، في موضوعاته وأفكاره وصوره، إنه رِفْدٌ جديد للشعر الإسلامي المعاصر، في أسلوبه ومنهجه، وأفكاره، وموهبة جديدة تبدأ العطاء في مسيرة الأدب الإسلامي الحديث، وهي تخطو بثقة وطموح، مادامت ترنو إلى الأفق السامق الذي يحدد لنا النهج والمعالم والسمات ويعطينا العزيمة والقوة والروح، كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. والديوان في قصائده كلها يعيش في أفياء ذلك، ويقتبس من نورهما المعاني، ويزين بكثير من ألفاظهما الأبيات والقصائد والمعاني.

والديوان - مثل أي تجربة شعرية - فيه القوي الجيد الآسر، وفيه الضعيف والمتعثر، وهذا أمر بدهي لأن قصائده تمثل تجربة الشاعر ما بين عامي 1404(15) و1412هـ (16)، ولذلك فإن هذه القصائد ستكون مختلفة في مستواها، متنوعة في صورها، وجودتها، ولكن هذا التنوع، وهذا المدى الزمني يعطي صورة واضحة عن الشاعر وتطور فنه خلال هذه السنوات. وبمقابلة بسيطة بين قصيدة «إلى أبناء يهود» التي يقول في مطلعها:

فلتقطفوا من كل بيتٍ زهْرَهُ كيما يحيدْ
ولتوسعوا أحلامه مجدًا يُشاد من الورود

وقصيدة: «قالت.. وقلتُ لها» التي يقول في مطلعها:

قالت وقد شَرِقتْ بالدمع عيناها
وسطّر الهمُّ في الخدين نجواها

ندرك مدى التطور والتجويد الذي طرأ على فن الشعر خلال هذه السنوات.

ولقد أدرك الشاعر أن تجربته هذه، وهي الأولى، تحمل طابعه الإنساني، وتجربته التي اجتهد أن تكون مجوّدة، ولذلك قال في التقديم للديوان: «فهذا (قلبي بين يديك) فتناولْهُ برفق، وتصفَّحه بشوق، وأسدل عليه ستائر سترك، ثم ضمه إلى قلبك، فإن القلب يأنس بالقلوب»(17). ولذلك لايخلو الديوان من الضعف، كما لايخلو من القوة.

ويتألق الشاعر عندما يشترك وجدانه وعقله، ويميل إلى تصوير تجربته بهدوء ورويَّة، ويقترب من النثر حينما تخبو دواعي الشعر، وتدفعه مناسبة لنظم القصيد، يقول في إحدى القصائد:

هل ينقذ ديني مَنْ يحيا
ما بين المرقص والحانَهْ
أو يُرخصُ في ديني نفسًا
مَنْ يَفْقدُ حتى إيمانه
لن يمحوَ أحزاني إلا
مَنْ يُتعب في الله حصانه
يكتسحُ الباطل، يُرهبُه
بل يحصدُ حتى أغصانه(18).

فالأبيات تقترب من النثر، والمعاني قريبة، والتراكيب فيها شيء من الضعف الذي يُفقد الأبيات شاعريتها: «من يفقد حتى إيمانه»، «بل يحصد حتى أغصانه».

وكذلك نرى أمثلة على تعثر الشاعر في قصيدة «طموح وعوائق»(19) ولاسيما في البيت الثاني، والحادي عشر، وغيرهما.

وأحيانًا كان الشاعر يوفق في اختيار القافية، وفي بعض الأحايين لايوفق كما في قصيدة «أنغام شجية»(20)، مع أن القصيدة تحوي صورًا جميلة، ومعاني جيدة، وكان بمقدور الشاعر أن يتعمق في نظرته وصوره للطبيعة بحيث يُخرج لنا لوحة فنية رائعة تربط بين بديع صنع الله عز وجل في الطبيعة، وبديع صنع الله في المنهج الرباني الذي يقيم المجتمعات المتراحمة المتآلفة المطمئنة التي تتَّسق في واقعها مع الطبيعة البديعة.

وفي الديوان قصائد جيدة كثيرة، تألق فيها الشاعر، مما يدل على موهبة مازالت تمتلك الكثير للعطاء بإذن الله.

الهوامش:

1- شاعر من مواليد مدينة الأحساء في المملكة العربية السعودية، وهو يعمل محاضرًا في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، قسم اللغة العربية، يحضر لنيل شهادة الدكتوراه. نشر ديوانه الأول هذا عام 1413هـ - 1993م من مطبوعات نادي المنطقة الشرقية الأدبي.
2- عنوان القصيدة الأولى في الديوان «حوار مع الدموع» ص16.
3- من قصيدة «حوار مع الدموع» ص 16-17 من الديوان.
4- بلغت صفحات الديوان 182 صفحة، مطبوعة طباعة أنيقة، مع عناية واضحة في إخراج صفحات الديوان، وتحليته برسوم تعبيرية جميلة.
5- من قصيدة «مشاعر تائهة» الديوان ص24- 28.
6- قصيدة «نعي في قصور المبادئ» الديوان ص20-21.
7- قصيدة «مشاعر تائهة» الديوان ص24- 28، والقصيدة تتحدث عن مزايا وأخلاق يتمسك بها الشاعر في تعامله مع أصدقائه والآخرين.
8- قصيدة «دموع لن تجف» الديوان ص30- 35.
9- قصيدة «الروح القائدة» الديوان ص80- 86.
10- الديوان ص174- 178.
11- من تقدمة للقصيدة في الديوان ص174.
12- من قصيدة «إليك يا أملي» الديوان ص44- 46.
13- من قصيدة «طموح وعوائق» الديوان ص52- 55.
14- من قصيدة «تعلموا يا عرب» الديوان ص70- 74.
15- قصيدة «إلى أبناء يهود» الديوان ص66- 67.
16- قصيدة «لحظة مع قادم من أفغانستان» الديوان 76- 77، وقصيدة «قالت.. وقلت لها» الديوان ص160- 167.
17- الديوان ص11- التقديم. وهناك نماذج كثيرة جيدة في الديوان، واختيار قصيدتين ليس إلا للدلالة.
18- قصيدة «إليك يا أملي» الديوان ص44- 46.
19- الديوان ص52- 55.
20- الديوان ص126- 131.

قراءة في طروحات عن:

المشروع العربي للنهضة

عبدالله سليمان القفاري

ارتكزت الملامح الأساسية التي شكّلت قوام فكر النهضة العربية في القرن الماضي حول عدة محاور، أبرزها: الوحدة السياسية (الوحدة العربية عند فريق والجامعة الإسلامية عند فريق آخر)، والوقوف في وجه التدخل الأوربي ومقاومة الاستعمار والهيمنة، والتنمية والتحديث في مواجهة التخلف والتأخر والتبعية، ونشر التعليم والأخذ بالتصنيع والتقنية، والمساواة، والعدالة الاجتماعية.

إن هذه القضايا ظلت تشكل في القرن الماضي قوام فكر النهضة وعنوان اليقظة بالنسبة للعرب والمسلمين، وما زالت حتى اليوم تشكل أهدافًا يتطلع إلى تحقيقها المجتمع العربي والإسلامي، غير أن كثيرًا من الأوضاع استمرت بالتدهور وازدادت في سيرها القهقرى في ظل الأجيال التي أعقبت الجيل الذي صاغ ملامح هذا المشروع.

تأسيس حركة التنوير

يؤرخ كثير من المفكرين لعصر النهضة بغزو نابليون لمصر عام 1798م، حيث يعدون هذا التاريخ بداية انبعاث نهضة وتقدّم بعد حقبة طويلة من الجمود والتخلف. لقد تبلورت رؤى عصر النهضة استجابةً وصدى لعصر النهضة الأوربية، ومع انتشار النفوذ الغربي في العالم أسست فلسفة التنوير قاعدة فكرية (أيديولوجية) في جزء كبير من العالم المعاصر.

وفي سياق القراءة التاريخية لمشروع النهضة العربية يرى كثير من المفكرين والمؤرخين للفكر العربي أن حركة التنوير أو الفكر العربي الحديث مرّ قبل مرحلته الراهنة بمرحلتين أساسيتين هما: مرحلة التأسيس والتأصيل التي امتدت على مدى القرن التاسع عشر كله تقريبًا، وبدأت بظهور محمد علي باشا وعمله الحثيث على إقامة دولة حديثة أولاً، ثم مرحلة التكامل وظهور الفكر القومي العربي ثانيًا.

وإذا كانت المرحلة التأسيسية تبدأ بمحاولة محمد علي باشا ومشروعه لازدهار الدولة في النهضة والسياسة، فإن رفاعة الطهطاوي (1801- 1873م) هو الجانب الآخر لصورة النهضة في جانبها الثقافي.

فمع الطهطاوي تُؤرَّخ بداية الفكر التنويري العربي المتأثر بالتقدم الأوربي، وهذا المشروع الذي طرحه كان عموده الفقري إقامة توثيق نظري وعملي بين الحياة العصرية والقيم التراثية. ويرى بعض الباحثين أنه لولا وجود الطهطاوي وأقرانه وتأسيسهم للفكر العربي الحديث وتأصيلهم له لما دخل هذا الفكر مرحلته الثانية: مرحلة نضج الفكر القومي وتكامل مشروعه.

لقد جرت العادة منذ ما لا يقل عن نصف قرن على تصنيف اتجاهات الفكر العربي الناهض الحديث في ثلاثة أقسام رئيسة: الاتجاه السلفي والاتجاه القومي والاتجاه الحر أو المتحرر (الليبرالي) الوطني. فالاتجاه السلفي يتمحور حول قضية أساسية واحدة، هي توظيف الدين في التعبئة والتجنيد من أجل النهوض للدفاع عن النفس أمام تهديدات الغرب الاستعمارية من جهة، واكتساب القوة والمنعة لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل من جهة أخرى. أما الاتجاه القومي فقضيته الرئيسة هي الوحدة العربية، الوحدة بوصفها هدفًا في ذاته ووسيلةً للتحرر والتقدم. وأما الاتجاه التحرري (الليبرالي) الوطني فقد ربط النهضة والتقدم بالأخذ من الغرب واقتفاء خطاه في مجالات العلم والصناعة والسياسة والثقافة.

ومع أن هذا التصنيف يشوبه شيء من التعميم، إلا أنه يبقى تصنيفًا عامًا يسمح برصد القضايا الأساسية في مشروع النهضة العربية.

فالتيار السلفي يمثل عند الدكتور محمد عابد الجابري تيار جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، وهو موقف يوظف التعبئة الدينية في الإصلاح السياسي، وموقف يوظف المهادنة السياسية في الإصلاح الديني والاجتماعي.

وفي سياق القراءة التاريخية لمشروع النهضة العربية، فإن الكتابات التي تعبر عن عصر النهضة تمحورت حول تيارين، هما: تيار القبول المطلق والتقريب والتصالح والتكيف الشامل مع الحضارة المؤثرة (الوافدة) من جهة، وتيار التوفيق والاعتدال والوسط الجامع بين الحضارتين من جهة أخرى. ولعل هذين التيارين ظلا يمثلان

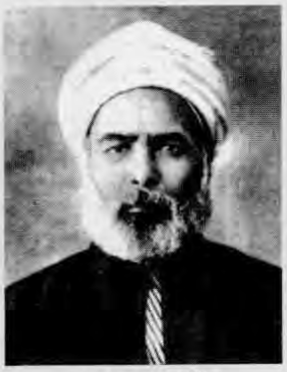
تيارات النخبة المؤثرة في بناء الدولة والمجتمع في الحقبة التي شكلت ملامح المشروع العربي الأول للنهضة.

ماذا حقق مشروع النهضة؟

والحديث عن مشروع النهضة العربي لا بد أن يقودنا بداية إلى التساؤل عمّا حققه هذا المشروع: هل كان إخفاقًا شاملاً أم نجاحًا ناقصًا؟ هل قاد إلى تحقيق أي من أهدافه التي رسمها رواده الأول؟



د. محمد عابد الجابري



الإمام محمد عبده

يقول محمد عابد الجابري: «إن المشروع العربي للنهضة لا يختلف في إنجازاته وإخفاقاته عن مسار المشاريع المماثلة له، لقد كان هدف المشروع العربي للنهضة منذ ظهوره تحقيق «الاتحاد والترقي» للشعوب العربية، ثم دخل في معركة شرسة، علنية ومباشرة على الوجه الآخر للحداثة الأوروبية مع الاستعمار وربيبته الصهيونية، فكانت له مع كل ذلك إنجازات وعانى من إخفاقات.

من إنجازاته انتصار الشعوب العربية في معركة الاستقلال في وجه التوسع الصهيوني خارج فلسطين. وفي مجال «الترقي» أو ما يطلق عليه اليوم اسم «التنمية» فقد تحققت إنجازات كبيرة وواسعة، وإن كانت هذه الإنجازات أقل بكثير مما كان يمكن تحقيقه. أما في مجال «الاتحاد»، فإنه من سوء حظ العرب أنه عندما سقطت الإمبراطورية العثمانية وقعت بلدانهم تحت حكم إمبراطوريتين استعماريتين: بريطانيا وفرنسا؛ فالفكرة القومية وجدت نفسها تواجه وضعية جديدة حالت دون بناء الدولة العربية الواحدة، واتجهت بكل قواها لمقاومة المستعمر الذي تسلط على الأقطار العربية، وعمل على ربط كل قطر عربي بمفرده بأحد المراكز الاستعمارية في أوروبا، إضافة إلى تنوع وجوده القانوني في البلاد العربية، فهذا استعمار رسمي، وهذا انتداب، وتلك حماية، وهكذا وجد المشروع العربي للنهضة - الذي تضخّم من أجل أن تتحرر الأمة العربية من الاستعمار - نفسه في خضم الدولة القطرية التي قامت في كل قطر من الأقطار العربية حسب التقسيم الاستعماري».

إلا أن الجابري يرى أنه على صعيد «الاتحاد» فقد أصبح الانتماء إلى الأمة العربية اليوم من الخليج إلى المحيط مسألة نهائية، فالعرب في نظر أنفسهم، أو على الأقل في نظر الأغلبية الساحقة منهم، أمة واحدة على الرغم من اختلاف دولهم. وأكثر من ذلك فإن الغرب يَعدّ العرب كيانًا واحدًا وهو يتحدث عنهم على الدوام كطرف واحد موحد.

كذلك فإن من منجزات المشروع العربي للنهضة محافظته على الأساس الذي تقوم عليه وحدة الأمة العربية، والذي تفتقده الوحدة الأوروبية، وهي الوحدة الثقافية، فالثقافة العربية بقيت ثقافة موحدة للأمة العربية ولم ينل منها في شيء قيام الدول القطرية العربية.

ولقد أخفقت كل الاتجاهات والنزعات الإقليمية التي حاولت أن ترسخ لغات ولهجات محلية مكان اللغة العربية، وكذلك اندحرت النزعة الفرعونية وانتهت النزعة الفينيقية، ولا خوف على المغرب العربي من النزعة البربرية. ولقد بقيت الثقافة العربية والإسلام في عمقها يقوم بدور الموحد للعرب عبر التاريخ، كما تقوم به وسائل الاتصال الحديثة بشكل أوثق وأقوى مما كان عليه الأمر في الماضي.

وحتى على مستوى قضية فلسطين وما أصاب العرب من هزائم متكررة، وما وصلوا إليه اليوم من حال قادهم إلى اتفاقات لم تحقق يومًا الطموح والأهداف التي سعوا إليها ولم ترْقَ حتى إلى مستوى الإمكانات، إلا أنه عند رؤية الأمور من عدة أوجه نجد أن العرب على ضعفهم وتفرقهم استطاعوا أن يقاوموا المشروع الصهيوني ويحجّموه.

الإيجابيات بين التضخيم والتحجيم

وعلى هذا المستوى من الجنوح نحو تضخيم إيجابيات المنجز من أهداف مشروع النهضة العربي عند الجابري، نجد أن الإخفاق الذي حصده العرب في ضوء مفاهيم الحداثة والتقدم التي نقلوها عن التجربة الغربية لتكون محور التقدم والنهوض في بلدانهم، لا تقاس بأيّ مستويات إيجابية متدنية. يقول فادي إسماعيل: «إن كل محاولة أو تجربة فيها سلبيات وإيجابيات. إن التجربة الناجحة التي تحقق أهدافها في النهاية، هي التجربة التي يمكن أن نعود إليها ليظهر إلى أي حد كان من الممكن التضحية ببعض المكتسبات الثانوية للتقليل من السلبيات أو إلغائها، وفي هذه الحالة فقط يكون هناك إمكانية لنقد بناء من الداخل دون رفض الثوابت والأسس والمنهج والأهداف والوسائل ككل. أما عندما تخفق التجربة في موضوعها كلية فليس هناك حديث عن سلبيات وإيجابيات، ولكن عن نظام كامل خاطئ في قاعدة تشكّله وأساس تكوّنه. ونستطيع أن نتحدث عن بعض الإيجابيات دون شك وهي كثيرة (نَسبيًا) في الواقع العربي الراهن، كعدد المتعلمين والأطباء والمهندسين وعدد المستشفيات والمدارس والفنادق والطرق والمرافئ والمصانع والأسلحة، نتحدث عنها كمكتسبات جزئية، ولكننا لا نستطيع أن نكتفي بذلك، لأننا نكون كمن قام بالدعاية لها على حساب الفشل العام الذي قبلنا به وبجلناه، إن نقد الهزيمة والإخفاق والفشل يعني الكشف عن الأسس والقواعد والأنظمة والأفكار والقوى الرئيسة التي لولا هيمنتها وسيادتها لما نتج الإخفاق والفشل».

إن كل الآراء تجمع على أن التجربة لم تثمر النتائج الإيجابية المتوخاة منها، إلا أنها كذلك أشارت بطريقة نسبية إلى بعض الإيجابيات التي انطوت عليها وإن لم تكن حتى في المستوى الأدنى من طموحات المشروع.

إن الإخفاق الذي أحاط بالمشروع العربي للنهضة يدعو إلى تلمس الأسباب التي أدت إليه. والنظرة التحليلية لتلك الأسباب اعتمدت في الغالب على الرؤية المذهبية أو القناعات الفكرية التي اصطبغت بها عقلية الباحثين والمشتغلين بقراءة هذا المشروع وفحصه وتتبعه.

عوامل متعددة سببت الإخفاق

يرى الجابري أن المشروع العربي للنهضة عانى من حصار وتدمير خارجيين تمثلا في الحداثة الأوروبية والمشروع الصهيوني وحركة الاشتراكية العالمية، وفي إطار الربط بين إخفاق المشروع العربي للنهضة والحداثة الأوروبية يرى أن النظام الفكري الذي طغى على أوروبا خلال القرن التاسع عشر باسم الحداثة وفي إطارها، أدى إلى بروز نزعات فكرية تصب كلها في مجرى واحد هو ترسيخ فكرة تقدم الإنسان الأوربي وجدارة أوربا بالهيمنة على العالم لتمدينه ونشر الحضارة في أرجائه. يقول «صحيح أن المشروع العربي للنهضة لم يتبلور إلا مع حملة نابليون على مصر، وانطلاقًا منها، ولكن، صحيح أيضًا، أن علاقته بالحداثة الأوربية بوصفها، في آن واحد، مشروعًا للتقدم وللهيمنة، ظلت محكومة منذ البداية، وإلى اليوم، بهذه

الأبعاد الثلاثة (التنوير، التوسع الاستعماري، التنافس الأوربي). ولم تكن العلاقة بين المشروعين، الحداثي الأوربي والعربي للنهضة، من جنس علاقة الند بالند، بل كانت من جنس علاقة القوي بالضعيف والسيد بالعبد. ومن هنا كان ذلك الدور التخريبي الذي قام به مشروع الحداثة الأوربية في تاريخ النهضة العربية الحديثة من خلال بعديه اللذين يحكمان وجهه الآخر (التوسع الاستعماري والتنافس الأوربي). ذلك التخريب الذي مس، بل أجهض وأعاق مفعول بُعدهما الآخر: التنويري والتحديثي، إلى درجة يصح معها القول: إن تعثر النهضة العربية، أعني ما أصاب التحديث والحداثة من انتكاسات في الوطن العربي، يرجع في الأساس، لا إلى مقاومة داخلية من القوى المحافظة في المجتمع العربي، بل إلى الدور التخريبي الذي قام به الوجه الآخر للحداثة الأوربية، الوجه الذي قوامه الداخلي «القوة» و«المنافسة»، وتطبيقه الخارجي «التوسع الاستعماري» و«التنافس الأوربي الإمبريالي». إن هذا الدور التخريبي هو الذي مكّن المقاومة الداخلية للحداثة الأوربية في الوطن العربي من الشرعية والمصداقية، لأنها برزت كمقاومة للتدخل الاستعماري والغزو الأجنبي وليس كمقاومة للجديد».

إن الجابري يرى أن نزعات المقاومة الداخلية للمشروع العربي للنهضة لم تكن سوى استجابة لرد الفعل تجاه الوجه الآخر لمشروع الحداثة الأوربية الذي مثله الاستعمار والهيمنة، كما يذهب إلى أن المشروع الصهيوني كان أحد العوائق الكبرى التي واجهت المشروع العربي للنهضة. لقد حقق المشروع الصهيوني أهدافه في المشاركة بضرب الدولة العثمانية وهدم دولة الخلافة، إلى جانب أنه ظل خندقًا متقدمًا للاستعمار والهيمنة الغربية حال دون تبلور تقدم يذكر على مستوى المشروع العربي للنهضة. ويذهب كذلك إلى أن حركة الاشتراكية العالمية خذلت المشروع العربي للنهضة، إذ إن موقفها من الحقوق الوطنية والقومية للشعوب الأخرى يختلف عن نظرتها لشعوبها. لقد كانت الاشتراكية العالمية ذات وجه فُتِنَ العرب به بما كان يدعو إليه من تحرير الطبقة العاملة والمساواة وتحرير وسائل الإنتاج والقضاء على الإقطاع والاستغلال، إلا أن وجهها الآخر تمثل في مواقفها المهادنة لاستعمار الشعوب ومناصرة الحركة الصهيونية بشكل أدى إلى زيادة الحصار ومضايقة المشروع العربي للنهضة.

اقتباس من الحداثة الأوربية

إن الجابري بقدر ما نظر إلى العوامل الخارجية التي أدت إلى عرقلة المشروع العربي للنهضة في سعيه نحو تحقيق أهدافه، فإنه بحث في إشكالية الوضعية الداخلية التي ساعدت في تقاعس المشروع عن تحقيق أهدافه، يقول: «إن مشروع النهضة العربية قد استقى جلّ، إن لم يكن كل، مفاهيمه وطموحاته وشعاراته من أدبيات وشعارات الحداثة الأوربية، فلم يكن هناك في فضاء الفكرة والثقافة والسياسة في العالم العربي، قبل احتكاكه بالحداثة الأوربية، ما يمكن أن يُعتبر خميرة أو جنينًا لشعار «الاتحاد والترقي» الذي جعل منه المشروع العربي للنهضة قضيته الأساسية إن لم تكن الوحيدة. ذلك لأن هذا الشعار نفسه هو مجرد ترجمة واقتباس لأحد شعارات الحداثة الأوربية. إن ما نريد لفت الانتباه إليه هنا هو الاختلاف الجوهري بين مشروع الحداثة الأوربية ومشروع النهضة العربية من حيث إنهما - رغم تزامنهما واحتكاكهما المباشر - لم يكونا ينتميان إلى «لحظة» تاريخية واحدة، لم يكونا يعكسان المرحلة نفسها من التطور. ذلك أن مرحلة «الحداثة» قد قامت في أوروبا (القرن التاسع عشر) بعد مرحلة «الأنوار» (القرن الثامن عشر) التي قامت هي نفسها بعد مرحلة «النهضة» الثانية (القرن السادس عشر) والتي سبقتها «نهضة» أولى (القرن الثاني عشر). ومعنى ذلك أن مشروع النهضة العربية كان عليه أن يتعامل مع «حداثة» تجاوزت «الأنوار» و«النهضة». إن أيديولوجيا الحداثة (فلسفتها، طموحاتها، شعاراتها، الخ...) تقدم نفسها وتعلل وجودها بكونها البديل لفكر «الأنوار» وفكر «النهضة»، بوصفها الجديد الذي جاء ليدفن القديم إلى غير رجعة، هذا في حين أن مشروع النهضة العربية كان، ولا يزال، في حاجة إلى فكر النهضة وفكر الأنوار وأيديولوجيا الحداثة في آن واحد، وهي عبارة عن اتجاهات فكرية متعارضة ومتنافية.

من ذلك مثلاً أن فكر «النهضة» كان قوامه في أوروبا، إحياء التراث اليوناني - الروماني، الفلسفي والعلمي والفني والأدبي، والانتظام فيه، الشيء الذي يعني العمل على الإفلات من هيمنة الكنيسة ووصايتها على العقل والوجدان. إن الرجوع إلى التراث اليوناني الروماني كان معناه إعادة اكتشاف «العقل» ومنجزاته، والإنصات إلى إبداعات الوجدان وتطلعاته. أما «فكر الأنوار» فقوامه التحرر من جميع السلطات التي توجه الفكر والسلوك، وعدم الاعتراف إلا بسلطة «العقل». وهكذا فإذا كانت «النهضة» مرتبطة بإحياء التراث السابق على الكنيسة، والمضاد لها، والانتظام فيه، والانخراط في روحه وقضاياه، فإن «الأنوار» تعني الاستقلال عن كل تراث مضى وخلق تراث جديد تكون مرجعيته نور العقل وحده.

وتأتي «الحداثة» لتنقل «العقل» - «عقل» الأنوار - من دماغ الإنسان الفرد إلى كيان المجتمع والتاريخ، والنتيجة التي تفرض نفسها - مع الوضع في الحسبان هذه المسافة التاريخية الحضارية التي تفصل بين مشروع النهضة العربية ومشروع الحداثة الأوربية رغم تزامنهما - هي أنه لا الفكر العربي، ولا الأوضاع الاجتماعية العربية، ولا وضع العالم العربي الإسلامي كله، كان قادرًا آنذاك على تقبل واستيعاب شعارات الحداثة الأوربية بمضامينها الحقيقية، وعلى رأسها شعارها الأساسي «الوحدة والتقدم»، وغني عن البيان القول: إن العرب لم يحققوا اليوم، ولا هم قادرون في ظل وضعيتهم الحالية، على تحقيق ما ظلوا يتخذونه شعارًا لهم منذ أكثر من قرن، أعني: الاتحاد والترقي».

نموذج غير صالح للتبني!

لم يظهر واضحًا في طرح الجابري إشكالية الخلفية الفكرية والتراثية والدينية والمرجعية بين الفكر الغربي الوافد (فكر الحداثة) وتراث الأمة (لحظة الاصطدام)، وقصر البعد التاريخي وولادة اللحظة التاريخية لكلا المشروعين كونًا عاملاً حال دون صيرورة المشروع العربي للنهضة إلى موقع متقدم كالذي قاد أوروبا لعصر النهضة والتقدم والترقي.

المشروع العربي للنهضة حقق نجاحات واسعة في رأي فريق من الباحثين، وأخفق إخفاقًا شديدًا في رأي فريق آخر!

ولقد أصبح التدرج في توالي السياق التاريخي لعملية التقدم الغربي نموذجًا قرأه السابقون على أنه ضرورة حتمية لصيرورة التقدم والنهضة في المنطقة العربية.

يشرح د. حسن حنفي رؤيته لعملية التقدم الغربي الحديث فيقول: «في عصر النهضة بدأ تأسيس الوعي الأوربي على أسس جديدة بنقد الموروث، حتى يمكن التحرر منه كمصدر للعلم وكقيمة للسلوك، والتحول إلى العقل والطبيعة، ووضع الإنسان مركزًا للكون. ثم أتت العقلانية في القرن السابع عشر تتويجًا للعقل الذي أصبح له

سلطان على كل شيء: الدين، الفلسفة، العلم، السياسة، الاجتماع، الأخلاق، والقانون، ثم أتى عصر التنوير في القرن الثامن عشر بعد تفجير العقل في المجتمع، فاندلعت الثورات واهتزت الأنظمة وخرجت أفكار الحرية والعدالة والمساواة والتقدم والإنسان والطبيعة والتاريخ. وتحولت الفلسفة إلى ثورة والفيلسوف إلى قائد للجماهير، ثم أتى عصر الثورة الصناعية عندما تراكم العلم وظهرت الاكتشافات العلمية والاختراعات الحديثة وحلت محل الإنسان في الإنتاج، وظهرت الطبقة العمالية وقامت الثورات الاشتراكية، ثم أتى القرن العشرون ليحدث ثورة صناعية ثانية في عصر التقنية».

أما هشام جعيط فهو يعتبر «أن فلسفة التنوير في الذهن الغربي المعاصر نشأت كحركة نقدية للدين قبل أي شيء، وكانت مضادة أيضًا للنزعة الاستبدادية ومُناصرة لسلطة العقل المطلقة، من هذا المنطلق كانت ذات نزعة نحو العالمية. ومع انتشار النفوذ الغربي في العالم أمست هذه الفلسفة قاعدة (أيديولوجية) في جزء كبير من العالم المعاصر، فكانت الثورة الفرنسية ابنتها المباشرة، والثورة الروسية أيضًا، بل إنها كانت غالبًا (الأيديولوجية) المضمرة في كل مشروع علماني تحديثي».

لقد كانت المسافة التاريخية الحضارية التي تفصل بين مشروع النهضة العربية ومشروع النهضة الأوربية محور الإشكالية الداخلية في إخفاق المشروع العربي لدى الكثيرين، إلا أن المحور الأعظم والآكد والأخطر ينقلنا إليه بعض الباحثين في مفاهيم التقدم والحداثة، ومنهم فادي إسماعيل حين يقول: «إن الإجابات التي طُرحت على تحديات عصر «السيل الغربي الجارف» وزمنه الحضاري منذ القرن الماضي من قِبَل مفكري ما سمي بعصر النهضة، ومنذ تكون العالم العربي الحديث، لابد أن يُعاد فحصها، لابد من البحث المبدع الخلاق عن نموذج للتغيير يختلف عن نموذج الغرب، ابتداء من عصر نهضته، ثم ثورته الصناعية، فثورته العلمية والتقنية، وكل ما صاحب هذه «الثورات» من تغيير في العلاقات والنظم والقيم المجتمعية. ذلك أن هذا النموذج الذي تبنته النخب الحديثة في طروحاتها ومشاريعها، هو نموذج غير صالح وغير مرغوب به لدينا، لأنه لا يتسق مع المبادئ الحاكمة والقيم الأساسية لحضارة المجتمع/الأمة التي ننتمي إليها، والتي لا تضع الإنسان في مركز الكون، ولا ترى الحياة منفصلة عن الآخرة، ولا ترى الحاجات المادية منفصلة عن الحاجات الروحية، وتركز على ضبط النفس والاعتدال أمام ملذات الحياة على العكس من النموذج الغربي الذي يقصر الحياة على الحياة الدنيا المادية، ويرى تحقيق أقصى رفاهية مادية للإنسان باعتباره الهدف الأسمى للحياة على وجه الأرض، ويرتكز على بناء للقيم يضع الإنسان في مركز الكون. إن هذا النموذج أعلن منذ نشوئه موت الإنسان وعبثية ودنيوية وجوده كنتيجة طبيعية لإعلانه «موت الله»، بما يعني ذلك من انحدار للقيم الإنسانية والأخلاق. وهو كذلك نموذج غير مرغوب فيه، لأن اتباعه في مجتمعات العالم الثالث لم يؤد إلا إلى التبعية وفقدان الاستقلال السياسي والاقتصادي والحضاري. وخير مثال لهذا دول أمريكا اللاتينية التي سبقتنا في محاكاة النموذج الغربي. إن تجارب التحديث في العالم الثالث كانت عمليات تقليد للغرب دون بناء القوّة الإبداعية، وتضخيم نوع من النشاط الاقتصادي والثقافي الطفيلي دون تنمية القوة الإنتاجية والعملية والتقنية تنمية (استراتيجية) بعيدة المدى.

مشروع الحداثة الأوربية ومشروع النهضة العربية مختلفان جوهريًا لأنهما لم يعكسا المرحلة نفسها من التطور، ولم ينتميا إلى لحظة تاريخية واحدة!

والنموذج الغربي، أخيرًا، هو نموذج غير صالح أو مرغوب فيه لأنه غير قابل للتكرار، ذلك أن نجاحه في أوروبا كان مشروطًا بظروف تاريخية ـ مجتمعية داخلية، ورهن ظروف خارجية تمثلت في الاستعمار، إن هذه الشروط التكوينية للنموذج الغربي لا يمكن أن تتكرر».

إن قراءة رد فعل الجماعة أو العامة أو الأغلبية الشعبية تجاه الحضارة المؤثرة يبقى الدليل الأول والأهم والركيزة الأولى للفعل التاريخي، حيث تشكل هذه الفئة البيئة والقاعدة لانطلاق أي مشروع حضاري.

إلا أن تجاهل الفكر العربي المعاصر لهذه الجماهير وحركاتها وثوراتها ومواقفها، تجاه الحضارة الوافدة بشخوصها ورموزها ونماذجها وعسكرها، خلق حالة من الانفصام بين النخبةوالقاعدة، وكان الدليل الأهم في إعاقة المشروع العربي للنهضة المبني أساسًا على الانفصال عن القاعدة شعورًا وتاريخًا وتراثًا.

البداية من المقاومة الإسلامية للتغريب

«إن أول من وقعت عليه مسؤولية مواجهة الاقتحام الأوربي للعالم العربي والإسلامي، كانت السلطة العثمانية وأجهزتها، ولكن سرعان ما انهارت مؤسسات السلطة المركزية بمختلف أشكالها السياسية والعسكرية والاقتصادية، إذ إن عوامل الاختراق التدريجي والضعف المتزايد كانت قد فعلت فعلها في بنية السلطة، إلا أن انهيار الدولة لم يستتبعه انهيار للمجتمع، بل على العكس أثبتت معطيات الصراع بين النموذج الغربي الحديث والمجتمع الإسلامي أن الدولة لم تشكل المفصل الوحيد المدافع عن المجتمع الإسلامي، بل تركزت نقاط وخطوط المقاومة أساسًا عبر حركات إسلامية ذات طابع أهلي وأصولي الأهداف والمرامي والأساليب، فمن انتفاضة الأزهر ضد الحملة الفرنسية، إلى حركة عبدالقادر الجزائري، إلى الحركة السنوسية، والحركة المهدية، وهناك حركات شعبية اشتعلت في شمال الهند، وانتفاضات أخرى في آسيا الوسطى ضد الروس. هذا الخط من المقاومة الشعبية الإسلامية وجد تواصله في مرحلة لاحقة، مع مطلع هذا القرن، في انتفاضات جامع الزيتونة في تونس، وانتفاضة النجف في العراق، وجمهورية عبدالكريم الخطابي في الريف المغربي، وحركة عمر المختار في ليبيا، وجمعية العلماء في الجزائر، إن أبعاد هذه المقاومة للغرب كانت أيضًا رفضًا للغرب؛ احتلالاً وهيمنة عسكرية وسياسية واقتصادية ورفضًا لأسلوبه في الحياة والنظم».

إن ما تلا مرحلة الصدام وأعقبه من ضعف للقوى الشعبية مكن دعاة الحداثة والأخذ بالنموذج الغربي أو التوفيقي من تحقيق خطوات واسعة من مشروعهم الذي أثمر نتيجتين مهمتين: أولاهما: أنه لم يحقق أهدافه كما رسمها، وثانيتهما: أنه زرع حالة القلق التي ظلت تتنامى وترفض وتقاوم محاولات التغريب وإقصاء التراث خلال الأعوام المئة الماضية حتى يومنا هذا.

إن تأسيس قراءات موضوعية تحليلية للواقع العربي جديرة بأن تبين أسباب الإخفاق، وأن تضع ملامح لمشروع حضاري يحمل بذور نجاحه في بنائيته التي يجب أن لا تنفك عن تراث الأمة ودينها الذي هو قدرنا جميعًا وقدر الأجيال القادمة في هذه المنطقة حتى تقوم الساعة.



د. عبدالله أبو داهش

أبو الحيّاش الحجْري يستسقي ويطلب الفرج من الله

لعل من أظهر النصوص الأدبية التي اشتهر ذكرها في نحو القرن الرابع الهجري: قصيدة الشاعر أبي الحيّاش الحجْري، من الحجْر بن الهِنْو من أهل السراة بجنوبي الجزيرة العربية الذي عارض الشاعر «الحزازة العامري» من شعراء نجد يومئذ إثر القحط الذي وقع بالناس في جزيرة العرب عبر تلك الحقبة، ودعاهم إلى طلب السقيا، والفرج من الله تعالى.

ولقد تناول أبو الحياش الحجري في قصيدته هذه مظهرًا إنسانيًا جادًا يتصل بحياة الناس، ومعاشهم في جبال السراة، ويتمثل في واقع تعاملهم مع بيئتهم، وما توجبه عليهم عقيدتهم تجاه خالقهم سبحانه وتعالى عند وقوع الكرب، وشدّة اللأواء، إذ هم عندئذ يفزعون لمن يكشف الغُمَّة، ويدفع البلاء. يقول الحسن بن أحمد الهمداني (280- 334هـ): إنه في نحو القرن الرابع الهجري أصاب الناس: «أزمة شديدة مكثوا سنة جرداء، وسمّوها سنة الجمود لجمود الرياح فيها، وانقطاع الأمطار، وذهاب الماشية وهزالها، وثبات الغلاء، وقلة الأطعمة، وتصرم المياه في الأودية والآبار، وتُسمّى مثل هذه السنة: الحُطْمَة والأزْمَة واللَّزْبة والمجاعة والرَّمْد وكَحْل والقصر والشدة، والحاجز، فأقبل الناس بالضَّجَة والعواء، والتضرع إلى بيت الله الحرام من أرض نجد وأكناف الحجاز وأرض تهامة والسَّرَوات يدعون الله عزّ وجل بالفرج لهم ويستسقون. وكان في الوفد المستسقين من أهل نجد شاعر يُقال له الحزازة العامري أنشد شعرًا يذكر آلاء الله عز وجل فيه ورحمته التي كانت تشملهم وتشمل أرضهم بلدًا بلدًا، وواديًا واديًا، وجبلاً جبلاً، فقال:

ربّ ندعوك، فاستجب، فبك الدَّهـ
ـر عن الخلق تُكْشَف الغمّاءُ
إن أيُوب حين ناداك لم يُحـ
ـجَبْ لأيوبَ ربٍّ عنكَ النداءُ
مَسَّهُ الضُرُّ فاستجبتَ له الدعـ
ـوةَ لَمَّا به أضَرَّ البلاءُ
فأغِثْنَا إلهنا ولك الحمـ
ـدُ بغيث تجرّهُ الأنواءُ
يُنعَشُ الناسُ في السوارِج والوحـ
ـش وتُحيا الجديدة الغبراءُ
فلكم ثَمَّ كم رأيتُ غيوثًا
لَكَ تقتادها الرياحُ الرُّخَاءُ
سُقي الشَّحرُ فالمُزُونَ فما حا
زت ذواتُ القطيفِ فالأحساءُ(1).

وأخذ لا يلوي على شيء؛ يعدد ديار نجد وأحواز الحجاز، ورُبى الحزون، ومآتي أودية السراة، حتى إذا سمع: «الوفد المستسقون من أهل تهامة وسرواتها هذا الشعر، وكان فيهم شاعر يقال له أبو الحيّاش الحجري من: الحجْر بن الهنْو، فسألوه أن يقول شعرًا في مثل ما قال الحَزازة، فأنشأ أبوالحيّاش يقول:

ربٍّ ما خابَ مَنْ دعاك ولا يُحـ
ـجَبُ يا ذا الجلال عنك الدعاءُ
لم يخِب للنبيّ يعقوبَ يا ذا الـ
ـعرشِ فيما دعا لديكَ الرجاءُ
ربٍّ أنت الذي رددت عليه
بصرًا كان قد محاه البكاءُ
وابنه يوسف جمعت عليه
بعد أن مسَّ يوسفَ الضَّرَّاءُ
وحشة منه في الغَيَابة للجُـ
ـب وفي السِّجن حينَ طالَ الثواءُ
رحمةً منك هب لنا إننا نحـ
ـن لك اللّهُ أعبُدٌ وإمَاءُ
إن هاتا لأزْمَةٌ عَمَّت النَّا
سَ ومَسْتهُمُ لها البأساءُ
ولكم ثمّ كم سقيتَ لنا الأرْ
ضَ غُيوثًا أتت بها الأنواءُ
سُقِيَتْ حضرموتُ منها مع الأحقـ
ـاف ريًا وعلَّت الأسعاءُ
طُبِّقَتْ بالسيول أبينُ حتى
لحجها وهي والسماء سواءُ
تلكمُ أحورٌ وتلك الدثينا
ت مع السَّرْو جَنَّةٌ خضراءُ
ولذُبحان فالمعافر فالسَّا
حلُ من غورها ضباب عَمَاءُ
فقرى شرعب مع الجَنْد العلـ
ـيا فما حازت الربادي رواءُ
فالسَّحُولان فالمذيخرة الغيـ
ـثياء عُلَّت فحيسها القوراءُ
وأربت تصوب فوق زبيد
مثل ما صبَّ في الحياض الدِّلاءُ
ولجُبلان سالَ في رمع الطَّمـ
ـم وجادت على ذؤال السماءُ
وعلى سُرْددِ مسفٌ من الجو
د بسقياه أحيت الكدراءُ
وللعسانها فأرض طمام
فلعيان ديمةٌ هطلاء
سقى الطود من حراز فمن هوْ
زن غيثًا لهيدتيه الطَّخاءُ
فقرى مور فالقريضة فالشَّرْ
جة فالواديان فالسلعاءُ
وادْلَهمَّت على قرى حرض يو
مين بالسح مُزنةٌ سوداءُ

سقيت برهة قرى خُلب منـ
ـها فجَازان تلك فالصبياءُ
فقرى بيش فالدويمات فالبر
ك فَحَلِيٌّ ممطورةٌ غينـاءُ
ومن الطود فالزنامات خُضر
رُويت فالتنومة الزهراءُ
فقرى الحجر جهوة الزرع والضر
ع فأشجانها الحنا فالجباءُ
فجبال السراة فالفَرَع الوسـ
ـطى حكين الجنان فالحيفاءُ
فالشداوان من سقامة فالمر
حلة المرجَحنَّة النجلاءُ
فقرى مغسلٍ فأودية النهـ
ـبيـن فالوادي ذي النُّجول العذاءُ
فالذرى من سراة غامد فالنمـ
ـر فأجبال دوسها طخياءُ
فقرى الدارتين أرضُ عليٍّ
سهلها والجبال منها الماءُ
فالشبابات فالمعادن فالطا
ئف فالويل أرضهنَّ سماءُ
فقنونا فأرض دَوقة فالليـ
ـث فعشم السِّرَّين فالسراءُ»(2).

لقد أتت هذه القصيدة معبّرة عن شعور الشاعر تجاه خالقه سبحانه، حيث أحسن التوازن بين ذكر رحمة ربه، وظروف بيئته التي أجدبها القحطُ وأنهكتها السنون، إذ رجع في انكسار المؤمن يتلمس رضا ربه، ويسأله رحمته، ولم يفت به الشعور النفسي الصادق، بل أقبل مع قومه نحو بيت الله، وهنالك في مكة المكرمة سكب دموع وجده، واستفاض به الحزن، حتى جأر بالنداء الصادق في رحاب الحرم الشريف مع ثُبات كثيرة من أهل الجزيرة العربية، حتى إذا لم يجدوا مسارًا يسكبون فيه هذه الآلام، استخدموا الشعر؛ فحمل أحزانهم في عرض شائق طريف. إنها وقفات إنسانية جاد بها هذا العطاء الشّعريّ الممتاز.

الحواشي:

1ـ صفة جزيرة العرب، للسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي، وأشرف على طبعه الشيخ حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى 1394هـ ـ 1974م، ص378، 379.

2ـ المصدر نفسه ص380، 381، 382.

قصيدة

أهـــواكِ طُهـرًا

شعر: **درغام رشاد محمد**

نزعتُ عن وجهكِ الأستارَ والحُجُبا ... نحنُ النقيضانِ، مَصلوبٌ ومَنْ صَلَبا
فاستسلمي للغواياتِ التي جَلَدَتْ ... روحي فما لكسيحِ القومِ أنْ يَثِبا
وقَطِّعي بالجفا أسبابَ أُلفتِنَا ... فإنْ عَزَمتُ رحيلاً فاغزلي سَبَبا
وَدَرِّبيني بما أُلهمتِ من حِيَلٍ ... في الحبِّ، لستُ بطبعي حاذقًا دَرِبا
أهواكِ طُهرًا، وإيمانًا، وأغنيةً ... عذراءَ تمسحُ عَنِّي الهمَّ والتعبا
أهواكَ حُلْمًا رفيقَ الخطوِ يسكنني ... وخاطرًا يُبعدُ الأشباحَ والرِّيَبا
أهواكِ فَيْضَ حَنانٍ لا قَرارَ لهُ ... وديمةً بعدها لا أشتهي السُّحُبا
وما عتبتُ على جرحٍ يساومني ... ولا لسيفي نبا، أو للجواد كَبَا
ولا على شفةٍ أَمْهَرتُها وَلَهًا ... قلبي فصبَّتْ على أحنائهِ اللهبا
هل يُعَذَلُ الشوكُ إن أدمَتْ مخالبُه ... أم تُسألُ النارُ إنْ لم تَرحمِ الحَطَبَا؟!

حسن ورفر

رحلة سنوات مع الإسلام

كان مولده في المجر (هنغاريا) لأبوين ينتميان إلى المذهب البروتستانتي، ولم يسعد كثيرًا في طفولته، إذ لم يمض وقت طويل على مولده حتى انفصل أبواه بالطلاق، وكانت بداية رحلة تشتت وضياع، ولكنها رحلة باطنها الرحمة وظاهرها العذاب، إذ كانت سببًا في هدايته.

هكذا كانت طفولة جوليوس ورفر، طفولة حائرة مشتتة بين بيتي أبويه المنفصلين، وكان كلما زار أحدهما لا يرحماه من سماع ما يكره من الشتائم واللعنات التي اعتادا أن يسب كل منهما الآخر بها، مع حرص كل منهما على أن يقنع الصغير جوليوس بأن الطرف الآخر هو سبب المشكلات والخلافات.

وحين التحق بالمدرسة، شاءت الأقدار أن تكون مدرسة بروتستانتية، وفوجئ بالمدرسين يهاجمون الكاثوليكية، ويتهمونها بالخطأ، وحار الصغير جوليوس فيما يسمعه، وما تربى عليه من زيارة الكنائس، ومنها كنائس الكاثوليك، مثلما حار قبلاً في خلافات والديه، فلم يعد يدري أي الناس على صواب، فالكل يدعي ذلك، والجميع يقدم حججًا مقنعة، وعقل الصغير ووقته لا يسمحان بالتأكد من صدق أيهم.

بداية التعرف إلى الإسلام

لم يكن جوليوس حتى التحاقه بالمدرسة العليا يعرف دينًا سوى النصرانية، ومن ثم لم يكن أمامه ملجأ يلوذ به من حالة الضياع التي يحياها سوى الكنيسة، لكنه حين التحق بالمدرسة العليا درس نذرًا قليلاً عن الشعوب غير النصرانية، مثل العرب والترك، وعرف أن النصارى يعتبرون هذه الشعوب شعوبًا وثنية ويزعمون أنهم يعبدون رجلاً يدعى محمد، ويقدمون بذلك صورة مشوهة عن حقيقة الإسلام، بل هي صورة مغايرة تمامًا لجوهر عقيدة التوحيد، يقودهم إلى ذلك حقد على الإسلام والمسلمين، ورغبة في تدمير الدين الإسلامي في نفوس الناشئة لكي يشبوا مثل أجدادهم من الصليبيين.

إلا أن جوليوس وقد اطلع على نماذج من الأدب التركي، وشاهد ما خلفه الأتراك من آثار لا تمحى في بلاده التي عاشوا فيها مئة وخمسين عامًا، أحس أن هؤلاء الأتراك المسلمين، أو غريبي الأطوار كما يسميهم الناس في بلاده، أقرب إليه من مواطنيه، فبدأ يحن إلى معرفة حقيقة دين هؤلاء.

وحين قامت الحرب العالمية الثانية، وأتت على الأخضر واليابس، واحتل الروس الشيوعيون بلاده المجر، سعى الروس إلى نقل أفكارهم الإلحادية إلى شباب تلك البلاد، حتى إذا ما خرجوا منها، تركوا أتباعًا لهم يروجون لفكرهم في صفوف أبناء المجر. ومن أجل تحقيق هذا الهدف قرر الروس منع الشباب من ارتياد الكنائس، فأصيب جوليوس بإحباط، لكنه ما لبث أن اتخذ تلك المرحلة فرصة لدراسة عقائد البروتستانت والكاثوليك، وكان كلما أمعن في الدراسة يوقن في نفسه أكثر بأنه بعيد من المذهبين تمامًا، حتى كره الذهاب إلى الكنائس، ونسي الصلاة تماما، وكان يقضي وقته متطلعًا إلى السماء مفكرًا في حقيقة الكون وحقيقة الخلق، والحقيقة الكبرى التي وراء هذا كله.

ضياع وتمزق

مرت سنوات وجوليوس يحيا ضياعًا لا حدود له، إذ كانت روحه الحيرى تبحث عن خلاص، ولكن أين الخلاص؟! فالتشتت وعدم الثبات الفكري يلازمانه، وفجأة ذات يوم، وجد نفسه يبكي ويسجد على الأرض بجوار فراشه كما يفعل المسلمون في صلاتهم وينادي ربه: «اللهم آمنت بك وحدك لا شريك لك.. فأعني يارب».

وجاء الانقلاب الشيوعي في المجر في أواسط الخمسينيات الميلادية، فاضطر جوليوس إلى مغادرة بلاده إلى إنجلترا، حيث أمضى بها سنوات، كان مايزال خلالها على النصرانية وإن لم يؤمن بها، ويشده حنين خفي إلى بلاد الشرق، بلاد العرب والإسلام.

وأتيحت له فرصة العمل على ظهر إحدى السفن المسافرة إلى استراليا مرورًا بقناة السويس، وعدن، وكان لقاؤه الأول مع العرب المسلمين، الذي شعر بعده بأنه صار إنسانًا جديدًا، وفي الطريق إلى عدن لمح شواطئ المملكة العربية السعودية عن يساره، فتمنى لو أن السفينة رست قليلاً في تلك الأراضي المقدسة.

وانتهز فرصة انتظار السفينة في عدن ليلتقي بالعرب، وشدته بساطة تعاملهم وعفويتهم، حتى إنه شعر بأنهم أهله، بل أقرب من أهله إليه.

حياة محمد

واصلت السفينة رحلتها إلى أستراليا، وكان عمله فيها مساعدًا لبائع الكتب، فانتقى لنفسه كتابًا، كان عنوانه «حياة محمد» وانكب عليه يقرؤه، حتى إذا ما فرغ منه، عاد ثانية إلى قراءته، ومن هذا الكتاب عرف كل ما يريد معرفته عن الإسلام، وتغير حاله كثيرًا، إذ وجد روحه تستريح إلى هذه القراءة الجديدة، ولكنه

مع ذلك لم يشهر إسلامه، فالوقت لم يكن قد حان بعد.

عادت السفينة التي يعمل بها جوليوس إلى بريطانيا، ووجد نفسه في حاجة إلى عمل جديد ومسكن جديد، وسعى ليعمل ممرضًا في بلاد العرب من طريق هيئة الصليب الأحمر الدولية، وتحققت هذه الأمنية بعد عام ونصف العام من السعي والانتظار، وشاءت عناية الله أن تكون السعودية محطته الأولى ثم بلاد اليمن.

في جدة ميناء السعودية الأول، التقى برجل أوروبي مسلم، جعله الله سببًا في خروجه من تردده، إذ سأله جوليوس عدة أسئلة عن الإسلام، فأجابه الأوروبي المسلم عن أسئلته، وتعلم منه كل ما يحتاج إليه للخطوة الكبرى، خطوة إشهار إسلامه، التي تمت بمشيئة الله، وصار اسمه «حسن» تيمنًا بسبط الرسول صلى الله عليه وسلم.

عودة إلى بلاد العرب

كان مناخ جدة غير مناسب لأوروبي من بلاد الثلج مثل حسن، لذا سقط فريسة المرض، واضطر أن يرحل إلى بيروت، ومنها إلى بريطانيا، وحاول البحث عن عمل بلا جدوى، حتى جاءته دعوة من والده المقيم في كندا للسفر هناك، فلباها، وذهب إلى كندا حيث وجد عملاً لم يستمر فيه طويلاً لمرضه، ودخل مستشفياتها مدة غير قصيرة كانت كافية ليستزيد من ثقافته الإسلامية، وليبحث عن عنوان مركز إسلامي هناك، وعثر على المركز في مدينة أدمندتون، فكتب إليه سائلاً أن يجد أخوة له في الإسلام في مدينته التي تبعد 300 كيلو متر من المركز، وجاءه الرد متضمنًا عناوين بعض المسلمين وعنوان المركز الإسلامي في مدينته، فصار لديه ـ للمرة الأولى ـ أخوة في الدين، ساعدوه فيما بعد لينال فرصة العودة إلى بلاد العرب، بالعمل ممرضًا في وزارة الصحة الكويتية. وقد أنعم الله على حسن بحج بيته الحرام، والتفقه في دينه، والزواج من إنسانة تفهمه حيث يعيشان الآن حياة إسلامية نقية.

الذلول

محمد علي الجفري

لابد من راكب ومركوب ما دمنا نتحدث عن الحمير والبغال والخيل والجمال، وإلا توحشت هذه الحيوانات كما هو الحال في حمار الزرد أو الوحش، فيصبح التنعم لا محل له. إذ كيف تتنعم بالأنعام إذا كنت لا تركبها ولا تأكلها ولا تتزين بها؟

المعادلة لا تتحقق إلا بأن يؤدي الطرفان دورًا مرسومًا لكل واحد منهما. والثنائية موجودة وجودًا يفرض نفسه. والركوب طبيعة هذه الحياة. أنت راكب على كرسي الوظيفة، كرسي السيارة، كرسي المجلس، كرسي الطائرة. وينقلب الكرسي إلى برذعة إذا كان المركوب حمارًا. ومن أنعم النعم أننا خُلقنا لكي نركب الحمار، لا العكس.

يمكنك فهم هذه الحقيقة أكثر إذا تعطلت السيارة واضطرتك إلى أن تدفعها بكل ما في طاقتك وتستعين بابنك أو بعابر سبيل، حتى توصلها، وكأنك تحملها على ظهرك إلى أقرب (ورشة).

وقد ربط الله مصيرنا بأسلاك غير مرئية اسمها الجاذبية، فنحن في الحقيقة راكبون على هذه الأرض، وقد وصفها كتاب الله بأنها «ذلول» أي منقادة كأطوع حمار لكي نركبها بالمشي في مناكبها.

ودعانا القرآن إلى استعمار هذه الأرض بصفة: واستعمركم فيها. والاستعمار بمعناه اللغوي غير السياسي يعني وجود طرفين: فاعل ومفعول به، أو فاعل ومفعول بها هي هذه الذلول التي نحفرها لكي نشرب الماء من جوفها، ونحفرها كي نرفع البناء فوقها، ونحفرها كي نستخرج غازها، ونفطها، ونحفرها تنقيبًا عن معادنها، ونحفرها كي ندفن موتانا فيها، ونحفرها كي نتحصن في الحروب بترابها وبقشرتها. وهي ذلول لنا دائسين عليها، راكبين على ظهرها، طائرين بالطائرات فوق جبالها، مثبتين الجسور عليها شاقين الأنفاق وسطها وفي صخورها. ومن يتجول في مكة المكرمة يعرف نعمة شق الأنفاق.

نحن بكل حال راكبون، لكن هذا المركوب يعتمد على نوعية ركوبنا، هل نحن مستمتعون حقًا بهذا الحيوان الأليف الأنيس الناعم الذلول؟ هل نحن نمشي في مناكبها حقًا؟

الجواب لا يخفى على فطنة القارئ. ذلك أن المجتمعات المتقدمة تتنعم بالركوب على حقيقته، وبالاستعمار بمعنييه اللغوي والسياسي، أما نحن فنائمون هاجعون، أو على الأقل غافلون، ومن ثم فإن طرفًا واحدًا هو الذي يقوم بمهمته، الأرض مستعدة للركوب، وللتنقيب، وللحفر، وللشق، وللفلاحة والحراثة، وللبناء وللإخصاب.

كيف سيرى الله عملنا ورسوله والمؤمنون إذا كنا لا نعمل؟

كيف يحب الله العبد المحترف إذا كنا نستورد المحترفين من ثلاثة وثلاثين بلدًا؟

كيف تأتي البركة من دون الحركة؟ كيف نستفيد من الأرض الذلول إذا كنا لا نمشي في مناكبها ولا نستعمرها؟ هل يعمر الأرض عشرات الألوف من موظفي المكاتب؟

كيف نُجازَى بالإحسان دون إتقان؟

كيف لنا بالاكتفاء الذاتي ونحن نستورد بضائعنا من كل بقاع الأرض؟

كيف نتحول إلى مجتمع صناعي ونحن مجتمع استهلاكي في كل شيء؟

اقرؤوا سورة العصر تجدوا الأجوبة عن هذه الأسئلة.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. عبدالله الجبرين

الزاني المحصن

إذا ارتكب رجل الزنا وهو متزوج هل تحرم عليه زوجته، وكذلك المرأة هل يحرم عليها زوجها إذا زنت؟

أ. ع. ح

صنعاء، اليمن

قد قال بعض العلماء بتحريم نكاح الزانية على العفيف ونكاح العفيفة للزاني لقوله تعالى: *الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ*. **النور:** 3. فمتى كانت المرأة مستمرة على الزنا غير حافظة لنفسها، فإنها تحرم على العفيف، وإذا عرف ذلك منها ولم يكن عنده بيّنة فإنه يجب عليه مُلاعَنَتُهَا أَوْ طلاقُها لئلاّ تُدخل عليه أولاداً من غيره أو تفسد فراشه. أما إن زنت مرة ثم تابت وأصلحت عملها واعترفت بذنبها وتعهدت ألاّ تعود، وعرف الزوج منها الصدق والندم والعزم على حفظ نفسها، فإنّ له إمساكها ولاسيّما إن كانت أم ولده أو كانت ذات منصب وجمال، فسترُها أولى مع مراقبتها والتشديد في الحفاظ عليها. أما الزوج إذا زنى واستمر على الزنا وعرفت الزوجة ذلك منه فإنّ لها طلبَ الفراق إن أصرَّ على ذلك ولم يرتدع. ولا تحرم عليه زوجته، ولكنّ ذلك يقدَحُ في عفافه، وقد يكون فعله مما يدفعُها إلى الزنا؛ وقد ورد في الحديث: «عفوا تَعِفَّ نساؤُكم» رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد. والتجربة أكبر برهان، فعلى المسلم التعفف عن الحرام والبعد من تعاطي أسبابه، وفي الحلال غُنية عن الحرام، والله أعلم.

الأغاني الخالية من الفُحش

ما حكم الاستماع إلى الأغاني إذا كانت خالية من فاحش القول كالأغاني الوطنية ونحوها؟

سميرة الزاكي

الدوحة، قطر.

هناك فرق بين الأغاني وبين مُسمَّى الشعر، فالشعر كلام: حَسَنُه حَسَن وقبيحُه قبيح، وما ورد فيه من الذم في القرآن أو في السنّة يُحمل على شعر الجاهلية وعلى ما فيه من خيلاء وتكبُّر وافتخار بالأسلاف والأحساب لقوله تعالى: *وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ*. **الشعراء:** 226.

وهو الذي نَزَّهَ اللهُ سبحانه نبيَّهُ صلى الله عليه وسلم عنه بقوله: *وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ*. **يس:** 69.وقد أقر صلى الله عليه وسلم كثيراً من الصحابة على نظم الشعر، بل شجّعهم على هجاء المشركين والرد عليهم.

فمتى كان الشعر في نصرة الدين أو في محاسنه أو في بيان فضائل الأعمال والأحكام والآداب والعلوم النافعة؛ فإنه جائز سماعه، بل يندب حفظه لاستحضار الفوائد والعمل بها، أما إن كان هجاءً للمسلمين وسباباً وسخرية، أو نصراً للباطل ورداً على أهل الإسلام، فإنه يَحْرُمُ قولُهُ ولا يجوز نَشْرُهُ ولا استماعُه، بل يجب إتلافه أو نقضه. وأما الأغاني فيراد بها إنشاد الأشعار بتلحين وترقيق صوت وتغنج وتمايل وأصوات رخيمة تثير الأشجان وتبعث الهمم إلى الفواحش، أو يحصل بها إغفاء يشبه السُّكْر المعروف، وعليه يُحْمَلُ ما ورد من الذم والتحذير من سماع الأغاني والإصغاء إلى المغنين والمطربين، فمثل هذه الأغاني حرام استماعُها سواء كانت في أفلام أو أشرطة أو بأصوات المغنين، والغالب أنهم يستميلون النفوس بما تهواه كالأغاني الوطنية، فالأولى كراهتُها كالنشيد المُلَحَّن فإنها قد تفعل كما تفعل الأغاني المطربة، لكن إن كانت مثيرة للحماسة نحو نصرة الحق والاندفاع إليه والتحذير من الباطل فلا بأس بسماعها تحقيقاً للفائدة، والله أعلم.

السعي الشديد إلى المسجد

ما حكم الجري للحاق بالصلاة؟

توفيق المنصوري

عمان، الأردن.

لا يجوز السعي الشديد إلى المسجد، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار، ولا تُسرعوا فما أدركتم فصلُّوا وما فاتكم فأتمُّوا»، وفي رواية: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تَسْعَون وائتوها تمشون.. إلخ» متفق عليه. وفي رواية: «فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة». وورد الخبر بأن خطواته تُكتب له حسنات، وأن له بكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، أو أن كل خطوة يُكتب له بها حسنة أو يُمحى عنه بها سيئة أو يُرفع له بها درجة، وذلك يستدعي أن يقارب بين خطاه، وأن يمشي بتؤده وأناة وسكينة، ويكون حاضر القلب، ويدعو في مسيره بما تيسر كقول: «اللهم إني أسألك بحقّ السائلين عليك وبحقّ مَمشاي هذا فإني لم أخرجْ أشَراً ولا بَطَراً ولا رياءً ولا سُمعةً، خرجت اتّقاء سَخَطك وابتغاء مَرضاتكَ، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، أو يدعو بما تيسر، والله أعلم.

بسط الطعام على الجرائد

هل يجوز استخدام الجرائد كسُفرة للأكل عليها، وإذا كان لا يجوز فما العمل فيها بعد قراءتها؟

مأمون محمد داود

جدة، السعودية.

لا شك أن الصحف العربية مهما كان محتواها لا تخلو غالبًا من ذكر الله تعالى في كل صفحة، أو آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو حكم شرعي أو اسم من أسماء الله الحسنى مما يكسبها حرمة ومكانة في النفوس، فعلى هذا لا يجوز اتخاذها خواناً وسفرة، لأن ذلك امتهان لها وإهانة لكلام الله تعالى ولأسمائه وآياته؛ بالجلوس عليها وإلقاء فضلات الأكل عليها من القشور والعظام والنفايات؛ مما هو دليل على قلة احترام أسماء الله التي يجب أن تُرفع وتُحترم لقوله تعالى: *فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ*. **عبس:** 13-14. كما أنه لا يجوز أيضًا إلقاء هذه الصحف مع القمامة وفي الطرق المسلوكة، بحيث تداس بالأقدام وتُمتهن كرامتها. فعلى هذا متى فرغ صاحبها من قراءتها؛ فإما أن يحفظها ويصونها في مكان خاص مخافة أن يحتاج إليها فيما بعد، وإما أن تُحرَق حتى لا يبقى منها ما فيه ذكرٌ للّه تعالى، وإما أن تُجمع في أكياس عادية وتُدفن بعيداً من الامتهان، وتوجد في المدن الكبيرة في المملكة صناديق كبيرة تابعة للأمانة مخصصة لجمع أوراق المصاحف التالفة والصحف والمطبوعات العربية، فإذا وُضعت فيها سَلِمت من الامتهان، والله أعلم.

طرائف علمية

الحَدْسُ

ظاهرة خارقة.. أمْ تفكيرٌ مُبدع ؟!

إن الحدس - هذه الحاسة السادسة السحرية التي كثيرًا ما تساعد الرياضيين الأبطال والعلميين الممتازين ورجال الأعمال اللامعين - يتبدى في نشاطات عديدة في الحياة اليومية بين أناس عاديين لا يتمتعون بمقدرات فكرية خاصة.

د. صلاح يحياوي

هل كـان الروائي الفـرنسي جـول فـرن JULES VERNE من أصحاب الحدس؟ إن أكثر من ترجموا لحياته لا يَعُدّونه الرائدَ العبقري للخيال العلمي. كان فرن قادرًا على أن يتخيل بدقة ملهمة التقدمات التي يمكن أن يمد بها المستقبلُ مجتمعات القرن العشرين. كان الرجل مطلعًا على نحو غير عادي على التقدمات العلمية والتقانية لعصره. فلم يكن والحالة هذه ذا حدس، بل كان تخيليًا.

فما هو الحدس إذًا ؟

إنه المصطلح العلمي لتسمية ما يعرف بالحاسة السادسة، أو ما يعرف بلغة الشارع «حاسة شم جيدة». وبالرجوع إلى معجم أكسفورد للذهن نجد تعريفًا أكثر جدية ودقة: «الحدس هو - من حيث الجوهر - الوصول إلى قرارات أو استنتاجات بصرف النظر عن الإجراءات الصريحة أو الواعية للفكر العاقل. ويُعتقد أحيانًا أن بالإمكان الوثوق بالحدس.. وبالفعل فإننا نتصرف في أغلب الوقت دون أن نعرف ما هي الدواعي أو ما هي الأسباب والحجج».

كما يُستعمل المصطلح أيضًا في الفلسفة للدلالة على مقدرة الذهن المفترضة في ساعة إدراك أو رؤية حقائق مسلم بها.

ومع ذلك فإن علينا ألا نفهم الحدس على أنه ظاهرة خارقة متعذر تعليلها علميًا خاصة بالتكهنات أو بأصحاب البصيرة الجدد. إن الحدس بالفعل ليس شيئًا ما فوق الطبيعي. ومع أن العلم لم يكتشف الآليات العصبية إلا أننا جميعًا قد أحسسنا بهذا الصوت الداخلي للمعرفة في الحياة المألوفة وفي فعالياتنا اليومية.

يقول خوسيه لويس بينيّوس J.L. PINILLOS الأستاذ السابق في كلية علم النفس في جامعة مدريد المركزية: «لقد تمت البرهنة على أن الحدس يتأتى لأغلب الكائنات البشرية، لا بل إن بعض الحيوانات كالشمبانزي تتصرف - كما دلت بعض التجارب - تصرفًا حدسيًا بحتًا».

وهو يَفهم الحدسَ على أنه الحصول على فكرة ممتعة من أجْل حَلِّ مشكلة مستعصية على الحل، وذلك بطريقة أكثر فعالية. ويعتقد أن العلم لم يستطع التقدم في دراسة الحدس؛ لأن الحدس لا يمكن تنظيمه وترتيبه: «ليس هناك طريقة توافق الحدس؛ إنه ينبعُ ويقتحمُ وينفخُ كالريح عندما تهب. إنه كالإيحاء الذي يظهر عندما يشاء لا عندما نشاء».

إن التمتع بالحدس هو أن يعرف صاحب الحدس شيئًا دون التمكن من تفسير سبب هذه المعرفة. ولا تتألق الحاسة السادسة إلا عندما لا يكون المنطق والتحليل قادرين على إعطاء حلول لمشكلات محددة. ولكن هذا العالَمَ يجبرنا بمرور الزمن على الوثوق - في كثير من الأحيان - بمقدراتنا الحدسية، حتى عندما يكون الأمر أمر الاستفادة من مدَّخَراتنا.

المجازفة في المال تحتاج إلى الحدس

يعيش خبراء البورصة من حاسة شمهم الأسطورية.. يقول أحد هؤلاء الخبراء: «يَفترض اتخاذُ القرارات في أسواق الأوراق المالية ـ كما في أي فعالية كانت ـ المجازفة، وعندئذ يجب أن يكون الحدس عنصرًا رئيسيًا في القرار المتخذ».

ويذهب أندريه كوستولاني A. KOSTOLANY أحد عباقرة المال الكبار إلى أبعد من ذلك عندما يؤكد: «لم تَعُدّ البورصة لأصحاب المشاريع والاقتصاديين. إن فن السمسرة في البورصة يتألف من حدس المراهنة بمال سيزيد أو حتى سيزدهر».

وهكذا يكون الحدس استعدادًا لفهم مشكلة معقدة فهمًا مباشرًا دون استخدام الفكر على نحو واع. وكأن هذه المعرفة نظام رادار يوجهنا في بعض الظروف على نحو غير واع. يحدث فجأة أن تتلاقى أحيانًا فكرتان كانتا حتى ذلك الوقت منفصلتين. وعندئذ يعمل الحدس على إنارة ذهننا ويخط لنا الطريق الملائمة للوصول إلى حل صحيح، غير أن السرعة التي تحضر بها الهواجس، وواقع عدم كونها ثمرة تفكير طويل هما اللذان أديا إلى إلباس هذا الإجراء ثوب الأسطورة، بحيث يخلط كثير من الناس بين الحدس والحظ أو المصادفة، فغدوا لا يثقون بإيحاء كهذا.

يرى الباحثون في الذهن البشري أن لدينا جميعًا حاسة سادسة تكون في أغلب الحالات تحت ضغط التحليل العقلاني. لقد اعتدنا استبعاد الخواطر التلقائية التي لا تكون ثمرة العقل، أو أننا ببساطة لا نثق بها، لأنها لم تصلنا عبر الطريق المعتادة التي يسلكها التفكير.

كتب كينس KEYNES عبقري الاقتصاد حول مكتشف قوة الجاذبية ورائد الفيزياء الحديثة إسحق نيوتن فقال: «لقد كان الحدس مقدرته الحقيقية، كان قلبه يحدثه، وكان هو يدرك أكثر مما كان يطمح إلى معرفته، كان بعد ذلك يقدم البيانات والأدلة التي لم تكن في حد ذاتها أداة الاكتشاف نفسه».

الهواجس لا تحل محل العقل

لقد بالغ كينس في تأكيده، لأنه قد قال بأن الحدس فوق المنطق فيما يتعلق بالاختراع. ومع ذلك فإن الباحثين ـ الذين لا يستبعدون الحدس ـ يصرون بالفعل على أن ليس هناك اختراع علمي أو ثقافي من دون التزود بمعرفة مسبقة ومن دون التطوير اللاحق للتجارب. لم تكن صياغة نظرية الجاذبية العامة لتغدو ممكنة من دون إسهامات سابقة، كان قد صاغها كبلر أو جاليليو، ولولا محاولات نيوتن نفسه التي سبقت ذلك.

لا يمكن للحدس أن يحل محل التفكير العقلاني، مع أنه يمكن أن يُتممه على نحو إبداعي بوصفه عنصر مساعدة ساعة اتخاذ قرارات. ولا يُنصح بالاعتماد على هذه الإيحاءات على نحو قطعي، لأننا سنتحول عندئذ إلى ضحايا كسل ذهني قادر على أن يسبب لنا الكثير من المشكلات. إن حاسة الشم الجيدة لا تفيدنا في شيء من دون معارف ومن دون تجربة. ومع ذلك فقد تبين أيضًا أن من ينصت إلى صوته الداخلي يُنْقِصُ على نحو جيد الاحتمالات التحليلية.

وفي دراسة أُجريت في جامعة تكساس سُئِلَ سبعون أمريكيًا عما إذا كانوا يستَسْلمون إلى تأثير الحدس في أكثر قراراتهم أهمية، فأجاب 69 منهم بنعم شريطة ألا يُخْبَرَ زملاؤهم بالأمر! يعود ذلك إلى المفهوم الذي ما زال سائدًا والذي يَعُدُّ الحدس بمثابة ضعف يرافقه قصور استعداد لدى أولئك الذين يمنحون الحدس الكثير من الأهمية.

تحسين شروط ظهور الحدس

يصر بينيّوس PINILLOS على أن الحدس سجية غير إرادية لا يمكن اغتصابها، لكن بالإمكان تحسين الشروط التي تظهر فيها. فكي يتطور الحدس من الضروري توقف الفكر الرصين. ففي هذا الطور من السكينة والاسترخاء فقط يمكن أن يتطور الحدس في الذهن. عندما تسترخي البيانات والمشاريع يمكن أن يتضح جميع الإعلام الذي نمتلكه لحل مشكلة معقدة.

لذلك يفتش بعض الباحثين ـ من أمثال دانيل كابون D. CAPPON الأستاذ في جامعة يورك في تورونتو (كندا) ـ عن تفسير في الإجراءات النفسانية الطبيعية للذهن، بدلاً من تقصي وجود ظاهرة ذهنية خفية.

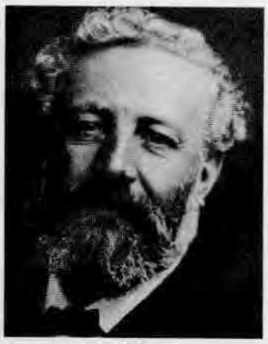
إن «كابون» مقتنع بأن الحدس والإبداع هما الجزء الأكبر والأقدم للذكاء البشري الذي يعود إليه الفضل في بقاء النوع البشري على قيد الحياة من جهة، وفي نجاحنا أناسًا عاقلين من جهة أخرى.

إن هذا المعالج النفساني الذي يبحث على نحو علمي في الأسس النفسانية والفيزيائية العصبية للحدس بسلسلة من الاختبارات يصر على أن الحدس والإبداع، على حد سواء، هما نتيجة لغرائزنا التي ظهرت منذ مليونين ونصف المليون من السنين.

فما هي إذًا الفروق التي يمكن أن تكون بين الذكاء والحدس؟

لا يعرف العلم هذه الفروق، مع أنه يعرف بوضوح وجلاء أنه لابد من حد أدنى من الذكاء للتمتع بالتفكير الحدسي، لأنه معرفة غير واعية وحكم بسيط وسريع يمكن أن يتمتع به أي شخص كان.

ومع ذلك فإن الذاكرة الجيدة تأتي لتدعم



جول فيرن



غاليليو



كبلر

الحدس لا يمكنه أن يحل محل التفكير العقلاني؛ لكنه يمكن أن يتممه على نحو إبداعي بوصفه عنصر مساعدة في اتخاذ القرارات

السجية الحدسية وتطورها لما لهذه الذاكرة من دور كبير في الإجراءات غير الواعية. ويطلق مختصو علم النفس على هذه الذاكرة اسم الذاكرة التجريبية، أي الذاكرة التي نُشكلها عند تخزين الوقائع والتجارب الخاصة والمنتمية إلى الغير، والتي تبدو في طول حياتنا، وتخرج في لحظة محددة إلى الوجود لتدعم قراراً من أصل حدسي يصيبه التوفيق والنجاح في كثير من الأحيان في التطبيق المهني أو المألوف.

ومع أن الأفكار الحدسية لا تتمتع بالعصمة الكلية؛ إلا أن من الملائم تحليلها وأخذها بالحسبان على نحو جيد، إذ لم يحظ الحدس من قبل بما يحظى به اليوم من تقدير في عالم العمل.

المرأة والحدس

تتمتع المرأة بسجية حدسية تفوق ما يتمتع به الرجل. ويتميز الذكر من الأنثى بكثرة التفكير، في حين تتوصل المرأة إلى حل بعض المعضلات من طريق الحدس.

لا يعرف العلم الآليات الدماغية للحدس، ولا يعرف سبب كون الأنثى أكثر حدسًا من الرجل. قد يكون الأمر كذلك، لأن المرأة بطبيعتها مسؤولة عن تربية الأولاد والعناية بهم، إذ لا مندوحة عن الحدس لفهم الأطفال ولاسيما الرُّضَّع.

ويعتقد أحد الباحثين أن خضوع الأنثى في المجتمعات التقليدية قد أسهم في نمو هذا الحدس لدى المرأة، إذ كان على المرأة أن تعرف نقاط الضعف أو أهواء الزوج الآمر الناهي لحل المشكلات الطارئة، وقد جعلها هذا الظرف أكثر حدسًا من الرجل.

مظاهر من معطيات الحدس

* أن يميز المرء الأشياء من دون صعوبة، مع أنه لم يرها بوضوح.
* أن يستطيع سلق بيضة خلال ثلاث دقائق من دون النظر إلى الساعة.
* أن يكون قادراً على رؤية الغابة وليس رؤية أعداد كبيرة من الأشجار فقط.
* أن يعتاد اكتشاف أشكال معينة عندما يتأمل السحاب.
* أن يستطيع إلقاء نظرة شاملة خلال وقت قصير، وأن يتذكر في الوقت نفسه التفاصيل.
* أن يكون التولد التلقائي للأفكار أحد مصادره.
* أن تكون لديه المقدرة على حدس ما سيحدث.
* أن تنشط الحاسة السادسة لديه ساعة اتخاذ القرارات.
* أن يكون معتاداً معرفة اللحظة الملائمة لانتهاز الفرصة.
* أن يتمتع بمزايا استكشافية، وأن يكون بارعًا في حل الأحاجي.
* أن يعرف الأمر قبل رؤيته.
* ألا يجد صعوبة في فهم معنى الرموز.

من مشاهير الحادسين

كان نيوتن NEWTON يتميز بحدسه.

وكان أينشتاين EINSTEIN واعيًا بمقدرته الحدسية، فقبل أن يغدو الضوء حصان معركة نظريته «نظرية النسبية» شاهد نفسه ممتطيًا شعاعًا مضيئًا عندما كان ينظر في المرآة.

وخَطرت لإدوين لاند EDWIN LAND مخترع آلة التصوير الفوري POLAROID فكرته العبقرية وهو يصور ابنته. سألته الصغيرة: لِمَ لا أستطيع أن أرى الصورة في هذه اللحظة؟ فكّر «لاند» وتساءل بدوره: لِمَ لا؟ وصَنَعَ آلة التصوير الفوري.

التفكير بالأحشاء

عندما تخطرُنا الحاسة السادسة بظرف ما، فإن الجسم هو أول مدرك لذلك كنوع من دغدغة أو حرارة في نطاق المعدة.. ثم يأتي بعد ذلك دور الدماغ لتحليل هذه الأحاسيس عقلانيًا.

الحدس والحظ

مع أنه لا علاقة بين الحدس والحظ أو البخت أو المصادفة؛ إلا أن الخلط بينهما كثيرًا ما يحدث. ويثق كثير من الناس بأن شعوراً داخليًا أو هاجسًا قد جعلهم يربحون في ألعاب الحظ.

الصوت الداخلي القوي

يستعمل المصطلح «حدس» في الفلسفة للدلالة على مقدرة مفترضة للذهن ساعة إدراك أو رؤية بعض الحقائق المسلم بها.

وقد فُهم الحدس في الفلسفة القديمة وفلسفة العصور الوسطى على أنه شكل معرفة الإنسان للأشياء الإلهية.

كان الحدس يتميز بسيطرة تجربة الرؤية على المعرفة المنطقية الاستنتاجية.

لقد استُبدلَ بالمعنى الصوفي التأملي للحدس في الفلسفة الحديثة المعنى النفساني أو البسيكولوجي. وهكذا يؤكد ديكارت DES-CARTES وجود شكلين للمعرفة، هما الحدس البديهي والاستنتاج اللازم. ويُميِّزُ كَنْت KANT الحدس الحسي ذا الطبيعة المنفعلة والمستقبلة الذي يتكون من الإدراك المباشر لشيء أو فكرة من الحدس الفكري الخاص بفهم إلهي للأشياء من دون تدخل الحواس.

كان الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون BERGSON - الممثل الأعظم للحدسية ذلك المذهب الذي يعطي الأولية للحدس على أشكال المعرفة الأخرى - يَعُدُّ الحدسَ جاذبية فكرية تحملنا إلى كنه شيء ليتفق مع ذلك الإحساس الفريد، ومن ثم الغامض الذي لا يمكن تفسيره.

إن الحدس لدى برغسون يتيح لنا التقاط كل ما يبقى في هامش الذكاء: الحركة، الحياة، الروح.

جواسيس ذوو خوارق

خلال الحرب الباردة تفرغ قسم كامل من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA للبحث في ظواهر خارجة عن نطاق الإدراك الحسي العادي لاحتمال استعمالها في التجسس لمعرفة أين يصنع الروس صواريخهم.

وُجِدَ بين الوثائق التي أفرجت عنها الحكومة الأمريكية بعد أن كانت محظورة صونًا للسلامة الوطنية، بيانٌ بتفرغ قسم كامل من وكالة الاستخبارات المركزية خلال السنين التي استمرت فيها الحرب الباردة تفرغًا كليًا للبحث في علم النفس التخاطري لأغراض تجسسية.

كلف البرنامج 25 مليون دولار منذ عام 1973م، وقد شُرع بالتنفيذ في معهد استانفورد للأبحاث في منلو بارك (كاليفورنيا)، ثم في منظمة خاصة: شركة تطبيقات العلم الدولية.

ففي إحدى التجارب وَضع خبراءُ الوكالة «وسيطًا» في غرفة مغلقة، ووضعوا آخر في غرفة أخرى فيها شرائط فيديو وصور وخرائط. وكان الثاني يحاول تزويد الأول بمعلومات من طريق نقل الأفكار. وكان الخبراء يقيسون إحصائيًا عدد الإصابات لمعرفة ما إذا كانت الطريقة مجزية في التجسس على السوفيات والصينيين، إلا أنهم ما استطاعوا مطلقًا تأكيد فائدتها مما جعلهم يتخلون عن البرنامج.

المتنبي

شاعر الأجيال

د. نوره صالح الشملان

المتنبي شاعر قلما يجود الزمان بمثله، فقد ملأ الدنيا وشغل الناس في زمانه، وما زال يشغلهم إلى يوم الناس هذا. وقد اختلف الناس في سبب خلود هذا الشاعر العظيم: هل يعود ذلك إلى اعتداده بنفسه وعدم تهيبه من الممدوحين مما جعله يهدم الحواجز بينه وبينهم ويخاطبهم مخاطبة الندّ للندّ والصديق للصديق لا مخاطبة المستجدي الطالب للرفد والعطاء؟

أم إن ذلك الخلود يعود إلى ما اتَّسَمَ به شعر المتنبي من قوة الألفاظ وقوة المعاني والمقدرة الفائقة على الاختراع والتوليد؟ أم إن شهرته تعود إلى ما حفل به شعره من حكمة خالدة لا تبيد مع الأيام، بل إن الأجيال المتعاقبة ترددها كأنها قد قيلت لها.

يبدو لي أن شهرة المتنبي تعود إلى هذه الأسباب مجتمعة، فهو شاعر معتد بنفسه، لا يمنعه من الحديث عما يجيش بقلبه سطوة أحد.

ولعل في مواقفه المتعددة من سيف الدولة وإظهار إخلاصه له وهو في بلاط كافور العدو اللدود لسيف الدولة ما يوضح تلك الشجاعة.

عندما ترك المتنبي سيف الدولة إلى كافور بعد أن تكالب عليه الحُسَّاد والحاقدون وقف بين يدي كافور متشوقًا إلى سيف الدولة قائلاً:

كفى بِكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا
وحَسْبُ المنايَا أن يكُنَّ أمانيا

لقد أقام النقاد الدنيا ولم يقعدوها على المتنبي الذي بدأ قصيدته لممدوحه الجديد بذكر الموت والمنايا، وكانوا يطالبون الشاعر بالابتعاد من كل ما يثير تشاؤم الممدوح. وحين قتل كافور عدوَّهُ شبيب العقيلي الذي كان المتنبي معجبًا بشجاعته التي وصلت إلى التهوّر، رثاه بقصيدة يُفترض أنها قيلت لتهنئة كافور بالانتصار على عدوه، ومما قاله في هذا المقام:

برغم شبيبٍ فارقَ السَّيفَ كفُّهُ
وكانا على العِلاّت يصطحبان
كأن رقابَ النَّاس قالتْ لسيفه
رفيقُكَ قَيْسيٌّ وأنتَ يماني
فإن يكُ إنسانًا مضى لسبيلِهِ
فإن المنايا غايةُ الحيوانِ
وما كان إلا النَّارَ في كلِّ موضعٍ
يثيرُ غبارًا في مكانِ دُخانِ
فنالَ حياةً يشتهيها عَدُوُّه
وموتًا يُشهِّي الموتَ كلَّ جبانِ
نفى وَقْعَ أطرافِ الرماحِ برُمْحه
ولم يَخْشَ وَقْعَ النَّجمِ والدَّبرانِ
ولم يَدرِ أن الموتَ فوقَ شَوَاته
مُعارُ جَنَاحٍ مُحسنِ الطيرانِ
وقد قَتَلَ الأقرانَ حَتَّى قَتَلتَهُ
بأضعفِ قِرنٍ في أذلِّ مكانِ

ويستمر في التمجيد بموت شبيب حتى إذا انتهى من ذلك انتبه إلى أنه شاعر مدح وأنه أتى للتهنئة بالنصر لا للإشادة بموقف الخصم، وهنا يلتفت إلى كافور ليمدحه مدحًا ساذجًا باردًا يميل إلى السخرية واللمز، ويعكس ضعف العاطفة وعدم الإيمان بما يقول، والاختباء وراء مبالغات ممجوجة لعله بذلك يصلح ما أفسده في الأبيات الأولى، يقول:

قضى اللهُ يا كافور أنك أوّلٌ
وليس بقاضٍ أن يُرى لكَ ثانِ

ويستمر في مبالغات تشي بما تحمله نفسه لكافور من احتقار وسخرية.

أي شجاعة، بل أي تهور قاد المتنبي إلى هذا الموقف؟! وقد أكَّدَ ابن جنِّي أن كافورًا استمع إلى هذه القصيدة من المتنبي، والأعجب

من ذلك أن كافورًا لم يعاقب أبا الطيب ولم يُعلِّق على تلك الإشادة بعدوه. أقول هذا وأنا مدركة أن من عادة العرب أن يشيدوا بشجاعة الأعداء ليحققوا لأنفسهم شرف الانتصار عليهم، ولكن الأمر مختلف في هذه القضية، فلم يكن شبيب يملك ما يملكه كافور من جيش وعتاد وقوة، كان أعزلَ إلا من شجاعته، فانتصار كافور عليه هو أمر طبيعي، ولا مجال لانتصار شبيب في هذا اللقاء الذي يفتقد أبسط قواعد التكافؤ، ومن هنا فإن هذا المدح لم يكن وسيلة، بل غاية في ذاته، وهو تعبير صادق أمين عن أحاسيس المتنبي وتعاطفه وإعجابه الشديد بشبيب الذي إن لم يكن يلتقي معه في الشعر فهو يطابقه في الشجاعة، ورحم الله المتنبي حين قال:

وشبهُ الشيءِ مُنجَذِبٌ إليه
وأشبهُنا بدنيانا الطَّغامُ

لقد كثر حديث النقاد وعشاق المتنبي من الدارسين عن تعليل خلود هذا الرجل الذي لا تزيده الأيام إلا شهرة وتألقًا، وكثر الجدل حول هذا الموضوع، وقد استطاع الأستاذ على أدهم في كتابه «على هامش الأدب والنقد» أن يضع يده على عوامل خلود المتنبي التي يمكن تلخيصها بـ:

1- أنه أقوى الشعراء انفعالاً وعاطفة.

2- أن حكمته صادقة معبرة عن حقيقة الإنسان.

3- أن أدبه ملتصق بالنفس الإنسانية معبرٌ عن حالاتها وأحاسيسها راضية وغاضبة.

وأستطيع أن أضيف إلى ذلك ما اتسم به شعر المتنبي من حزن وأسى، ومن رفض للمجتمع، وفي الوقت نفسه الاعتداد بالذات والثقافة الواسعة العميقة التي استثمرها جيدًا.

نماذج من روائع المتنبي

قال المتنبي يخاطب قلبه الذي ظل مخلصًا لسيف الدولة على الرغم مما أبداه من جفاء:

حَبَبْتُكَ قلبي قبلَ حُبِّكَ مَنْ نأى
وقد كانَ غدَّارًا فكُن ليَ وافيا
وأعلمُ أن البينَ يُشكيكَ بَعدَهُ
فلستَ فؤادي إن رأيتُكَ شاكيا
فإن دموعَ العينِ غُدْرٌ بربِّها
إذا كُنَّ إثْرَ الظاعِنينَ جواريا

وقال عندما كان مريضًا بمصر:

قليلٌ عائدي سَقِمٌ فؤادي
كثيرٌ حاسدي صَعْبٌ مَرَامي
عليلُ الجسمِ ممتنعُ القيامِ
شديدُ السُّكْرِ من غيرِ المُدامِ

وقال معبِّرًا عن حالة المحب الذي يقطع الفيافي للقاء الحبيب ويدري أن الطريق طويل ولكنه يتسلى بالسؤال:

نحن أدرى وقد سألنا بنجد
أقصيرٌ طريقُنا أم يطولُ
وكثيرٌ من السؤالِ اشتياقٌ
وكثيرٌ من رَدِّه تعليلُ

وقال بعد أن أدرك أن لهاثه في الحياة قد سلبه الاستقرار والحياة الأسرية الدافئة ولم يعطه شيئًا:

بِمَ التعلُّلُ لا أهلٌ ولا وطَنُ
ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ
أريدُ من زمني ذا أن يبلّغني
ما ليس يبلُغهُ في نفسه الزمنُ

وقال عن فساد رجال زمانه:

ما زلت أُضْحِك إبْلي كلما نَظَرَتْ
إلى منِ اختضبتْ أخفافُها بدمِ
أسيرُها بين أصنامٍ أُشاهِدُها
ولا أُشاهدُ فيها عِفَّةَ الصَّنمِ

وقال عن اضطراب الموازين الاجتماعية:

ولو لم يَعْلُ إلا ذو مَحَلٍّ
تعالى الجيشُ وانحطَّ القتَامُ
ولو لم يَرْعَ إلا مُستحِقٌّ
لرتبته أسامَهُمُ المُسَامُ

وقال:

أظمتْنيَ الدنيا فلما جئتُها
مستسقيًا مَطَرَتْ عليّ مصائبا

وقال معبرًا عن شجاعته واستهانته بالموت:

تمرّستُ بالآفات حتى تركتُها
تقولُ: أماتَ الموتُ أم ذُعِرَ الذُّعْرُ
وأقدمتُ إقدامَ الأتيِّ كأن لي
سوى مُهجتي أو كانَ لي عندها وِتْرُ

وقال:

ولستُ أُبالي بعد إدراكيَ العُلا
أكانَ تُراثًا ما تناولتُ أم كَسْبا

في ركب الحضارة

الحضارة المعاصرة والترجمة



د. يوسف عز الدين

قدم الترجمة

فن الترجمة من الفنون الجميلة، وليس كل كاتب يعرف اللغة معرفة جيدة قادراً على الترجمة، لأنها تحتاج إلى فهم دقيق، وحسٍّ مرهف، ومعرفة عميقة بمعاني الكلمات التي يترجم منها، ويملك ذوقًا أصيلاً باللغتين: التي يترجم منها والتي يترجم إليها، ويفهم إيحاء الكلمة، وتباين الدلالات الصوتية والجذور الحضارية والجرس الصوتي والإيماء الرمزي. لذلك سَمَّى العرب الترجمة بالتفسير؛ فقد قال العكبري: الترجمان الذي يفسّر كلام غيره بلسانه دون غموض.

والترجمة قديمة، فقد وجدناها في الرقم الطينية عند البابليين والأشوريين والأكاديين للاستعانة بها لفهم الأمور الرسمية والجارية بين أقطار العالم المعروفة؛ لأن الأكادية كانت لغة العالم كاللاتينية في العصور الوسطى والفرنسية بعد ذلك والإنجليزية في العصر الحاضر، واللغة العربية في زهو الحضارة الإسلامية.

العرب والترجمة

وقد اهتم العرب والمسلمون بالعلوم أكثر من اهتمامهم بالآداب لحاجة العرب إلى العلوم وتجنُّبًا لتعدد الألسن في الآداب اليونانية والرومانية. وظهر الاهتمام بها كثيراً في زمن المأمون على بدايات متواضعة في العصر الأموي. وعندما تأسس «بيت الحكمة» كان المأمون يشرف بنفسه على ما يُترجم ويُجازي المترجم وزن ما يترجم ذهبًا، وقد أرسل بعثة برياسة الحجاج بن مطر ويوحنا بن البطريق لجلب المخطوطات.. وكان يطلب كتبًا إذا انتصر على خصومه لترجمتها إلى اللغة العربية، فَعُرِّبَت كتب جالينوس في الطب، وبطليموس في الفلك، وأرخميدس في الرياضيات، وإقليدس في الهندسة، وأبقراط في الطب، وكتب أفلاطون وأرسطو في الفلسفة. ويذكر الفهرست عدداً كبيراً من الكتب التي تُرجمت وأسماء المترجمين(1)، وغلب عليها الطب والهندسة والرياضيات والفلك، وبرز عدد كبير من التراجمة والمعربين مثل يوحنا (يحيى) بن ماسويه وحنين بن إسحاق ومحمد بن إبراهيم الفزاري والحجاج بن مطر وآل بختيشوع، وازدهرت الترجمة في القرنين الثالث والرابع (هـ) أو التاسع والعاشر (م).

وظهر أثر الترجمة العربية في علوم الغرب وحضارته في القرن الخامس والسادس والسابع(هـ) (11- 13م) وفي مختلف العلوم والآداب التي كان قد أخذها الغرب من اليونان والرومان والهند وبلاد فارس(2) لأن الحضارة الإنسانية تعطي الشعوب وتأخذ منها.

محمد علي والترجمة

وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (م) أخذنا نترجم من الغرب أدبه في الدرجة الأولى وعلومه في الدرجة الثانية؛ لذلك تفوق الغرب على العرب لأنه اهتم بالعلوم أكثر من اهتمامه بالآداب.

وقد تنبه محمد علي باشا إلى ضرورة أخذ العلوم الغربية فأوفد البعوث، ثم أسس مدرسة الألسن (1835م)؛ لأن العلوم هي أساس حضارة الأمم. فترجمت كتب في أوصاف البحار والصحة العامة والأمراض الباطنية وعلم الطبيعة والتشريح العام وكل العلوم التي تخدم الدولة الجديدة، واشتهر في الترجمة رفاعة الطهطاوي وعبدالله أبو السعود ومحمد عثمان جلال وغيرهم(3) وبلغ ما تُرجم إلى العربية قرابة ألف كتاب ورسالة، وهو عدد قياسي لقلة من كان يعرف اللغات الأجنبية في مصر، وصدرت مجلة «يعسوب الطب» لترجمة خيرة المقالات التي تُنشر في أوربا عن الطب وأنفعها للدارسين، كما أسهمت «روضة المدارس» ببعض الترجمات(4).

وقد تتبعتُ هذه الترجمات ودرستُ ما توافر لي من أعداد «يعسوب الطب»(5) وهي غير كاملة في دار الكتب المصرية؛ فوجدتُ المترجم قد برهن على قدرة اللغة العربية الكبيرة ومرونتها في احتواء علوم الغرب الجديدة وفهم مصطلحاتها المتعددة واستيعاب علومها، وأحيا ثروة كبيرة من المفردات الموجودة في كتب الطب العربية القديمة، إضافة إلى الاشتقاق

والنحت في وضع المصطلحات دون غموض أو إبهام، وتمكنت المؤسسات العلمية من وضع أكثر من معجم، ثم وضعت «قاموس القواميس الطبية» مترجما من اللغات الفرنسية والإيطالية والإنجليزية.

الترجمة في العصر الحديث

وقد استمرت الترجمة معتمدة على جهود الأفراد تارة وعلى جهود الدولة تارة أخرى، وظهر أحمد فتحي زغلول وعادل زعيتر وعلي أدهم ودريني خشبة وأحمد عثمان وإبراهيم المازني ومحمد بدران وحافظ إبراهيم وأحمد زكي باشا وطه حسين ومحمد عوض محمد على تفاوت في المقدرة والزمن. ثم دخلت الترجمة مرحلة أخرى عندما كثرت الكتب المترجمة وأصبحت جزءًا من الثقافة العامة، وكثر عدد الذين درسوا في الغرب وترجموا عددا من الكتب المتنوعة الثقافة، ونمت ساحة الترجمة بعد أن اختلط الفكر الحديث بالفكر الغربي، وأحسَّ العرب بضرورة حضارة الغرب لحياتهم الجديدة للاطلاع على حضارة الغرب والاستفادة منها فوضعت لها قواعد، وأسست لها مبادئ، وأخذت تتطور، وشملت مختلف العلوم، مثل علم النفس والكيمياء والرياضيات والفيزياء والتقنية بأنواعها إضافة إلى الآداب واللغة والنقد.

مراكز التعريب

وقد أُسست للترجمة أو التعريب مراكز خاصة تشرف على ما يُترجم وتختار الكتب التي تخدم هذه المراكز المتعددة كاليونسكو وجامعة الدول العربية ورابطة العالم الإسلامي ومركز التربية العربي، وفي الجامعات كاليرموك، وكالهيئة العليا للتعريب في بغداد واللجنة الأردنية للتعريب، والمستنصرية التي تمنح «الماجستير» للمتخصصين في الترجمة. وقد كانت مجامع اللغة العربية في طليعة المؤسسات التي عُنيت بالترجمة ووضعت في قوانينها ترجمة الروائع العالمية إلى العربية، ووضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة عدة قرارات تنظم الترجمة وتسهل على المترجم عملية التعريب، إذ وضعت عددًا كبيرًا من المصطلحات العلمية في مختلف الفنون والعلوم كالفيزياء والأحياء والهندسة المدنية وعلم طبقات الأرض (الجيولوجيا) والزراعة والآثار والإدارة وأدوات السيارة والعلوم العسكرية والأمراض العقلية والتكامل والتفاضل والهندسة التحليلية وعلم الحياة (البيولوجي)، ووضعت المعاجم لمساعدة المترجم على عمله وتسهيل فهم الترجمة، لأن مصطلحات الهندسة المدنية تختلف عن مصطلحات الفيزياء والكيمياء والزراعة، ولكن هذه الجهود ما زالت محدودة في مراكز التعريب ولم تنتشر على صعيد كبير، وتحتاج إلى مدة أطول لتعم فائدتها إذا تقدمت الدراسة العلمية المتطورة.

المترجمون

وليس من السهولة إحصاء الكتب التي تُرجمت من اللغات الأجنبية لكثرتها، ولعل منها «تراث الإسلام» وجملة من المسرحيات العالمية والأدبية والفكرية التي ترجمها أساتذة مشهود لهم بالعلم الواسع والفهم الدقيق لأكثر من لغة، ويمكن أن نذكر منهم: محمد خلف الله أحمد وعبدالصبور شاهين وأنيس منصور وصفاء خلوصي وعبدالعزيز البسام ومحيي الدين يوسف وجميل الملائكة وصالح أحمد العلي ومحمود السمرة ومصطفى بدوي وخيري حماد وسامي الدروبي وجعفر خياط وعبدالجبار المطلبي وإبراهيم عوض وسليم طه التكريتي وعبدالواحد لؤلؤة ومحمود الأمين وغيرهم.

وظائف الجامعة

وليس من الضروري أن تُخرِّج كلية الآداب المترجمين والمعرّبين لأنها مؤسسة ثقافية تخرج الطلاب وتزودهم بمعلومات عامة لتوسيع مداركهم الثقافية، وليست الثقافة هي علوم اللغة العربية وآدابها وحسب، وإنما بأوسع معانيها والتي تعينهم على الوصول لأنجح الطرق التي يقدرون بوساطتها إكمال معارفهم وتنمية معلوماتهم المتطورة، لأن الجامعة لا تصب المعلومات في ذهن الطلاب، إنما تفتح أذهانهم على عالم الثقافة الكبير، وتوسّع المدارك العقلية لفهم الحياة وتطورها والنهوض بمسيرة حضارة الأمة وتقدمها ليستمر المتخرج في التتبع


د صالح أحمد العلي


عادل زعيتر

والدراسة وإدمان القراءة والاطلاع.

وليست الكلية معملاً لتخريج الشعراء والكتاب والمترجمين ما لم يكن لهؤلاء قابلية أو موهبة أو قريحة تؤهلهم للإبداع الفني، لذلك يُصاب بعض الناس بخيبة أمل عندما يرون بعض المتخرجين في قسم اللغة الإنجليزية غير مختصين اختصاصًا عميقًا ولا يملكون القدرة على الترجمة إلا بعد مرور وقت لينضج فيه المتخرج في قسم اللغة الإنجليزية بمواصلة دراسته الفردية، إلا القليل من أصحاب المواهب الخاصة.

الترجمة والإبداع

إن الإبداع تظهره الدراسة، وصاحب الموهبة يجب أن يكمل المسيرة الفنية في ترجمة الشعر والنقد وتعريب الفنون والعلوم، ويصقل ذوقه وينمي قابليته ويوسع موهبته.. والإبداع ينضج بالمران ويصقل بالدراسة، ومن لا يملك القريحة المبدعة والموهبة في الترجمة فلن يكون مبدعا، وقد يكون صانعا ماهرا؛ ويكفي أن ينبغ واحد كل سنة في إبداع واحد، لأن الله خلق البشر في تفاوت ذهني وتباين جسدي، والقوة الذهنية والجسدية خلقت البشر أطوارًا ووزعت العمل بينهم لتسير عملية الحياة وتدور الحضارة على رحاها.

كانت مجامع اللغة العربية في طليعة المؤسسات التي عنيت بالترجمة ، ووضعت لها قوانينها ، كما وضعت عددًا كبيرًا من المصطلحات العلمية في مختلف فنون المعرفة

حاجتنا إلى الترجمة

ومع كل التقدم الكبير الذي وصلت إليه الترجمة فنًا والتعريب علمًا فما نزال بحاجة كبيرة إلى أعداد كبيرة من المترجمين لترجمة العلوم الأوربية والتقنية المتطورة الحديثة بعد أن كثرت ترجمات العلوم الإنسانية والروايات الشعبية مثل أرسين لوبين وملتن توب وغيرها من الترجمات التجارية السقيمة.

ولعل خير الحلول في تطور عملية الترجمة لخدمة الحضارة المعاصرة تأكيد ترجمة القضايا العلمية الصرف من مؤسسات علمية متخصصة بالعلوم التي تريدها تلك المؤسسات، وأن يُراعى في ذلك أمور منها:

1ـ أن يُعدَّ المترجم إعدادًا علميًا مدروسًا بصورة مبكرة، وأن يدرس اللغات على أهلها ليعرف الطالب تطورها التاريخي وجذورها اللفظية فيدرِّس الإنجليزية أساتذة إنجليز حتى يعرف الدارس الإيحاء والإيماء في كل كلمة ولفظة، فقد دَرَّسَ اللغة الإنجليزية في بعض الجامعات العربية الهنود والألمان وأبناء العرب من غير ذوي الاختصاص، لأن الاعتماد على المتخرجين العرب من أوربا تشوبه عدة شوائب، فالمختص بعلم النفس والكيمياء والفيزياء والرياضيات واللغويات الحديثة لا يقدر على تدريس الشعر والنقد، لأن ذوقه غير مؤهل لهذا العمل الفني، ومفرداته لا تعينه على الدقة والفهم العميق مثل المختص بالعلم ذاته على إتقانه اللغة وإجادتها.

2ـ أن يكون المترجم ملمًا بتراث الحضارة الإسلامية والثقافة التي كونت الفكر اللغوي والحس الشعري والجرس الموسيقي وبخاصة دراسة القرآن الكريم والأدب العربي الأصيل.

3ـ أن نحتسب الترجمة جهدًا علميًا في الجامعات في الترقيات مثل البحوث والتحقيق، لأنها تحتاج إلى صبر متواصل ودأب على العمل مرهق وخبرة فريدة؛ فالمترجم يبذل جهودًا لا تقل عن إعداد بحث علمي أو تحقيق مخطوط.

4ـ إصدار مجلة خاصة بالترجمة والتعريب لكل فرع من فروع المعرفة لتقريب العلوم الأوربية إلى عقول العرب والاستفادة منها، وقد صدرت مجلة «يعسوب الطب» التي كانت تختار أحسن المقالات والبحوث في الطب بصورة عامة والعلوم بصورة خاصة، إضافة إلى ما كان يُترجم في «روضة المدارس»، وقد سارت مجلة «المقتطف» على النهج نفسه وأخذت تنشر أبرز التيارات الغربية في العلوم والآداب، وكان لها أثر كبير في نشر الثقافة العلمية في الجيل الماضي.

5ـ إصدار فهارس دورية عن الكتب التي تُرجمت أو التي سوف تُترجم حتى لا تتكرر ترجمة المقالات والبحوث مرة أخرى، على أن تشمل أسماء ما ترجم منه واسم المترجم ونوع المترجَم سواء أكان مقالاً أم كان كتابًا أو بحثًا مع ذكر المصدر وتاريخه ومحل طبعه.

6ـ تأسيس مكتب خاص موثق يشرف عليه المختصون ويديره أكفاء في الحسابة (الكومبيوتر) يودع فيه ما ترجمه العرب إلى اللغة العربية في مختلف الأقطار العربية والأجنبية ليرجع إليه الباحث وطلاب الدراسات العليا للاستفادة من علوم الغرب دون بذل عناء جديد في العودة إلى الأصل الذي قد يكون صعب المنال، وبخاصة العلوم الصرف التي تُكتب في بعض الأقطار المتطورة في هذه العلوم التي لا يحسن قراءتها إلا الدارس الذي يريد الاستفادة منها، بعد أن انتشرت الآلات الجديدة وأخذت تحصي الكلمات والألفاظ.

7ـ إنشاء معهد خاص تابع للجامعة العربية أو الجامعات بصورة عامة، كالمعاهد العلمية المتوافرة في الأقطار العربية لتخريج جماعة من المترجمين المؤهلين الذين لهم قدرة على الترجمة بأسلوب علمي مدروس ومنظم وبذوق عميق وإحساس يفهم إيماء الكلمة وإيحاء اللفظة.

لا بد من إعداد المترجم إعدادًا علميًا مدروسًا بصورة مبكرة، وأن يدرس اللغات على أهلها ليعرف تطورها التاريخي وجذورها اللفظية وما توحي به كل كلمة فيها

8ـ دفع مكافآت سخية للمترجمين ورفع مكانة الترجمة العلمية، فما تزال الترجمة في الأقطار العربية قليلة الأجور محدودة المكافآت لا تشجع الكثير على الاختصاص بها.

9ـ تخصيص مطابع خاصة بالترجمة ترتبط بالمؤسسات العلمية لا تطبع إلا ما يُترجم إلى اللغة العربية بإشراف خبراء باللغة العربية لتسهيل الترجمة وضبط معاييرها ومقابلتها بالأصل.

10 ـ الإكثار من المعاجم المختصة ومساندة المجامع اللغوية ماليًا لطبع ما وضعته من معاجم لنشرها بين أكبر عدد من الدارسين، وليصبح المعجم رخيصًا يشتريه طلاب العلوم والآداب والفنون، مثل الوجيز والوسيط اللذين أخرجهما مجمع اللغة العربية في القاهرة فسدّا فراغًا كبيرًا، وهو يعمل بصورة متواصلة على إخراج المعجم الكبير.

ومتى انتشرت الترجمة إلى العربية فسوف تتطور الحضارة العربية المعاصرة وتسرع في مسيرتها لتواكب حضارة الغرب العلمية أولاً والأدبية ثانيًا.

ومتى ما توافرت هذه العوامل في أمة وبرزت في أي مجتمع فلابد أن تصل الترجمة إلى مستوى عالمي يستفيد منها الدارس والعالم والمختص، وتطور الحضارة، وتوصل أدبنا العربي إلى مستوى عالمي. مع أنني أقولها بصراحة: إن الأدب العربي الحديث المعاصر قد وصل إلى مرحلة عالمية يتذوقها الأديب في كل أنحاء العالم، وخير دليل على قولي ما تُرجم من اللغة العربية إلى الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والصينية وغيرها من اللغات العالمية؛ إضافة إلى تدريس الأدب العربي في الجامعات في الشرق والغرب.

الهوامش:

1ـ يُلاحظ طبقات الأطباء ومختصر الدول.

2ـ أثر الأدب العربي في الأدب الغربي، دار الصافي 1989م.

3ـ فصول في الأدب الحديث والنقد (فصل الترجمة).

4ـ تراثنا والمعاصرة 103.

5ـ اليعسوب ملكة النحل، وهي أنثى وظن العرب أنها ذكر لكبر حجمها، فقالوا: يعسوب القوم مقدمهم.

قصة قصيرة

كراسة

فريد محمد معوض

من الخارج برزت عصاه قبل أن يدخل الفصل، خبط بها على الباب خبطتين فأسرع كل واحد منا إلى مكانه، التزمنا جميعًا السكوت، مدرس الإملاء يبدو نحيفًا مثل أبي، إلا أن له زعقة تحرك الأدراج، قال: جلوس..

كنت في مقعدي أرتجف، غير قادر على الإمساك بالحقيبة.

ـ أخرجوا الكراسات.

كان أبي قد صنع بالحقيبة فاصلاً من البلاستيك، أصبح للكراسات والكتب ناحية، وناحية أخرى للُقمة تدسُّها أمي فتتفتت من شدة جفافها كما أزعم، أو من شقاوتي كما تقول أمي. أدخلت يدي في الناحية المستندة إلى بطني، ارتعشت أصابعي، قَلَّبتُ الحقيبة، ونظرت ناحية السبورة، كان الأستاذ يكتب التاريخ الهجري على اليمين والميلادي على اليسار، وفي المنتصف الأعلى من السبورة كتب: رحلة إلى الأقصر.

يدي ماتزال تبحث، أخرجت المسطرة الخشبية ولاحت لي الأيام الماضية السوداء، كان الأستاذ قد طلب ممن لا يملك كراسة أن يخرج إلى السبورة، سبعةً وقفنا، الصباح بارد والعصا قوية، والويل لمن يسحب يديه وهو يُضرب! ستلتف العصا حول ظهره فيتلوى..

ـ أمي أريد كراسة.

ـ كل يوم كراسة؟ ألم نشتر كراسة منذ أسبوع..

ـ كانت للحساب..

ـ والتي قبلها؟!

ـ كانت للعلوم وأريد كراسة للإملاء.

ـ انتظر حتى يحضر أبوك.

يزعق أبي ثم يقول وهو خارج للحقل:

ـ انتظر حتى يحلها الحلاّل.

طلب الأستاذ ممن لا يملك كراسة أن يخرج إلى السبورة.. كنا أربعة وكانت حصة الضرب قد زادت، بكيت، بل كرهت الأستاذ وكرهت البقّال الذي أعطى لأمي الشاي ولم يعطها كراسة.

قال لها:

ـ ليس عندي كراسات.

ألحّت عليه أمي فقال لها:

ـ قلت لك ليس عندي.. من يسمعك يظن أنك دفعت ثمن الشاي!

حكت أميَ لأبي ما حدث وسمعتها فبكيت وأردفتْ أمي لأبي:

ـ إما أن تحضر له كراسة أو تقعده بالبيت.

منذ يومين كنا ثلاثة.. أقسمنا للأستاذ أن نحضرها في الغد فسامحنا غير أننا لما فارقنا السبورة إلى مقاعدنا ضربنا على ظهورنا ولطمني بيده..

البارحة أشبعني ضربًا كنت وحدي الذي لم أحضرها.

ليلة أمس أحضر أبي الكراسة وقبّلته وشرعت في نقل الدروس الفائتة، في تلك الليلة كان أبي يملك نقودًا كثيرة أعطى البقال حقه ولم يعد يصرخ في أمي، وفضلاً عن الكراسة أعطاني مصروفي.. جرت إليّ أمي وأنا أصرخ في الفراش، قالت:

ـ ما بك؟

قلتُ:

ـ كنت أحلم يا أمي وليس لديَّ كراسة.

مسحت دموعي بطرف ثوبها وبكت وقالت سنحضرها عصر اليوم، وبكت مرة ثانية وقبلتني وقالت:

ـ افرجها يارب!

السماء كانت غائمة صباح اليوم، طلبتُ من الله أن تمطر فيصير الطريق الزراعي وحلاً ولا تسير عليه دابة ولا أتوبيس ولا يأتي الأستاذ بل يموت، أريد له أن يموت حتى لا يضربني في ذلك الصباح البارد على أصابعي.. فلا السماء أمطرت ولا الأستاذ مات.. لكنه لم يطلب بعد خروجي للسبورة، ربما لم يتذكر بعد، ها هو يُملي على زملائي، وها هم قد كتبوا نصف الموضوع، رأسي منحنٍ وراء الدرج، لم يرني، لكن قلبي كان يرجف من هذا الولد الجالس بجانبي، كل دقيقة يهمس في أذني: سأقول سأقول.. همست أرجوه فسكت.

جمع الأستاذ الكراسات وصرخ ففزعت.. قال:

ـ بقيت واحدة..

انكمشت، أحسست أني أختنق، وارتعشت أصابعي، وحين أشار الأولاد نحوي انفجرت في البكاء وقلت: أنا يا أستاذ..

طلب مني أن أخرج إلى السبورة.. شعرت أنني سأموت، سيتضاعف الجزاء، هو لا يرحم، وقد يعلق لافتة على ظهري كتب عليها: بليد الفصل!

ويزفني الأولاد، صرخ الأستاذ:

ـ أسرع..

ثم زعق وطلب أن أمسك بأصبع الطباشير، فأسرعت في ذلك بل تهلل قلبي، أملى عليَّ كلمات فكتبت.. انتهى وقال بهدوء:

ـ تعال.

العصا فوق دفتره، تقدمت إليه بخوف قال:

ـ خطك جميل.. ما اسمك؟

قلت:

ـ زكريا.

ـ ولمَ لا تحضر كراسة يا زكريا؟

لم أردّ، انفجرت في البكاء، رمق الأستاذ سروالي وشد ناحية منه إلى أعلى فصارت بمستوى الأخرى، وضم بيده مكان الزر المقطوع من مريلتي، ثم ربت على كتفي وقال للتلاميذ:

ـ زكريا خطه جميل بل هو رائع.. وله عندي هدية سأمنحه كراسة للإملاء.

فرحت والدموع ما تزال تبلل وجهي، مسح الأستاذ دموعي وطلب أن يصفق لي الأولاد.

العنوان: البيليوجرافية الوطنية السعودية الراجعة.
سجل حصري مصنف للإنتاج الفكري السعودي من المنفردات والدوريات والأطروحات والتسجيلات السمعية والبصرية 1301- 1413هـ، 10 أجزاء.
الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1417هـ /1996م.
تنسيق ومتابعة: إدارة التكشيف والبيليوجرافية الوطنية.



غلاف الكتاب

تزامن صدور الجزء العاشر من الببليوجرافية الوطنية السعودية مع الافتتاح الرسمي لمكتبة الملك فهد الوطنية، الذي تم خلال شهر شعبان الماضي، وهو إنجاز يتوج أعمال المكتبة، بوصفه مهمة تمثل أحد الأعمدة الرئيسة التي أنشئت المكتبة من أجلها.

تتجلى أهمية هذا العمل وتميزه في جانبين: أولهما القيمة العلمية التاريخية التي تمثلها الإصدارات العشرة من الببليوجرافيا الوطنية في رصدها للإنتاج الفكري والعلمي الصادر عن أبناء المملكة، وما صدر في المملكة؛ مما يعكس أوجه التطور الفكري والحضاري للوطن. أما الميزة الأخرى التي تُكسب هذا الإنتاج أهمية خاصة فهي: أنه يعد أشمل عمل وأكمل إنتاج صدر في مجاله، فهو يحصر ويرصد ما يصدر من أوعية معلومات داخل المملكة، أو ما يصدره أو يدعم نشره السعوديون أو المؤسسات السعودية من أعمال ومؤلفات خارج المملكة، وهذا يعكس حجم أوعية المعلومات السعودية التي تقتنيها مكتبة الملك فهد الوطنية؛ فقد تم حصر الإنتاج الفكري السعودي، قديمه وحديثه، مما يتجاوز أربعين ألف كتاب تقتنيها المكتبة، تمثل أكبر مجموعة من المطبوعات السعودية يمكن العثور عليها في أية مكتبة.

تم تقسيم الببليوجرافية الوطنية إلى راجعة وجارية، أما الراجعة فتُعنى بتوثيق ما تقتنيه المكتبة فعلا، مما صدر منذ بداية الطباعة والنشر في المملكة حتى نهاية عام 1413هـ مما وصل إلى المكتبة وتمت معالجته. ويدخل في هذا التصنيف العديد من أوائل المطبوعات النادرة الصادرة في مطلع القرن الثالث عشر الهجري. أما الببليوجرافية الوطنية الجارية، التي ستصدر بانتظام كل عام؛ فتغطي منشورات سنة التغطية وما سيتبعها من منشورات لم تتضمنها الببليوجرافية الراجعة.

ومن دون الدخول في التقسيمات والتصنيفات المتخصصة بتبويب الكشافات، فإن من المفيد أن يلم القارئ بمحتويات الأجزاء العشرة المكتملة للببليوجرافية التي حوت 18700 عنوان من المؤلفات السعودية، فالأجزاء 1- 3 تغطي تسجيلات المنشورات الوطنية في حقول المعارف العامة والفلسفة والمنطق وعلم النفس وعلوم الدين وكشافاتها. وتغطي الأجزاء 4- 6 تسجيلات المنشورات في العلوم الاجتماعية وكشافاتها. وتشتمل الأجزاء 7- 9 تسجيلات المنشورات في اللغات وعلومها والعلوم البحتة والتقنية والفنون والتاريخ والآثار والجغرافيا والتراجم وكشافاتها. أما الجزء العاشر فيغطي الأدب والبلاغة وكشافاتها. وعند البحث عن كتاب أو عمل من الأعمال في محتويات هذه الأجزاء العشرة؛ هنالك عدة مداخل أمام الباحث للوصول إلى الأعمال المستهدفة أو التأكد منها؛ إذ يمكن استرجاع التسجيلة الببليوجرافية بالرجوع إلى كشاف المؤلفين أو كشاف العناوين أو كشاف الموضوعات.

العنوان: الرواسب المعدنية في المملكة العربية السعودية.
المؤلف: د. أحمد محمود سلمان الشنطي.
الناشر: مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، ط1، 1416هـ/1995م، 312 ص.


د. أحمد محمود سلمان الشنطي



غلاف الكتاب

على الرغم من الطابع الأكاديمي التخصصي لهذا الكتاب، وهو ما قصد إليه المؤلف عندما أُوكل إليه تدريس هذه المادة العلمية لطلاب قسم الجيولوجيا الاقتصادية في كلية علوم الأرض، ولمس الحاجة إلى كتاب مرجع باللغة العربية يتناول شرحًا عن الرواسب المعدنية في المملكة العربية السعودية.. إلا أنه - أي الكتاب - يقدم إيضاحات مفيدة لا غنى عنها للقارئ العادي والمتخصص على السواء، بأسلوب علمي يميل إلى التبسيط والشرح والإيضاح بخرائط وجداول.. ولا غرو فالمؤلف الدكتور أحمد الشنطي متخصص مارس العمل الجيولوجي في المملكة في مجال استكشاف الثروة المعدنية عمليًا، وفي تدريس المادة مدة تزيد على

خمسة وثلاثين عامًا في وزارة البترول والثروة المعدنية ومعهد الجيولوجيا التطبيقية الذي تطور إلى كلية علوم الأرض بجامعة الملك عبدالعزيز. والكتاب من جانب يسلّط الضوء على الاهتمام المتعاظم الذي أولته المملكة للتعدين، وهو ما جاء مع تأسيس المملكة؛ حيث اهتم الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بتنمية هذه الثروة، وكان من نتيجة ذلك قيام نقابة التعدين العربية السعودية SAMS بإعادة فتح منجم «مهد الذهب» واستغلاله، وفتح منجم «ظلم»، ومن ثم تواصل الاهتمام من منطلق قناعة أولي الأمر في المملكة بأن أرض البلاد تحتوي على العديد من الرواسب التي يمكن تنميتها والاستفادة منها اقتصاديًا.

قسّم المؤلف كتابه بابين رئيسين: الأول عن الرواسب المعدنية الفلزية، ويشمل الفلزات النفيسة، والفلزات غير الحديدية، والحديد والفلزات الحديدية، والفلزات ضئيلة المقدار واللا فلزات المصاحبة. أما الباب الثاني فعن الرواسب المعدنية اللا فلزية ويشمل مواد الطاقة ومواد الصناعة الخزفية ومواد الإنشاء والتشييد والمواد الميتاليرجية المقاومة للصهر والمعادن والمواد الصناعية ومعادن الصناعات الكيماوية ومواد الصقل والتلميع وأحجار الزينة والأحجار الكريمة.

ويسبق المؤلف كل باب بإيجاز عن الصخور التي يغلب ارتباط الفلز بها، والطرق السائدة في نشأته، واقتصادياته، وتوزيع إنتاجيته دوليًا، إلى النسبة الاقتصادية لتعدينه، والعوامل التي تحكم ذلك، ثم ينتقل إلى التفاصيل الخاصة بوجود الفلزات في المملكة، ويجوب بالقارئ المواقع المهمة واصفًا جيولوجيتها، موضحًا نوعية التمعدن بها، وأرجح النماذج المحتملة لنشأتها. ويشير المؤلف إلى أن النشاط التعديني في شبه الجزيرة العربية يعود إلى ماقبل ثلاثة آلاف عام وبلغ ذروته في أيام الخلافة الأموية، وأوائل العصر العباسي. وقد ختم المؤلف كتابه بقائمة للاختصارات والمراجع وثبت للمصطلحات باللغتين العربية والإنجليزية، ثم كشاف المؤلفين، وكشاف المواقع، وكشاف الموضوعات.

وإذا كان من تأكيد لأهمية الموضوع فيجدر أن نشير إلى ما صدَّر به الكتاب معالي الدكتور محمد عبده يماني، وتنبيهه على ضرورة تكثيف الدراسة والبحث والاستكشاف والاستغلال الاقتصادي لهذا المجال، نظرًا لأن أرض المملكة لا تزال بكرًا، وتزخر بالكثير من الثروات المعدنية، فيما بدأ العالم يعاني من مشكلة نفاد هذه الثروات.

العنوان: حكايات العطارين في جدة القديمة.
المؤلف: عبدالعزيز عمر أبوزيد.
الناشر: دار البلاد للطباعة والنشر، ط1، 1416هـ، 139ص.

هذا الكتاب، دراسة تاريخية وصور اجتماعية للمعتقدات والوصفات الشعبية للعطارين في مدينة جدة القديمة قبل هدم سورها عام 1367هـ.

وقد اعتمد المؤلف، كما يقول، على المصادر الشفهية، لانعدام المكتوبة منها عن موضوعه، وقد أخذها ممن التقى بهم من كبار السن، لرصد المعلومات عن العطارة الشعبية في جدة القديمة وتسجيلها وتوثيقها. كما راح يتتبع مجريات الأمور الصحية وعلاجات العطارين وأدويتهم وأساليب حياتهم مع مرضاهم.

كما تتبّع المؤلف ظهور المنافس الجديد لمهنة العطارة، وهم الصيادلة وأدويتهم الجديدة، التي أخذت تزاحم العطارة والعطارين، كما تتبّع بدايات ظهور المستشفيات تتبعًا يقوم على إبراز عقليات الناس من أهل جدة، بعد أن تعودوا علاجات العطارين سنين عديدة؛ وأصبح من الصعب زعزعتها.

من هنا أخذ المؤلف يوازن بين علاجات العطارين القديمة، وعلاج المستشفيات والأطباء الحديث. كما أبرز الاحتدام بين عقليتين متضادتين: عقلية العطارين، وعقلية الأطباء في مستشفياتهم وعياداتهم، ثم أسفر الصبح فكان الاختيار، وكانت الحكايات على لسان المجربين، ممن عانوا المرض بلا شفاء على أيدي العطارين، وممن عاشوا الشفاء على أيدي الأطباء بتقنية لم تكن بحوزة العطارين، وقد ثبت صلاحها ونجاحها.

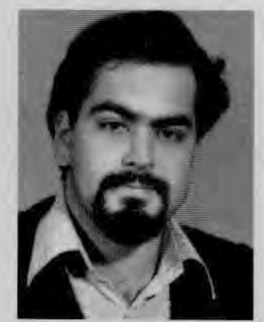
وقد تدخلت الدولة في عمل العطارين، ومنعتهم من بيع أدوية طبية، وسمحت لهم بوصفاتهم الشعبية المعهودة فقط، واتخذت إجراءات رادعة لكل من لا يلتزم تلك الأوامر.

وقد أبرز المؤلف جوانب عديدة من شهرة العطارين وسُمعتهم الطبية، ومكانتهم بين أهل جدة، وتراثهم الطبي الذي خلَّفوه لأبنائهم وأحفادهم.

على أن للمؤلف وقفات متأنية أظهر من خلالها العقليات الساذجة للناس، وهم يأخذون بالكثير من علاجات العطارين وأدويتهم، ومنها: عنب الثعلب لالتهاب اللوزتين، وزيت اللوز الحلو لأصحاب الأنوف الحساسة، وزيت اللوز المرّ لوجع الأذنين، والزنجبيل للصداع، وعرق السوس للزكام، والمرتك الذهبي لإيقاف الصلع، وغيرها.

وهذا الكتاب، إضافة لكونه وثيقة تراثية علمية لتطور الطب الشعبي في مدينة جدة، يحمل في طياته دوافع أدبية وفنية لحملة أقلام الرواية الاجتماعية، إذ يجدون فيه البذور الحية، والأرض الخصبة، لواقع أناس عاشوا حياة حافلة بالقيم السامية، والمتناقضات في آن واحد.

كيف تم تعريب الطب في جامعة دمشق



كتب عن التجربة: **د. مؤنس محمود غانم**

تُعد كلية الطب في جامعة دمشق الكلية الوحيدة التي تُدرِّس الطب باللغة العربية، أما باقي الكليات في الوطن العربي، فتُدرِّس علوم الطب باللغة الإنجليزية أو الفرنسية. ومازال الاختلاف مستمرًا بين الرأيين.. فالأول يقول: إن الطب لا يمكن تدريسه بلغتنا العربية، لأن كل المراجع والأبحاث هي في اللغات الأخرى، والطالب لا يستطيع مواكبة التطور إذا تَعَلَّم الطب بلغة أخرى غير الإنجليزية أو الفرنسية. أما الرأي الثاني فيقول: إن لغتنا العربية لغة فريدة من نوعها، وهي تستطيع بما أوتيته من إعجاز أن تستوعب اللغة الطبية، كما استوعبت القرآن الكريم الذي لا يستطيع أحد أن ينكر بلاغته وإعجازه، التي ما يزال يتحدى بها كل إعجاز وبلاغة، منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا. وهؤلاء الذين يعتقدون هذا الرأي، يؤكدون أن تعلم الطب باللغة العربية لم يمنعهم من مواكبة التطور باللغات الأجنبية الأخرى، وكثيرون ممن تعلموا الطب باللغة العربية - ومنهم كاتب هذا المقال - ثم سافروا إلى أوربا أو أمريكا للتخصص في مجال من مجالات الطب الواسعة، لم يجدوا كبير مشقة في الدراسة هناك بلغة فرنسية كانت أم إنجليزية، وعادوا بعد ذلك إلى بلادهم ليمارسوا اختصاصهم، ومنهم من طاب لهم المقام في بلاد الاغتراب وتابعوا عملهم هناك.

إن أكثر شعوب العالم تدرس علومها بلغتها الأم؛ فالروس يدرسون الطب باللغة الروسية والإيطاليون باللغة الإيطالية والإسبانيون باللغة الإسبانية، فلماذا لا يدرس أبناء العروبة قاطبة بلغة الآباء والأجداد؟

والواقع أن جامعة دمشق ليست أول من قام بتعريب العلوم الطبية منذ سنة 1919م، بل سبقتها في ذلك القاهرة، حيث أنشأ محمد علي مدرسة الطب فيها سنة 1827م، وقد استمرت هذه المدرسة بالتعليم بالعربية، حتى سنة 1887م، حين حَوَّلت الحكومة في ذلك الوقت، بتأثير الضغط السياسي، التعليم من اللغة العربية إلى الإنجليزية.

ومن الجامعات التي اعتمدت العربية، في تدريس الطب والصيدلة، الكلية الإنجيلية السورية في بيروت، منذ تأسيسها سنة 1866م، حتى سنة 1884م، لتحل الإنجليزية محلها.

أما جامعة دمشق، فمنذ عام 1919م بدأت التدريس باللغة العربية، واستمرت به حتى يومنا هذا. وقد ظهرت الفكرة بعد أن انتهت الحرب العالمية الأولى، حيث انقطعت الدراسة في الجامعة بعد انسحاب الأتراك، وقد ساعد على تحقيق الفكرة وجود الدكتور أحمد حمدي حمودة، وكان هذا الطبيب من رفاق الأمير فيصل في الثورة العربية، ويعود إليه الفضل في إقناع الأمير بفتح المدرسة الطبية العثمانية، وكان هذا اسمها. وقد تم افتتاح المدرسة مجددًا، والتي دعيت بالمدرسة الطبية العربية، في أوائل شهر كانون الثاني/ يناير سنة 1919م، وقد التحق بها وقتئذ الطلاب القدامى لمتابعة دراستهم، وتم تسجيل طلاب جدد، وبذلك بدأ التدريس مجددًا في المدرسة ولكن باللغة العربية بدلاً من التركية.

والحقيقة أن بعض الأساتذة الأوائل في ذلك الوقت، لم يكونوا يتقنون اللغة العربية جيدًا، لأن كل دراستهم كانت بالتركية، وقد بذل هؤلاء جهودًا كبيرة حتى يستوعبوا اللغة العربية، ما عدا فئة قليلة لم تستطع أن تجاري واقع الحال فانسحبت، لتحل محلها فئة أخرى، نذكر من رجالها: عبدالرحمن الشهبندر ومنيف العائدي ومرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط.

ومع مرور السنوات، أصبحت تصدر عن المدرسة الطبية العربية جملة مؤلفات، وكانت تصدر بلغة عربية سليمة، حتى إن الكاتب المعروف أمين المعلوف نشر في مجلة «المقتطف» المصرية، تقريظًا لكتاب «فن الجراثيم» للأستاذ الدكتور أحمد حمدي الخياط، جاء فيه: «ألبس المؤلف كتابه لباسًا عربيًا بحتًا، فلا شيء فيه من العجمة، مع أن معظم المصطلحات التي فيه أعجمية الأصل».

وقد سعى الدكتور أحمد حمدي الخياط، بالاشتراك مع الدكتور مرشد خاطر، إلى البدء في إصدار معجم العلوم الطبية، وقد قام بتنقيحه وإتمامه الدكتور محمد هيثم الخياط، ونُشر الجزء الأول من هذا المعجم في سنة 1974م بإشراف وزارة التعليم العالي في سورية. ومما جاء في مقدمة المعجم بقلم الدكتور أحمد حمدي الخياط: «وبعد، فهذا كتاب ظننا أن لن يتاح له أن يخرج إلى الناس، وشاء قوم أن يضعوا في سبيله الصعاب، وأراد الله غير ما ظننا وشاؤوا، فَقَيَّض له يوم كانت وزارة التعليم العالي تحتفل بالذكرى الخمسين لإنشاء كلية الطب بدمشق، أن يكون هدية هذه الوزارة إلى الكلية، إذ هو خلاصة جهادها طوال نصف قرن من الزمان.. بل خلاصة ما صاغته العرب في تاريخها الحضاري الطويل من مصطلح الطب.. ولا عجب أن يُهدى إليها فلطالما تعثرت مسيرة تعليم الطب بالعربية، وحاول عدوها أن يُسقط الصابرين المنافحين عن لسان العرب ولغة التنزيل العزيز، وهي مسيرة ندعو الله أن تستمر أبية الخطا حثيثة السير، وراية نرجو لها أن تبقى عليَّة ظاهرة عزيزة إن شاء الله. وإنما يضم هذا المعجم جهود أساتذة كلية الطب في جامعة دمشق، وما نشروه في مجلة المعهد الطبي العربي، وما كتبوه في ما أَلَّفوا من تصانيف لازالت تشهد لهم بالجد والدأب والعمل المخلص الهادئ الهادف الطويل النَّفَس.. بالإضافة إلى ما كان وضعه أطباء

العرب الأقدمون.. ثم ما وضعه الأساتذة الترك يوم كانت مصطلحاتهم كلها عربية أو تكاد.. وما وضعه أساتذة قصر العيني بالقاهرة والكلية الأمريكية في بيروت قبل أن يقلب الاستعمار لغة التعليم من العربية إلى الإنجليزية».

من خلال هذه المقدمة، نرى أن مسيرة التعريب الطبي لم تكن سهلة يسيرة، وأن رجالها قد لاقوا من الصعوبات الكثير حتى تمكنوا من الاستمرار في تعليم الطب باللغة العربية طوال هذه السنوات. أما سبب هذه الصعوبات فربما يعود إلى ما ذكرناه في بدء كلامنا، أو أن هناك غاية في نفس يعقوب؟ إذ إن سورية قد تعرضت للانتداب الفرنسي بين سنة 1920م و 1947م.

والحقيقة أن تجربتي الشخصية وتجربة جميع الأطباء الذين درسوا في جامعة دمشق، تؤكد أن استيعابنا للعلوم الطبية هو أفضل عندما ندرسها بلغتنا الأم، كما أن متابعة الاختصاص باللغات الأخرى لم يتأثر إطلاقا بدراستنا السابقة باللغة العربية، وهأنذا قد تخرجت في كلية الطب بجامعة دمشق سنة 1982م وسافرت بعدها إلى فرنسا بقصد الاختصاص من هناك في أمراض العيون، ولم أجد أية صعوبة في الدراسة بالفرنسية على وجود الاختلاف الكبير بين المصطلحات الطبية العربية والأجنبية. لا بد بالطبع من إضاعة سنة واحدة قبل البدء بالاختصاص وذلك لإتقان اللغة فرنسية كانت أم إنجليزية.

أخيرًا.. نذكر فيما يلي مقتطفات من بعض ما جاء في عدة كتب طبية، درسناها باللغة العربية، ومن خلالها نلاحظ الفرق بين الدراسة باللغة الأم، ولغة أجنبية، يضطر فيها الطالب إلى حفظ ما يقرأ عن ظهر قلب، بدل أن يفهم ذلك فهمًا ويتقنه استيعابًا.

ففي كتاب التشريح الوصفي، وهو يُدَرَّس في السنة الأولى من كلية الطب، نذكر ما جاء في تشريح عظام الوجه: «يقع هيكل الوجه تحت نصف القحف الأمامي، وينقسم إلى قسمين أساسيين: الفك العلوي والفك السفلي. ويتألف الفك العلوي من ثلاث عشرة عظمة، واحدة منها متوسطة مفردة تسمى الميكعة، والاثنتا عشرة الباقية، مزدوجة جانبية، وهي: 1ـ الفكان العلويان، 2ـ الظفريان، 3ـ عظما الحنك، 4ـ القرينان السفليان، 5ـ عظما الأنف، 6ـ العظمان الغرباليان، ويتألف الفك السفلي من عظم واحد».

والمؤلف يورد أمام كل عظمة مرادفها باللغتين الفرنسية والإنجليزية، وبذلك يسهل الرجوع على من أراد التوسع في الكتب الأخرى. ألا ترون سلاسة الأسلوب مع أن علم التشريح من العلوم الطبية الجافة التي تشبَّه بالجغرافيا.

وكذلك نورد مقطعًا ورد في كتاب علم الأدوية، وهو ما ندرسه في السنة الثالثة من كلية الطب. وقد اخترنا بحث الجنة السُّمِّيَّة TOXICO-MANIA: «إن مشكلة الإدمان على الأدوية، قديمة وخطيرة جدًا بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع. تتأسس حالة الإدمان نتيجة تعاطي الشخص دواء لفترة طويلة أو قصيرة، وكان لهذا الدواء خاصة إيجاد ارتباط فسيولوجي بينه وبين مكونات العضوية. وتختلف حالة الإدمان كثيرًا بحسب المادة المحدثة، ويحتاج تأسيسها لمراحل متعددة، قد تكون متتالية الحدوث، وقد تكون كل مرحلة مستقلة عن غيرها».

ونختم بما جاء في كتاب الأمراض النفسية، ونحن ندرسه في السنة الخامسة. وقد اخترنا منه مما جاء في الفصل الثاني والثلاثين عن الأمراض النفسية عند الأطفال: «أما أسباب المشاكل العقلية عند الأطفال، فالطفل شخصية دائمة التغير، وليطرد نموها الانفعالي في الطريق الطبيعي العفوي يجب أن تجد العطف والحب والطمأنينة والنظام، وأن تُشجَّع بالمديح وبالقبول الاجتماعي، كما يجب أن يشعر الطفل بالرضى في علاقته مع أبويه، وأن يشعر بأنه محبوب وأن شخصيته محترمة من أبويه، كما يجب أن ينمّى شعوره بقوته وقدرته كشخص له حقوق».

كانت هذه خلاصة قضية تعريب التعليم الطبي في الوطن العربي التي يستمر العمل فيها في جامعة دمشق دون كل أقطار العروبة الأخرى، ونتمنى أن يأتي اليوم الذي نرى فيه انتشار فكرة التعريب في وطننا العربي الكبير لندرس الطب وغيره من العلوم بلغتنا العربية التي وسعت إعجاز القرآن الكريم. وصدق الله العظيم: *إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا*. **يوسف**: 2. والله من وراء القصد.



أمين فهد المعلوف

تجربة جميع الأطباء الذين درسوا في جامعة دمشق تؤكد أن استيعاب العلوم الطبية يكون أفضل عندما ندرسها بلغتنا الأم



جامعة دمشق

مصادر البحث:

1ـ معجم العلوم الطبية، الدكتور أحمد حمدي الخياط والدكتور مرشد خاطر، ج1، 1974م، طباعة جامعة وزارة التعليم العالي.
2ـ المجلة الطبية العربية، العدد 122، آذار/ مارس 1994م.
3ـ التشريح الوصفي، ج1، الدكتور فائز المط، مطبعة الآداب والعلوم 1976م، ص51.
4ـ علم الأدوية، الدكتور أكرم المهايني، مطبعة جامعة دمشق 1972م، ص432.
5ـ الأمراض النفسية، الدكتورفيصل الصباغ، طباعة دار المستقبل1981م، ص511.

من بقايا الفصاح

الشاعر محمد البزم

د. عمر الأسعد

شهدت مطالع هذا القرن العشرين نهضة لغوية شملت بلاد الشام والعراق ومصر. وقاد هذه النهضة المباركة كوكبة من أعلام اللغة والأدب، حملوا لواءها وتقدموا به صُعُدًا في مدارج البلاغة والفصاحة، حتى أعادوا للغتنا الجميلة ماءها ورونقها(1). ولمع فيهم نخبة من الشعراء والمترسلين حَذَوْا حَذْوَ سابقيهم من شعراء العصور الأدبية المزدهرة وكتّابها، وأضافوا إلى ذلك ما استلزمته ظروف مجتمعاتهم الجديدة وثقافاتهم العصرية.



الأخطل الصغير



محمد العدناني

وسار ذكرهم في الآفاق وذاع صيتهم وترددت أسماؤهم واشتهر منهم كثيرون، كالبارودي وشوقي وحافظ ومطران والأخطل الصغير... وبقي في الصف الثاني من حيث الشهرة كثيرون أيضًا لم تَنَلْ أسماؤهم الحظ نفسه من الذيوع والانتشار، مثل أحمد الصافي النجفي وشفيق جبري وأنور العطار ومحمد البزم وخيرالدين الزركلي(2) ومحمد العدناني وغيرهم.

وقد فكّرتُ في تسمية مناسبة لمثل هؤلاء النابغين النابهين، فوجدت أنهم يستحقون العنوان الذي اخترته للحديث عنهم، وهو «من بقايا الفصاح»(*). ثم أحسستُ أن هذه التسمية تقصّر عن إنصافهم وإيفائهم حقّهم، وبخاصة بعد أن طغت موجات العبث بالشعر واللغة على ماهو معروف مما ليس هنا مجال الحديث فيه، فآثرتُ أن أُسميهم بقمم الفصاح، لأنهم تميزوا باطّلاع لغوي واسع، اكتسبوه بتلمذتهم على شيوخ أجلاّء من علماء اللغة والشريعة، وبدفقات من الشاعرية استمدوها من وادي عبقر، وشهدت بها ملكاتهم الشعرية المتمثّلة في دواوينهم المنشورة. وسواء وسمناهم ببقايا الفصاح أو بقمم الفصاح، فكلتا التسميتين لا تغضّ من شأنهم بل ترفع مقدارهم. فليكن موضوع حديثنا في هذا المقال واحدًا من هؤلاء الفصاح، تتلوه أحاديث أُخر عن شعراء آخرين من هذه الطبقة المغمورة التي تستحق التعريف والتقديم لأجيال المثقفين الشباب خاصة، الذين يكادون أن يكونوا لم يسمعوا بهم أو يعلموا عنهم شيئًا.

هذا شاعر دمشقي المولد والنشأة والوفاة، هو محمد البزم(3) 1884-1955م، عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق(4)، وأساتذته جلّة علماء الشام من أمثال السيد جمال الدين القاسمي(5). وآثاره تدلّ على ثقافته واطّلاعه؛ فله - سوى ديوانه - رسالة مطبوعة عنوانها: كلمات في شعراء دمشق، وكتاب على نسق رسالة الغفران لم يتمّه ولم ينشره، سمّاه «الجحيم»(6). وله مخطوطان آخران هما: النحو الواقع، والجواب المسكت.

سمّي ديوانه باسمه «ديوان البزم»(7) أو سمّاه بذلك ناشراه. وصنّف الديوان في موضوعات وأغراض هي: الوطن العربي، والإلهيّات، والرثاء، والأدب، والقوميات، ومتفرقات، وأغاريد. ولكي يكوّن القارىء الكريم فكرة عن موضوعات الديوان نقول: إن الشاعر تحدث في «الوطن العربي» عن بعض البلدان العربية والمناسبات الوطنية المتصلة بها، فذكر دمشق وغوطتها وبرداها ومسجدها الجامع، وذكر مصر وآثارها، وذكر حماة ونواعيرها، وطرابلس الشام وقلعتها، وذكر حمص وطرابلس الغرب، وخص الثورة السورية ضد الفرنسيين بقصيدة، ويوم الجلاء عن سورية بأخرى.

يستهل قصيدة دمشق بهذا المطلع(8):

رَفَعَتْ على حرم الخلود بنودا
ومضت تحلّق في الإباء صعودا

ويصف مسجدها الأموي وما فيه من دقة الصنعة في البناء، والزينة الفنية المنقوشة على جدرانه فيقول:

نسجت عليه العبقرية سَرْدَها
ثوبًا تحار به النُّهَى مقدودا
فتنٌ من الوشي البديع خوالد
للغابرين على البقاء عتيدا
حشدت أفانينَ الجمال بفنّها
كفٌّ أَبَتْ في فنّها التقليدا
فكأنّ كل سبيكة من عسجد
أو فضة نقشت بها تجعيدا

وفي «الإلهيات» قصيدتان: نجوى، يناجي فيها الخالق جلّ وعلا مناجاة رقيقة مؤثّرة، ومحمد: يناجي فيها سيد البشر صلى الله عليه وسلم مناجاة عقلية عاطفية معًا، ويذكر في مقطع من مقاطعها طرفًا من جهاد الرسول الكريم، حيث جدّد شباب الزمان، فانجاب به

الظُّلم الذي لفّ الأكوان، وتحرّرت النفوس من الجهالة، وحُملت على الجادّة فكانت نصيراً للحق وعونًا عليه(9):

محمّد إن الشعرَ عنك لقاصر
وشأوُ بياني دون ما أنا طالبُهْ
أتيتَ وقد شاخ الزمان فردّه
نداكَ فتيًّا بعدما اربدّ حالبه
سطعتَ وليل الغيّ ملقٍ جِرانه
على الكون تَهمي بالرزايا سحائبه
فحرّرتَ من أسر الجهالة أنفسًا
وقد رانَهَا التضليل سوداً سبائبه
بثثتَ بها حبَّ الإباء فلم تُقمْ
على الضيم بل هبّتْ إليه تحاربه

ويشيد بما كان عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم من حكمة في مخاطبة البشر وحسن معاملتهم حتى انجلت عمايات القلوب وانزاحت أوهام العقول(10):

تلطّفْتَ بالغاوي فطوراً تُلينه
وحينًا تصاديه وآنًا تغالبه
جلوتَ عمايات القلوب فأبصرتْ
وزيحَتْ عن اللبّ السليم عناكبه

أما الرثاء فقد أخذ حيزًا كبيرًا من الديوان بالقياس إلى الموضوعات الأخرى، واشتمل على مجموعة من المراثي رثى فيها الملوك والكبراء وأعلام الأدب، مثل الحسين وفيصل وغازي وشوقي وسعد وشكيب أرسلان... وقد اخترت من رثاء شوقي مقطعًا يشيد فيه بشاعرية أمير الشعراء، وبرحلته الفنية الطويلة التي جمعت الناس إلى معينه الشعري. ويرى أن خواطره التي كان يُودعها شعره أشبه بشواظ من نار يرمي بها فتحرق ماتصيبه، وأنه كان أشبه بكوكب أضاء فمحا ضياء الظلام، وبسيف سُلَّ فلمع فشقّ ديجور الظلام، يقول مخاطبًا شوقيًا(11):

يا سريّ الشعر لا ترضى به
غير فذٍّ شامخٍ يأبى القرينْ
جُزْتَ والشعرَ مدًى لو جازه
غيرُ شوقي لكبا في العاثرينْ
كنت والعُرْبَ نميرًا سلسلاً
وعطاشًا حوّمًا لا يرتوونْ
خاطرٌ من لهب يدعمه
طَبْعُ جبّارٍ ثوى في الوادعين
كوكب لألأ في ضافي الدجى
وفرنْدٌ سُلَّ حينًا ثم حيْن
شقّ ديجورًا وجلّى ظُلَمًا
وانتحى بالنور أجفان العمين

وختم مراثيه بدمعة آسف ذرفها على بلاد العرب والمسلمين، ووصف فيها أحوالهم آنذاك، وقدّم لهم الحلول الناجعة للتقدم والازدهار، بالقوة والاعتماد على النفس(12):

أعْوَزَ الصبر فهُبُّوا ويْكُم
وادفعوا الخطب فها قد هجما
ودَعُونا من عسى إنّ عسى
تُورث القلب الأسى والألما

أما باب الأدب فقد صدّره بقصيدة عصماء في مديح المتنبي مطلعها(13):

أجل طلعت راياته وجحافله
وقامت له في كل صقعٍ محافله

وأطال فيها - وحقّ له - القول في شاعر العربية الأول. ومما جاء في جودة شعر المتنبي وبقائه على الزمان قوله يخاطبه(14):

كسوتَ بنات الضاد نسجًا مسرّدًا
ترفّ على عُمر الزمان غلائلُهْ
رددتَ محاسين القرون فتيَّةً
وأرسلتَها شعرًا ترنّ خلاخله
وأثبتّ في جيد الزمان قلائدًا
سينزعها إن مات ذا الدهر غاسِلُهْ
ولو لم يكن ذا الدهر بعض رواتها
روتهنّ حصباء الثرى وجنادله

انظر إلى هذه الصور الحية النابضة التي لا يكاد يخلو بيت من الأبيات من واحدة منها: بنات الضاد يكتسين نسجًا مسرودًا من الشعر، وخلاخل الشعر ترنّ مرددةً محاسن القرون، وجيد الزمان يكتسي بقلائد لا تصلح إلا لزمان الشاعر (يعني أن المتنبي لا قبله ولا بعده!) والدهر يردّد شعر المتنبي وتروي شعره حصباء الثرى وجنادله.

وفي باب الأدب أيضًا مرّ شاعرنا على ذكر المعرّي وحافظ، وصرخ معلنًا «غضبة الضاد» على الذين ينالون من اللغة فيُضعفونها، ويلحنون فيها فيسيئون إليها ويعملون على هدم بنيانها الشامخ... وأتبع هذه الصرخة قصائد أخرى انتقادية.

وتستغرق القوميات حيّزًا واسعًا من الديوان، فهي أوسع موضوعات الجزء الأول وأكثرها قصائد. ويستهل هذه القصائد بواحدة عنوانها: حرب الجزيرة ومطلعها(15):

إلى الجزيرة حيث المجد والكرمِ
وحيث قومي الأباة الصِّيد تصطدمُ

وهو يعبّر فيها عن مشاعره تجاه الجزيرة العربية وموحّدها فيخاطبه بقوله:

عبدالعزيز جزاك الله صالحةً
لازلتَ في ندحة عن كل مايَصِمُ
شِدْ للعروبة مايُنسي بني إِرَمٍ
مجدًا تغنّتْ به في دهرها إِرَمُ

وفي هذا القسم من الديوان قصيدة سمّاها: صول على قول، يشيد فيها بشاعريته ويفخر بها ويقول(16):

ولو شئتُ سيّرتُ القوافي جحافلاً
وأوقرتُ أسماعًا وكان ليَ الفوزُ
وإنّ قناة الشعر لو ماد مَتْنُها
لَقَوَّمها منّي ومن قلمي غَمْزُ
ولو سابقت شعري الرياح ذواريًا
لكانَ لشعري دون سابقها البَزُّ

أما المتفرقات والأغاريد فهما قوام الجزء الثاني من الديوان. والمتفرقات مقطوعات صغيرة حملت سوانح وخطرات عابرة في موضوعات مختلفة، أُمثّل لها بقصيدة سمّاها: الشباب الراحل، نعى فيها شبابه وهمّته، ووقف فيها على أطلال حياته وقد أخذ اليأس منه كل مأخذ، خصوصًا أنه فقد بصره في أخريات أيامه واصطلحت عليه العلل، يقول(17):

قرعَتْ مَرْوَتي الخطوب وقلّت
نزعاتي إلى الحِسان اللّدان
ووهَتْ منّيَ اليدان فما لي
بقراع الأحداث بعدُ يدان
كان لي الأحمدان: شَرْخٌ وَزَهْوٌ
فاستقلاّ وودّع الأحمدان
ودجا الأسودان: حظٌّ وليلٌ
فقيادي يسعى به أسودان!

وأخيرًا نحا الشاعر في أغاريده نحوه في متفرقاته، من حيث كون هذه الأغاريد مقطوعات قصيرة، قياسًا بنَفَس الشاعر الطويل. وجاءت القصيدة الأولى على شكل مزدوجات شعرية مقسّمة إلى موضوعات

من بقايا الفصاح

الشاعر محمد البِزم

مختلفة، اتخذ كل بيتين فيها قافية مختلفة. وتَلَتْها مقطوعات منوّعة رثى نفسه في إحداها حيًّا قبل أن يموت فقال، واختار لها عنوان: على قبر شيخ(18):

تعرَّفْتُ هذا الدهر كهلاً ويافعًا
وشيخًا يغاديني الردى وأُخاتِلُهْ
أُمارس منه الجدَّ حينًا وتارةً
تداعبني بالمزعجات غوائله
ومافتئَتْ كفّاه لا دَرَّ دَرُّهُ
تمزّق ماحاكتْه منّي أنامله
إلى أن وَهَتْ منّي اليدان فضمّني
ثراه وصانت حُرَّ وجهي جنادله

امتاز شاعرنا بطول النَّفَس الشعري في ديوانه؛ فقد بلغت أبيات قصيدته في المتنبي على سبيل المثال مئة وستّة وعشرين بيتًا، قسمها اثني عشر قسمًا على رويٍّ واحد ووزن واحد.

على أنّ هذه الإطالة لم تُفقده الجزالة في التراكيب والتماسك في بناء القصيدة وإحكامها؛ فهو هو في كل بيت من مطوّلاته، لا تستطع أن تلغي منها بيتًا أو تغيّر موضعه في بناء القصيدة، فهو كالمهندس الصَّنّاع يأتي بكلّ لبنة فيضعها في موضعها(19).

ولم تَحُلِ الإطالة عنده دون أن تزخر أشعاره بالصور الفنّية وتضجّ بها، وقد مرّ بنا نماذج منها في الشواهد الشعرية السابقة.

ولقد عارض شاعرنا صِنْوَه وصفيّه خير الدين الزركلي 1893-1976م. فإبان احتلال الفرنسيين الشام حكموا على الزركلي بالموت بتهمة مناهضة الاحتلال، فاضطر إلى مفارقة بلده والرحيل إلى مصر، وجعل يبثّها من هناك لواعج أشواقه وزفرات حنينه. يقول الزركلي في قصيدته الذائعة الصيت(20):

العين بعد فراقها الوطنا
لا ساكنًا ألِفَتْ ولا سَكَنا
ريّانةٌ بالدّمع أقْلَقَها
أن لا تُحسَّ كرًى ولا وَسَنا
كانت ترى في كلِ سانحة
حُسْنًا وباتَتْ لا ترى حَسَنا
ليت الذين أُحبُّهم علموا
وهمُ هنالك مالَقِيتُ هنا
ماكنتُ أَحْسَبُني مُفارِقَهم
حتى تُفارقَ روحيَ البدنا

فيقول البزم معارضًا قصيدة الزركلي(21):

لا تَبْكِ أوطانًا ولا سكنا
يا«خَيْرُ» وانشُدْ غيرها وطنا
فبذا جرى حُكْمُ القضاء بنا
أنت الغريب معذَّبًا وأنا
ثاوٍ على الفيحاء ذو أَرَقٍ
متحرِّقٌ أتصيّد الوسنا
لولا يدٌ للسُّقْم جائرةٌ
قد أوسعَتْني شِقْوةً وضَنى
لقرعتُ صدر البيد تحملني
وخَدّادةٌ أُرخي لها الشَّطَنا
ولأرقَلَتْ بي غير مكترث
همٌّ تَوَقَّدُ في الضلوع سَنًا
أذْكَرْتني - والذِّكْرُ من شيمي -
زمنَ النعيم وعَهْدَ أُلْفَتنا

وجاءت قصيدة البزم ضِعف قصيدة الزركلي على وجه التقريب(22)، فأتاح له ذلك أن يبسط من أفكاره ماأوجزه الزركلي؛ فالزركلي يشكو البعد من الوطن والشوق إلى الأحباب فيه، والحزن والأسى اللذين يلفّانه جرّاء ذلك، ثم يصف حال الوطن وحادثات الزمان التي عصفت به، ثم يصوّر ماأثار النّيل في نفسه من شجو فأذكره بردى.. فالقصيدة في الجملة حنين ودموع وذكريات ختمها بهذا البيت:

إن الغريب معذَّبٌ أبدًا
إن حَلَّ لم يَنْعَمْ وإن ظَعَنا

وببيت آخر لا نوافقه عليه.

أما البزم فيعتذر في المقطع الأول من القصيدة بأن يد السقم قد أقعدَتْه فحالت بينه وبين الارتحال والأسفار. فالحالان عنده سواء: حال الظاعن البعيد المفارق أهله ووطنه، وحال المقيم الشاوي في بلده، فكلاهما شَجٍ حزين معذَّب.

ويعرّج في المقطع الثاني على القوم من حوله وقد رقدت عزائمهم ونشط بينهم التباغض وشُحنت نفوسهم بالإِحَن فألِفُوا الهوان واستمرؤوا المذلّة. ويتحدث في المقطع الأخير عن حال الوطن وما آلت إليه أموره تحت الاحتلال الفرنسي.

هذا هو الشاعر محمد البزم، وهذه ملامح شاعريته وخطوطها الكبرى. ولعلّ في رجوعنا إلى دواوين أمثاله من الشعراء المنسيين مايجدّد صلتنا بهم ويعرّفنا بقمم الفِصاح منهم.

الهوامش:

1- انظر في هذا الموضوع الكتاب القيم: حاضر اللغة العربية في الشام للأستاذ سعيد الأفغاني.

2- عُرف الزركلي مؤرخًا ذاتيًا للتراجم بكتابه المشهور «الأعلام» أكثر منه شاعرًا.

(*) من الإنصاف أن نذكر أن تسمية «من بقايا الفصاح» مأخوذة من عنوان كان الشاعر الراحل شفيق جبري يصدر به مقالات له نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

3- انظر طرفًا من سيرته في الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة 1979م، دار العلم للملايين، بيروت، 7:91.

4- مجمع اللغة العربية الآن.

5- من سلالة الحسين السبط، سلفي المذهب، إمام الشام في عصره علمًا بالدين وتضلعًا من فنون الأدب. له مصنفات كثيرة أبرزها: محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم، في سبعة عشر مجلدًا. انظر الأعلام 2:135.

6- في ديوانه 1:339 قصيدة بعنوان: على ضفاف الجحيم، ينقد فيها أئمة من النحويين واللغويين عاينهم هناك مثل ابن جني وكيسان، لعلها مستلّة من ذاك الكتاب.

7- ديوانه مطبوع في جزأين، ومجموع صفحاته خمسمئة وخمسون صفحة، ضبطه وشرحه سليم الزركلي وعدنان مردم بك، ونشره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بدمشق سنة 1962م.

8- الديوان 1:1.

9- الديوان 1:77، والحالب: اسم الفاعل من حَلَبَ، والسبائب: جمع السبيبة: الثوب الرقيق.

10- الديوان 1:78.

11- الديوان 1:107، والفرند: وشي السيف، وهو دخيل، وقد يطلق على السيف نفسه، والعمون: العمي.

12- الديوان 1:172.

13- الديوان 1:175، والصُّقع: الناحية.

14- الديوان 1:177، وفي البيت الأخير إشارة إلى قول المتنبي:

وما الدهر إلاّ من رواة قلائدي
إذا قلتُ شعرًا أصبح الدهر منشدا

انظر ديوانه 1:290، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة 1956م.

15- الديوان 1:241.

16- الديوان 1:294، والبزّ: الغلبة.

17- الديوان 2:22.

18- الديوان 2:162.

19- انظر على سبيل المثال المقطع الرابع من قصيدته في رثاء شكيب أرسلان في الديوان 1:152، والمقطع الرابع من قصيدته في المعري، حيث يتحدث عن سقط الزند 1:196.

20- ديوان الزركلي ص21، مؤسسة الرسالة، بيروت 1980م.

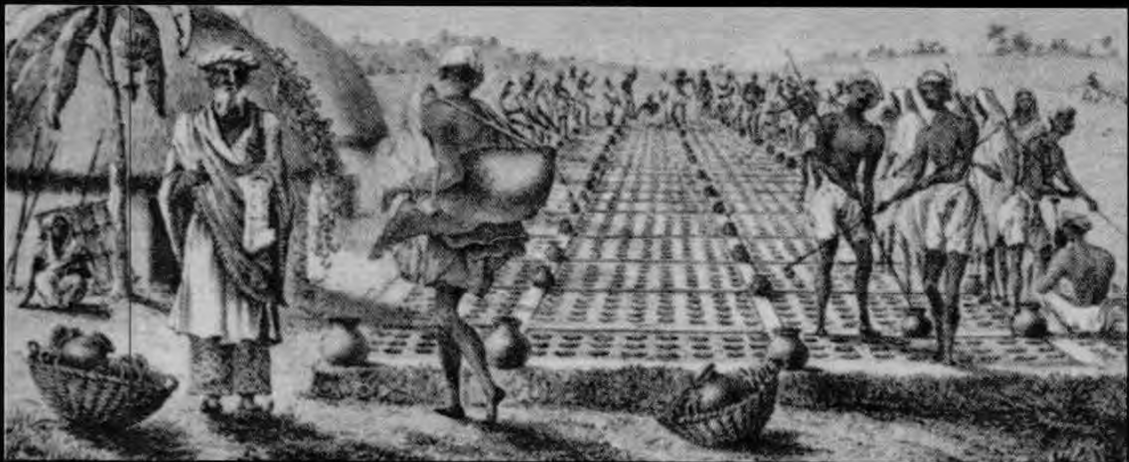
21- الديوان 1:310، والوخّادة: الناقة ترمي بقوائمها كمشي النعام، والشّطن: الحبال، وأرقلت: أسرعت.

22- وقعت قصيدة الزركلي في عشرين بيتًا، وجاءت قصيدة البزم في ثمانية وثلاثين بيتًا.


إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التى تهم كل أفراد الأسرة

الجليد والعصور الجليدية في العالم

إعداد: عدنان عضيمة



لوحة تعود لعام 1828م تظهر كيف كان سكان مدينة الله آباد الهندية يستغلون خاصة التبريد بالتبخير لصناعة الثلج

يقول علماء الجليديات: إن العصر الجليدي الذي لم ينقض عهده عن الأرض تمامًا منذ مليوني سنة، بدأ يعود الآن إلى نشاطه من جديد. والأوقات الدافئة، التي استمرت لأقل من 12000 سنة، انتهت لتوّها، ليبدأ عهد العودة الكبيرة لحقبة سِواد الجليد على الأرض.

تعود بداية أحدث عصر جليدي ساد الأرض إلى مرحلة ظهور الإنسان قبل 18000سنة حيث كان ثلاثة أعشار سطح اليابسة مغطى بطبقة سميكة من الجليد المكسو بطبقة أخرى من الثلج. ويؤكد علماء طبقات الأرض (الجيولوجيون) أن هذا العصر لم يزل مستمرًا إلى يومنا هذا على الرغم من أننا نعيش الآن في إحدى مراحله الأكثر دفئًا. وتوخيًا للدقة ورفع الالتباس، علينا أن نُذكّر بداية بأن مصطلح: عصر جليدي iCE AGE يعكس في افتقاره إلى الدقة تاريخ (الجيولوجيا) الجليدية برمّته، ذلك لأنه لاتوجد حدود معينة لانتشار الصفائح الجليدية على سطح الأرض تجعلنا نحكم إذا كانت الأرض تجتاز عصرًا جليديًا أم لا. يُضاف إلى ذلك ما أثبتته القرائن (الجيولوجية) من أن الجليد لم يختف تمامًا عن سطح الأرض خلال المليوني سنة الماضية وإن كانت صفائحه تتقدم وتتراجع بصفة شبه دورية. ومما يحيّر العلماء بصدد هذا الحكم هو أن الجليديات (أو الأنهار الجليدية) GLA-CIERS التي تنتشر في مناطق الأرض الشمالية يبدي بعضها نشاطًا كبيرًا في الزحف والاندفاع بينما يتراجع بعضها الآخر وينقص نشاطه.



تنطوي الجليديات في أثناء زحفها على قوة عاتية تجعلها قادرة على تدمير كل ما في طريقها

وعلى أن الجليد يهدد حياة الإنسان في بعض الأحيان، فهو قد يتساقط من السماء على شكل حبّات بَرَد يصل حجم الواحدة منها إلى حجم تفاحة. ويمكن لمثل هذه الحبّات أن تصرع إنسانًا سيئ الحظ إذا سقطت على رأسه، كما يمكنها أن تُسقط الطائرات المحلقة، أو تحطم هياكل وزجاج السيارات، وقد تدمر المزروعات والأشجار وتقطع خطوط الهاتف والكهرباء.

وإذا كُتب لنا النظر إلى الأرض من الفضاء فإننا سنراها زرقاء وبنية وبيضاء. ومعظم مساحات اللون الأبيض يرجع سببها إلى الجليد؛ إما بصورته الصلبة أو بصورة الصقيع أو الثلج أو الغيوم المتجمدة.

وللجليد خصائص متفرّدة ومهمة. فهو، بالإضافة لكونه يشع الحرارة عندما يتجمد ويتصّها عندما ينصهر، فإنه يطفو فوق الماء. وهو بذلك يختلف عن المواد الأخرى كافة من حيث كونه أقل كثافة وهو في الحالة الصلبة منه وهو في الحالة السائلة. ولولا هذه الظاهرة لغاصت مكعبات الجليد عند وضعها في كأس ماء، ولما طفت الجبال الجليدية المتحركة فوق مياه البحار والمحيطات، ولتجمدت البحار والبحيرات من الأسفل إلى الأعلى، ولأصبح العالم في حالة لا تطاق من البرودة.

والجليد واحد من أكثر مركّبات الطبيعة جمالاً ورونقًا. فهو قد يتشكل في الجو على صورة ثلج SNOW ذي أشكال بلورية فائقة الجمال والتعقيد والتباين. ويختلف الثلج البحري عن ثلج المياه العذبة. فنظرًا لوجود المعادن الذائبة فيه (بنسبة وزنية تبلغ نحو 3,5 بالمائة) فإن الماء المالح لا يبدأ بالتجمد إلا عندما تبلغ حرارته درجتين تحت الصفر المئوي. وعندئذ تظهر غشاوة أو طفوة رقيقة من بلورات جليد الماء العذب فوقه. ولهذا يمكن القول إن الجليد البحري يفصل الماء العذب عن المالح إلى درجة معينة. وتكون درجة ملوحة الجليد البحري المتجمد حديثًا عُشر درجة ملوحة الماء الموجود تحته. ومع تزايد عمر الجليد السطحي وسُمكه فإنه يصبح أكثر عذوبة لأن المحلول المالح ينحدر إلى الأسفل نظرًا لكونه أكثر تأثرًا بقوة الجاذبية الأرضية. والأسكيمو يعرفون هذه الظاهرة ويستفيدون منها، فهم يصهرون الجليد البحري السطحي مع الثلج الذي يغطيه، ويستعملون الماء العذب الناتج في الشرب والطهي. ونظرًا لأن اللغة بنت الحاجة، فإن لأنواع الجليد في لغة الأسكيمو قرابة اثني عشر اسمًا مختلفًا.

والثلج الذي يسقط على اليابسة في فصل الشتاء إما أن ينصهر تمامًا خلال الصيف التالي أو يصبح أكثر



جليدية كولومبيا في آلاسكا: تبلغ مساحتها 1500 كيلومتر مربع، وهي الآن في حالة انحسار مستمر حيث تراجعت مقدمتها نحو أربعة كيلومترات منذ عام 1982

سُمكًا سنة بعد أخرى. ويؤدي الضغط المتزايد لكتلة الطبقات إلى تحول الثلج تدريجيًا إلى جليد. وإذا ما استمرت هذه الحال مدة طويلة وعلى مساحة كبيرة فسوف يؤدي ذلك إلى تشكل الصفيحة الجليدية ICE SHEET. ولقد سبق أن غطت مثل هذه الصفيحة الجزء الأكبر من النصف الشمالي لأمريكا الشمالية خلال حقبة يطلق عليها (الجيولوجيون) اسم: العصر الحديث الأقرب PLEISTOCENE، ولقد بدأ العصر الجليدي قبل أكثر من مليونين ونصف المليون سنة ليبلغ أوج نشاطه قبل 18000 سنة، وهو الوقت الموافق لظهور بداية الحضارة الإنسانية الأولى على سطح الأرض، حيث عثر علماء الآثار على مجموعة خربشات ورسوم بشرية في كهوف تقع جنوبي فرنسا، وتُنسب إلى قبائل إنسان كرو - مانيون CRO - MAGNON التي عاشت في ذلك العصر.

ومنذ تلك الحقبة حتى الآن، كانت الصفائح الجليدية المنتشرة في جنوب الكرة الأرضية وشمالها تتقدم وتتراجع. وفي المقابل، كان مستوى سطح البحار والمحيطات ينخفض ويرتفع. وأصبح معلومًا الآن أن هذه التغيرات في حجم الجليد السائد على الأرض تعود إلى تأثير التغيرات البطيئة في هندسة مدار الأرض حول الشمس. ولقد أدرج شرح آلية حدوث هذه التغيرات ونتائجها على مناخ الأرض في ما أصبح يعرف بـ «نظرية ميلانكوفيتش» المنسوبة إلى الفلكي اليوغسلافي ميلوتين ميلانكوفيتش MILUTIN MILANKOVITCH الذي وضعها خلال عقد العشرينيات من هذا القرن. وتؤكد هذه النظرية أن التغيّرات الدورية في هندسة مدار الأرض حول الشمس تؤدي إلى تغيير المناخ من طريق تغيير كمية الطاقة الشمسية التي تتلقاها الأرض في مختلف الأماكن والفصول.

ولم تكن هذه النظرية قابلة للاختبار عندما وضعها ميلانكوفيتش بسبب الافتقار إلى طريقة تسمح بتحديد جدول زمني واضح المعالم للعصور الجليدية السابقة من جهة، ثم لصعوبة ربط العلاقة بين هذا الجدول وتغيرات هندسة مدار الأرض حول الشمس من جهة أخرى. أما اليوم فقد أصبح بالإمكان إجراء مثل هذه الدراسة بعد أن تم التوصل - مؤخرًا - إلى اكتشاف جديد يقضي بأن حجم الجليد ودرجة الحرارة المتوسطة على الأرض خلال وقت معيّن يمكن استنتاجهما من تعيين النسبة بين اثنين من نظائر الأوكسجين الموجود في

أصداف الأحياء المدفونة في الرواسب المحيطية التي تعود لمختلف العصور والأزمنة.

ولقد أظهرت التطبيقات العملية لهذه الدراسة أنه خلال المليون سنة الماضية حلت بالأرض ثلاث حقب ساد خلالها الجليد الأرض بمثل ما يسود الآن القطب الجنوبي وغرينلاند. وبيّن السجلّ الجيولوجي أن أكبر كمية من الجليد هي التي كانت تغطي شمال أمريكا. وفي أوروبا كانت صفيحة جليدية تغطي شبه الجزيرة الاسكندنافية برمتها بالإضافة لبحري الشمال والبلطيق ومعظم الجزر البريطانية، وامتدت هذه الصفيحة من الأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا واللوكسمبورغ) عبر شمال ألمانيا وبولندا وروسيا.

وأثبتت الدراسات أن جليد عصر البلايستوسين كان يتقدم ويتراجع دون انقطاع. وخلال المليون سنة الماضية كانت هناك تسع حقب جليدية حقيقية، تفصل بينها نوبات أقصر من الحقب الدافئة. وكانت كل حقبة جليدية تستمر نحو 100,000 سنة بينما كانت نوبة الدفء تستمر 10,000 سنة فقط.

الجليد والعصور الجليدية في العالم

على أن أحدث مدّ جليدي على الأرض هو ذلك الذي حدث قبل 18000 سنة، ثم انحسر على نحو غير منتظم خلال اثنتين من مراحل الانصهار، حدثت الأولى قبل 13000 سنة، والثانية قبل 10000 سنة، ويطلق على هذا المدّ في أمريكا الشمالية اسم



صورة رائعة لشروق القمر من فوق أحد الجبال الجليدية العائمة في القطب الجنوبي.



يستخدم علماء الجليد إمكانات هائلة لدراسة الجليديات وتاريخ العصور الجليدية. من أهمها كاسحات الجليد الضخمة القادرة على شق طريقها ضمن المحيطات المتجمدة في القارة القطبية الجنوبية

تجمد ويسكونسن WISCONSIN GLACIATION، كما يطلق عليه اسم فورم WURM (كلمة ألمانية تعني: الديدان) في مناطق جبال الألب.

ويَعدّ (الجيولوجيون) حقبة الانحسار الأخير للجليد بداية «الحقبة الأكثر حداثة» WHOLLY MODERN ERA التي تعرف أكثر باسم الهولوسين HOLOCENE. ففي العام6000 قبل الميلاد حلت حقبة للحرارة العظمى THERMAL MAXIMUM ساد الأرض خلالها دفء لم تشهد له مثيلاً منذ 125000سنة مضت. ومنذ ذلك التاريخ، سُجّلت عودات قوية للبرودة والرطوبة، وبخاصة بين الألف الثانية والأولى قبل الميلاد، وأيضا في عام 1200 بعد الميلاد عند خطوط العرض العليا لشمالي الكرة الأرضية استمرت حتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي. وخلال هذا العصر الجليدي الصغير، نمت الجليديات من جديد فوق جبال الألب وجنوب شرقي آلاسكا. وكاد الفايكنج الغزاة أن يتجمدوا في معسكراتهم التي شيدوها في غرينلاند. وعقب ذلك عاد مناخ العالم إلى حالة الدفء من جديد حتى أصبح أكثر دفئًا من الحقب السابقة كافة بما فيها حقبة الحرارة العظمى.

وأما عن سُمك الصفائح الجليدية الشمالية، فقد كان يتراوح بين ثلاثمئة متر وثلاثة كيلومترات ونصف الكيلو متر في قمة تجمد ويسكونسن.

ويغطي القارة القطبية الجنوبية نحو 90 بالمائة من جليد العالم حيث يبلغ حجم الجليد المنتشر فيها 30 مليون كيلو متر مكعب، ويصل ارتفاعه إلى 3600 متر عند القطب الجنوبي. والقارة القطبية الجنوبية أشبه ما تكون بصحراء جليدية؛ حيث تتلقى أقل من خمسة سنتيمترات من الثلج سنويًا. ولكن هذا الثلج لا يذوب إلا في القليل النادر، وهو ينتقل من مكان إلى آخر كما تنتقل الكثبان الرملية في الصحاري. ولم تكن هذه القارة مغطاة بالجليد دائمًا. فقبل بداية عصر البلايستوسين بوقت طويل، كانت القارة دافئة، تنتشر فيها النباتات والغابات التي تشكل بقاياها اليوم مجموعة من أهم مناجم الفحم الحجري في العالم. والدليل الجديد على وجوه الحياة العادية والسهول الخصبة في الماضي قريبًا من القطب الجنوبي عُثر عليه ـ مؤخرًا ـ فوق القمم. فلقد تمكن فريق جيولوجي أمريكي من جامعة ولاية أوهايو برأسه بيتر ـ نويل ويب PETER - NOEL WEBB من اكتشاف جذوع أشجار وجذور وحبوب لقاح بالإضافة لأحافير لأحياء بحرية تستوطن عادة البحار المفتوحة ويعود تاريخها إلى العصر الحديث القريب «البليوسين» PLIOCENE قبل مليونين أو أربعة ملايين من السنين. ولقد أثار هذا الاكتشاف جدلاً علميًا واسعًا نظرًا للقرائن الأخرى التي سبق أن توصل إليها العلماء، والتي تدل على أن الجليد السميك بقي منتشرًا في القارة القطبية الجنوبية خلال الخمسة عشر أو الثلاثين مليونًا من السنين الماضية. ولقد وُضعت ـ مؤخرًا ـ عدة فرضيات في هذا الشأن لا يمكن حسبانها الأدلة القاطعة التي تفسر هذا

الجليد
والعصور الجليدية في العالم

التناقص. ولقد قادت هذه المعضلة إلى بقاء السؤال المهم في هذا الصدد مطروحًا أمام العلماء ومراكز البحث العلمي: متى بدأ الجليد في الانتشار فوق القارة القطبية الجنوبية آخر مرة ليغطيها تمامًا؟

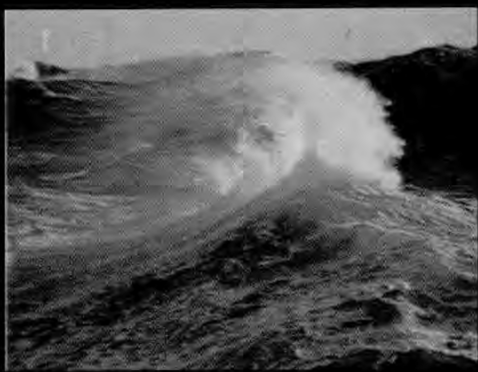
والقضية الثانية التي لم يزل يختلف بشأنها (الجيولوجيون) وعلماء الجليديات تتمثل في عجزهم عن إيجاد إجابة موحدة حول التساؤل عما إذا كان جليد القارة القطبية الجنوبية الآن في حالة تراجع أو تقدم أو توازن.

ويعترف الكثيرون من العلماء الذين انصرفوا لدراسة تاريخ الجليد في القارة القطبية الجنوبية أنهم لا يملكون إجابة حول هذا الموضوع. ويعود سبب حيرتهم إلى وجود كثير من الظواهر التي تشير إلى تقدم الجليد وإلى تراجعه وإلى توازنه في آن واحد!

ويعبِّر معظم العلماء عن تخوفهم من أن يؤدي الارتفاع المتزايد في درجة حرارة جو الأرض بسبب تزايد نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون فيه نتيجة إحراق الوقود الأحفوري إلى انصهار المزيد من جليد النصف الشمالي من الكرة الأرضية. ولقد دلت الحسابات على أن من شأن ذلك أن يؤدي إلى ارتفاع مستوى سطح البحار بنحو 30 إلى 70 سنتيمترًا عند حلول العام 2100 للميلاد. وهم يتوقعون أن يعود مستوى سطح البحر إلى الانخفاض بعد ذلك بفعل تزايد سمك الجليد القطبي الناتج من تساقط كميات أكبر من الثلج.

إن الحفر العميق في جليد القارة القطبية الجنوبية يُعدُّ طريقًا لعلماء المناخ لقراءة الماضي المسجل فيه. ولقد تسابقت لإنجاز هذه المهمة عدة بعثات علمية تابعة لدول مختلفة كانت تتنافس بعضها مع بعض في مقدار العمق الذي تحققه. ووصل الأمريكيون في محطة بيرد BYRD STATION بين عامي 1967و 1968م إلى عمق 2164 مترًا. ووصل الروس عام 1970م إلى عمق 2080 مترًا في محطة فوستوك VOSTOK STATION، وتغطي العينة الأسطوانية التي استخرجها الروس حقبة زمنية تبلغ 150,000 سنة من أصل عمر الجليد الأرضي بما فيها الحقبة الدافئة الواقعة بين العصرين الجليديين الأخيرين وتمضي عميقًا في العصر الجليدي السابق. ولقد أظهرت العيّنة أن الحقبة التي مرت بين العصرين الجليديين السابقين كانت أكثر حرارة من نوبة الدفء التي نعيشها الآن في العصر الحديث الأقرب «الهولوسين»، وتعود بدايتها إلى 10000 أو 8000 سنة مضت. وكان مما فاجأ بعض العلماء عثورهم على قرائن محفوظة في العينات الجليدية تؤكد أن النشاط البركاني على سطح الأرض خلال العصر الجليدي الماضي والحقبة الواقعة بينه وبين العصر الجليدي الذي سبقه كان أقل من الذي تشهده الأرض في الوقت الراهن. وأما النصف الشمالي من الكرة الأرضية فقد أثبتت القرائن المستقاة من العينات المستخرجة من أعماق الجليد حدوث نشاط بركاني هائل خلال الماضي السحيق.

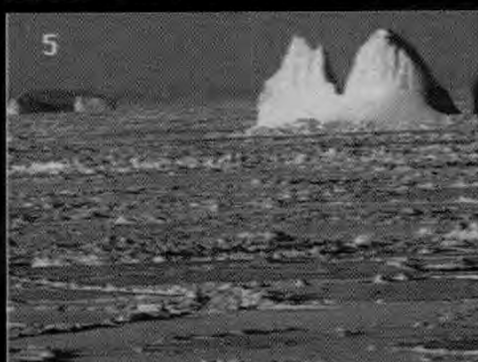
في عام 1981م قام 81 عالمًا من الدانمارك وسويسرا وأمريكا بالحفر لعمق نحو 2000 متر في نقطة تدعى «داي DYE3 3ä تقع جنوبي غرينلاند. ومن دراسة التعاقب المتمايز لطبقات الجليد بين الصيف والشتاء، ومن عام إلى عام، المحفوظ في العينة المستخرجة، تمكن العلماء من قراءة حالة جوّ الأرض خلال الأحد عشر ألف سنة الماضية، والاطلاع على أهم الأحداث التي شهدتها الأرض خلال التاريخ القريب. فالانفجارات البركانية العنيفة التي حدثت في آيسلاند عام 1783م، وفي شرقي جبال الأنديز عام 1815م، أمكن تمييز آثارها في قمة العينة. وآخر











تتشكل الصفيحة الجليدية وفق مراحل متعددة. فعندما تحل بوادر الشتاء تبدأ مياه سطح المحيط بالتبرد التدريجي (1) حتى تظهر فوقها بلورات متجمعة من الجليد (2) ومع الهبوط المتزايد في درجة الحرارة تزداد الكتل المستديرة المتجمدة الشبيهة بالكعك (3) حتى تتلاصق تمامًا (4) وتصبح كتلة واحدة تزداد صلابة وتماسكًا مع تزايد كتلة الثلج المتساقط فوقها (5)

الجليد
والعصور الجليدية في العالم

هذه الانفجارات أدى إلى حلول سنة بلا صيف في نيوانجلاند عام 1816م عندما تجمدت المحاصيل وسقط الثلج في تموز وآب/ يوليو وأغسطس.

ويوافق الانصهار العنيف للجليد في فصول الصيف المتوالية بين عامي 950م و 1200م، الدفء الذي ساد العالم خلال المدة التي أقامت فيها قبائل الفايكنج وازدهرت حضارتهم في غرينلاند قبل أن يحل «العصر الجليدي الصغير» ليجمدهم ويجبرهم على شد الرحال. ومنذ نحو العام 1200م حتى أواسط القرن التاسع عشر كان مناخ العالم أكثر برودة منه في أي وقت آخر منذ عصر التجمد الأخير.

وعلى عمق أكبر في العينة، بيّنت الشواهد والقرائن أن بركانا هائلاً انفجر ليغطي دخانه روما في العام 44 قبل الميلاد. وهو العام نفسه الذي اغتيل فيه يوليوس قيصر، وبالعودة في الزمن إلى الوراء، تقدم عيّنة «داي3a» في غرينلاند الأحداث غير المسجلة التالية:

- في عام 4401 قبل الميلاد انفجر بركان جبل مازاما MAZAMA في ولاية أوريجون الأمريكية وخلّف بحيرة ضخمة في مخروطة لم تزل موجودة حتى الآن.
- بين عامي 7911 و 7090 قبل الميلاد انفجرت سبعة براكين هائلة في مناطق مختلفة من الأرض.
- منذ 25000 عام حتى قبل 10000عام مضت، هبّت عواصف متلاحقة محملة بالغبار القاري، وميّزت نهاية عصر التجمد الأعظمي في النصف الشمالي من الكرة الأرضية قبل أن تبدأ حقبة الدفء النسبي التي سادت العالم بعد ذلك في العصر الحديث الأقرب «الهولوسين».

ولقد قدمت العيّنة الجليدية الأسطوانية المستخرجة من منطقة كامب سينشوري CAMP CENTURY في غرينلاند الدليل القاطع على أن الحقبة الواقعة بين العصرين الجليديين الأخيرين قد انتهت على نحو مفاجئ وعنيف. فالبرد الحاد الذي حل بسرعة عقب نهاية هذه الحقبة كان متبوعاً بحرارة تقل قليلاً فقط عن السائدة اليوم. وكل الشواهد الملموسة أكدت للعلماء أن الصفائح الجليدية لم تستغرق إلا ما بين 5000 و 10,000 سنة حتى عادت لتغطي أجزاء كبيرة من شمال الأرض وجنوبها. وكان الانخفاض في سطح البحار عبر العالم، المرافق لهذا المد الجليدي، قد بلغ 60 متراً.

وإلى الشرق من «الأرض الخضراء» أو غرينلاند، التي لم تعد خضراء قطّ، تقع آيسلاند ICELAND أو «أرض الجليد» التي هي عبارة عن جزيرة من الرماد والطفح البركاني أكثر مما هي جزيرة من الجليد، وهي تحتوي على واحدة من أكبر القلنسوات الجليدية خارج غرينلاند والقارة القطبية الجنوبية تدعى فاتناجوكول VAT-NAJUKULL يضطجع تحتها بركان نشيط يدعى غريمسفوتن GRIMS-VOTN. فما الذي تُراه يحدث عندما ينشط البركان تحت صفيحة هائلة من الجليد؟ إنه البركان الجليدي، أو الهبّة الجليدية GLACIER BURST كما يدعوها علماء الجليديات، والتي لا يمكن أن يقف أمام اندفاعها وعنفوانها أي شيء. ولقد حدثت ثلاث عشرة منها على الأقل في المنطقة منذ عام 1955م (وحدثت الرابعة عشرة قبل وقت قصير من إعداد هذا المقال في شهر نوفمبر 1996م). ففي منطقة كاتلا KATLA التي يضطجع تحتها بركان جليدي آخر، حدثت هبّة جليدية مأساوية عام 1918م أدت إلى الاندفاع المفاجئ لكمية هائلة من المياه تفوق ما يحمله نهر الأمازون برمته على شكل سيول عارمة استمرت بضعة أيام وجرفت كل ما في طريقها قبل أن تصبّ في البحر. وتُعدّ هذه السيول ظاهرة مميزة لمعظم مناطق الشاطئ الجنوبي لآيسلاند، وهي عادة ما تؤدي إلى عزل هذه المناطق عن باقي أرض الجزيرة بسبب قدرتها على تدمير الطرق والجسور والأنفاق. وتُسجّل في «كاتلا» هبّات جليدية دورية تحدث بمعدل هبّة واحدة كل عامين مع هبّة واحدة عنيفة ومأساوية كل خمس سنين. ويُفسَّر حدوث الهبّة جيولوجيا في أن البركة الهائلة من المياه المنصهرة التي تنشأ في الطبقة الأرضية الحارة الواقعة تحت الجليد، والتي تشبه خزّاناً ضخماً من المياه يصل عمقه إلى بضع مئات الأمتار، تتصدّع جدرانها الجليدية السميكة بفعل الضغط المتزايد لتنفتح عبرها فجأة قناة صرف قد يصل طولها إلى خمسين كيلو متراً تندفع المياه المحبوسة عبرها تحت ضغط شديد الارتفاع. ولقد وضعت في آيسلاند خطة تسعى إلى منع حدوث مثل هذه الهبّات في المستقبل تتلخص في إنشاء نفق عريض عبر الجليد يصل حتى البركة الحاملة للماء. وحالما يبدأ الجليد بالانصهار يتم ضخ الماء الناتج إلى خارج البركة لمنع تجمعه واندفاعه مرة واحدة.



قبل اختراع الثلاجات الكهربائية كان الناس يستخدمون مثل هذه الآلة لتقطيع الجليد وتخزينه للاستعمال في فصل الصيف

الجليديات

الجليدية GLACIER هي نهر جليدي بطيء الحركة ينحدر من أعالي الجبال برفق شديد بتأثير قوة الجاذبية الأرضية. وتعد الجليديات النحّاتات الأولى في الطبيعة لأنها، في أثناء زحفها، تسحج الصخور بما تحمله في قواعدها من الأحجار والبقايا الصخرية وتطحنها وتصبها في السهول لتغنيها بذلك بالتربة الجديدة. وعلى الرغم من أن الصفائح الجليدية الضخمة التي تشكلت في عصر البلايستوسين قد بدأت بالتراجع منذ 14000 سنة مضت، فإن آلاف الجليديات لم تزل تنتشر على سطح الأرض، فآلاسكا وحدها مغطاة بنحو 50000 كيلو متر مكعب من الجليد مما يجعلها منبعاً للجليديات. وعلى أن هناك نحو عشرين جليدية في آلاسكا من التي تزداد انتشاراً واتساعاً، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل نحن، والحال هكذا، في عصر تراجع الجليد أم تقدمه؟



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

ما اتفق لفظه واختلف معناه

لأبي العميثل الأعرابي

صدر هذا الكتاب عن نادي جازان الأدبي. وقد قام بتحقيق نصّه، والتقديم له د. محمود شاكر سعيد. يقع الكتاب في خمس وخمسين ومئة صفحة من القطع المتوسط، تليها فهارس فنية مختلفة تعين على تقريب فوائد الكتاب وفرائده من القارئ. والكتاب هو الإصدار السابع والستون من منشورات نادي جازان الأدبي. ذكر المحقق في مقدمته أن الكتاب هو الوحيد الذي وصل إلينا من مؤلفات أبي العميثل، وقد ضاع سائرها كما ضاع كثير من تراثنا خلال رحلتنا الحضارية.

والمؤلف أبو العَمَيْثل هو عبدالله بن خُليد، ولُقّب بالأعرابي وإن كان في أصله غير عربيّ. ويقال إن أصله من الريّ.. وقد ذكرت كتبُ التراجم كثيرًا من أخباره، وأنه نشأ في البادية، واتسعت معارفه اللغوية والأدبية. وأدّب عبدالله ولد الأمير طاهر بن الحسين، وأقام معه في خراسان، ثم كان كاتبه وشاعره إلى أن توفي عام 240هـ. كان أبو العميثل لغويًا كبيرًا، غير أن أصحاب التراجم رووا له أشعارًا تدل على غنى في موهبته الشعرية.

أجمع العلماء على نسبة الكتاب إلى أبي العميثل، وفي المعاجم الكبرى كاللسان وأساس البلاغة والتهذيب وغيرها كلمات ومعان نُسبت إليه في كتابه هذا، على أن نصوصًا في الكتاب نفسه تدلّ على أنه وصل إلينا برواية أبي سعيد الضرير النحوي على الراجح. وقد ذكر المحقق في مقدمته أن المؤلف والرّاوية لم يضعا عنوانا محددًا للكتاب، وليس له مقدمة تُبيّن الغاية من تأليفه، بل بدأ صاحبه بالمادة اللغوية من السطر الأول في الصفحة الأولى، ولذا كان من العلماء من أطلق عليه: «المأثور في اللغة» أو «المأثور من اللغة» أو «ما اتفق لفظه واختلف معناه» وهذا أكثر ما يدل على مادة الكتاب.

كان بين يدي المحقق ثلاث مخطوطات اعتمد عليها في نشره للكتاب: نسخة معهد المخطوطات العربية ـ الكويت ـ وقد اتخذها أصلاً، ونسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ، ونسخة المكتبة الظاهرية بدمشق. يقول المحقق (ص19): «وقد حاولتُ أن أوفق بين هذه النسخ الثلاث لأبرز هذا العمل بالشكل الذي أراده مؤلفه، وبالشكل الذي أرتضيه لقارئي الكريم..».

وقد ذكر (ص16- 17) منهجه في التحقيق كما جرت بذلك عادة المحققين.

يمثل هذا الكتاب مرحلة من مراحل جمع اللغة التي مَهّدت لظهور المعاجم اللغوية الشاملة بعد ذلك؛ ويبدو أن عصر المؤلف عرف عالمًا آخر انصرف إلى جمع الألفاظ التي اتفق لفظها واختلف معناها، هو: إبراهيم بن يحيى اليزيدي (ت:225 هـ)، غير أن بين الكتابين فروقًا كثيرة في عدد الألفاظ، وطريقة شرحها، تنفي أن يكون أحدهما أخذ عن الآخر.

عُني أبو العميثل بتحديد عدد الأوجه التي استُعملت فيها الكلمة، وقد يخلّ بذلك أحيانا، كما عني بالاستشهاد بالآيات وبالأشعار وبالأمثال على ما يقول، ومن أمثلة ذلك النص الآتي «ص 49»:

الطَّبق على خمسة أوجه: طَبَقُ كل شيء: غطاؤه. والطّبَق: المطر العام، يقال في الدعاء: «اللهم اسقنا غيثًا طبقًا»، قال امرؤ القيس:

ديمةٌ هطلاءُ فيها وَطَفٌ
طَبَقُ الأرض تحرّى وتَدُرّ

والطّبَق: التزاق اليد بالجنب من وجَع أو خلقة، كأنه ليس له إبط، يقال: يَدٌ فلان طَبِقة: أي شديدة الطَّبَق. والطَّبَق: الهويُّ من النهار، يقال: انتظرتك طَبَقًا من النهار. والطَّبَق: الحال بعد الحال، وفي القرآن: لَتَرْكَبُنّ طَبَقًا عن طَبَق. والطَّبَقُ: جماع طبقة، مثل: خَرزَة وخَرَز، وطَبقات مثل: خَرَزات. اهـ.

ويلاحظ أن المؤلف حدد خمسة أوجه للطبق، وأتى بستة أوجه.

ويؤخذ على المؤلف أنه لم يرتب الألفاظ ترتيبًا هجائيًا، ففي الصفحتين الأولى والثانية مثلاً جاء ذكر الألفاظ على النحو التالي: القَبَل، السَّفَا، الحَشَا، الخَبَط. وهذا جارٍ في الكتاب كله. وقد يقتصر على بعض المعاني وفي المعاجم الكبرى زيادات كثيرة؛ وهو معذور في ذلك لأن عمله جهد فردي في زمن مبكر.

ومما هو جدير بالذكر أن المؤلف ذكر معاني مئتين وسبعين مادة لغوية ونيف؛ وقد رتبها المحقق، جزاه الله خيرًا، ترتيبًا هجائيًا في فهرس مستقل (ص ص: 172- 177).

لقد بذل المحقق الفاضل جهدًا مشكورًا في إخراج الكتاب للناس، وعُني بشرح ما يستبهم معناه، وتخريج الآيات، وعزو الأبيات إلى أصحابها، والموازنة والترجيح بين المخطوطات الثلاث. غير أن الكتاب لم يخلُ من الخطأ الكثير الذي يفسد رواءه، ويعكّر صفاءه، ومنه ما يعود إلى أخطاء الطباعة، ومنه ما يعود إلى المحقق نفسه، وسأورد أمثلة يسيرة تدلّ على ما وقع في الكتاب مما لا يمكن استقصاؤه في هذه الكلمة القصيرة:

- ص7: أن يقرأو القرآن... فيفهمونه.. والصواب: يقرؤوا... فيفهموه.
- ص16و17: تعددت تعدية فعل: التزم بالباء، وهو متعدّ بنفسه.
- ص28: والقَيل: أن ترى الهلال أول ما رؤي.. والصواب: رُئي.
- ص28: والقَبَل: طَيّ البئر في أعلاها. وقد ذكر في الهامش (3) تفسيرًا (جيولوجيًا) لمعنى: الطيّ، والمقصود هنا: طيّ البئر: بناؤها بالحجارة والآجر، وفي اللسان: والطَّوِيّ: البئر المطوية بالحجارة. ويقال: طوى الركيّة بالمعنى نفسه، والركية: البئر.
- ص29: جاءت به مُتَعَجّرا ببرده... وذكر في الحاشية الأولى أن البيت في اللسان، وقد صدق، فالبيت مرويّ في اللسان ونصّه:

جاءتْ به مُعْتَجرًا ببرده...

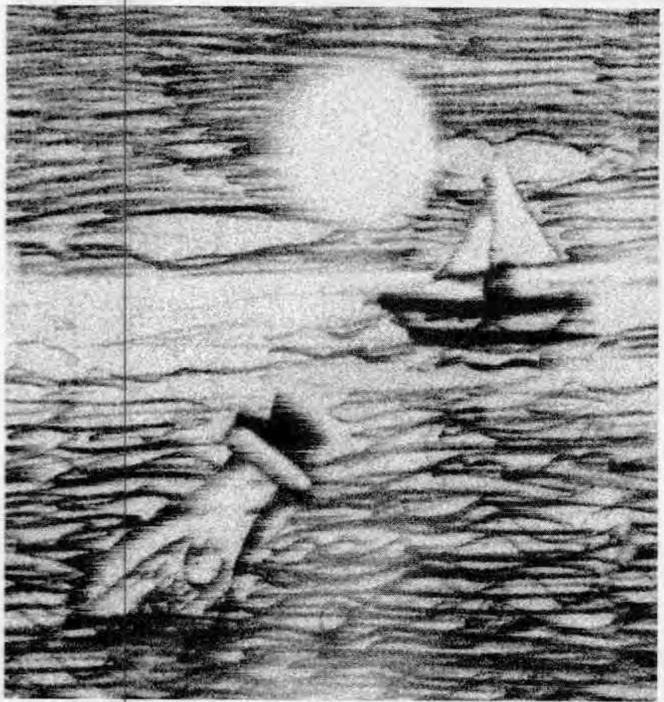
وبهذه الرواية يصح الوزن والمعنى.
- ص40: ولم يقلّب أرضها بَيْطَارُ .... قال في الحاشية (6) من ص39: البيت في اللسان لحميد الأرقط... وقد جاءت الرواية في اللسان بلفظ: البيطار.
- ص39: الأرض على أربعة أوجه، وفي اللسان زاد عليها معاني أخرى منها: دُوار يأخذ في الرأس، وأرض الإنسان: ركبتاه فما بعدهما، والأرض: التي تأكل الخشب...
- ص133: والسِّنان: المُسَانَّة، وهو أن يطرد الفحل الناقة حتى تبرُك له... وفي اللسان: الفحل يسان الناقة مُسَانّةً... بتخفيف السين.

هذه نماذج أردت بها التمثيل لا الحصر، وأضيفُ إلى ذلك أنّ المحقق يُهمل نقط الياء المتطرفة غالبًا، كما يهمل ضبط ما لا يجوز ترك ضبطه، كقول أبي العميثل ص10:

اصدق وعف وبر واصبر واحتمل
واصفح وكاف ودار واحلم واشجع
والطف ولن وتأن وارفق واتئد
واحزم وجد وحام واحمل وادفع

ومثل ذلك كثير.

قصة
قصيرة



زجاجة في الماء

إسحق أحمد فضل الله

صراخ المغنية الإنجليزية الملتاع كان يملأ المقهى المشيّد من القصب، والساحة حوله تغطيها السحب.. سحب الساعة الرابعة الصاعدة من وراء جبل الرجاف، والمناضد الخضراء الحديدية المبعثرة على الساحة المرصوفة بدقة ومن ورائها الأشجار الاستوائية الشاهقة، كأن صوت المغنية كان يتسلق الأشجار، ثم يقفز من أعلاها كما يفعل الصبية عندما يُصرُّون على لفت الأنظار في حماقة لغضبهم الشديد، وأنوفهم سائلة من البكاء.. كان الصوت يكسر أشرعته المصطفقة ليؤكد للغائب القاسي القلب أنه سوف ينتظره إلى آخر العمر، وأنه سوف يستعير عمرًا آخر وآخر لانتظاره.

مجموعة السائحين كانت قد انطلقت لصيد حمار الوحش قبل ساعتين، لكن العجوز الذي كان جالسًا في طرف الساحة تحت السحب كان يبدو عليه أنه يستمع بدقة لكلمات الأغنية، وكان يهز رأسه لنفسه ساخرًا، شأن من يعرف ما لا يعرفه الناس، ولا يستطيع إلا أن يتفرج على العبث صامتًا، لكن العجوز فوجئ حين رفع رأسه بوجه المرأة الجالسة قريبًا وهي ترصده، وعلى وجهها حديث من يفهم تمامًا ما في نفسه:

ـ يبدو أن الدنيا ليس فيها غير قصة واحدة يا سيدتي فهي تكررها، ولما كان المتفرجون يختلفون دائمًا، فالقصة جديدة دائمًا.. لا بد أن كل جيل في التاريخ قال وسمع أغنية مثل هذه بلغة ما وهو يظن أنه أول من قالها..

قالت المرأة التي تبدو قريبة من الستين من العمر:

ـ قصة انتظار الحبيب مهما طال العمر؟!

ـ نعم، وإضاعة العمر له في لذة مع أنه لا يتلقى شيئًا ولا يعرف ما يحدث، بل لعله ليس موجودًا أصلاً ليعرف.. كل الأغنيات الجيدة لذتها هي أن تتوه في الطرقات ولا تصل أبدًا إلى الحبيب الذي تتجه إليه؛ لأن هدفها ليس الوصول إلى الحبيب، بل إلى قلوب الناس الموجوعة التي تريد أن تبكي كلها، ولا تعرف كيف تبكي، وتجعلهم يحلبون دمامِلهم بأنف سائل.. الأغنية تنطلق لاهثة مسكينة تبحث عن الحبيب وتسأل الناس عنه، ولو أنها رأته أمامها فجأة لأغمضت عينيها، وابتعدت في براعة لتستأنف البحث الملتاع عنه.

قالت المرأة بتمهل متأمل:

ـ اللذة البشرية غريبة، الانتظار له لذة مثل لذة الدمامل!

عيون الرجل قفز فيها فجأة سؤال لا يُقال، وهو يتفحص المرأة بقوة من تحت رموش، كانت على الرغم من السنوات، تبدو متماسكة ونشطة.. خطر لي من مكاني وراء منضدة الخدمة أن هذه المرأة لا بد أنها تعمل في المستشفى الإيطالي الذي يقع على بعد أمتار من المقهى، كنت أراها كل يوم منذ أن جئت للعمل هنا قبل شهر.. مقهى القصب هذا في مكانه المنعزل على طرف حوض الدندر كان جزءًا من المستشفى، ويبدو أنه فُصِلَ عنه وخُصِّص لخدمة السياح، وتسلل سور قصير بينه وبين المستشفى، ويبدو أن السور القصير لم يمنع صلة العاملين هناك بالمقهى.. لا بد أن المرأة تعمل هناك..

والعجوز كان شيء في قاع ذهنه يشغله، لكنه كان يتهيأ لسؤال يصوبه بدقة، كان سؤالاً يسأله رجل في السبعين لامرأة فوق الخمسين.. قال في رقة جريئة:

ـ يبدو أنك تعرفين الانتظار..

ضحكتها جعلتها تهتز للأمام والخلف، الأشخاص المتشئون دائمًا ما يضحكون بهذه الطريقة، وكان في ضحكتها شيء أنثوي. قالت، وهي تنظر إلى سطح المائدة كأنها تُقَلِّب الكلمة بملعقة الشاي التي في يدها وتتفحصها:

ـ الانتظار؟!

بقيت شفاهها منفرجة وعليها ابتسامة لينة.. لم يكن سؤالاً، بل كانت الكلمة نوعًا من التنهد.. شيء غريب جعل الرجل يقول:

ـ بعض الفتيات في الروايات القديمة كن يلقين بالزجاجات في النهر

وفيها خطاب «لمن يجد هذه الزجاجة»، ثم ينتظرن وينتظرن..

في لفتة مباغتة رفعت المرأة عينيهـا تتفحصه في دهشة مذعورة مرتبكة، النظرة ذاتهـا التي كانت سوف تنطلق منها لـو أن الرجل كان قـد قال فـجأة كلمـة بذيئة أو وضع يده عليـهـا. عيـون المرأة تفحـصتـه كأنهـا تريد أن ترى جوف كلماتـه، العيون انتظرت أن يستـمر في الحديث، العجـوز مضى يقول وهو يتابع الصخب في عينيها بدقة كأنه يستكشف شيئًا مثيرًا:

ـ الزجـاجـات كـانت تحـمل دائمًا كلمـة واحـدة: إلى من يجـد هذه الزجاجة، أنا فلانة، عنواني كذا، تعال وتزوجني!

عيـون المرأة عادت تعابث سطح المنضـدة أمامهـا شأن من يعرف شيـئًا خاصًا، في خفوت قالت:

ـ ليس دائمًا، هناك كلمات أخرى..

كأنه يدافع في استماتة عن كلماته، استمر العجوز يقول في حماسة:

ـ بل دائمًا، ودائمًا ما تذهب كل الزجاجات إلى البحر ولا يأتي أحد..

مرة أخرى قالت المرأة وهي تبتلع ريقها كأنها تبتلع شيئًا مرًّا:

ـ ليس دائمًا..

في مثل إصرار المغنية الباكي مضى الرجل يقول:

ـ بل دائمًا..

هز يده يؤكـد حـديثه واهتـز مـعطفـه المخطط.. تذكـرت أن الإيطاليين دائمًا مـا يستشـهدون بأيديهم عندمـا يحتدُّون، لا بد أنه إيـطالي. قالت المرأة وهي تحدق في المنضدة كأن صوتها يتوسل:

ـ ألم يحدث أن وقعت الزجاجة في يد أحد أبدًا..؟

ـ يحدث بالطبع..

ـ ويستجيب؟

ـ الحـالمون في الدنيـا قليلون، وصيـادو السـمك لم يكونوا منهم يومًـا، الزجاجات هذه تقع دائمًا بيد الصيادين، هذا إذا حدث أن التقطها أحد..

قالت:

ـ لكن مجرد الغموض وحب الاستكـشاف قد يدفع من يجد الزجاجة للبحث عن صاحبتها، أليس كذلك؟

نوع من الجـاذبية الغـامضة.. الـغموض دائـمًا مثير عندمـا تكون وراءه امرأة.. كأنه تذكر شيئًا، قال الرجل:

ـ أذكـر أنني سـمعت بشيء من هذا حـدث، والذي وجـد الزجـاجـة ذهب يبحث عن صـاحبتها ليكـتشف أنه وصل متأخرًا، وأن الـزجاجة ظلت في الماء أربعين سنة قبل أن تصل إليه..

آذان المرأة وحدهـا بدت كأنها تتـابع الرجل بدقـة وعيونهـا على سطح المائدة بينما جاء صوتها يقول في استكانة ورجاء عنيد:

ـ لكنه جاء.. أخيرًا..

ـ هل تعتـقدين أن عاشق هذه المغنية التي تنتظر عمـرًا بعد عمـر سوف يأبه لها عندما يجد أن عمرها أصبح سبعين سنة؟

كنت أكـمل الشهـر الأول منذ دعاني صـديقي صاحب المقـهى هذا لأديره حـتى يعود.. المقـهى لم يكن يرتاده الآن عـدد كـبيـر، لكن المرأة لم تخطئ أن تصل في الثالثة والنصف عصر كل يوم، وتجلس في المكان ذاته، ولـم أسمع منها سوى الكلمات القليلة التي تطلب بها ما شاءت من خدمة، لكن حـديثهـا مع الرجل كـان يسترسل الآن، وكـانت تدفن وجـهـهـا في المنضدة بإصرار كأنها طفلة تتلقى الضرب لتترك شيئًا في يدها، لكن أصابع الطفلة كانت تتشبث بالشيء في عناد قاتل وهي تتـلقى اللطمات مغمضة العينين.

حين فتـحت المرأة عيـونها فـجأة كان وجـهـهـا يرتفع، وكـانت العيون تلتطم بعيني مثلما يلتطم الكوب الزجاجي بـالأرض الصلبة ويتشظى، متأخرًا جدًا أدركت أنه ما كـان ينبغي لي أن أكـون هنا. كـان في عيـونها استكانة وبؤس.. شأن الذي يـتلقي الجلد أمام الناس. المرأة انقطعت عن الحـضور بقـية الأسبوع الذي قـضيته هناك قـبل أن يعـود صاحب المقـهى.. بعد أيام كـان الرجل يطلب مني أن أساعده في حساب نفقاته وهو يقول في مرح متعثر:

ـ مع أنني كـثير السفر إلا أن العـملات الأجنبية ظلت دائمًـا تسبب لي الضيق والارتباك.

لعله لاحظ أنني أتعامـل معه بوجوم، نظر إلى وجـهي بالابتسامـة ذاتها التي كانت على وجـهه وهو يستمع إلى الأغنيـة، ثم قال وهو يعيد بقـية المبلغ إلى محفظته:

ـ لا داعي لمقدمات اللعبة، لعلك تظن أنني حطمت زجاجة المرأة..

وأشار بظهر يده إلى مكانها الذي ظل خاليًا منذ أيام، اكتفيت للتخلص بغمغمة لا معنى لها.. بعد أن استدار نصف استدارة للانصراف، عاد يقول:

ـ الحقيقة أنني لم أنتبه لذلك إلا متأخرًا مع أنه كان يجب أن أنتبه..

قلت:

ـ كان مـستحـيلاً أن يخطر لك أن المرأة لهـا زجاجة ملقـاة في الماء منذ سنوات وأنها تنتظر.

قال:

ـ ليست زجـاجة حقيقـية، لكن كان يجب أن أنتبـه.. كل إنسان عنده زجـاجة في البـحـر وهو ينتظر الرد عليـهـا، كل الذي يختلـف هو الزجاجـة والبـحر، لكن الأمـر سواء، مع السـلامة، وشـكرًا على الخدمـة، لكنني أشعـر بالأسف حقًا، محزن أن يكون المرء حجرًا يحطم زجاجات الناس..

بعد عام كنت أهبط المقهى بدعوة عاجلة من صديقي: «لأمر مهم جدًّا حضورك عـاجلاً».. حين فوجئت بالعجوز والمـرأة هناك.. ابتهاج هائل انطلق منهما عند رؤيتي، واكتشفت أن دعوة صديقي كانت بإلحاح منهما:

ـ جئنا لنراك وليس لأي شيء آخر، ستكون شاهد زواجنا، هكذا اتفقنا أنا وهي..

المرأة ضـحكت كـأنها مـراهقـة تتلقى قـرصة على خـدها أمـام الناس، الرجل قال لي هامسًا كأنه ينتهز فرصة الصخب ليختفي وراءه:

ـ لم أستطع احتمال أن أكون حجرًا يحطم الزجاجات..

قلت كأنني أشمت به:

ـ أخيرًا تسـتطيع أن تصدق أنه ليس كل الزجاجات تـذهب إلى البحر، سوف أذهب أنا وألقي بزجاجتي في الماء..

المرأة مدَّت كـفيهـا لتسلّم عليَّ في طرب ممتع.. مـضيت وشعـور مقلق في نفسي يتساءل عما إذا كانت زجاجتها قد وصلت.. كانت غضون عنقها تقول شيئًا، وبهجة عينيها المراهقة تقول شيئًا آخر، لكن طعم سعادتها كان هو طعم السعادة كلها.

الطفل الرضيع

جاذبيته - تطوره - عالمه

2



العنوان الأصلي للكتاب:
«الرضيع المُكْتَشَف»

تأليف: **ديسموند موريس**

عرض وتلخيص: **محمد الدنيا**

ساعدوني.. فأنا لا أحب الحر!

هل يستطيع الرضيع التكيف مع حرارة الوسط المحـيط؟» هو عنوان الفصل الخامس عشر، وفيه يقول المؤلف: لا يتكيف الرضيع كثيرًا مع حرارة الوسط المحيط، وحين يتضايق من الحرارة، يستطيع فقط أن يصرخ، وفي ذلك مايسترعي انتباه محيطه، غير أن ازدياد جهده، عبر الصراخ، يؤدي إلى فرط ازدياد حرارته الداخلية، وإذا لم يهب أحد لمساعدته وإنقاذه من هذه الحالة، فإن حرارته ستتضاعف على نحو مؤلم جدًا. ولكن، كيف يميز الأبوان هذه المشكلة؟ قد تتصور الأم أنه جائع، لكن الحليب الدافئ، حليب الأم أو حليب الزجاجة، يبعث المزيد من الحرارة في جسمه! عندما يشرب البالغ سائلاً ساخنًا، يمكن لهذا السائل أن يغذي غدده المفرزة للعرق، ومن شأن تبخر العرق على الجلد أن يرطبه، إلا أن الغدد المفرزة للعرق لدى الرضيع ماتزال ضعيفة النمو، ولا تعمل وفق الآلية الآنفة الذكر، التي تتمخض عن ضبط الحرارة. ولا بد من انتظار بلوغ الطفل سن السنتين حتى يتمكن من التعرق على النحو المفيد، عدا ذلك، يتغطى جسم الرضيع بطبقات شحمية عازلة، مما يحد من فقدان الحرارة لديه ويزيد وضعه تعقيدًا عند ارتفاع الحرارة كثيرًا، فضلاً عن أن جلده رقيق وبالغ الحساسية. من هنا، يجب التأكد أولاً من أنه لا يبكي بسبب ألمه من ارتفاع الحرارة، وفي الوقت نفسه، ينبغي الانتباه إلى الحالة المعاكسة، أي البرودة الزائدة. إن الرضيع غير قادر على الارتعاش ارتعاشًا حقيقيًا، خصوصًا عندما يكون أصغر سنًا. ولانعدام رد الفعل المباشر إياه نتائج وخيمة عليه، كما أنه إذا ما بلل ملابسه الداخلية، فإن تبخر السائل سيسرع سيرورة البرد لديه. وعندما يكون الطفل خديجًا، يصبح الوضع أكثر خطورة. لا تتشكل طبقات الشحم الداكن Graisse Brune في الجسم إلا خلال الأسابيع الأخيرة من الحمل الطبيعي (أي الأسابيع التي لا يشهدها الخديج). وهذا الشحم هو في غاية الأهمية لإنتاج الحرارة الداخلية، ومن دونه يبقى الخديج معرضًا لخطر التبرد بسرعة كبيرة. من هنا يجب وضعه في حاضنات منظمة الحرارة. إجمالاً، عندما يصبح الرضيع بعمر عدة أسابيع، يغدو قادرًا على تحمل تغيرات الحرارة الطفيفة، إلا أن تبدلاتها المفاجئة تشكل خطرًا على صحته.

أنا أبكي.. لأنني أتألم!

جاء الفصل السادس عشر بعنوان «لماذا يبكي الرضيع؟»، وفيه يشير المؤلف إلى أن بكاء الرضيع هو صراخ يعبّر به عن ضيقه، ويشكّل، في غياب قدرته على التواصل اللفظي، منظومةَ إشاراته الأهم على مدى الأشهر الاثني عشر الأولى من الحياة. يبكي

الرضيع في أشهره الأولى لسبعة أسباب رئيسية: الألم، والضيق، والجوع، والوحدة، وفرط الاستثارة، ، ونقص الاستثارة، والإحباط (الخيبة). إن الرضيع غير قادر على التعبير عن ألمه بدقة في هذه السن. وسواء ألمّ به وجعٌ صغير أم أصابه جرح بليغ، فإنه لا يجيد التمييز بين الحالتين، وعلى الأبوين ألا يقعا في خطأ الاعتقاد بأن البكاء هو مجرد شكل «تعبيري» أو نوع من «صمام الأمان». إن في بكاء هذا الرضيع دائمًا نداءً للمساعدة، وكثيرًا ماتكون الوحدة سببًا لبكائه، خصوصًا بعد معالجة الأسباب الأكثر وضوحًا، وحينما لا يجد الأبوان تفسيرًا آخر. وإذا ما شعر أنه بعيد من راعييْه، فقد يبكي حتى يجد نفسه بين أذرعهما، فالوحدة تُشعره بعدم الأمان، وتؤدي الإثارة المفرطة، الناتجة من شدة الضوء أو من قوة الضجيج مثلاً، إلى إزعاج الرضيع ودفعه الى البكاء. إنه شكل من أشكال الألم الحسي، حيث تعاني عينا الرضيع وأذناه من دفق المعلومات الشديدة القسوة. ويسبب نقصُ الإثارة بعضَ المشكلات أيضًا للرضيع الأكبر سنًا، منذ عمر ستة أشهر. ففي هذه المرحلة، غالبًا مايكون الضجر هو سبب البكاء؛ لذا من الضروري أن ينطوي محيط الرضيع على أشياء جديدة ومتباينة، من حيث الشكل واللون، كي يتلقى كيانه الإثارة اللازمة لأعضاء حسه، وغالبًا لا يدرك الأبوان المضطربان أو الغاضبان إلى أي مدى ينقلان حالتهما هذه الى طفلهما عبر لغة الجسد. إن الرُّضَّع شديدو التأثر بحركات الأبوين الهائجة، والمتقطعة باضطراب، ويحسون بها ويفسرونها تلقائيًا على أنها علامات ليس فيها أمن ولا طمأنينة.



فرق بين الصراخ.. والبكاء!

يفيدنا المؤلف في الفصل السابع عشر «لماذا الدموع عند الرضيع؟»، أن حديثي الولادة يصرخون، لكنهم لا يبكون؛ وفي حين يقوم «الصراخ» على إطلاق نداء استغاثة قوي، يقوم «البكاء» على إنتاج الدموع المرئية. لقد أظهرت دراسة شملت 1250وليدًا أن 13٪ منهم فقط قادرون على البكاء خلال الأيام الخمسة الأولى من الحياة، في حين لم تستطع الغالبية أن تبكي قبل انقضاء ثلاثة أسابيع على الولادة، بل إن بعضهم لم يبك إلا بعد الولادة بأربعة أو خمسة أشهر. يذرف الإنسان خلال سنة واحدة، دون أن تكون هناك اضطرابات عاطفية محددة، نحو أربعة لترات من الدموع. وتفيد الدموع المعتادة التي تفرزها الغدد الدمعية، في «تزييت» سطح العين وتنظيفه. وقد أظهرت بحوث أجريت حول تركيب الدموع الكيماوي وجود أمرين مهمين: تبين أن الدموع تحوي أنزيمًا قاتلاً للجراثيم يسمى ليزوزيمLysozyme، ويؤدي دورًا حاسمًا في مكافحة الإنتانات العينية. من جهة أخرى، تختلف الدموع التي نذرفها بوفرة في أوقات التأثر، كيماويًا، عن الدموع التي نذرفها في الأوقات العادية.

حان وقت الطعام

في الفصل الثامن عشر «كيف كانوا يفطمون الرضيع؟»، يذكر المؤلف أن عددًا من الدارسين في علم السلالات البشرية توجهوا إلى قبائل البوشيمان Bochiman الأفريقية الجنوبية وقبائل يانيامي Yaniami في أمريكا الجنوبية وجماعات أخرى في الفلبين، وغينيا الجنوبية وآسيا الاستوائية، وتبينوا أن الفطام في كل مكان كان يتم بطريقة خاصة هي نفسها. وتقوم هذه الطريقة على تصرف الأم بالشكل التالي: تملأ الأم فمها بالطعام وتمضغه إلى أن يصبح نوعًا من المسحوق «المغلي»، وتضع شفتيها على شفتي صغيرها، ثم تُدخل لسانها في فمه. عندئذ، يستجيب الطفل بفتح شفتيه، ورشف الطعام الممضوغ، متلقيًا بذلك أول أطعمته غير اللبنية. كان هذا النمط من التغذية يجري على نحو مواز للإرضاع، مما كان يتيح للرضيع اعتياد طريقة التغذية الجديدة دون صدمات. وانتهى الأمر بهذا الشكل من العطاء الاغتذائي بأن أصبح فيما بعد إشارة محبة وتحية عند البشر، أي ارتدى معنى الغذاء العاطفي والانفعالي. ووفقًا لمعطيات معظم الاختصاصيين، فإن التغيرات المفاجئة في نظام الرضيع الغذائي هو أمر غير مرغوب فيه. إن بعض الرضع يعتادون سريعًا الفنجان والملعقة، في حين يرفض بعضهم الآخر هذا التغيير، مما يستلزم مداعبته وملاطفته لوقت طويل قبل استجابته له. ويبدو أن هذه الفروق هي على علاقة بالطريقة التي يتوصل فيها إلى استخدام

لسانه. فمن أجل تناول حليب أمه، ليس عليه إلا أن يبتلع، أما مع الملعقة، فعليه استخدام لسانه على نحو أكثر مهارة لتوجيه الطعام نحو حلقومه. وتلك هي الحركة التي يرفض الكثيرون من الرضّع القيام بها في البداية.

التجشؤ: السبب يكمن في المعدة!

في الفصل التاسع عشر «لماذا يتجشأ الرضيع؟»، يقول المؤلف إنه غالبًا ما يعاني الرضيع من جشأة مؤلمة بعد الرضعة. إنها أمر طبيعي عند الرضيع، ولا مفر منها خلال الأشهر الستة الأولى من الحياة. تنجم الجشأة عن ابتلاع كمية كبيرة من الهواء خلال الرضاعة. ففي أثنائها، تتسع معدة الطفل بتأثير مزيج الهواء والحليب، مما يتمخض عنه وضع غير مريح، إلى أن يتسنى طرد الهواء منها. إن شفتي الرضيع لا تكونان في البداية متعضلتين بشكل كاف، فلا تلتصقان تمامًا بصدر الأم أو بحلمة زجاجة الحليب، مما يسمح بمرور الهواء عبر زوايا الفم، وبما أنه يرضع بحيوية ونشاط، فإنه يسفط الهواء ويبتلعه مع الحليب. إلا أن شفتيه تصبحان أقوى بكثير في سن ستة أشهر، ومن ثم لا يعود يبتلع الهواء بكمية كبيرة. وفي هذا العمر، تبدأ الجشأة بالزوال. إذن، فالسبب يكمن في المعدة. وهنا نجد في الواقع اختلافًا بين الرُضّع الغربيين مثلاً ورُضّع الجماعات القبلية. ففي الغرب، يمسكون الرضيع في وضعية أكثر أفقية عند إرضاعه؛ وفي المجتمعات القبلية يمسكونه في وضعية أكثر انتصابًا؛ إذًا، تتوفر للهواء والحليب، في الوضعية الأكثر انتصابًا، فرصة التفارق في داخل المعدة، بحيث إن الهواء يرتفع ويخرج بسهولة على شكل فُواق (حازوقة) متكرر، وتلقائي. إذا أمسكنا الرضيع في وضعية أكثر أفقية، فإن فرصة حدوث الفواق وخروج الهواء تضعف، ويبقى الهواء محتبسًا، مما يسبب جشآت مزعجة. إن صراخ أو بكاء الطفل المديد يؤدي أيضًا إلى ابتلاع الهواء. وإذا كانت الجشأة نادرًا ماتدفع الرضيع إلى البكاء، فإن البكاء يجعله دائمًا تقريبًا يتجشأ.

هل من مفسر لأحلامي؟!

يؤكد المؤلف في الفصل العشرين «هل يحلم الرضيع؟»، أن الرضيع يحلم دون أدنى شك. إلا أن مايحلم به سيبقى لغزًا على الدوام. ربما كان يحلم بالعودة إلى بطن أمه الدافئ حيث كان يسمع صوت تنفسها ودقات قلبها. هذا إلا إذا كان يحلم بآخر إحساس راوده في هذا العالم الجديد، المدوِّخ، الذي جاء إليه، أو ربما كان يحلم بحليب أمه اللذيذ. ليس بالإمكان سوى تصور مضمون أحلامه، ذلك أننا جميعًا ننسى أحلامنا الأولى، ولا توجد أية وسيلة لاستعادتها.

اليد اليمنى أم اليسرى.. شيء محيِّر!

وحول السيادة اليدوية، يطلعنا المؤلف في الفصل الحادي والعشرين «الرضيع، أعسر أم أيمن؟»، على أن غالبية الأشخاص، بين مجموعة من الناس الراشدين، هي يمنوية دائمًا تقريبًا. ووسطيًا، إن شخصًا من كل عشرة هو أعسر. ونجد هذه النسبة لدى جميع السلالات وفي الثقافات كلها، وفي أي مكان من العالم، وخلال جميع مراحل التاريخ، قدر مانعرف. وتقول نشرة صادرة حديثًا عن هيئة التربية الصحية البريطانية: «في البداية، وحتى سن ثلاث سنوات، يستخدم معظم الرضع كلتا اليدين، دون تمييز..». كما أظهرت دراسة بريطانية معمقة أن الرضيع يجتاز مراحل عدة في استخدام يديه خلال نموه: ففي سن 12 أسبوعًا يمد كلتا يديه عندما نقدم له شيئًا ما، وفي سن 16 أسبوعًا يمد يدًا واحدة لمسك هذا الشيء، وفي سن 32 أسبوعًا يعود إلى استخدام اليدين معًا، وفي سن 36 أسبوعًا يفضل اليسرى، وفي سن 40 أسبوعًا يفضل اليمنى غالبًا، وفي سن 48 أسبوعًا يعود لتفضيل اليسرى مؤقتًا وبشكل عابر، وفي سن 80 أسبوعًا تعود الثنائية اليدوية مرة أخرى، وتسيطر اليمنى في سن السنتين، ويمر الطفل بآخر مراحل ثنائية اليد بين سن 2,5 و3 سنوات قبل الثبات على يد واحدة مسيطرة نحو سن أربع سنوات. وتترسخ هذه الأفضلية بشكل متنام حتى سن 8 سنوات، حيث تبقى اليد السائدة في هذه المرحلة مسيطرة بعد ذلك مدى الحياة. ولكن، لماذا لا يوجد يسرويون بقدرما يوجد يمنويون؟ إن الجانب التشريحي لدى الرضيع يعطينا بعض عناصر الإجابة؛ فقبل الولادة، يكون أحد جانبي الجنين أكثر تفضيلاً بقليل بالنسبة للجهاز العصبي. ومن الملاحظ أن الأعصاب المؤدية من الدماغ إلى الجانب الأيمن هي أوفر عددًا من الأعصاب التي تأتي من الدماغ إلى الجانب الأيسر من الجسم. أخيرًا، تم اكتشاف أن 60٪ من الأجنة تتمدد داخل الرحم على الجانب الأيمن، وقد يعني ذلك أن الجانب الأيمن يتلقى قدرًا أكبر من التنبيه خلال الحمل، ولذلك يكون «أكثر تطورًا» بقليل.

الهدهدة.. وأحاسيس ما قبل الولادة

يوضح المؤلف في الفصل الحادي والعشرين «لماذا يحب الرضيع الهدهدة؟»، أن لحركات الهدهدة الإيقاعية تأثيرًا مفيدًا في الرضيع، فهي توحي له بالشروط التي عاشها في هناءة وارتياح داخل رحم أمه، وغالبًا ماأكد الباحثون أن هذه الحركات هي صورة عن حركات مشي الأم وهي حامل. ووفقًا لملاحظات متنبهة أجراها عدد من الباحثين، تكون الهدهدة أكثر فعالية عندما تتراوح بين 60 و70 حركة في الدقيقة؛ فضلاً عن ذلك، تفضل أرجحة الرضيع من الأمام إلى الخلف، على أن تكون لطيفة وهادئة، وتكرارية ومنتظمة، دون تقطّع في الإيقاع. إن غالبية هذه الخاصيات مرتبطة بوضوح بنمط

الرضيع لا يتكيف مع حرارة الوسط المحيط به، ولا يستطيع التعرق على نحو مفيد قبل بلوغة سن السنتين، لذا ينبغي للأبوين الانتباه بدقة إلى الحرارة في حالتي الحر والبرد معًا



الطفل ال
جاذبيته ـ تطوره

الأحاسيس التي عاشها الجنين قبل الولادة، حين تَنَقُّل الأم ومشيها، ولكن يبدو أن لنبضات القلب البشري تأثيرها أيضًا، إذ إن إيقاعه (نظْمه)، بنبضاته ال 72/د، هو أقرب إلى الهدهدة المثالية. إن ترابط هذه الأحاسيس، الناجمة عن الهدهدة، هو الذي يهدئه.

اجعليني قريبًا من قلبك يا أماه

ولكن، «لماذا تهدهد الأم رضيعها بيدها اليسرى؟»، وهو عنوان الفصل الثاني والعشرين حيث يجيب المؤلف بالقول: إن أول تفسير قد يتبادر إلى الذهن هو أنه لمَّا كانت غالبية النساء يمنويات، فإنهن يحرصن على إبقاء اليد اليمنى حرة. إلا أن الأمهات اليسرويات، هن أيضًا، يفضلن استخدام الذراع الأيسر لحمل الطفل أو مسكه (83٪ لليمنويات و78٪ لليسرويات)، إلا أن السبب الأرجح لهذه الظاهرة هو وقوع القلب إلى يسار الجسم، حيث تلجأ الأم إلى مسك طفلها، تلقائيًا، بشكل يكون فيه على مقربة من خفقات قلبها، قدر ما تستطيع. وضربات القلب هي الصوت الذي كان يسمعه في بطن أمه وهو جنين، ويقرنه غريزيًا بالهدوء، والأمان، والراحة. ورأى بعض الباحثين ـ مؤخرًا ـ أنه لما كان نصفا كرة المخ يتوافقان مع مختلف المظاهر السلوكية، فيحتمل أن يكون هدف الأم من هدهدة صغيرها من جانبها الأيسر هو أن تُظهر له «جانبها المفضل». إن الانفعالات تتجلى على نحو أوضح في الجانب الأيسر من الوجه، ومن ثم قد يكون من الأفضل أن «يقرأ» الرضيع انفعالات أمه عندما يرفع عينيه نحوها.

بابا.. ماما.. أولى الكلمات الحقيقية

ونقرأ في الفصل الثالث والعشرين «كيف يتكلم الرضيع؟»: إن الرضيع لا يتكلم عمليًا، إلا أنه يطلق موجات من الثغثغة، التي تمر بعدة مراحل متمايزة خلال الأشهر الاثني عشر الأولى من الحياة. في البداية، تكاد ثغثغة الرضيع لا تكون مسموعة، وفي سن ثلاثة أشهر، تبدأ الثغثغة المسموعة بالظهور، لتصبح هاجسه في غضون بضعة أسابيع لاحقة. وتزداد ثغثغة الرضيع بين سن ثلاثة إلى ستة أشهر، وغالبًا مايطلقها عندما يكون وحيدًا. وليس للثغثغة سوى علاقة ضعيفة بالأصوات التي يسمعها الرضيع من أبويه، وعندما يقول «با» أو «ما»، فلا يعني ذلك أن لهذين اللفظين رابطًا ما مع كلمة «بابا» و«ماما». إن الرضيع يجرب الأصوات هنا، ليس أكثر. وبين سن 6 إلى 7 أشهر، تترابط المقاطع الأحادية لديه كي تنتج أصواتًا مثل «ماما» و«بابا» أو «بوبو». في البداية، هذه الكلمات ليست موجهة للأبوين، بل إلى المحيط بشكل عام. وإذا ماشرع الأبوان بمحاورة صغيرهما في هذه السن، فإنه يتوقف عن الثغثغة، ويصغي إليهما. إن أول كلمة تحمل مغزى ودلالة هي تلك التي يوجهها عادة إلى والديه، مثل «ماما» و«بابا». إن 3٪ من الأطفال يلفظون أول كلمة حقيقية على هذا النحو في سن 9 أشهر، و10٪ في سن 10 أشهر، و50٪ في سن 12 شهرًا، و90٪ في سن 18 شهرًا. وتبين دراسات عديدة جرت في هذا الإطار حول أطفال صُمٍّ بالولادة جانبًا مهمًا من لغة الرضيع. فخلال الأشهر الست الأولى، يثغثغ هؤلاء الرضع الصُمُّ كغيرهم تمامًا، ولكن تصويتاتهم تتضاءل فجأة خلال الأشهر التالية. ويشير ذلك إلى مدى أهمية الأبوين خلال هذه المرحلة بالنسبة لنمو اللغة وتطورها. إن الرضيع بحاجة إلى أن نتحدث إليه كثيرًا، وهو يتبادل الحديث فعلاً مع والديه ولو أنه لا يستطيع، بعد، استخدام الكلمات في سياقها النوعي. ولا يتمتع الرضيع بتقليد الأصوات قبل انقضاء السنة الأولى؛ نعرف ذلك لأن الرضع، في كل مكان من العالم، وأيًا كانت لغتهم أو الثقافة التي تحتضنهم، يطلقون نمط الثغثغة نفسه؛ ولا تظهر الفروق وفقًا للغات، والتي تميزُ رُضَّعًا من غيرهم، إلا في نهاية السنة الأولى، عندما يبدأ الصغار بنطق الكلمات الحقيقية.

أنا أستحق الحماية والرعاية

أخيرًا، يجيب المؤلف عن سؤال «لماذا يتمتع الرضيع بجاذبية لا تقاوم؟»، وهو عنوان الفصل الرابع والعشرين، بالقول: يتولد لدى الراشد، عند وجوده مع الرضيع، شعور تلقائي بالحماية نحوه، وهو شعور فطري، لا يحتاج إلى تعلُّم. وإذا لم يراود هذا الشعورُ بعضَ الأشخاص فذاك يعني أنهم ليسوا على مايرام، وأن ردود فعلهم الوالدية الطبيعية غير جيدة. ومن الأفضل لهؤلاء ألا ينجبوا أطفالاً، وإلا انعكس مافيهم من مشكلات على أولادهم. لقد أظهرت إحدى الدراسات الحديثة أن الرضيع يتمتع ببعض الخاصيات التي تترك تأثيرَ جاذبية قويًا في الشخص الراشد: رأسه الكبير بالنسْبة إلى جسده؛ وجبينه العريض، البارز، المحدب؛ ووجنتاه المتكورتان، الناتئتان؛ وأطرافه القصيرة والممتلئة، التي تتسم بحركات تنقصها المهارة؛ وجسمه السمين المكوَّر إجمالاً. لهذا السبب، نجد أن للدمى خدودًا ممتلئة؛ كما أنه إذا ما كان الشخص الراشد يتمتع بوجه شبيه بوجه الرضيع فإنه يضيف بذلك جاذبية أخرى إلى ما يتمتع به من جاذبيات. إن هذه الملامح، بالنسبة لصغير الإنسان، جوهرية لبقياه، فهي تعزز في والديه الاهتمام به، تلقائيًا وبلا تردد، فضلاً عما غرسته عناية الله عز وجل في نفسيهما من حب وميل إلى الرعاية والحرص والانتباه نحوه.

الرضيع لا يتكلم بشكل عملي، بل يطلق ـ في أشهره الأولى ـ موجات من الثغثغة. وقد بينت دراسات عديدة أن الرضيع الذي يولد أصمَّ يثغثغ أيضًا، لكن ذلك يتضاءل خلال الأشهر التالية من عمره

دراسات إعلامية

التلفاز ودعم المفاهيم الإنسانية

إبراهيم محمد إبراهيم قمر

يتعين علينا، قبل أن نتعرض لهذا الموضوع، أن نفرِّق بين أبحاث وسائل الإعلام وأبحاث الاتصال. فالمعروف أن أبحاث الاتصال تهتم بقدرة وسائل الاتصال المختلفة على تغيير الآراء والاتجاهات، والتأثير في السلوك على المدى القصير. كما أن أبحاث الاتصال الجماهيري حديثة العهد، إذا قصرناها على منهج البحث أو طريقة البحث Method، وعلى الوسائل الإعلامية Media التي حظيت باهتمام كبير في السنوات الأخيرة.

وقد يفرق بعض الباحثين بين أبحاث وسائل الإعلام وأبحاث الاتصال على أساس الموضوع، فيقول هذا الفريق إن الأبحاث الإعلامية تهتم أساسًا بوسائل الإعلام، في حين أن أبحاث الاتصال تهتم بعملية الاتصال. إلا أنه في الحقيقة يصعب دراسة وسائل الإعلام من دون الاهتمام بعمليات الاتصال، فلا يمكن فهم ما تنشره أو تذيعه وسائل الإعلام المختلفة من دون أن ندرك عملية الاتصال.

وعلى كل، فإن نسبة كبيرة من الأبحاث الإعلامية قد دلت على أن لكل وسيلة اتصال مقدرة على الإقناع تزيد أو تقل عن غيرها من الوسائل الأخرى، كذلك تشير الأبحاث إلى أن الإمكانات النسبية لمختلف الوسائل الإعلامية تختلف بشكل واضح من مهمة إقناعية إلى أخرى، أي حسب الموضوع ووفقًا للجمهور الذي يُوَجَّه إليه.

دعم الآراء لا تغييرها

وتشير أبحاث الاتصال إلى أن الاتصال الجماهيري يحتمل بشكل عام أن يدعم الآراء الموجودة بين الجمهور أكثر مما يحتمل أن يغير تلك الآراء، وأن حدوث التغيير البسيط في الاتجاهات يبدو أكبر من احتمال حدوث التحول في الرأي، فتأثير وسائل الإعلام في أغلب الأحيان تأثير غير مباشر، إذ إنه يعمل من خلال عناصر ومؤثرات وسيطة تساعد على التدعيم وحدوث التغيير، وأهم هذه العناصر والمؤثرات، كما نعرف جميعًا، هي:

1- **الانتقائية: التعرض الانتقائي والإدراك الانتقائي والتذكر الانتقائي.**
2- **تأثير الجماعات الإنسانية.**
3- **التأثير الشخصي.**

إلا أنه يتعين ألا ننسى أنه في حالة سكون العناصر الوسيطة يصبح تأثير وسائل الإعلام مباشرًا، ومقدرتها متفوقة على خلق الآراء عن الموضوعات الجديدة، وخاصة بين الناس الذين لم يكن لديهم - بشكل أو بآخر - معلومات سابقة عن الموضوع الذي يتعرضون له. وفي حالات أخرى نجد أن هذه العوامل الوسيطة التي تميل عادة إلى التدعيم وتقوية الاتجاهات الموجودة تساعد هي نفسها على إحداث التغيير.

وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن وسائل الاتصال الجماهيري، وإن كانت نتائجها تميل إلى تدعيم الآراء السابقة، إلا أنها لا تعوق التحول، ويمكن من طريقها نشر آراء وأفكار جديدة.

إن هدف أجهزة الاتصال الجماهيري هو الوصول إلى أفراد الشعب، فالصحافة والإذاعة والتلفزة يتطلع كل منها في النهاية إلى وصول رسالته الإعلامية إلى القراء والمستمعين والمشاهدين.

ويهمني في هذا البحث أن أتعرض للتلفاز ورسالته الإعلامية في دعم السلام والتفاهم الدوليين، ومكافحة الدعاية للحرب، ومناهضة

التفرقة العنصرية. ولست في حاجة إلى أن أتحدث عن مكوّنات الرسالة الإعلامية بتفاصيلها، ولا عن العوامل التي تؤثر في كفاءتها ودقتها على وجه التحديد من حيث الشكل، أو طريقة معالجة الرسالة، ولكن ما يهمني هنا هو التركيز على مضمون الرسالة في هذا المجال.



نعم للسلام .. ولا للحرب

إن الدعوة للسلام إنما تعني الوقوف في صلابة تجاه فكرة الحرب، ومناهضتها، وإدانتها بشتى الوسائل. إن سلام الأمة، كسلام الفرد، هو العيش في طمأنينة وهدوء وارتياح، بلا خوف أو قلق من وقوع أيّ اعتداء يهدد كيان الأمة في حياتها أو استقلالها أو ثرواتها أو أبنائها، أو في هذه الأمور كلها معًا.

والحرب إنما تعني استخدام القوة وسيلة لحل مشكلة عجز العقل أو القانون عن حلها. هي العنف والتقاتل من أجل الوصول إلى فرض الرأي عنوة واقتدارًا.. وسيلة بدائية للغاية، استعملها إنسان الغابة، واستغل فيها قوته البدنية للحصول على قوت غيره، أو زوجته، أو أرضه. واستعملها إنسان الحضر، واستغل فيها درعه ورمحه وسيفه، وبندقيته برصاصها، ومدافعه بقنابلها، وسفنه الحربية بطوربيداتها، وطائراته بقنابلها الذرية، وعلمه بأشعته وميكروباته، ليفتك بالإنسان، وليستعبد الإنسان، وليحطم كرامة الإنسان، وليستولي على وطنه، وعلى بيته، وعلى أرضه، وليستذله، وليفرض عليه إرادته، ولينهب ماله وثروته، وليهدر آدميته.

حروب تتبعها حروب منذ أقدم عصور التاريخ، وأمم وراء أمم، وحضارات وراء حضارات، هذه تأتي لتختفي ولتحتل مكانها حضارة أخرى، ملايين من البشر خضبت بدمائها أرض المعمورة منذ عهد قابيل وهابيل، وملايين غُلبت على أمرها، وبيعت في أسواق الرقيق، وملايين عاشت، وما تزال تعيش، مضطهدة منبوذة مطارَدة بسبب الجنس، أو اللون، أو العقيدة الدينية، أو السياسية، أو الفكرية.

حياة مضطربة لا تستقر، ولعل هذا الاضطراب راجع إلى أمرين:

الأول: اختلاف الأوضاع الاقتصادية من بلد إلى آخر، وما يترتب عليه من اختلاف في الأوضاع الاجتماعية والسياسية.

والأمر الثاني: هو في الحقيقة نتيجة للأمر الأول، إلا أننا نؤثر أن نفرده بذاته، وهو اختلاف الثقافة.

إن كل إنسان في هذه الدنيا يبدأ حياته رضيعًا، ثم طفلاً، ثم فتى بصفحة بيضاء لا يعرف الخير أو الشر، ولكن سرعان ما يُلَوِّنه المجتمع الذي يعيش فيه، كما تلونه بشكل خاص الثقافة التي يتلقاها، الطفل الأبيض تقول له أمه لا تلعب مع الطفل الأسود، والطفل الأسود تقول له أمه تَجنَّب الطفل الأبيض.. الطفل الأوربي أو الأمريكي توضع بين يديه أدوات اللعب المختلفة الخاصة بالقتال، فيقتل بخياله من يشاء، وفي أي مكان، والطفل الإفريقي أو الآسيوي قد يبحث في طفولته عن حفنة من الأرز أو الدقيق، أو يعرف الحياة بطريقة أخرى فيها نقص وحرمان. وهكذا في مراحل السن الأولى لحياة الإنسان يبدأ تشكيله، وتتحكم في هذا التشكيل البيئة والثقافة والحكم، تلك هي العناصر التي تفرق بين البشر في أنحاء المعمورة كافة.

تباين الثروات .. يصنع المشكلة!

إن المشكلة في الأصل ترجع إلى تفاوت الدول في الغنى والفقر منذ أقدم العصور، فبينما نجد دولاً غنية نجد دولاً أخرى فقيرة. ولقد كان هذا دائمًا هو الوضع بالنسبة للجنس البشري بوجه عام، غير أن الفقر لم يعد في العصر الحديث قدرًا محتملاً كما كان من قبل، وخاصة بعد أن أضحى واضحًا أنه في الإمكان القضاء عليه من خلال التقانة (التكنولوجيا) الحديثة، كما أن الفقر لم يعد القدر الذي لا مفر منه، ومن هنا كانت محاولة الدول الفقيرة الأخذ بأسباب التنمية للارتفاع بمستواها الاقتصادي، ومن ثم الاجتماعي.

إن البلاد الغنية تضم أقل من خُمْس سكان العالم، وتستأثر في الوقت نفسه بنحو ثلثي الدخل العالمي، بينما الدول الفقيرة تضم ثلثي سكان العالم ويقل نصيبها عن 15٪ منالدخل العالمي، وتتوسط هاتين الطائفتين مجموعة

من البلاد المتوسطة الدخل تضم أقل من 9٪ من سكان العالم، وتختص بما يقل عن خُمْس الدخل العالمي. كما يتعين ألا يغيب عن بالنا أن معظم البلاد المتخلفة تقع في آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية، أي في الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية، على حين تقع البلاد المتقدمة في قارتي أوروبا وأمريكا الشمالية، أي في الجزء الشمالي من الكرة الأرضية، ومن هنا يفرق الاقتصاديون بين الجنوب المتخلف والشمال المتقدم، مع التفرقة أيضًا في الشمال المتقدم بين الشرق والغرب، وذلك لتباين النظم الاجتماعية والاقتصادية وأنماط التنمية الاقتصادية. ومن ثم يتضح التفاوت الكبير بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة في مستوى المعيشة، إذ بينما نجد متوسط دخل الفرد سنويًا في شبه القارة الهندية يبلغ 21 جنيهًا استرلينيًا، نجده في الولايات المتحدة يرتفع في المتوسط سنويًا إلى 790 جنيهًا استرلينيًا. وفي الوقت الذي نجد الأمريكي قد ينتابه القلق والضيق لعدم حصوله على سيارة ثانية يمتلكها، أو جهاز تلفاز ثان، أو ثالث ليضعه في بيته الصيفي، نجد عددًا كبيرًا من سكان آسيا أو إفريقيا ينتابهم الشعور بالضيق أو القلق حول ما إذا كانوا سيحصلون على وجبة ثانية في اليوم الواحد.

ويتعين أن نلاحظ أن فارق الدخل الفردي بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة ليس شاسعًا فحسب، ولكنه يطّرد في الاتساع بصفة مستمرة، وذلك تبعًا لزيادة الدخل القومي بسرعة في الدول الغنية بالنسبة لسكانها، مع ثباته أو نموه البطيء في الدول الفقيرة، وزيادة عدد السكان بشكل خطير في هذه الدول، مما يترتب عليه بصفة مستمرة ابتلاع الزيادة في التنمية.

والغريب في الأمر أن الشعوب المتأخرة كافة، أو الآخذة بأسباب النمو تكاد تكون قد حقّقت لنفسها استقلالاً وطنيًا في السنوات التالية للحرب العالمية الثانية حتى الآن. وقد كان هذا الاستقلال في الماضي قاصرًا على الشعوب القوية، أو الغنية، أو تلك التي كانت تجمع بين الأمرين معًا.

ومعنى هذا أن أكثر من ثلثي دول العالم الفقيرة قد أصبحت هي أيضًا مستقلة، ولكنها لا تعرف أسباب المدنية من حيث الجانب المادي فيها على الأقل.

وبفضل وسائل الإعلام الحديثة، وما أصبحت عليه الكرة الأرضية من كونها قرية صغيرة يسهل الاتصال بين أطرافها المختلفة، أضحت مشكلات الدول النامية مألوفة لدى جمهور الدول المتقدمة والغنية. ولاشك أن الصحافة تقوم بدور فعال فيما يختص بتغطية أكبر قدر ممكن من شؤون المجتمعات المتأخرة أكثر مما كان عليه الحال في الماضي، أي في المدة التي سبقت الحرب العالمية الثانية. لقد كانت هذه المناطق المتأخرة قبل الحرب العالمية الثانية تُعدّ فراغًا على جانب كبير من تفاهة الشأن، ولم يكن يُنظر إليها إلا على حسب أهميتها بالنسبة للدولة المستعمرة. أما الآن فقد تغيّرت الصورة تمامًا وأصبح العالم يسمع عن أماكن جغرافية لم يكن يسمع عنها من قبل، ويسمع عن أسماء زعماء لم يكن يعرفهم من قبل. وكانت الضرورة تحتم تجنب وقوع كارثة في شكل حرب عالمية ثالثة، ذلك

فارق الدخل الفردي بين الشمال والجنوب يتسع بصفة مستمرة، وذلك لزيادة الدخل في دول الشمال، مع نموه البطيء في دول الجنوب

أن وجود عدد ضخم من الدول الفقيرة المتأخرة والضعيفة بجانب عدد ضئيل من الدول الغنية المتقدمة والقوية يهدد من غير شك السلام العالمي، ويشكل خطرًا لا تُعرف نتائجه.

ومن هنا، ولتجنب هذه الكارثة وحفاظًا على ذوات الدول الغنية، فإنه يتحتم عليها الاهتمام بشؤون الدول المتأخرة حتى تستطيع أن تقف على قدميها. وإلى أن يحدث هذا ستظل هذه الدول في حكم المناطق التي يمكن أن تثير المتاعب دائمًا، لذلك كان من صالح الدول المتقدمة أن تساعد هذه الدول على تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي.

إن مشكلات الدول النامية متعددة ترتبط عادة بالتطور الاقتصادي والتخطيط والتضخم والعملة الصعبة وأسعار السلع، والتطور الريفي، والتصنيع، والنقل، والطاقة الكهربائية، والمصادر المائية، والمصادر المعدنية، وتفتيت التربة، والملكية الزراعية، والري، والتحكّم، والإصلاح الزراعي.

وهناك أيضًا مشكلات أخرى تتعلق بالمعونات الأجنبية للدول المتخلفة أو الدول النامية، مثل التعاون الدولي، وبنك التصدير والاستيراد، والبنك الدولي، والقروض المستحقة والمركبة والقصيرة الأجل والطويلة الأجل، وقروض الإنتاج والمنح والمساعدات التي تُقَدَّم لترويج السلع، والمساعدات الفنية، والأمن المتبادل، ومساعدات الدفاع... إلخ.

التلفاز ودوره في مواجهة المشكلات الاجتماعية

إن الدولة كما لاحظ «بيرك» هي عملية مشاركة بين من هم على قيد الحياة، وبين من هم في طريقهم إلى أن يفدوا إلى الحياة. ومن هنا كان يتحتم على التلفاز في هذه الدول النامية ألا يقوم على أساس بيع الوقت، بمعنى أن يكون تلفازًا تجاريًا، وإنما يتعين أن يقوم أساسًا بدور بنّاء بوصفه طاقة حضارية جديدة، لا بد من استغلالها لتعويض جماهير الشعب ما فاتها من مسافات التقدم. وجمهور المشاهدين عادة بالدول النامية ليس هو جمهور المنازل فقط، إنما هناك جمهور آخر هو جمهور مراكز المشاهدة الجماعية بالميادين العامة، وفي أعماق الريف والصحارى والغابات والأماكن النائية.

والتلفاز في هذه الدول النامية يجد نفسه في المعتاد وجهًا لوجه أمام مشكلات اجتماعية لا حصر لها نتيجة للأسباب الاقتصادية التي أشرنا إليها من قبل، ومن هنا فإنّه لا بد أن يكون وسيلة تثقيف وتعليم وإعلام في المرتبة الأولى، كما لا بد أن يكون الدافع إلى إنشائه هو أن يصبح أكثر نفعًا للآخرين، وليس مجرد الربح المادي.

إن الغرض الحقيقي من البرامج المتلفزة في الدول النامية أن تكون حافزًا للشعب إلى تحسين ظروفه ورفع مستوى معيشته، والبحث الدائب وراء المعرفة والاستنارة.

إن وضع المشكلات تحت بصر جماهير الشعب بالدولة النامية تحفزه

بالضرورة إلى الخوض فيها ومناقشتها ومحاولة إيجاد حلول سلمية لها بطريقة أو بأخرى، ومن هنا يكون التلفاز قد أدى إلى خلق المشاركة الوجدانية بين أفراد الشعب في الأمة الواحدة.

ومن المعروف أن المدنية المعاصرة تتسم بعدم الاستقلال، بمعنى أنها نسق مفتوح وغير مستقل، وهي - على ارتباطها في الأصل بالنظام الاجتماعي والاقتصادي في بلد ما، وخصائص ثقافته - تسهم مساهمة فعالة من خلال تطور المدنيات القومية في تطور المدنية العالمية. ومن هنا أمكن القول بأن المدنية قوية ومستقلة بذاتها، وهي في الوقت نفسه عالمية وغير مستقلة بذاتها.

وهنا يأتي دور وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة وعلى رأسها التلفاز، إذ تجعل النماذج المنتمية إلى التقنية والعلم والفنون التي نشأت في بلد ما ملكًا مشاعًا للعالم أجمع. إن التلفاز بنظمه الهندسية المحلية داخل البلد الواحد أو الأمة الواحدة، أو بنظمه الهندسية القارية، داخل القارة الواحدة، أو بين القارات، من طريق الأقمار الصناعية، قادر على نقل صور المدنيات المختلفة من أكبر الدول وأكثرها تقدّمًا إلى أصغرها وأكثرها تخلفًا.

إن المدنية العالمية إنما تعني «مستوى تطور الاقتصاد والثقافة الذي بلغه كوكبنا الأرضي منظورًا إليه ككل».

الثقافة قد تصبح أسيرة للنظام الاقتصادي

ويدفعنا هذا للحديث عن اختلاف الثقافات في العالم وما يترتب عليه من اختلاف الآراء والأفكار ووجهات النظر. ولاشك أن هذا مستحب؛ لأنه يزوّد البشرية بقيم وميزات وإبداعات مختلفة متنوعة. ويُعرِّف بعضهم الثقافة بأنها «عملية تعبئة موارد الفرد الروحية وتحويل قواه وقدراته الخلاقة إلى قيم وخبرات، وهي في الوقت نفسه عملية قضاء على موضوعية القيم المتراكمة عبر القرون، وتحويل هذه القيم إلى إثراء روحي للفرد...».

ويذهب هذا الفريق إلى أن الثقافة لا يمكن أن تقتصر على هذه المجموعة من القيم المقدسة، وإنما لا بد أن يكون لها جانب معياري، بمعنى أن تكون هناك ثقافة السلوك، أو ثقافة الحياة اليومية الجارية، أو ثقافة العمل... إلخ، والافتقار إلى الثقافة بهذا المعنى يعني عدم احترام هذه المعايير، أو الاهتمام بها، وهذا وحده يعوق مهمة الاتصال بين الناس، ومن ثم يمكن القول بأن الثقافة لا بد أن تؤدي وظيفة تنظيمية، فهي في الواقع يتعين أن تملي معايير محددة للسلوك الاجتماعي، غير أن للثقافة في العصر الحديث اتجاهين متعارضين أحدهما مادي والآخر روحي، والجانب الأول أسرع في تطوره من الجانب الروحي.

ويتعين ألا نتجاهل أن هناك نمطين متعارضين من الثقافة في العالم المعاصر، هما: النمط الاشتراكي، والنمط الرأسمالي، ويتميز أحدهما من الآخر، لا من حيث المضمون فحسب، بل من ناحية أخرى هي درجة مشاركة الجماهير الشعبية في استيعاب الثقافة وإبداعها. فبينما نرى الثقافة الاشتراكية تؤمن بنظرية الثقافة الجماهيرية بكل صورها، وتلغي نمط الثقافة القائم على الصفوة، فإننا نجد الثقافة الرأسمالية لا تبالي إذا ظل رجل الشارع غريبًا عن إنجازات الثقافة القومية والعالمية الرفيعة، هكذا يقول «ليف كوجان» رئيس علم الاجتماع بمركز أورال العلمي بأكاديمية علوم الاتحاد السوفييتي السابق، وفي عالمنا المتصارع تنشأ مشكلة أخرى تتصل بالثقافة، هي مشكلة حرية الإنسان في الاختيار من قيم الثقافة وخبرتها التي يقدمها المجتمع، فمن ناحية: الإنسان حر في أن يختار من بين تلك القيم ما يتجاوب مع اتجاهه وأمانيه، وهو في الوقت نفسه مقيد بما يقدمه له المجتمع وما يحدده من قيم روحية وقيم مادية مرتبطة بالنظام الاقتصادي.

وبالإضافة إلى هذا فإن اختيار القيم الثقافية يتوقف على نظرة الإنسان إلى الكون ومكانه منه، ونظرة الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، غير أن هذا الاختيار غالبًا ما يتحدد بدرجة تعليم الفرد، وبثقافته الشخصية، وبالقيم الثقافية التي تحمل معلومات معقدة ومركبة، كما يتحدد هذا الاختيار أيضًا بالتطور العام للمدنية على مستوى العالم بأسره. هذه مقدمات منطقية لا غنى عنها تتصل بالثقافة عامة في العالم المتقدم، أو العالم النامي على السواء.

إلا أن المشكلة في العالم النامي ربما ترجع من الناحية الثقافية البحتة إلى غلبة الجانب الروحي، وانكماش الجانب المادي، بل إن الجانب الروحي قد يتوقف أحيانًا في بعض البلدان عند تراكمات الماضي ولا يحاول، بوسيلة أو بأخرى، أن يستوعب كل القيم الثقافية عبر القرون، وكل ما تبقى من المدنيات القديمة، وهو الأساس الأوحد لكل نشاط مبدع للقيم الجديدة، ذلك أن الجديد هو وليد تراكمات القديم عبر آلاف السنين، ومن هنا كانت أهمية إحياء الدول النامية لتراثها وتاريخها حتى تعطي الجانب الروحي دفعة قوية للخلق والإبداع، وهنا أيضًا يبرز دور التلفاز في نقل الثقافة والتراث الحضاري للأمة الواحدة، أو للأمم المختلفة، وتبادل هذا التراث، ومن ناحية ثانية يبرز دور التلفاز في التعريف بالثقافة العالمية بوجه عام القديمة والوسيطة والحديثة.

وعلى هذا يمكن القول بأن المعلومات أو الخبرات التي تنقلها وسائل الاتصال وعلى رأسها التلفاز عن الثقافات الأخرى، قد تمثل ثقافة المجتمع الأكثر غنًى وتنوعًا، فضلاً عن أن الثقافة من المحتمل أن تتكيف نتيجة لهذا الاتصال؛ إلا أنه قد يُخشى أحيانًا من أن الثقافة المستوردة التي لا تخضع للسيطرة قد تؤدي إلى غزو ثقافي يؤدي بدوره إلى إضعاف الثقافة القومية المضيفة، ومن هنا يتعين التركيز على تلك الثقافات التي تؤمن بالحقوق الأساسية للإنسان، وبكرامة الفرد، وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية، وبما للأمم كبيرها وصغيرها من حق في الحياة المستقلة والعيش في سلام وحسن جوار، مع تجنب التهديد بقوة السلاح أو استخدامه.

وفي المجالات السياسية بصفة خاصة يُعدّ استخدام وسائل الإعلام الجماهيرية من أعقد مجالات الاستخدام، نظرًا لاتساع قاعدة جمهور

البرامج المتلفزة يجب أن تكون حافزًا للشعب إلى تحسين ظروفه، ورفع مستوى معيشته، والبحث الدائب وراء المعرفة والاستنارة

التلفاز ودعم المفاهيم الإنسانية

المستقبلين الذين تُوَجَّه إليهم الرسالة من قبل المرسِل، وهي المؤسسة السياسية، كذلك لتعدد واختلاف مستويات المُستقبِل الاجتماعية والثقافية. وعلى ذلك فإذا كانت الرسالة الموجَّهة سياسية دولية، فهي تحتاج إلى مهارات تفوق نظيراتها في مجالات استخدام وسائل الاتصال الجماهيري الأخرى، ومن ثم فإن مثل هذه الرسالة يجب أن تتميز بالحيدة والصدق وعرض وجهات النظر المختلفة دون تحيز.

التلفاز ومدى أثره في الجماهير

إن التلفاز من بين جميع وسائل الاتصال الجماهيري التي يعرفها الإنسان في عصرنا الحالي، يعد أقوى من الوسائل الأخرى في تأثيره في الجماهير، ففي مكنته أن يصبح أداة أكبر قوة للخير، إن أُحْسِنَ استعماله، أو للشر إن لم يتبع نهجًا حكيمًا.

ولكي يفخر التلفاز بالمطمح العظيم الذي وُجد من أجله، فإنه لأمر حتمي أن تجد الجماهير الشعبية العريضة أن برامجه ذات مدلول فعال، بمعنى أن تكون مهمة التلفاز توجيه قدرات الشعب وإمكاناته، وتعبئة قواه لتعزيز المكاسب التي نالها بعد عناء، ولتحقيق آمال المستقبل. بل إن واجب التلفاز يفرض عليه أن يبادر دائمًا، ويتخذ موقفًا إيجابيًا فعّالاً في منع أي تسلل رجعي للاستعمار، في أيّ شكل من الأشكال، وتحريك طاقات الشعب إلى العمل، وإبراز القيم الروحية النابعة من الأديان، أو القيم الإنسانية النابعة من الفلسفات، أو المذاهب الكبيرة.

إننا لا يمكن أن ننكر الدور الترفيهي للتلفاز، فالشعب العامل هو دائمًا في حاجة إلى الترويح عما في نفسه من مشقات العمل، غير أن هذا الزاد من الترفيه ينبغي ألا يربط المشاهد بحواسه، إنما ينبغي أن يحمله إلى آفاق بعيدة من الانفعال المتسامي.

إن الثقافة لا تشتبك في عداء مستحكم مع الترويح أو الترفيه، بل إن الضحك أحيانًا قد يكون أكثر عمقًا، وأبلغ أداة في تحقيق الهدف المرتجى.

إن برامج التلفاز، في جميع بلاد العالم: برامج الأطفال أو الشباب، أو المرأة، أو الدراما، أو المنوعات، أو الأفلام، أو التعليق على الأنباء على حدّ سواء، ينبغي أن تجهد في الوصول إلى غاية واحدة، هي إشاعة القيم الإنسانية النبيلة وتعميقها في وجدان المشاهدين، دون نظر إلى اللون أو الجنس، أو اللغة، أو العقيدة. فالتعاون على مستوى الأفراد ومستوى الدول، وتقديس العمل الفردي والجماعي والدولي، وإبراز البطولات في خدمة البشرية، ومحاربة الأنانية والفردية والتحكم والتسلط، وإثارة الحوافز الاجتماعية والدولية والقومية، وتعميق معنى الحرية وضرورة تطبيقها في مجالات الحياة المختلفة، والكشف عن فنون الشعوب ومواهبها، هذه كلّها إنما هي بعضُ القيم التي يتعين على العاملين في محطات التلفزة أن يرموا إلى تحقيقها في برامجهم.

إن العاملين بمحطات التلفزة في جميع أنحاء العالم، يشغلون مراكز حساسة، ذات مسؤولية كبيرة في مجتمعاتهم، وفي العالم أجمع، ومن ثم، فلا بد لهم أن يكونوا على بينة تامة باحتياجات مجتمعاتهم ومقوماتها، كي يتسنى لهم تقديم خدماتهم على الوجه الأكمل لصالح مواطنيهم، وصالح البشرية.

إن شعوب العالم، لكل منها نواقص لاشك فيها، وإغماض الطرف عن هذه العيوب، أو تمجيدها، كما يحدث أحيانًا، أمر يعود على البشرية بضرر واضح.

إن الفن في عالم التلفاز، يتعين أن يدعو في جوهره إلى شيء ما، وليس هناك فن جدير بهذا الاسم لا يحمل وجهة نظر ما من نوع أو آخر.

والأعلام بين الفنانين كانوا دائمًا إنسانيين، وفَن هؤلاء الأعلام هو الآن جزء من تراث الإنسانية.

إن برامج التلفاز عامة، وبرامج الأطفال والشباب خاصة، يتعين دائمًا أن تؤكد معنيين: الحرية والسلام:

ـ الحرية: بأوسع معانيها، ذلك أنها هي أقدس الحقوق التي تنقل الإنسان من درك العبودية والهوان، إلى قمة السيادة. حرية الوطن، وحرية المواطن، وحرية العمل، وحرية الكلمة، وحرية النقد، وحرية الصحافة، وحرية العقيدة.

ـ والسلام بحسبانه قيمة إنسانية كبيرة، لا تنشدها الشعوب الصغيرة فحسب، إنما تنشدها الشعوب الكبيرة أيضًا، ذلك أن الإنسان، خلال نصف قرن فقط، عانى من ويلات الحروب، وقاسى أهوالها، واحترق بنيرانها..

ومن أجل السلام يتعين علينا أن نقف في برامجنا دائما ضد الأفكار المعوقة للسلام، التي تتستر وراء تسميات مختلفة، أو تتخذ شكل أحلاف عسكرية، أو تمييز عنصري.

ومن أجل السلام يتعين علينا أن نُبَصِّر الرأي العام العالمي بحقيقة السياسات التوسعية القائمة على فكرة الغزو وضم الأراضي بالقوة.. كما يتعين علينا أن نفضح أساليب القمع والاستبداد والكبت والإبادة العنصرية في كل مكان..

من أجل هذا كله فإنني أدعو إلى التفكير جديًا ـ وقد تقدم علم الاتصالات من طريق الأقمار الصناعية ـ في إنشاء محطة تلفاز عالمية، تسهم في تمويلها الدول كافة، وتشرف عليها الأمم المتحدة، تديرها منظمة اليونسكو، وتتخذ لها مقرًا وسطًا في العالم، تدعو إلى السلام، وتخاطب الشعوب كافة بلغة المصالح المتبادلة والمنافع المشتركة، وتنادي بإقامة علاقات قوية راسخة بين شتى دول العالم، على أسس من الحق والعدل والاحترام، بصرف النظر عن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة في هذه الدول.

وحتى تفكر الدول في مثل هذا المشروع، فإن الوضع يتطلب منا أن نهتم بإنتاج البرامج والأفلام التي تدعو إلى السلام، ونشجع على تبادلها بين محطات التلفزة، ونزيد من حركة تبادلها.

المراجع:

1ـ المجتمع المتأخر: ريموند فروست، ترجمة عصمت عبدالمجيد، من مجموعة «اخترنا لك».

2ـ الثقافة والمدنية: ليف كوجان، ترجمة فؤاد كامل، مجلة ديوجين «مصباح الفكر» من مطبوعات اليونسكو، العدد الثامن عشر، السنة السادسة، 1972م.

3ـ القوى المعنوية في الميثاق: إبراهيم بسيوني.

4ـ تحليل لأخلاقيات التليفزيون المصري: إبراهيم قمر.

5ـ الإعلام ونظرياته في العصر الحديث: د. جيهان أحمد رشتي.

6ـ التنمية الاقتصادية: د. محمد زكي شافعي، دار النهضة العربية، 1970م.

دائرة المعارف

مؤرخو مصر الإسلامية

إعداد:
عبدالحميد حسانين حسن علي

أ

ابن إياس
(852- نحو930هـ= 1448- نحو1524م)(1).
محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، أبو البركات. ولد بالقاهرة سليلاً لأسرة مملوكية(2)، ونشأ في وسط مملوكي خاص، ودرس على جماعة من أعلام عصره، ولاسيما جلال الدين السيوطي، ونشأ كأبيه في فرقة أولاد الناس(3). ظل عاكفًا حتى وفاته على الكتابة والتأليف في التاريخ، ونظم الشعر والزجل والموشحات، وتدوين الحوادث التي شاهدها خاصة خلال السنوات الأخيرة من عمر دولة المماليك، والسنوات الأولى من الحكم العثماني لمصر. من أهم مؤلفاته كتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور» وهو كتاب شامل لتاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى أوائل العهد العثماني، وأيضًا كتاب «عقود الجمان في وقائع الأزمان» وهو مختصر تاريخ مصر، وغيرهما.

ب

ابن البطريق
(263- 328هـ= 877- 940م)(4).
سعيد بن البطريق، طبيب مؤرخ من أهل مصر، ولد بالفسطاط، وأقيم بطريركًا في الإسكندرية وسُمِّي «أنتيشيوس» سنة 321هـ، وهو أول من أطلق اسم اليعاقبة على السريان الذين اتبعوا تعاليم يعقوب البرادعي المتوفى سنة 578م. من كتبه «نظم الجوهر أو التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» تحدث فيه عن التاريخ منذ بدء الخليقة إلى العصر الذي عاش فيه.

وقد ذيّله يحيى بن سعيد بن البطريق بتفصيل الأخبار التي جرت بعد وفاة أبيه، حتى عام 425هـ، وطُبع مع الذيل بمطبعة اليسوعيين في بيروت في ثلاثة أجزاء عام 1906م.

ت

ابن تغري بردي
(813- 874هـ= 1410- 1469م)(5).
أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تَغْري بَرْدي، من أشهر مؤرخي عصر المماليك. ولد وتوفي في القاهرة، وكان أبوه من مماليك الظاهر برقوق، ومن أمراء جيشه، وتوفي عام 815هـ، فنشأ يوسف في حجر قاضي القضاة البلقيني (ت: 824هـ). تأدب وتفقه وقرأ الحديث وأولع بالتاريخ، وبرع بالفروسية، وامتاز في علم الأنغام، ورحل في طلب العلم؛ فدرس على يد شيوخ وعلماء عصره في مصر والشام والحجاز، ومنهم المقريزي (ت: 845هـ)، والعيني (ت: 855هـ) وابن حجر (ت: 852هـ)، وابن عربشاه (ت: 854هـ) بالقاهرة، وابن ظهيرة (ت: 861هـ)، والمرعشي (ت: 872هـ) وغيره بحلب. من مصنفاته «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، وكتاب «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» أكمل به «الوافي بالوفيات» للصفدي، وكتاب «مورد اللطافة في مَنْ ولي السلطنة والخلافة»، وكذلك كتاب «حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور» جعله ذيلاً لكتاب السلوك للمقريزي.

ج

الجبرتي
(1167- 1273هـ= 1754- 1822م)(6).
عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، مؤرخ مصر، ومدون وقائعها، وسيَر رجالها في عصره، ولد في القاهرة، وتعلم بالأزهر، وجعله نابليون عند احتلاله مصر من كتبة الديوان. ولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي. من تصانيفه كتاب «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» المعروف بتاريخ الجبرتي، ابتدأه بحوادث سنة 1100هـ وانتهى فيه إلى سنة 1236هـ. ونسبةُ الجبرتي إلى جبرت، وهي الزيلع من بلاد الحبشة.

ح

ابن حجر العسقلاني
(773- 852 هـ= 1372- 1448م)(7).
أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني، حافظ عصره. من أشهر المؤرخين في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي، ولد وتوفي بمدينة القاهرة، وأصله من عسقلان بفلسطين. ولع بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث وألّف فيه كثيرًا من الكتب، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ. تولى منذ سنة 1424م

وظيفة كبيرة في الدولة المملوكية هي قاضي قضاة الشافعية، وظل في هذا المنصب إحدى وعشرين سنة. من مؤلفاته التاريخية مذكراته المسماة «إنباء الغمْر بأنباء العمر» تعرض فيه لحوادث الدولة، وسياستها العامة، وهو سجل واف بالحوادث التي وقعت في أيامه. ومن مؤلفاته التاريخية المهمة كتاب «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، و«الإعلام فيمن ولي مصر في الإسلام»، و«رفع الإصر عن قضاة مصر»، وغير ذلك من كتب الحديث المشتهرة والتراجم المعروفة.

د

الدَّميري، كمال الدين

(742- 808هـ= 1341- 1405م)(8).

كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى بن علي الدميري، المصري الشافعي، ينسب إلى دميرة قرب سمنود بالوجه البحري. عمل في بداية حياته بالخياطة، ثم تركها، وأقبل على العلم، وأخذ عن الشيخ بهاءالدين السبكي، وعن الشيخ جمال الأسنوي، وسمع من غيرهم، وتفوق في الفتوى والأدب، وكانت له في الأزهر حلقة خاصة، وأقام مدة في مكة والمدينة. له تصانيف عديدة، منها «النجم الوهاج» في شرح منهاج النووي، وكتاب «الديباجة» في شرح سنن ابن ماجه، وكذلك كتابه المعروف «حياة الحيوان الكبرى»، وفي هذا الكتاب روى الشعر والأدب والنوادر، كما أنه ضمنه تراجم للشعراء والأدباء والعلماء والفلاسفة، وأخبارًا لخلفاء بني أمية والخلفاء الراشدين وغيرهم. وذكر أنه جمعه من 560 كتابًا، و 199 ديوانًا من دواوين شعراء العرب.

ز

ابن زُولاق، الحسن

(306- 387هـ= 919- 997م)(9).

الحسن بن إبراهيم بن الحسين الليثي المشهور بالأبحّ، كان معاصرًا للإخشيديين وعني بتاريخهم عناية خاصة، تولى المظالم في أيام الفاطميين بمصر. من تصانيفه كتاب «سيرة الإخشيد»، وكتاب «أخبار سيبويه»، وكتاب «أخبار قضاة مصر»، بالإضافة إلى كتب في فضائل مصر وخططها وفي تاريخها على مر السنين.

س

السَّخَاوي

(831- 902هـ= 1428- 1496م)(10).

محمد بن عبدالرحمن بن محمد شمس الدين السَّخاوي، أحد كبار المؤرخين المصريين في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر للميلاد. نسبته إلى بلدة سخا في محافظة الغربية بمصر. ولد بالقاهرة، ونشأ نشأة دينية في بيت علم ودين، وتتلمذ على جماعة من كبار مشايخ عصره، منهم الحافظ ابن حجر. له عشرات الكتب. من مؤلفاته في التاريخ والتراجم كتاب «التبر المسبوك في ذيل السلوك» وهو تكملة في أربعة أجزاء لكتاب السلوك للمقريزي. من مؤلفاته أيضًا «وجيز الكلام في الذيل على كتاب الذهبي دول الإسلام»، و«بغية العلماء والرواة» ذيل لكتاب «رفع الإصر عن قضاة مصر» لابن حجر، وأشهر كتبه «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع» ويحوي مشاهير مَن تُوفوا في القرن التاسع الهجري من الرجال والنساء. وقد ترجم نفسه فيه بثلاثين صفحة. وله رحلات واسعة سجل أحداثها في كتب، منها: «الرحلة السكندرية» و«الرحلة الحلبية» و«الرحلة المكيّة»، ووضع في سيرة شيخه ابن حجر كتاب «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر».

ابن سيد الناس

(671- 734هـ= 1273- 1334م)(11).

أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليَعْمُري. مولده ووفاته بالقاهرة، مؤرخ، عالم بالأدب ومن حفاظ الحديث، وله شعر رقيق. أصله من إشبيلية، وينتمي إلى أسرة أندلسية عريقة. درس وتثقف في القاهرة على يد مشاهير علمائها، ثم رحل إلى دمشق وبرع في الفقه وعلوم القرآن، وتولى بعض الوظائف في عهد السلطان بيبرس، فكان أوّل قاض لقضاة المالكية في دمشق وظل فيها تسعة أعوام، وشارك في تدوين التاريخ في العصر المملوكي. من أشهر كتبه في السيرة النبوية كتاب «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» ومختصره «نور العيون»، وغير ذلك من الكتب.

السيوطي، جلال الدين

(849- 911هـ= 1445- 1505م)(12).

جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي، ولد بالقاهرة في أسرة ينتهي أصلها إلى محلة الخضيرية ببغداد. توفي أبوه ولم يبلغ السيوطي ست سنين. نشأ نشأة دينية أدبية(13)، فختم القرآن الكريم وهو دون الثامنة من عمره. باشر تدريس الفقه بالجامع الشيخوني سنة 1465م، ثم تصدى للإفتاء بجامع ابن طولون سنة 1467م. قيل إن مؤلفات السيوطي بلغت نحو 600 مؤلف بين كتاب ورسالة. اعتزل الناس حين بلغ الأربعين، وخلا بنفسه في منزله بروضة المقياس على النيل، وعكف على تأليف أكثر كتبه هناك. وكان يزوره الكبراء والأمراء ويبذلون له الأموال فلا يمدّ يده إلى شيء منها؛ وقد ألف في ذلك كتابه: «ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين»، وكان يرفض دعوة السلطان وهداياه وبقي على ذلك إلى وفاته. ومن بين تصانيفه المعروفة كتاب «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»، وكتاب «تاريخ السلطان الأشرف قايتباي»، وكتاب «تاريخ أسيوط». وله أيضًا كتب في التراجم والطبقات مثل كتاب «نظم العقيان في أعيان الأعيان»، وكتاب «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، وكتاب «من طبقات الحفاظ»، وغير ذلك من الكتب.

ش

الشَّابُشتي

(....- 388هـ= .... - 998م)(14).

أبو الحسن علي بن محمد الشَّابُشتي، أحد مؤرخي مصر على عهد الخليفة العزيز الفاطمي. عهد إليه الخليفة بالإشراف على مكتبة كانت تُعدّ أكبر دار مصرية للكتب. من أشهر كتبُ الشابشتي كتابُ «الدِّيارات» ذكر فيه كل دير بالعراق والشام والجزيرة ومصر، واهتم في هذا الكتاب بجمع الأخبار الطريفة وغيرها من الحوادث؛ كحفلات زواج الخليفة المأمون وزواج هارون الرشيد، وغير ذلك من الأحداث التي قد تغفلها كتب التاريخ، وقد توفي الشابُشتي سنة 388هـ= 998م؛ وقال ياقوت: 399هـ.

ظ

ابن ظافر الأزدي

(567- 613هـ)(15).

جمال الدين علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي المصري، مولده ووفاته بالقاهرة. اتصل بالأمراء الأيوبيين، وولي وزارة الملك الأشرف مدة، وصُرف عنها، فولي وكالة بيت المال. أهم آثاره العلمية

كتاب «الدول المنقطعة» ويضم تاريخ الدول الحمدانية والطولونية، والإخشيدية والفاطمية وتاريخ الدولة العباسية حتى سنة 622هـ، و«أخبار ملوك الدولة السلجوقية»، وغيرهما، كما رُوي له شعر رقيق.

ع

ابن عبدالحكم

(187- 257هـ= 803- 871م)(16).

عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين القرشي المصري أبو القاسم، مصري المولد والوفاة، يُعدّ أقدم من وصلت إلينا مؤلفاتهم من مؤرخي مصر الإسلامية، وهو من أهل العلم بالحديث. من أهم مؤلفاته كتاب «فتوح مصر وأخبارها» وهو أقدم مصنف وصل إلينا عن تاريخ مصر الإسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ومما يدل على أهمية كتابه أن مؤرخي مصر الإسلامية المتقدمين أفادوا منه، فاعتمد عليه الكندي وابن زولاق والقضاعي ومَنْ جاء بعدهم مثل ابن دُقماق والمقريزي وابن تغري بردي والسيوطي وابن إياس، كذلك نقل عنه ياقوت في معجم البلدان عند وصف الفسطاط.

العيني، بدرالدين

(762- 855هـ= 1361- 1451م)(17).

بدرالدين محمود بن أحمد أبو محمد العيني الحنفي. من أشهر المؤرخين الذي عاشوا في مصر زمن سلاطين المماليك في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). ولد العيني في عينتاب(18)، وإليها نسبته، أقام مدة في حلب ودمشق ومصر والقدس، وتولى في القاهرة الحسبة، وقاضي قضاة الحنفية، كما تولى بالقاهرة أيضًا الأوقاف. من أشهر كتبه كتاب «عقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان» انتهى فيه إلى سنة 850هـ، وهو من أعظم ما كتبه العيني في علم التاريخ، وله كتاب «تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر»، وله غير ذلك كثير من الكتب في الحديث ومصطلحه وفقه الحنفية والنحو وغيرها، كما كتب «تاريخ الأكاسرة» بالتركية.

ق

القُضاعي

(...- 454هـ= ...- 1062م)(19).

أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون. مؤرخ، مفسر من علماء الشافعية، ومن كبار مؤرخي الدولة الفاطمية في زمن الخليفة المستنصر. اشتهر بتفوقه في الفقه، حيث تولى القضاء بمصر نيابة، كما أُرسل في سفارة إلى الروم فمكث في القسطنطينية مدة. ألّف عدة كتب عن تاريخ مصر، منها كتاب «المختار في ذكر الخطط والآثار» وهو كتاب في خطط مصر، وكتاب «تواريخ الخلفاء»، وله كتب أخرى في التفسير والحديث والمواعظ والآداب والسِّيَر.

القَلْقَشَنْدي

(756- 821هـ= 1355- 1418م).

أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري. ولد بقرية قَلْقَشَنْدَة إحدى قرى القليوبية، قرب القاهرة. درس بالقاهرة والإسكندرية على أكابر شيوخ العصر، وتخصص بالأدب والفقه الشافعي، وخدم في ديوان الإنشاء في عهد السلطان الظاهر برقوق، وكان لا يعمل في هذا الديوان سوى أقطاب النثر والبلاغة الذين تؤهلهم معارفهم الواسعة للوقوف على شؤون الحكم والسياسة الداخلية والخارجية والعلاقات الدبلوماسية بين مصر وباقي الأمم. أفضل تصانيفه كتاب «صبح الأعشى في كتابة [أو صناعة أو قوانين] الإنشا» فرغ من تأليفه عام 814هـ، وهو كتاب موسوعي، شمل كثيرًا من الفنون، وما يهمنا هنا تاريخ مصر، حيث قدم الكتاب مجموعة عظيمة من الوثائق الإدارية والسياسية التي تلقي الضوء على مختلف النظم التي قامت عليها الدول الإسلامية المصرية المتعاقبة.

ك

الكندي

(283- 355هـ= 897- 966م)(22).

أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي (وهو غير الكندي الفيلسوف)، شيخ المؤرخين في عصر الدولتين الطولونية والإخشيدية، مصري المولد والوفاة، عربي الأصل، إذ ينتمي إلى قبيلة كِنْدة من عرب الجنوب. صار حجة في شؤون مصر؛ فقد رُوي أنه كان من أعلم الناس بالبلد وأهله وأعماله وثغوره. من أهم تصانيفه كتاب «الولاة والقضاة»(23) في مجلد واحد اشتمل على كتابيه «تسمية ولاة مصر»، و«أخبار قضاة مصر». والأول نوع من التاريخ الإداري، ذكر فيه الولاة الذين تعاقبوا على حكم مصر من قِبَل الخلافة، منذ الفتح إلى عصر المؤلف، وذكر بعض أعمالهم وحروبهم، والثاني سجل للتطورات القضائية في مصر منذ الفتح العربي لمصر إلى وفاة الإخشيد. وله أيضًا كتاب «فضائل مصر»، وكتاب «الموالي» الذي تحدث فيه عن الموالي الذين بلغوا أرقى المناصب في مصر. اختُلف في تاريخ وفاته، وقيل إنه يحتمل أن يكون قد عاش إلى ما بعد سنة 362هـ.

م

محمد بن أبي السرور

(1005- 1087هـ= 1596- 1676م) (24).

محمد بن محمد أبي السرور زين العابدين بن محمد أبي المكارم البكري الصديقي. مؤرخ، مفسر، باحث مصري. انتهت إليه رئاسة بيت البكري في مصر، مولده ووفاته في القاهرة. له تصانيف، منها «الدرر في الأخبار والسِّيَر» و«الروضة الزهية في ولاة مصر والقاهرة المعزّية» و«عيون الأخبار ونزهة الأبصار» و«قطف الأزهار من الخطط والآثار» اختصر به خطط المقريزي.

المُسَبِّحي

(366- 420هـ= 977- 1029م)(25).

عزّالملك محمد بن عبيدالله بن أحمد المسبِّحي، مؤرخ الدولة الفاطمية. مولده ووفاته بمصر، وأصله من أسرة حرانية(26) نزحت إلى مصر قبل قيام الدولة الفاطمية واستوطنت بها. تقلد عدة مناصب، منها ولاية البهنسا في صعيد مصر، كما تولى ديوان الترتيب، وهو في ذلك الوقت من مناصب الوزارة المهمة. ألف في تاريخ مصر كتاب «تاريخ مصر»، وقد فُقدت معظم أجزاء هذا الكتاب مع ما ضاع من آثار الفاطميين، ولم يصلنا منه إلا الجزء الأربعون «في أخبار مصر وفضائلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء».

المقريزي

(765- 845هـ= 1364- 1441م)(27).

تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر الحسيني العبيدي المقريزي المصري المولد والوفاة. والمقريزي نسبة إلى حارة المقارزة من حارات بعلبك في أيامه. وصل إلى درجة كبيرة من العلم، وتقلد مناصب في دولة المماليك، فشغل

وظيفة كاتب بديوان الإنشاء، ثم كان إمامًا لجامع الحاكم، ثم مدرسًا للحديث بالمدرسة المؤيدية، ثم محتسب القاهرة والوجه البحري. اتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة 810هـ، وعُرض عليه قضاؤها فأبى وعاد إلى مصر، وعكف على مواصلة البحث والتأليف. من أهم كتبه كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» درس فيه خطط مصر وآثارها، وكتاب «السلوك في معرفة دول الملوك» أرخ فيه للعصرين الأيوبي والمملوكي إلى قبيل وفاته سنة 845هـ، وكتاب «اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخُلفا»، ويتضمن تاريخ مصر منذ الفتح العربي، حتى قيام الدولة الفاطمية، وكتاب «المقفى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها»، ويتضمن تراجم لمشاهير مصر ومن وفد عليها، وأقام بها خلال العصر الإسلامي، وغير ذلك من المؤلفات. قال السخاوي: «قرأت بخطه أنّ تصانيفه زادت على مئتي مجلد كبار» أكثرها في التاريخ عامة، وتاريخ مصر خاصة.

ابن مُنْجِب الصيرفي

(463- 542هـ= 1071- 1147م)(28).

أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان، تاج الرياسة الشهير بابن الصيرفي. كاتب مؤرخ مصري مشهور، عاش في عصر الخلافة الفاطمية، وتولى بعض الوظائف الكتابية، وتدرج فيها، فتولى ديوان الجيش وديوان الخراج، ثم ديوان الإنشاء أو المكاتبات من سنة 495إلى سنة 536هـ زمن الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله. من مصنفاته كتاب «الإشارة إلى من نال الوزارة»، وكتاب «قانون ديوان الرسائل»، وغير ذلك من الكتب والرسائل.

ابن مُيَسَّر

(...- 677هـ= ...- 1278م)(29).

أبو عبدالله محمد بن علي بن يوسف المصري الشهير بابن مُيَسَّر، مؤرخ معروف وأحد أعلام القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، درس على علماء عصره في مصر، وبرع في علوم وفنون كثيرة، ومال بصفة خاصة إلى كتابة التاريخ والاهتمام بالقضاء. وضع مصنفه «تاريخ القضاة»، وكذلك كتابه «ذيل تاريخ مصر للمسبّحي» طُبع مختصر الجزء الثاني منه باسم: «أخبار مصر»، وتوفي بالقاهرة.

النُوَيْري

(677- 733هـ= 1278- 1333م)(30).

أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري. عالم بحاث غزير الاطلاع، نسبة إلى نويرة من قرى بني سويف بمصر، مولده ومنشؤه بقوص، اتصل بالسلطان الملك الناصر، ووكّلهُ السلطان في بعض أموره. تقلد بعض المناصب كنظارة الجيش في طرابلس، ونظارة الديوان بالدقهلية. من أهم مؤلفاته «نهاية الأرب في فنون الأدب»، وفي هذه الموسوعة الضخمة أفرد النويري لتاريخ مصر أربعة مجلدات، أولها يشمل تاريخ الدولة الفاطمية، والثاني يشمل تاريخ الدولة الأيوبية، والثالث يشمل تاريخ الشام والصليبيين، والرابع يشمل تاريخ الدولة المملوكية حتى عصره. ومن مميزات هذه الموسوعة الضخمة أن فيها أنباء خطيرة - كما يقول أحد المستشرقين - عن صقلية نقلها عن مؤرخين قدماء لم تصل إلينا كتبهم مثل ابن الرقيق وابن رشيق وابن شداد وغيرهم. توفي في القاهرة.

الهوامش:

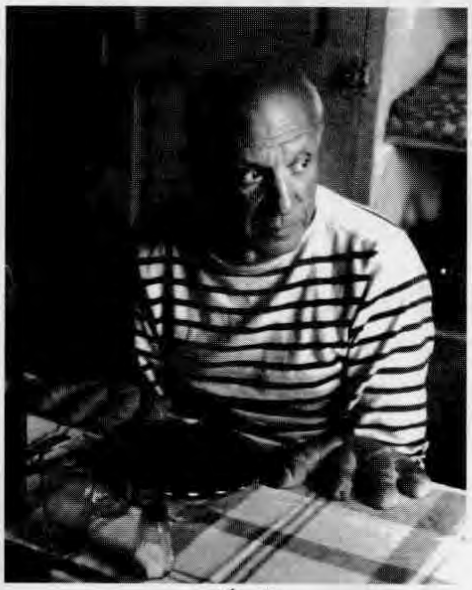
1- الأعلام 5/6، معجم المؤلفين 236/8.
2- كان ابن إياس سليل أسرة شركسية مملوكية، ظهرت في مراكز الرئاسة في مصر والشام منذ منتصف القرن الثامن، واتصلت بالبلاط القاهري اتصالاً قويًا.
3- هي الفرقة المملوكية الخاصة بأبناء الأمراء من المماليك.
4- الأعلام 92/3، تاريخ آداب اللغة العربية 200/2، طبقات الأطباء 86/2.
5- الأعلام 222/8، الضوء اللامع 305/10.
6- الأعلام 304/3، تاريخ آداب اللغة العربية 283/4.
7- الأعلام 178/1، الضوء اللامع 36/2، تاريخ آداب اللغة العربية 165/3.
8- الأعلام 118/7، الضوء اللامع 59/10.
9- الأعلام 187/2، سير أعلام النبلاء ترجمة 335: 462/16، وفيات الأعيان 91/2.
10- اختلف في تاريخ الوفاة: 902هـ - 906هـ - 895هـ، وذكر الجزار في مداخل المؤلفين والأعلام العرب، ج 3، طبعة مكتبة الملك فهد الوطنية أن الأول أصح أي 902هـ. انظر أيضًا الكواكب السائرة 53/1، شذرات الذهب 15/8، الأعلام 194/6.
11- الأعلام 34/7، طبقات الشافعية للأسنوي ترجمة 1209 في 510/2، الدرر الكامنة ترجمة 4437 في 770/4، تذكرة الحفاظ 1503/4.
12- الأعلام 301/3، الضوء اللامع 65/4، تاريخ آداب اللغة العربية 228/3، شذرات الذهب 51/8، الكواكب السائرة 226/1.
13- ألف أبوه كثيرًا من الكتب في الفقه والنحو.
14- معجم الأدباء ترجمة 5 في 16/8، وفيات الأعيان ترجمة 445 في 319/3.
15- سير أعلام النبلاء ترجمة 44 في 60/22، التكملة لوفيات النقلة ترجمة 1482 في 376/2، الوافي بالوفيات 77/11- 79.
16- الأعلام 313/3، تقريب التهذيب ترجمة 1004في 487، حسن المحاضرة ترجمة 13 في 446/1.
17- الأعلام 163/7، الضوء اللامع ترجمة 545 في 131/10، حسن المحاضرة ترجمة 53 في 473/1.
18- بلد صغير بين حلب وأنطاكية.
19- الأعلام 146/6، سير أعلام النبلاء ترجمة 41 في 92/18، وفيات الأعيان، ترجمة 584 في 212/4، طبقات الشافعية للأسنوي، ترجمة 939 في 212/2، الوافي بالوفيات ترجمة 1053 في 116/3.
20- الأعلام 177/1، تاريخ تاريخ آداب اللغة العربية العربية ترجمة 5 في 140/3.
21- معجم البلدان 327/4.
22- الأعلام 148/7.
23- نشره المستشرق الإنجليزي جست.
24- الأعلام 94/7، خلاصة الأثر 465/3.
25- الأعلام 259/6، وفيات الأعيان 377/4- 380، سير أعلام النبلاء ترجمة 226 في 361/17.
26- نسبة إلى حران وهي مدينة قديمة كانت تقع بين الموصل والشام.
27- الأعلام 177/1، تاريخ آداب اللغة العربية 175/3.
28- الأعلام 24/5، الوافي بالوفيات ترجمة 164 في 22/228-233
29- الأعلام 282/6، الوافي بالوفيات ترجمة 1729 في 188/4.
30- الأعلام 165/1، النجوم الزاهرة 299/9، الوافي بالوفيات 165/7 ترجمة رقم 3097.

المصادر والمراجع:

1- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط11، بيروت: دار العلم للملايين 1995م.
2- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1403هـ - 1983م.
3- تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي؛ تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، بيروت: دار إحياء التراث العربي 1374هـ - 1954م.
4- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، المدينة المنورة: المكتبة العلمية، دار المعرفة.
5- التكملة لوفيات النقلة، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، تحقيق بشار عواد معروف، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة 1405هـ - 1985م.
6- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية 1387هـ - 1967م.
7- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي، القاهرة: المطبعة الوهبية 1284هـ.
8- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جادالحق، القاهرة: دار الكتب الحديثة 1385هـ - 1966م.
9- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق حسين الأسد وآخرين، خرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1409هـ - 1988م.
10- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير 1414هـ - 1993م.
11- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي، القاهرة: مكتبة القدس.
12- طبقات الشافعية، جمال الدين الأسنوي، تحقيق عبدالله الجبوري، الرياض: دار العلوم 1401هـ - 1981م.
13- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين الغزي، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، ط 2، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1399هـ - 1979م.
14- معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت: دار إحياء التراث العربي 1399هـ - 1979م. ومعجم الأدباء له أيضًا.
15- معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، بيروت: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي.
16- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، تحقيق محمد عبدالجواد الأصمعي، وعلي أحمد الشهداوي، القاهرة: دار الكتب المصرية 1375هـ - 1956م.
17- الوافي بالوفيات للصفدي، ط2، فسبادن (ألمانيا): جمعية المستشرقين الألمانية 1403هـ - 1983م.
18- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلّكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة 1388هـ - 1968م.

بين بيكاسو وشاعر مكة

د. بكري شيخ أمين


بابلو بيكاسو

من أغرب ما سمعت في حياتي قصة الرسام الإسباني المشهور «بابلو بيكاسو» زعيم المدرسة الخيالية (السريالية) المعاصرة.

تقول القصة: خطرت لبيكاسو في أحد الأيام فكرة عابثة ساخرة، أراد بها أن يثبت أن كثيراً من النقد كلام فارغ، وأن كثيراً من أدعياء الفن والتمدن فارغون، لا يفهمون الفن، ولا يميزون الغث من السمين.

وللتدليل على صحة فكرته، جاء بقطعة قماش بيضاء، وهيأها لتكون صالحة لرسم لوحة، ووضع لها الإطار الفخم الرفيع، ثم جاء إلى حمار له، فربطه إلى وتد، وأخذ ذنبه بيده، فقسم شعراته أقساماً عدة، وربط كل قسم بخيط. ثم جاء بالألوان، فصبغ كل مجموعة بلون، وبعد ذلك دهن دبر الحمار بمادة كالفلفل أو كالخردل، ليتحرق الحمار، ويحرك ذنبه بقوة، ودون توقف.

وقرّب بيكاسو اللوحة من الذنب الذاهب بقوة يمنة ويسرة، وعلواً وسفلاً، وأخذ يدير اللوحة من جهة لأخرى، لتعم الأصباغ جوانبها ونواحيها كافة.

ثم بدا للرسام الساخر أن يكمل لعبته، ويثبت نظريته، فجعل توقيعه في أحد أركانها، وأحب أن يكون لهذه اللوحة اسم. ودارت في ذهنه تسميات كثيرة، وحار في أيها أدعى للإثارة، واهتمام الناس والنقّاد وإعجابهم... وكان من تلك الأسماء: الفارس المهزوم، أصيل البحر، عنكبوت الفكر، دمعة العاشقة، أغنية الفراشة، لكنه رفضها جميعًا لوضوحها، واختار لها عنوان «طحالب الصبايا» لأنه لا معنى له.

بعد حين من الزمن أقام معرضًا للوحاته، ودس بينها «طحالب الصبايا». وتقدم النقّاد نحو اللوحات المعروضة، يدرسونها، ويحللون معانيها، وأبعادها، ويصفون الإبداع الخارق الذي بلغه الرسام العبقري، ووقفوا طويلاً أمام «طحالب الصبايا»، وتحدثوا بإسهاب عنها، وخُيل إلى بعضهم أنها معجزة زمانها، حتى في تسميتها رأوا آيات من الإبداع والإشراق... فهذا جعلها بديعة القرن العشرين، وذاك سماها معجزة الفن السريالي، وآخر أطلق عليها رائعة الفن المعاصر، وناقد عجز عن إيجاد الكلمات اللائقة المناسبة المعبرة عن شدة إعجابه بها، وافتتانه... ولم ينس كل منهم الثناء البليغ على الفنان الخارق العظيم.

وتناقلت الصحف والمجلات والإذاعات خبر المعرض، وأسهبت في الحديث عنه، وعن الروائع المعروضة فيه، كما نقلت آراء النقّاد، ومدى إعجابهم، وترجمت هذه الكلمات من لغة إلى لغة، وسمع الناس بلغاتهم كافة عن عظمة هذه اللوحات، وعلى رأسها «طحالب الصبايا».

وما إن مضت مدة من زمن حتى أقيم مزاد في أحد صالونات لندن للوحات بيكاسو، وبيعت «طحالب الصبايا» بثمانمئة وخمسين ألف جنيه استرليني، دفعها عاشق للفن البديع الحديث.

مقابل هذه الحكاية الغريبة، التي لا تكاد تُصدق لولا أن أذاعتها محطة الـ B.B.C. مرات عدة، وأشادت باللوحة، وآيات الفن العبقري فيها.. ارتسم في خاطري عدد من الأمثلة العبثية المشابهة في تاريخنا الأدبي في العصور المتأخرة.

من هذه الأمثلة أبيات نظمها شاعر، كل حروفها مهملة، ونظم أبياتًا أخرى، كل حروفها معجمة، وأبياتًا مكونة من حرف مهمل يليه حرف معجم، وأبياتًا مكونة من كلمة مهملة تليها كلمة معجمة، وهكذا.

(ومعلوم لدى القارئ أن الحرف المهمل هو الخالي من التنقيط، كالحاء والدال والسين، والحرف المعجم هو الذي له نقطة في أعلاه أو في أسفله، كالباء والتاء والذال والشين).

وإليك بيتًا واحدًا شاهدًا على كل نوع ذكرناه:

الحمد للهِ الصَّمَد
حالَ السرورِ والكَمَد

بين جَنْبَيَّ شُقَّةٌ خَشُنَتْ
في قَضيضٍ تُبيتُني خَشِنِ

ونَديمٍ باتَ عندي
ليلةً منه غَليل

لا تَفي العهدَ فتُشقيني ولا
تُنجزُ الوعدَ فتشفي العلَلا

وشاعر آخر نظم أبياتًا، إذا قرأتها طردًا وجدتها مدحًا، وإذا عكستها وجدتها قدحًا. وإليك شواهدها:

الطرد مديح:

باهي المَراحم، لابس
كرَمًا، قدير، مُسند

العكس هجاء (في الحروف):

دِنس، مَريدٌ، قامِر

كَسْبَ المَحارم، لا يهاب

الطرد مديح:

حلُموا، فما ساءت لهم شِيَمٌ

سمُحوا، فما شَحّت لهم مِنَنُ

العكس هجاء (في الكلمات كاملة):

مِنَنٌ، لهم شَحّت، فما سمُحوا

شِيَمٌ لهم ساءت، فما حلُموا

وهذا شاعر ثالث، نظم أبياتًا يؤرخ فيها عرسًا بحلب، فإذا حسبت، بحساب الجُمَّل، الحروف المهملة في البيت الأخير وجدت تاريخ العرس، وإذا حسبت الحروف المعجمة رأيت التاريخ نفسه، ومع هذا فقد ذكر التاريخ صراحة. وإليك الأبيات:

أيها الكامل، يا مَن أخْبَرَتْ

عن عُلاه فِئةٌ بعد فئة

خُذْ تواريخًا ثلاثًا، جُمِعت

لَكَ في مُفردِ بيتٍ مُنْبِئة

بِصريحٍ، وحروفٍ أُعجِمت

وحروفٍ أُهمِلت، مُختبِئة

(عَمَّ حَوْلٌ، وسُرورُ العُرْسِ وَهْـ

ـوَ ثلاثون وألف ومائة)

وأغرب من ذلك كله ما قرأته في كتاب «سلافة العصر» لابن معصوم، المتوفى سنة 1119هـ /1707م، لشاعر مكي اسمه: شهاب الدين، أحمد بن الفضل بن محمد باكثير، المكي، يمدح أمير مكة في زمانه، وكان عليّ بن بركات بن أبي نُمَيّ.

القصيدة مكونة من خمسة وعشرين بيتًا، من البحر البسيط. مجموع حروف كل بيت - في حساب الجُمَّل - يشير إلى سنة نظم القصيدة.

وإذا أخذت الحرف الأول من التفعيلة الأولى في البيت الأول، والحرف الأول من التفعيلة الأولى في البيت الثاني، والتفعيلة الأولى في البيت الثالث، وهكذا إلى آخر الأبيات، رأيت بين يديك بيتًا جديدًا، من بحر الهزج.

ثم إذا فعلت الشيء نفسه في التفعيلة الثانية، من أول الأبيات إلى آخرها عموديًا، خرج معك بيت ثان، ثم من التفعيلة الثالثة بيت ثالث، وهكذا حتى آخر التفعيلات، فيتشكل عندك ثمانية أبيات من بحر الهزج، كل منها لو جمعت حروفه بحساب الجُمّل وجدت التاريخ ذاته.

والآن، خذ الكلمة الأولى من البيت الأول - من بحر الهزج - ثم خذ الحرف الأول من البيت الثاني، والثالث، إلى الأخير. وافعل مثل هذا في الشطر الثاني تجد بيتًا جديدًا قد خرج، يدل على التاريخ نفسه.

وبعد، فقد يقول قائل: إن هذه القصيدة المدحية مركبة، مصطنعة، لا روح فيها، ولا معنى، حتى ولا مديح، وإن هذا العمل لعب ولهو، وتزجية وقت، ولون من ألوان البراعة الفنية في استخدام حساب الجمّل استخدامًا فائقًا.

وهذه القصيدة وأشباهها، من مثل تأريخ عرس حلب، لا تدخل في حساب الأدب، إنما هي نظم لا أكثر، ولا أقل.

وقد يقول الشيء نفسه عن الأبيات السابقة التي حوت الحروف المهملة والمعجمة، أو كانت مدحًا في الطرد، وقدحًا في العكس. وكل ما أشبه هذه الألاعيب بأنه لا فن فيها، ولا قيمة لها.

هذان مثلان، إن لم يكونا متطابقين، فهما - على الأقل - متقاربان.

فالأول - طحالب الصبايا - عبث محض، وسخرية لا مراء فيها، واستهزاء بالناس وبنقاد الفن الذين ينظرون بعيون غيرهم، أو يبصرون بآذانهم.

والثاني - الذي فعله شاعر مكة، أو مؤرخ عرس حلب، أو فنان الأحرف المهملة والمعجمة - صورة من صور العبث، والفراغ، والانحطاط، لا فن فيها، ولا قيمة لها.

تشابه المثلان في المظهر، واختلفا في الحكم... وهذا هو الأمر العجيب.

الأبيات الشعرية «العربية» عبث وانحطاط. أما طحالب الصبايا فهي العبقرية، أو رائعة العصر، أو معجزة الفن الحديث.

ونتساءل، نحن أبناء العربية، عن الأسباب التي دفعت إلى هذين الحكمين المتناقضين لأمرين متماثلين أو متشابهين: أهو الإخلاص للفن والحقيقة، أم هو الكفر الصراح المبين بالفن والحقيقة؟!

لماذا كان إنتاج شاعر مكة، أو حلب انحطاطًا، وإنتاج بيكاسو الغربي ازدهارًا وإبداعًا؟

لماذا رُمي إنتاج مئات السنين من تاريخنا الأدبي بأدب الانحطاط، وانحنى الغرب لطحالب صبايا بيكاسو وأمثاله؟

ليس السبب - في ظننا - هو كثرة ما في هذا الأدب من محسنات، وزخرفات، وألاعيب، وقلة ما فيه من ماء ورواء. وليس مرده - كذلك - إلى روعة ما في الفن الغربي من إبداع وعبقرية، بل إن الأمر لأبعد من ذلك بكثير.

هوية هذا النتاج «عربية» ووراء هذه العربية تكمن روح إسلامية.. أما هوية ذاك فهي «غربية»، ووراء هذه الغربية تكمن روح يهودية صهيونية.

شاعر مكة، أو حلب مسلم، أما راسم طحالب الصبايا فيهودي العقيدة، صهيوني الاتجاه، معاد بالسر والجهر للعروبة والعربية، والإسلام والمسلمين، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً.

لسان المدافعين عن شاعر مكة وإخوانه قصير، أو ضعيف، أو مشلول، أما لسان المدافعين عن الثاني فطويل، وقوي، ومتحدث بكل لغة وبيان.

جنود المثل الإسلامي متخاذلون، مستكينون، وجنود المثل الغربي واليهودي أقوياء، يكتبون، ويذيعون، ويترجمون، ينشرون، ويملؤون الآذان، والأفواه، والعيون، ويسدون الطرقات.

بنت الدار عوراء، أما بنت الجيران فهي الجمال بعينه، ويا ليت الموازنة بين بنت الدار وبنت الجيران، فالمسألة تهون، لكن مع الأسف بين كل ما يفعله المسلم واليهودي في عصرنا الحالي، والمبكي في هذا الموضوع أنك تجد غدًا من يعلل صنيع بيكاسو، ويهاجم شاعر مكة وحلب وابن دينه ووطنه وتاريخه.

تُرى متى تنزاح هذه الغشاوة عن عيوننا؟ ومتى نعدل بين بنت الدار وبنت الجيران؟

الحركة الثقافية في شهر

- سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز يرعى حفل افتتاح مركز الأمير سلمان الاجتماعي
- سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز يرعى حفل افتتاح مكتبة الملك فهد الوطنية
- الأمير خالد الفيصل في مؤتمر صحافي بمناسبة إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية : الجائزة صارت واحدة من الجوائز العالمية الأربع الأكثر شهرة
- المؤتمر السنوي الثالث لجمعية «لسان العرب» يوصي بإنشاء دبلوم متخصص بالتصحيح والمراجعة اللغوية
- إعلان أسماء الفائزين بجائزة الفقي وجوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
- إقامة معارض دولية للكتب في الدوحة وصنعاء وعمان
- معهد العالم العربي في باريس يستضيف معرضًا للطب الإسلامي

خادم الحرمين الشريفين يدعو المفكرين والكتاب للتعريف بنهضة بلادهم



أكد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز أن ثقافة المملكة جزء لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية دينًا وأخلاقًا ومثلاً، كما أنها جزء لا يتجزأ من الحضارة العربية لغة وتاريخًا وتراثًا أدبيًا.

جاء ذلك في كلمة له ـ حفظه الله ـ عن الهوية الثقافية للمجتمع السعودي، ألقاها خلال اجتماع لمجلس الوزراء في منتصف شهر شعبان الماضي، وأشار فيها إلى أن التواصل مع الحضارة الإسلامية والعربية قائم وأبدي بحكم ما توجه به العقيدة الإسلامية السمحة ثم بحكم التاريخ المميز وعمق التراث الأصيل.

ودعا خادم الحرمين الشريفين الكتّاب والأدباء والمفكرين السعوديين إلى الإسهام بنتاجهم في إبراز الجوانب الحضارية التي يحياها المجتمع السعودي في مختلف مرافقه، مشيرًا إلى أن المملكة وهي تخطط للانطلاق بحركة التنمية الشاملة إلى آفاق جديدة، فإنها تخص المجال الثقافي بالقسط الأوفر لأن ثقافتنا نشاط يتوهج يهدف للحفاظ على الهوية.

واستعرض الملك فهد بن عبدالعزيز سياسة الدولة في دعم الثقافة والارتقاء بها، وفي مقدمة ذلك تشجيع الدراسات والبحوث في التراث، ودعم نشاطات تحقيقه، والمبادرة إلى إخراج الموسوعات والمعاجم ودوائر المعارف، وتنشيط حركة الكتاب إنتاجًا وتداولاً، ودعم المؤسسات الثقافية.

بدء الإعداد لإصدار موسوعة الآثار السعودية

بدأت وكالة وزارة المعارف لشؤون الآثار والمتاحف بدعم من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام، في الإعداد لإصدار موسوعة الآثار السعودية، المقرر صدورها في ثلاثة عشر مجلدًا بواقع مجلد لكل منطقة إدارية.

يتناول كل مجلد تاريخ المنطقة وجغرافيتها، وأسماء مواقعها الأثرية، ومناجمها ومعادنها وحصونها وقلاعها، وفنون العمارة بها قديمًا، فضلاً عن عاداتها وتقاليدها ومقتنياتها التراثية ومتاحفها والموروثات الشعبية بها، وغير ذلك من الأمور.

معرض للخط العربي

تقيم الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض معرضًا للخط العربي في المركز الثقافي بحي السفارات في الرياض خلال شهر ذي الحجة المقبل.

يرمي المعرض إلى توضيح تطور الكتابة العربية والخط العربي، عبر عرض نماذج تعود إلى عصور مختلفة بدءًا بالقرن الهجري الأول، وانتهاء بالقرن الثالث عشر للهجرة، أنجزها فنانون عرب ومسلمون.

المسابقة الأدبية لنادي تبوك

أعلن نادي تبوك الأدبي عن فتح باب تلقي المشاركات لمسابقته الأدبية في مجالات: الشعر، والقصة القصيرة، والمقالة.

يُشترط في الإنتاج المقدم ألا يكون قد سبق نشره أو تقديمه لمسابقة أخرى، ويمكن للمتسابق أن يشارك في أكثر من مجال. وبالنسبة للشعر يُشترط أن تكون القصيدة ملتزمة قواعد الشعر أو شعر التفعيلة، وألا تقل عن عشرين بيتًا أو سطرًا شعريًا. وتعالج موضوعًا جادًا في المجالات الإسلامية والاجتماعية والإنسانية والوطنية. ويُشترط في القصة أن تعالج موضوعًا اجتماعيًا أو قضية إنسانية فيما لا يقل عن صفحتي فلوسكاب ولا يزيد على أربع. وتدور المقالة حول

موضوع المواطنة الصالحة فيما لا يقل عن صفحتين ولا يزيد على أربع. وتحددت غرة شهر ذي القعدة المقبل موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات.

المعرض الأول لفن الكاريكاتير

أقيم في قصر الثقافة بحي السفارات بالرياض المعرض الأول لفن الكاريكاتير، الذي نظمته لجنة الفنون التشكيلية بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

استمر المعرض عشرة أيام، وشارك فيه 12 فنانًا سعوديًا من المتخصصين في رسومات الكاريكاتير، منهم: أحمد المغلوث، وصالح البراك، وزكي اليمني، وخالد المطرود، ومحمد الهمزاني، وآخرون.

كتب جديدة

نضرة النعيم.. مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، موسوعة أعدتها مجموعة من العلماء بإشراف فضيلة الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد، وصدرت عن دار الوسيلة للنشر والتوزيع بجدة.

الأدب الأندلسي بين حقيقته ومحاولة اغتياله، تأليف د. عبدالله بن علي بن ثقفان، صدر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» عن مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض.

المسجد الأقصى: أولى القبلتين ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم، صدر عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

القراءة الناقدة في ضوء نظرية النظم، تأليف د. حامد صالح الربيعي، صدر عن معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى في مكة المكرمة.

الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى، تأليف د. مي بنت عبدالعزيز العيسى، صدر عن دارة الملك عبدالعزيز في الرياض، وتكفل بنفقات طباعته صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز.

معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية، إعداد د. سمير عبدالحميد إبراهيم، صدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

البحرين

موقع على «الإنترنت» للشعر العربي

أسست مجلة «النديم» لتقنية المعلومات المتخصصة في الحاسب الآلي موقعًا للشعر العربي على شبكة «الإنترنت» أطلقت عليه اسم «جهة الشعر».

وقال بيان أصدرته المجلة إن الشاعر قاسم حداد تولى الإشراف على فريق العمل في الموقع الذي وُصف بأنه «نافذة نطل منها على الشعر العربي في شتى مراحله وكافة اتجاهاته ومختلف تجاربه ومدارسه».

بأمر سمو ولي العهد:
استحداث جائزة الملك عبدالعزيز الطبية العالمية



في خطوة تعكس اهتمام سموه ورعايته للبحث العلمي، أصدر صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، أمره الكريم باستحداث «جائزة الملك عبدالعزيز العالمية في الطب» بقيمة مليون ونصف المليون ريال.

تشمل الجائزة مجالات: أفضل إنجاز أو بحث طبي سعودي، وأفضل بحث في أمراض البيئة السعودية، وأفضل بحث طبي على مستوى الوطن العربي.

الإمارات

من الكتب الجديدة

الصوت المسافر، مسرحية لهيثم يحيى الخواجة، صدرت عن دار المسار للدراسات والاستشارات والنشر في الشارقة.

غطاء الصمت، تأليف بثينة خضر مكي، صدر عن المطبعة النموذجية.

الكويت

المؤتمر الأول للقرآن الكريم

نظم الصندوق الوقفي للقرآن الكريم وعلومه بأمانة الأوقاف - مؤخرًا - المؤتمر الأول للقرآن الكريم.

شارك في المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام علماء ومسؤولون من مختلف الأقطار العربية والإسلامية، حيث ناقشوا ثلاثة محاور، أولها: تقنين قواعد حفظ القرآن الكريم وبيان أيسر طرقها، والثاني: توثيق المرحلة الحالية من المشروعات والنشاطات القائمة لتحفيظ القرآن الكريم، والثالث: بحث سبل تشجيع الحُفَّاظ وإرشاد المهتمين لخدمة القرآن وعلومه.

الفائزون بجوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

أعلنت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي أسماء الفائزين بجوائزها في مجالاتها المختلفة لعام 1996م.

نال جائزة الكويت في مجال العلوم الأساسية (علم الحشرات): د. الدسوقي أبواليزيد عمار (مصر)، وفي مجال العلوم التطبيقية (معالجة النفايات): د. عاقصة البحري (تونسية)، وفي مجال التراث العلمي العربي والإسلامي (علم الفلك) تقاسم الجائزة كل من: د. جورج صليبا (لبناني) ود. فائز جميل رجب (لبناني)، وحُجبت الجائزة في مجالات: العلوم الاقتصادية والاجتماعية (اقتصاديات البنوك الإسلامية)، والفنون والآداب (دراسات في الموسيقى العربية).

وفاز بجائزة الإنتاج العلمي لعام 1996م في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية: د. ناظم شفيق الغبرا، وفي مجال العلوم الإدارية والاقتصادية: د. محمد عبدالهادي المحميد، والعلوم الطبيعية والرياضية: د. فوزية محمد الرويح، والعلوم الهندسية: د. جمال ناصر يوسف الحجي، والعلوم الطبية والحياتية كل من

إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام 1417هـ.

الأمير خالد الفيصل: الجائزة صارت واحدة من الجوائز العالمية الأربع الأكثر شهرة.

مهاتير لخدمة الإسلام، والعاني للدراسات الإسلامية، وماسترز ورويثر وجوسلا للطب، ووايمان وكورنل للعلوم، وحجب جائزة الأدب العربي.



سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز يترأس لجنة اختيار جائزة الملك فيصل العالمية

أكد صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية أن جائزة الملك فيصل العالمية قد استطاعت بما تتميز به من حياد وحُسن تنظيم أن تصبح واحدة من الجوائز العالمية الأربع الأكثر شهرة في العالم، مشيراً إلى أن هذا قد تحقق بفضل الله ثم بدعم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني.

وأعرب سموه، الذي كان يتحدث في مؤتمر صحافي خلال حفل إعلان أسماء الفائزين بالجائزة في فروعها المختلفة، عن أمله في أن تكون الجائزة بمثابة حافز لمزيد من العطاء والتقدم في أي مجال يخدم البشرية.

واستبعد سمو الأمير خالد الفيصل إمكان إيجاد فرع للجائزة حول براءة الاختراع للسعوديين، مؤكداً عالمية رسالة الجائزة وشموليتها، انطلاقا من كونها تأسست لخدمة البشرية والسلام والعدل.

وتطرق سموه إلى مشروعات مؤسسة الملك فيصل الخيرية مؤكدًا تناميها حسب المعد لها، وإسهاماتها التي لا تنقطع في دعم المراكز الإسلامية، والباحثين المسلمين، وكذا الهيئات والمراكز التي تتبع المؤسسة، مثل مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومدارس الملك فيصل النموذجية، ومجلة «الفيصل»، مشيرًا إلى أن نشاطاتها تزداد من حَسَنٍ إلى أحْسَنَ.

وأعلن الأمين العام للجائزة د. عبدالله العثيمين أسماء الفائزين بالجائزة؛ حيث نالها في خدمة الإسلام دولة رئيس وزراء ماليزيا د. مهاتير بن محمد، لكونه مثلاً حيًّا لقيادة إسلامية واعية تجمع بين تأكيد القيم الجوهرية للإسلام فكرًا وعملاً، واستخدام وسائل النهضة المعاصرة استخدامًا جعل بلاده في طليعة الدول التي تشهد تقدمًا تقنيًا واقتصاديًا رائعًا، واتباعه سياسة أظهرت سماحة الإسلام وعظمة نظرته الشمولية، وكذلك إنشاؤه مؤسسات حضارية إسلامية مهمة، مثل الجامعة الإسلامية الدولية، والبنك الإسلامي، ومركز فهم الإسلام، ومؤسسة التنمية الاقتصادية الإسلامية، كما بذل جهودا في إطار المنظمات الإسلامية للتوفيق بين المسلمين ومساندته للأقليات المسلمة.

ومُنحَ الجائزة في مجال الدراسات الإسلامية في موضوع

محاضرات وندوات

«واقع الإسلام في أمريكا وبشائر المستقبل»، عنوان محاضرة ألقاها في المستشفى السعودي الألماني بجدة د. نهاد عوض.

«حلاوة الإيمان»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع الإمام ابن القيم في مدينة الثقبة بالمنطقة الشرقية الشيخ يوسف بن محمد المطلق.

«الآثار الإسلامية في جبال السروات»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. ناصر بن علي الحارثي.

«فاسكو دي جاما ومرور خمسمئة عام على اكتشاف الطريق إلى الهند بالدوران حول إفريقيا وأهمية ذلك للعالم العربي»، موضوع محاضرة ألقاها في دار الآثار الإسلامية في الكويت د. ج. ل. بندرافسكي.

«الإبداع التشكيلي والمقاومة»، عنوان محاضرة ألقاها في صالة الفنون الجميلة في دمشق د. علي عقلة عرسان.

«حكم القانون العراقي»، موضوع محاضرة ألقاها في قاعة بروناي بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن صباح المختار.

«دراسات في السيرة النبوية»، عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من المعهد العالمي للفكر الإسلامي وجمعية الدراسات والبحوث الإسلامية في عمان د. عبدالجبار أحمد سعيد.

أحيت الشاعرة الكويتية د. سعاد الصباح أمسية شعرية ضمن نشاطات مهرجان القرين الثقافي الثالث بالكويت.

«الأمانات بين القرآن والسنة»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية التربية الأساسية للبنين في العديلية بالكويت د. حماد رضوان.

«قضايا التعريب ودور مجامع اللغة في الدول العربية»، موضوع محاضرة ألقاها في معهد الأبحاث للتعريب في مدينة الرباط بالمغرب د. عبدالعزيز بنعبدالله.

الدراسـات التي تناولت مكانة المرأة في الإسـلام، البحّـاثةُ العـراقيُّ الأستاذ الدكتور عبدالكريم زيدان العاني، تقديرًا لجهوده في هذا المجال، التي تجلت في كتـابه الموسـوعي «المفـصل في أحكام المرأة والبـيت المسلم»، الواقـع في أحد عـشـر جـزءًا والذي نُشـر للمـرة الأولى عـام 1412هـ.

وفـيـمـا حُجبت الجـائـزة في مـجـال الأدب العـربي لكون الترشيحات المقدمة ـ على ما بُذل فيها من جهود ـ لا ترقى إلى المستوى المطلوب، مُنحت الجائزة فـي مجال الطب لبحوث أمراض ضـمـور الجـهـاز العصبي مناصـفـة لكل من الدكـتـورين: كولـن لويس ماسـتـرز (أسترالي) وزميله كونراد باي رويشر (ألماني) من جـهـة، والأستاذ د. جيمس فـرانسس جـوسـلا (كندي) تقـديرًا لتعـاون الأولين الذي أثمر تقدمًا كـبيـرًا في معارف الجزئيات الكيمـاوية لظاهرة النسيج المعتل الأميلودي الذي هو أحـد علامات مرض الخرف (الزهماير)، فيـما نجح الثالث مع فريقـه في معرفة مورثات مـرض هنتجتون، كما اكـتـشف عام 1993م مورثًا أسماه «هنتنج تين».

وفـاز بالجـائزة في مـجال العلوم مـناصفـة كل من الدكـتـورين: كارل وايمان، وإريك كورنل، الأستـاذين بجامـعة كـولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية والمعهد القومي للمعايير والتقانة، تقديرًا لنجاحهما في تحقيق تكاثف تـنبأ بوجوده العالمان بوز وأينشتـاين، بجمعهـما تبريد المادة بالليـزر وبالتبـخير إلى درجة حرارة لـم تبلغهـا من قبل، وقـد حققا هذا التكاثف عام 1995م.

وتقرر أن تكون مـوضوعـات الجائزة في العـام المقبل (1418هـ/ 1998م) كالتالي:

الدراسـات الإسـلامـية: «الدراسـات التي تناولت المكتـبات أو صناعـة الكتـاب عند المسـلمين»، الأدب العـربي: «السـيـرة الذاتيـة عند الأدباء العرب المعـاصـرين»، الطب: «الـتـحكم في الأمـراض المعـدية»، العلوم: «الرياضيات».

(مناصفة): د. كامل عبدالمحسن الرشيد البـدر، ود. سـامي نعـمـة محـمـد اليعقوب.

وحصل على جوائز أحسن بحث في مجال العلوم: د. خليل عبدالله العوضي (كويتي)، د. فيبان باتيا (هندي)، د. سامي أحمد موسى (مصري)، د. أكرم حنفي (مصري)، د. يوسف محمد علي (أردني). وفي مجال الإنسانيات: د. عبدالعزيز صالح الهلابي (سعودي) عن بحثه «نشأة بيت المال في الدولة الإسلامية».

معرض فني جماعي

شارك 45 فنانًا بـ 103 أعمال في المعرض الخاص الثاني والعشرين للفنانين الكويتيين، الذي أقيم برعاية محافظ حولّي في صالة الكويت التابعة لجمعية الفنون التشكيلية الكويتية.

وتميز المعرض بتعدد الأساليب والمذاهب الفنية التي تنتمي إليها اللوحات المشاركة، وتعبيره عن قضايا اجتماعية وسياسية تهم المجتمع.

كتب جديدة

من ثقافة الحرب إلى ثقافة السلام، تأليف مجموعة من الباحثين، صدر عن الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية.

العقد الثمين في تاريخ المسلمين، تأليف د. عبادة كحيلة، صدر عن دار الكتاب الحديث.

الشيفرة الوراثية للإنسان، تأليف دانييل كيفلس، وليروى هود، ترجمه إلى العربية د. أحمد مستجير، وصدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

قطر

معرض الدوحة الدولي للكتاب

استضاف مركز قطر الدولي للمعارض معرض الدوحة الدولي الحادي عشر للكتاب الذي شاركت فيه 439 دار نشر عربية وأجنبية في الثلث الثاني من شهر شعبان الماضي.

ضم المعرض قرابة 29 ألف عنوان عربي وقرابة 3200 عنوان أجنبي وقرابة 3000 عنوان لكتب الأطفال، في شتى المعارف والعلوم،

«القصة القصيرة بين النقاد والمبدعين»، **عنوان محاضرة ألقاها في نادي جازان الأدبي د. عبدالعزيز السبيل.**

«من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الرياض الأدبي د. عبدالله الغذامي.

«مستقبل التربية والتعليم في جدة»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي د. خضر القرشي.

«من إشكاليات النقد الأدبي»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي في بريدة د. محمود زيني.

«الفروق بين مصطلحات: الثقافة والحضارة والمدنية»، موضوع محاضرة ألقتها في المركز الثقافي العربي بدمشق د. ندرة اليازجي.

«الجار: ميناء المدينة النبوية وموطن الحب العذري»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الثقافي الأدبي د. عويد بن عياد المطرفي.

«وادي الباطن: نهر الكويت القديم»، عنوان محاضرة ألقاها في ثانوية عبدالله السالم بحولي في الكويت د. محمد عبدالرحمن الصرعاوي.

«محاسبة النفس»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع الراجحي بحي الربوة في الرياض الشيخ بدر بن سليمان العامر.

«دعوة الإسلام إلى الوحدة»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة الإمام محمد عبده في الأزهر د. أحمد عمر هاشم.

«آثار مكة المكرمة كما يعكسها كتاب أخبار مكة للأزرقي»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الأدبي د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري.

«الدور الثقافي للجامعات»، عنوان ندوة أقيمت بالجامعة الأمريكية في القاهرة، حاضر فيها د. مفيد شهاب.

«الخليج وعملية السلام في الشرق الأوسط»، عنوان محاضرة ألقاها في المجمع الثقافي بأبو ظبي د. محمد مصلح.

«استراتيجية إقليمية شاملة لتحقيق النجاح الصناعي»، عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من جامعة قطر د. عبدالرحمن الجعفري.

سمو النائب الثاني يفتتح

مركز الأمير سلمان الاجتماعي



رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام، في يوم 13 من شهر شعبان الماضي افتتاح مركز الأمير سلمان الاجتماعي؛ الذي أقامه أهالي مدينة الرياض تقديرًا وعرفانًا للأعمال الجليلة والجهود الكبيرة التي يبذلها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض في خدمة الرياض وأهلها.

وأثنى سمو النائب الثاني على ما يقوم به سمو الأمير سلمان من دور في خدمة مدينة الرياض، فقال: «إن الأمير سلمان خير من حكم وجاهد وعمل لمدينة الرياض»، ثم أضاف سموه: «إن ما قام به مؤسس الجزيرة العربية وموحدها الملك عبدالعزيز - رحمة الله عليه - ما قام به إلا لخدمة الإسلام وتحقيق الشريعة السمحة بكل قوة وأنفة واعتزاز، لذلك أرى خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين يبذلان الجهود في خدمة الإسلام والمسلمين في هذه البلاد وخارج هذه البلاد».

وأشار سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز إلى أن التكريم الذي وجده من أهالي منطقة الرياض يضاعف من أعباء مسؤولياته، وقال: «أنا جندي مجند لخدمة العقيدة وهذه البلاد وهذا الشعب التي يرعاها ويسهر عليها ولاة الأمر».

من المعروف أن مركز الأمير سلمان الاجتماعي يُعَدُّ مركزًا متخصصًا يسعى إلى خدمة كبار السن ورعايتهم بأساليب علمية حديثة تتناسب مع القيم الإسلامية، فيقدم لهم برامج علمية وترويحية وعلاجية، وهو مقام على مساحة قدرها 105 آلاف متر مربع.

ويضم عيادة طبية تخصصية في أمراض الكبار، وجناحًا للإسعاف والطوارئ، ومكتبةً علميةً وثقافيةً، وصالونات للمحاضرات، وصالات للتمارين العلاجية والتأهيلية، ومسجدًا، ومنشآت أخرى تلبي حاجات النزلاء والموظفين.

وأقيمت على هامشه ندوات وأمسيات ومحاضرات ثرة ومتنوعة بمشاركة أدباء ومفكرين عرب؛ من أبرزها ندوة «مستقبل الديموقراطية في الوطن العربي» و«الإبداع القصصي في قطر».

اليمن

اكتشاف سور أول ميناء عرفه اليمن

عثر فريق آثاري يمني روسي مشترك على سور ميناء «قنا» القديم الذي يعد أول ميناء عرفه اليمن على ساحل المحيط الهندي في القرون الأولى للميلاد.

كما اكتُشفت البوابة الرئيسة للسور، الذي كان يشكل جزءًا من العمارة العسكرية الدفاعية القديمة.

من ناحية ثانية اكتشفت بعثة آثارية فرنسية مقبرة صخرية تضم خمسين مومياء محنطة في موقع أثري بمحافظة المحويت شمال غربي صنعاء، ويجري حاليًا دراستها وتحليلها لمعرفة حقبتها الزمنية.

معرض صنعاء الدولي للكتاب

شاركت 76 دار نشر عربية وأجنبية بنحو 120 ألف عنوان في معرض صنعاء الدولي للكتاب الذي اختتم أعماله في شهر شعبان الماضي.

وحقق المعرض إقبالاً جماهيريًا تمثل في قرابة 20 ألف زائر يوميًا، وحظيت المراجع الأكاديمية وكتب الأطفال بالنصيب الأوفر من اهتمام الزائرين، فضلاً عن النشاطات الثقافية المصاحبة، التي شارك فيها مفكرون عرب وأجانب.

من الكتب الجديدة

شبوة: عاصمة حضرموت القديمة، إعداد د. عزت علي عقيل، و د. جان فرانسوا بريتون، صدر عن المركز الفرنسي للدراسات اليمنية في صنعاء.

مصر

المطالبة بتأسيس صندوق عربي لتنمية الحرَف التقليدية

طالبت ندوة الحرَف العربية التقليدية في ختام اجتماعها بالقاهرة بتأسيس صندوق عربي لتنمية الحرف التقليدية، تتكون موارده من اكتتابات الأقطار العربية الأعضاء فيه والتبرعات والمنح والقروض من الأسواق المالية العربية والأجنبية.

وأوصت الندوة بتكثيف مراكز التدريب العربية لتوسيع القاعدة الحرفية وتأسيس أجيال جديدة من الحرفيين العرب تستوعب البعدين النظري والتطبيقي، وحثت الحكومات العربية على إصدار تشريعات تخصص بموجبها نسبة مئوية مناسبة في كلفة المنشآت العامة في كل دولة لإدماج منتجات الحرف التقليدية أو تقنياتها في المشروعات العامة، وإنشاء متحف ومدينة للفنون والحرف الشعبية، وحصر الدراسات التي تمت عن هذه الحرف.

يُذكر أن الندوة استمرت يومين بمشاركة ممثلي ثماني دول عربية، هي: مصر، وسورية، ولبنان، وفلسطين، وليبيا، واليمن، والمغرب، وتونس.

ندوة احتفالية بمصطفى عبدالرازق

تقيم لجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى للثقافة ندوة عربية احتفاء بالشيخ مصطفى عبدالرازق

الأمير سلمان يفتتح

مكتبة الملك فهد الوطنية



رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض حفل افتتاح مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض بحضور عدد من كبار المسؤولين ونخبة من الأدباء والمفكرين والمثقفين ورجال الإعلام.

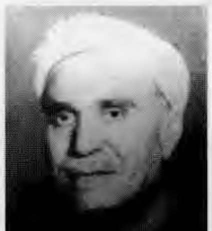
وأقيمت المكتبة بالجهد الذاتي حيث تبرع رجال الأعمال والمواطنون بنحو أربعين مليون ريال لإنشائها، وأضاف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز إلى هذا التبرع أربعين مليونا أخرى من ماله الخاص.

وتبلغ مساحة المكتبة 58 ألف متر مربع، ويتكون مبناها الذي يعد تحفة معمارية من ثلاثة طوابق فضلاً عن الدور الأرضي وتعلوه قبة سماوية، ويتضمن تسع قاعات لأوعية المعلومات، ونصف مليون وعاء للمعلومات، ومليون وثيقة تاريخية، ونحو أربعين ألف مطبوعة، وأكثر من مائة ألف مادة لها صلة بالمملكة، وأعدت لتستقبل كل عام أربعة آلاف كتاب جديد.

إضافة إلى ذلك تحتوي المكتبة على معرض دائم للكتاب الحديث، وتقتني مسكوكات عربية يصل عددها إلى 34 ألف مسكوكة، و850 خريطة وصورة قديمة وطابع، ومجموعة من المصورات الميكروفيلمية لـ 25 ألف كتاب ومجلة ومخطوطة، إضافة إلى 1700 مادة معلومات سمعية بصرية.

وتناط بالمكتبة أيضا مهمة النشر، وقد أصدرت الببليوجرافيا الوطنية على قرص مدمج.

[لمزيد من المعلومات عن المكتبة: طالع باطن الغلاف الأخير لهذا العدد].



الشيخ مصطفى عبد الرازق

بوصفه أحد رواد الدراسات والفلسفة الإسلامية خلال يومي 14، 15شوال الجاري (22- 23 فبراير 1997م).

والشيخ مصطفى عبدالرازق (1885-1947م) مفكر وأديب وعالم بأصول الفقه، نشأ في بيت علم وفضل، وكان والده صديقًا للشيخ محمد عبده، وعلى يد الأخير تعلم مصطفى، ودرس بالأزهر ونال درجة العالمية، كما درس بالجامعة المصرية، وسافر إلى فرنسا لدراسة الفلسفة والاجتماع والآداب، ونال درجة الدكتوراه عن رسالته «الإمام الشافعي أكبر مشرعي الإسلام». وحين عاد إلى مصر عمل في عدة وظائف حكومية ثم أستاذًا للفلسفة بالجامعة المصرية عام 1927م، حتى اختير عام 1938م وزيراً للأوقاف، ثم شيخًا للجامع الأزهر عام 1945م وظل في هذا المنصب حتى وفاته.

وله مؤلفات عدة نذكر منها: «البهاء زهير»، «تمهيد تاريخ الفلسفة الإسلامية»، «الإمام الشافعي»، «فيلسوف العرب والمعلم الثاني»، «الدين والوحي والإسلام» ومؤلفات أخرى إضافة إلى مقالاته في الصحف والمجلات.

توصية بإنشاء دبلوم للتصحيح والمراجعة اللغوية

طالب المؤتمر السنوي الثالث لجمعية «لسان العرب» في ختام اجتماعاته بالقاهرة برئاسة د. شوقي ضيف بإنشاء دبلوم متخصص بعد درجة الليسانس في التصحيح والمراجعة العربية اللغوية، وأن يستند الجهد المبذول لتعميم استخدام اللغة العربية في الحياة العملية والعلمية إلى خطة مستقبلية تشترك في وضعها الهيئات الحكومية والأهلية المعنية باللغة العربية.

وشدد المؤتمر على أهمية تأهيل المعلم وتعريب العلوم في الجامعات العربية، وتحديث طرائق تدريس اللغة العربية، والتمسك بقرارات مجامع اللغة العربية بتيسير تعليمها.

يذكر أن المؤتمر شارك فيه 150 متخصصًا باللغة العربية، وناقش عشرين بحثًا تناولت محاور مختلفة.

متحف جديد للفن المصري

تقرر إنشاء متحف جديد للفن المصري القديم والمعاصر على مساحة ثلاثة آلاف متر على كورنيش النيل بمدينة الأقصر المشهورة بالآثار الفرعونية.

يرمي المتحف الذي يموله صندوق التنمية الثقافية إلى تمكين السياح من مشاهدة تراث مصر القديم والتعرف إلى فنونها المعاصرة، حيث يشمل عرض نماذج أثرية من عصور مختلفة، إضافة إلى معارض للفن الحديث، وقاعات محاضرات.

عبده بدوي وفاطمة طحطح يفوزان بجائزة الفقي



د. عبده بدوي

أعلنت - مؤخراً - أسماء الفائزين بجائزة شاعر مكة الكبير محمد حسن فقي في دورتها الثالثة في مجال الإبداع الشعري ونقده.

نال جائزة الإبداع الشعري الشاعر المصري د. عبده بدوي عن ديوانه «دقات فوق الليل»، وحصلت على جائزة نقد الشعر الناقدة المغربية د. فاطمة طحطح، الأستاذه بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس عن كتابها «الغربة والحنين في الشعر الأندلسي».

موسوعة للتاريخ الإسلامي

شارك عشرون عالمًا ومتخصصًا في وضع أحدث موسوعة مصورة للتاريخ الإسلامي تتكون من تسعة مجلدات.

أشرف على الموسوعة التي تحمل اسم «موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي» الباحث د. حسن الشافعي، وتتناول تاريخ الإسلام والمسلمين منذ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إلغاء

الخلافة العثمانية عام 1924م، مبرزة الجوانب الحضارية لمسيرة الإسلام، وإسهامات المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية.

رابطة للآثاريين

يُعد حاليًا لتأسيس أول رابطة للآثاريين والعاملين في مجالات الآثار، بغية تقديم دراسات تخدم علم الآثار وتدعم البحث العلمي في هذا المجال، فضلاً عن تبادل المعلومات والخبرات بين الأعضاء، وتوعية المواطنين بأهمية الحفاظ على آثارهم وتراثهم.

يُنتظر أن يبلغ عدد أعضاء الرابطة حين تستوفي الشروط النظامية لقيامها نحو ألف وخمسمئة عضو.

وفاة حافظ محمود وعبدالله أحمد عبدالله

غيب الموت اثنين من رواد الكلمة، أولهما شيخ الصحافيين حافظ محمود (90 عامًا)، وثانيهما الناقد الفني الشاعر الغنائي عبدالله أحمد عبدالله الشهير بـ «ميكي ماوس» (77عامًا).

يُعدّ حافظ محمود أحد أبرز مؤسسي نقابة الصحافيين المصرية، وتولى منصب سكرتيرها العام عقب صدور قانون إنشائها عام 1940م، ثم أصبح وكيلاً لها بين عامي 1945 - 1952م، وانتُخب نقيبًا لها عام 1964م مدة ثلاث سنوات، كما اختير عام 1966م نائبًا لرئيس المؤتمر العالمي للصحافيين في براغ.

وهو حاصل على ليسانس الآداب 1929م، وترأس تحرير صحيفة «السياسة» اليومية عام 1944م، ثم جريدة «القاهرة» 1953م، كما عمل في جريدة «الجمهورية» منذ 1960م حتى وفاته، فضلاً عن عضويته في المجلس الأعلى للصحافة، والمجلس الأعلى للثقافة، وتمثيله بلاده في مؤتمرات عدة، وحصل على أوسمة ونياشين، منها: وسام «جوقة الشرف» من اليونان، ووسام «مأرب» من اليمن، ووسام «الجمهورية» من مصر 1981م.

وله عدد من المؤلفات، منها: «طلعت حرب»، «المعارك الأدبية»، «مذكرات منسية»، «أسرار الماضي»، «الإعلام الصهيوني»، «القاهرة بين جيلين» ومؤلفات أخرى.

أما عبدالله أحمد عبدالله، فهو حاصل على الشهادة التوجيهية (الثانوية العامة حاليا)، ودخل مجال الفن عام 1934م، وكتب سيناريوهات عدة أفلام، كما اشترك في إصدار عشرات المجلات والصحف الضاحكة ورأس تحرير بعضها؛ لعل أشهرها: «البعكوكة» و«الصرخة» و«البعكوكة الجديدة» وله نحو 30 كتابًا، إضافة إلى مئات المقالات.

جائزة معهد المخطوطات لـ «بغداد»

مُنحت الباحثة السورية بغداد عبدالمنعم جائزة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة لتحقيق التراث لعام 1996م.

وقد فازت الباحثة بالجائزة عن تحقيقها مخطوطة «أنباط المياه الخافية» لمؤلفه أبي بكر حسن الكرمي الذي عاش في زمن الدولة البويهية.

كتب جديدة

قواعد الشعر، تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، شرحه وعلق عليه د. محمد عبدالمنعم خفاجي، وصدر عن الدار المصرية اللبنانية (وتُعدّ هذه أول طبعة عربية للكتاب الذي طُبع للمرة الأولى في ليدن عام 1890م).

معجم تفسير الأحلام في ضوء علم النفس الحديث، تأليف توم شيتوايند، ترجمه إلى العربية أحمد عمر شاهين، وصدر عن دار شرقيات.

صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين ودور الحضارة الإسلامية في هذا الصراع، تأليف د. أحمد شلبي، صدر عن مكتبة النهضة المصرية.

الدعاء إلى الله، تأليف د. عبدالمنعم الحفني، صدر عن مكتبة مدبولي.

ليكن، مجموعة شعرية لهدى حسين.

درب العسكر، شغل أراجوزات، مسرحيتان لمحسن مصيلحي.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة ضمن سلسلة الكتاب الأول عن المجلس الأعلى للثقافة.

رسائل جامعية

«تحليل الطلب والاستهلاك الأسري لبعض السلع الاستهلاكية وأثره على تخطيط التنمية الاقتصادية.. دراسة ميدانية بمكة المكرمة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الاقتصاد المنزلي بمكة، تقدمت بها أميرة أحمد سالم بالخبور.

«مصداقية الصحافة المصرية القومية والحزبية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة جنوب الوادي المصرية، تقدمت بها عزة عبدالعزيز.

«برنامج النشر في دار الكتب الوطنية ودوره في خدمة أهداف المكتبة الوطنية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة فرع بني سويف، تقدمت بها علياء محمد إمام.

«مشكلات ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة الهوسا»، عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في معهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة، تقدم بها مجدي زيادة.

«الأسلوب الحر المباشر في رواية مدام بوفاري لفلوبير»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها هالة منصور العيسوي.

«الحب الإلهي بين ابن عربي وابن الفارض»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها محمد محمد جاهين.

«دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها مصطفى صلاح قطب.

«الحروب العربية وأثرها في الرواية المصرية في الفترة من 1965- 1975م»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدمت بها غادة محمد عفيفي.

«حركة النشر في الأندية الأدبية الثقافية.. دراسة وتحليل»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، تقدم بها فهد ساعاتي علي.

«الصيرفي وآراؤه الأصولية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم علوم الفقه بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها أحمد بن جاسم بن خلف الراشد.

«تفسير البسيط للواحدي من أول تفسير سورة الزمر إلى نهاية تفسير سورة

التصنيف العملي والتكشيف، تأليف د. عبدالوهاب أبو النور، صدر عن عالم الكتب.

عقول للبيع، مسرحية لفتحي سلامة.

رسائل يحيى حقي إلى ابنته، أعدتها للنشر نُهى يحيى حقي، وإبراهيم عبدالعزيز.

صدر الكتابان السابقان عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أفكار لم تُنشر، تأليف د. عاصم الدسوقي، صدر عن دار الثقافة الجديدة.

الميتافيزيقا في فلسفة ابن طفيل، تأليف د. عاطف العراقي، صدر عن دار المعارف.

حوارات القدس، حوارات مع سياسيين فلسطينيين وإسرائيليين كتبها عمادالدين أديب، وصدرت ضمن سلسلة «كتاب اليوم» عن دار أخبار اليوم للصحافة والنشر.

ليالي دمشق، مجموعة قصصية لرفيق الشامي، صدرت باللغة الإنجليزية عن قسم النشر بالجامعة الأمريكية.

لبنان

كتب جديدة

ديوان المهلهل، تحقيق أنطوان محسن القوّال، صدر عن دار الجيل في بيروت.

منهاج السلامة في ميزان القيامة، تأليف ابن ناصرالدين الدمشقي، تحقيق مشعل المطيري، صدر عن دار ابن حزم.

الوطن الإسلامي بين السلاجقة والصليبيين، تأليف حسن الأمين، صدر عن دار الغدير.

جراحة لتجميل الزمن، مجموعة قصصية لديزي الأمير، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الدولة الفلسطينية ومشاريع الاستيطان، تأليف عبده معروف، صدر عن مؤسسة دار الكتاب الحديث.

ليلة القبض على الصحافي، رواية لنبيل خوري، صدرت عن دار رياض الريس للنشر.

الأردن

المعرض الأول لكتب الأطفال

تنظم دار البشير للنشر والتوزيع بالتعاون مع مؤسسة نور الحسين واتحاد الناشرين العرب معرض عَمَّان الدولي الأول لكتب الأطفال خلال شهر ذي الحجة المقبل.

وقد وُجِّهت الدعوات لدور نشر عربية وأجنبية للمشاركة في المعرض الذي تقام على هامشه ندوات ومحاضرات ونشاطات ثقافية متنوعة يشارك فيها مهتمون بأدب الطفل من مختلف بلدان العالم.

جمعية لعلم الاجتماع

تأسست - مؤخرًا - في عَمَّان «الجمعية الأردنية لعلم الاجتماع»، وانتُخب د. إبراهيم عثمان رئيسًا لها.

ترمي الجمعية إلى دعم الدراسات والترجمات والبحوث في مجال علم الاجتماع، وتنظيم المهنة وتطوير أخلاقياتها، وتطوير علم الاجتماع العربي عبر دراسة الواقع، وتنظيم المؤتمرات والندوات العلمية في مجال علم الاجتماع.

من الكتب الجديدة

عندما تصبح الذاكرة وطنًا، مجموعة قصصية لهند أبي الشعر، صدرت عن وزارة الثقافة.

سورية

ندوة الزخرفة الإسلامية تدحض مزاعم المستشرقين

دحض المشاركون في أعمال الندوة الدولية الأولى للفنون الزخرفية الإسلامية (الأرابيسك) في ختام اجتماعات الندوة بدمشق مزاعم بعض

الحجرات: دراسة وتحقيقًا»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها علي بن عمر السحيباني.

«أسلوب سي بي ستو الإبداعي وسماته اللغوية» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدمت بها هبة فرج الدري.

«موقف ابن تيمية من مشكلة الوحي والنبوة في التصوف الإسلامي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية البنات بجامعة عين شمس، تقدمت بها سمية محمد.

«التوجيه الأيديولوجي وأثره على الثقافة السياسية بين الفكر الشمولي والفكر الديموقراطي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدمت بها سهير عبدالسلام حنفي.

«السياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي في الفترة بين 1945و 1973م»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق في مصر، تقدمت بها منى سحيم آل ثاني.

«الذات في أدب براين مور» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها هالة أحمد زكي.

«دور الاستعراض التحليلي في زيادة فعالية المراجعة الاختيارية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التجارة الخارجية بجامعة حلوان المصرية، تقدمت بها جيهان طه خليل.

«المدارس المملوكية في طرابلس الشام وتطورها»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدم بها إبراهيم محمد أبو طاحون.

«تطور النظام السياسي المصري ما بين 1952- 1987م»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة السوربون في باريس، تقدم بها محمد عرور.

«قضايا ومبادرات التعاون مع دول البحر المتوسط»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها أسامة فاروق مخيمر.

«الاغتراب في شعر روبرت فروست»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدم بها أمير شبل الكومي.

المستشرقين بأن الزخرفة الإسلامية نتجت عن انتقال هذه المهارات إلى الشرق المسلم بعد ولادتها في الغرب، حيث أكدوا أن عديداً من البلدان العربية قد عرفت هذا الفن منذ أقدم العصور، فسورية - على سبيل المثال - عرفته منذ عشر آلاف سنة، وتشهد بذلك تلك النقوش والزخارف التي عُثر عليها.

وأوصت الندوة بإنشاء مركز دولي لتدريب حرفيي العالم الإسلامي، والعمل على تأسيس صندوق دولي لتمويل هذا المركز، وتوصيات أخرى انتهى إليها المشاركون بعد 16جلسة عمل توزعت على ستة أيام.

اكتشاف ألواح صخرية تحمل إشارات ورسوماً

عُثر في منطقة جفر الأحمر على ضفاف نهر الفرات الأوسط على أربعة ألواح حجرية منقوش عليها إشارات مجردة ورسوم مبسطة يعود تاريخها إلى الألف التاسع قبل الميلاد.

ويعتقد الآثاريون أن هذه الألواح قد تسهم في تحديد تاريخ بدء معرفة البشرية للكتابة، حيث يرون أن الدمج بين الإشارات والرسوم يحمل لغة تدل على أن الناس كانوا قد بدؤوا يحاولون الاتصال فيما بينهم بواسطة الاشارات المعتبرة.

كتب جديدة

الحداثة، تأليف مالكوم برادبري وآخرين، ترجمه إلى العربية مؤيد فوزي حسن، وصدر عن مركز الإنماء الحضاري في حلب.

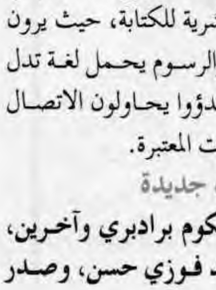
المجتمع المدني: مفهوماً وإشكالية، تأليف محمد جمال باروت، صدر عن دار الصداقة.

دمشق: تراثها ومعالمها التاريخية، تأليف عبدالقادرالريحاوي، صدر عن دار البشائر في دمشق.

تونس

جائزة الشابي للغزي

مُنح الشاعر التونسي محمد الغزي جائزة أبي القاسم الشابي التي يقدمها البنك التونسي عن ديوانه «كثير هذا



أبو القاسم الشابي

القليل الذي أخذت».

وجاء اختيار ديوان الغزي من بين أربع وستين مجموعة شعرية تقدم أصحابها لنيل الجائزة.

المغرب

متحف لفنون النقش على الخشب

يُعدُّ حاليًا لتأسيس متحف خاص بفنون الخشب يلحق بفندق «النجارين» التاريخي أحد مآثر وسط مدينة فاس والمكون من ثلاثة طوابق تضم 33 غرفة.

ويُنتظر أن يُفتتح المتحف خلال شهر محرم 1418هـ؛ بحيث يضم قاعات دائمة للعرض وأخرى مؤقتة، ومعملاً لترميم المآثر الخشبية، ومكتبة ومختبراً للصور.

يُذكر أن فندق النجارين بُني في عام 1711م، وقد تم ترميمه بتكلفة 15 مليون درهم، ويرجع اهتمام المغاربة بفن النقش على الخشب لكون 50٪ من تراثهم منقوش عليه.

«صحتي»

هذا هو اسم أحدث مجلة صحية شهرية متخصصة تعنى بالقضايا الصحية والطبية صدر عددها الأول مؤخراً.

يرأس تحرير المجلة د. محمود العاني، وتضمنت موضوعات صحية وأخرى لتوعية الأسرة والمجتمع، ولقاءات مع أطباء اختصاصيين.

كتب جديدة

جنوب الروح، رواية لمحمد الأشعري، صدرت عن منشورات الرابطة المحمدية.

هكذا كلمني البحر، ثلاث مجموعات شعرية للشاعر أحمد الطريق، صدرت في كتاب واحد عن منشورات مطبعة النجاح بالدار البيضاء.

مفهوم التعايش في الإسلام، تأليف عباس الجراري، تقديم د. عبدالعزيز عثمان التويجري، صدر باللغات: العربية والفرنسية والإنجليزية في مجلد واحد عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في الرباط.

من شرفة العين، تأليف إدريس الخوري، صدر عن شركة طوب للاستثمار.

الضريح الآخر (سيرة ذاتية) تأليف عبدالغني أبو العزم، صدر عن مؤسسة الغني للنشر.

الجزائر

خطوة نحو التعريب

اتخذ المجلس الوطني الانتقالي (البرلمان) خطوة جديدة نحو إقرار التعريب، حين فتح باب النقاش حول رفع تجميد قانون التعريب، والمصادقة على اعتماده اعتباراً من عام 1998م المقبل.

ويبدأ من التاريخ المذكور استعمال اللغة العربية في المراسلات والإدارات الحكومية، على أن يبدأ في عام 2000م تعريب الشُّعب العلمية في الجامعات الجزائرية.

تركيا

فهرس للمخطوطات الإسلامية في قبرص

صدر عن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في اسطنبول فهرس للمخطوطات الإسلامية في قبرص يضم التراث الإسلامي المكتوب المحفوظ حاليا في مكتبات شمالي قبرص وخزانات محفوظاتها، والأرشيف الوطني ومسجد السلطان محمد الثاني ومسجد السليمانية.

صدر الفهرس بالتعاون بين مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في اسطنبول والأرشيف الوطني في تركيا، ومركز الأبحاث في شمالي قبرص.

بريطانيا

وفاة شاعر وصحافي سوداني

نعت الجالية السودانية في بريطانيا الشاعر والصحافي السوداني حسين عثمان منصور الذي وافاه الأجل في نهاية شهر شعبان الماضي.

ومنصور هو مؤسس ورئيس تحرير مجلة «الصباح الجديد».

أحدث الكتب

التاريخ والدولة بين ابن خلدون وهيجل، تأليف حسين هنداوي، صدر عن دار الساقي في لندن وبيروت.

قاموس الفن، 34 مجلدا، شارك في إعداده 6700 باحث من 130 بلداً في العالم.

قاموس الشرق الأوسط، تأليف ديليب هيرو.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر ماكميلان.

قوى وتوقعات، تأليف نعوم تشومسكي، صدر عن دار نشر بلوتو برس.

القرآن وتفاسيره، تأليف هلموت غاتية، ترجمه إلى الإنجليزية الفورد وبلش، وصدر عن وان ورلد أكسفورد.

البرتغال

أكاديمية للدراسات العربية - الأيبيرية

تأسست - مؤخرًا - في لشبونة أكاديمية للدراسات العربية - الأيبيرية، بغية تأكيد الصلة الثقافية والحضارية بين العرب والبرتغال، من خلال الدراسات العلمية الجادة، والعمل على تقويتها.

واختير رئيس البرتغال السابق ماريو سواريز رئيسًا شرفيًا للأكاديمية، والسفير المصري في لشبونة خيرت راضي، نائبًا للرئيس.

الفلبين

أول إذاعة إسلامية

تأسست - مؤخرًا - بمشاركة من عدة لجان إسلامية خيرية، أول إذاعة إسلامية تبث من الفلبين بقوة تصل إلى عشرة آلاف كيلو هيرتز.

تبث الإذاعة الوليدة برامج إسلامية متنوعة وشاملة، كما تضم قسمًا خاصًا باللغة العربية الفصحى.

السويد

من أحدث الكتب

شرّفنا لنخطف أنفاسك (تقاسيم على وتر منفرد) تأليف يوسف سلامة، صدر عن دار نلسن.

روايات رومانسي مصري: يوسف السباعي، تحليل لروايات السباعي كتبته المستشرقة د. جايل رامزي، وصدر عن قسم اللغة العربية في معهد اللغات الشرقية بجامعة استوكهولم.

فرنسا

معرض للطب العربي الإسلامي

يستضيف معهد العالم العربي في باريس - حاليًا - معرضًا بعنوان «الطب في زمن الخلفاء» يلقي ضوءاً على الطب العربي والإسلامي الذي ازدهر خلال حقبة من حقب الخلافة الإسلامية وتحديدًا بين القرنين التاسع والثالث عشر الميلاديين.

يضم المعرض مخطوطات للطب الإسلامي، ونماذج من الأدوات التي كان المسلمون يستخدمونها في التطبيق، ونماذج من الأدوية التي كانوا يستخدمونها - آنذاك -.

مكتبة جديدة تساوي 4 ناطحات سحاب

عاشت فرنسا حدثًا ثقافيًا كبيرًا بافتتاح رئيسها جاك شيراك - مؤخرًا - مكتبة فرنسا الكبرى التي تحمل اسم الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران، وتتكون من أربع ناطحات سحاب زجاجية وسط حديقة شاسعة من أشجار الصنوبر، وتطل على نهر السين.

وتعد المكتبة من أكبر مكتبات العالم حيث يخطط لأن تستوعب قبل حلول عام 2000م ما يزيد على عشرة ملايين كتاب، وأربعين ألف صورة، وثلاثمئة ساعة فيلمية. وقد تكلفت عملية إنشائها نحو مليار ونصف المليار دولار أمريكي.

يُذكر أن المكتبة تعد لأن تحل محل المكتبة الوطنية القديمة المسماة «مكتبة ريشليو»، وكان الرئيس السابق فرانسوا ميتران صاحب الفضل في وضع حجر أساس هذا العمل الكبير.

أحدث الكتب

تحديات العولمة، تأليف سمير أمين، صدر عن دار نشر هارتمان في باريس.

الإنسانية المفقودة، تأليف آلان فنكلكرو، صدر عن دار نشر سول.

الثقافة وجوانبها المتعددة، تأليف جاك ديمورجون، صدر عن دار نشر انتربرس.

الأسير، تأليف فاكهار زمان، صدر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو).

حبات النفتالين، رواية لعالية ممدوح، صدرت ضمن سلسلة «عوالم عربية» عن دار نشر اكت سود.

زبد البحور، ديوان شعر لمحمد الرفرافي، صدر عن منشورات لارمتان.

الولايات المتحدة

مستقبل الكتاب الإلكتروني

ناقشت جمعية اللغات الحديثة خلال اجتماعها السنوي في شهر شعبان الماضي بمشاركة أكاديميين وشعراء وروائيين مستقبل الكتاب المطبوع وآفاق تطور القصيدة والرواية الإلكترونية ومستقبل الكتاب الإلكتروني.

أتى الاجتماع في إطار تزايد الاهتمام بالكتاب الإلكتروني، الذي يتيح للمتلقي إمكان مشاهدة صورة المبدع وعقد موازنات بين قصائد أو روايات مشابهة على صفحة واحدة.

اليونان

اكتشاف معهد أرسطو

اكتشف فريق آثاري يوناني في وسط أثينا بقايا المعهد الذي كان الفيلسوف الإغريقي الشهير أرسطو قد بدأ التدريس فيه عام 335 قبل الميلاد، مُسْدلاً بذلك الستار على عمليات بحث عن المعهد دامت 150 عامًا.

ويعد هذا المعهد واحدًا من ثلاث مدارس فلسفية كبرى في تاريخ الإغريق، وقد ظل أرسطو الذي أُطلق عليه اسم « أبو المنطق» يدرّس فيه مدة اثني عشر عامًا.

الدانمارك

جائزة لأديب نمساوي

مُنح الأديب النمساوي كريستوف رانسماير جائزة أريستوين الأدبية الدانماركية عن روايته «موريوس كتباهارا».

يتناول العمل الفائز الظروف التي سادت العالم في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

دراسات في الأدب السعودي:

تأملات في ديوان «الثرى والثريا»

د. ربيع محمد عبدالعزيز

يقع ديوان «الثرى والثريا» في نحو خمس وخمسين ومئة صفحة من القطع الصغير. ويضم تسعًا وثلاثين قصيدة، أكثرها على الشكل الخليلي، والقليل منها جاء على الشكل التفعيلي. هذا إضافة إلى تمثيلية شعرية استوحاها الشاعر من التاريخ، وألحقها بقصائد الديوان.

أما صاحب «الثرى والثريا» فهو الشاعر السعودي عبدالله محمد جبر، الذي يعشق الكلمة الشاعرة، ويثق بدور الفن في تربية الأذواق، وفي إرهاف الأحاسيس، وتخفيف آلام الإنسان، وملء نفوس البشر تفاؤلاً وحبورًا. وهذا ما يلوح من قصائده: فيروز، الشعر والشعراء، الخامس، وأخيرًا قصيدته: إلى عبقرية الغناء والأداء محمد عبده، والتي نقتبس منها قوله «الديوان ص 60»:

ورحت تزرع في ليلاتنا فرحا
وتصرع الهمّ من أقسى مآسيها
وتلك مقدرة الفنان من قِدَمٍ
يجني لأمته شهدًا ويرويها
ويعزف الحلم في أسماعها نغمًا
حتى يعب من الأفراح صاديها

وتعكس قصائد الديوان وعي الشاعر عبدالله جبر خطورة أدواء الاجتماع، التي ما إن تصيب الإنسان حتى تبعده من شرف الإنسانية، يقول «ص67»:

حيوان هذي الأرض أكرم عيشة
إذ ليس ينطق بالنفاق ويفخر

وكما يحمل الشاعر على النفاق وينفر من المنافقين، يأسى لأولئك الذي أتملتهم الأموال، فظنوا أنهم بأموالهم مخلّدون، وفاتهم أن المال وحده لا يحقق للإنسان ذكرًا، وإنّما تُخَلّدُ ذاكرة البشرية أولئك الذين سخّروا أموالهم لصنع الخير والهناءة على الأرض. لنستمع إلى قول عبدالله جبر «الديوان ص32»:

يا أيها الرجل المدل بماله
المال ينفد والمناقب تُذكرُ

ويسري في أوصال بعض القصائد حِسٌ وطني وقومي أصيل، يظهر هذا واضحًا في قصائد: فيروز، عصور انتقال، غادة الألمان، ثم لويس عوض. ومن دلائل حسّه الوطني أنه مشغوف بمكة، لا تفارقه صورتها إذا حلّ أو ارتحل، وهو يُحسّ إحساسًا قويًا أنه بمكة كثير، حتى ولو ظنه الغرباء وحيدًا، أصداء هذا تلوح في قوله «ص46»:

نزيلة قلبي ما شقيت بحاسد
عليها ولا خادعت عين رقيب
فكيف رأوني في الموانئ واحدًا
وفي خافقي معشوقة لشعوب
يناجونها خمسًا فإن فاض وجدهم
أتوها نشاوى أنفسٍ وقلوب
ستغرب آلاف المشاعل في الدنى
ويبقى سناها الطُهْر دون غروب

وأما قصيدته «غادة الألمان» فهي فواحة بعبق انتمائه الإسلامي والعربي، وها هو ذا يرفع عقيرته مباهيًا بأجداده «ص74- 75»:

أوَ لَسْتُ من نسل الذين تسلقوا
عالي الذرى من قمة الحدثان
الخاطبين المجد بالسُّمر القنا
والراكضين فوارس الميدان

ثم يأخذ في تعديد مآثر الأجداد وكيف سادوا أمم الدنيا، لكنه يضع أيدينا على مواطن الداء الذي أصاب الأجداد، وزحزحهم عن موقعهم الرائد بين غيرهم من الأمم «ص75»:

لكنّ قومي بالحلوم تميزوا
وتملكوا الأوطان بالإحسان
لم يخفروا بالعهد ساعة مجدهم
كلا ولا بطروا على الجيران
الحاملين الشهبَ في داجي الدنا
والفاتحين الأرض بالفرقان
سادوا وشادوا ثم أدبر عزمهم
لما تولّوا عن هدى الرحمن

ويعمد الشاعر إلى أسلوب المفارقة لكي يعرّي مثالب الأحفاد، ولكي يعمق إحساسنا بما نحن فيه من أرزاء، وبما أصابنا من فتن، لا تمت إلى ديننا أو قيمنا بصلة. وتحقيقًا لهذه الغاية يستدعي عبدالله جبر شخصية تراثية ترتبط في أذهاننا بالمجد العربي، هي شخصية أبي الطيب المتنبي التي بثها الشاعر أشجان العرب، وعكس من خلالها مرارة الواقع الراهن، بل لعله كان يحسّ بما سيحل بالعرب في الثاني من آب/أغسطس المشؤوم. يقول «ص83»:



عبدالله محمد جبر

أيا متنبي... طلبت المحال
يريق الشقيق دماء الشقيق
على اسم القضية واسم النضال
وتبكي القضية بين الرجال
هوان العقول وقبح الفعال
وخلف الدروب تجوس الصلال
تمد حلاقيمها في التلال
لِهَتْك النساء وقَتْل الرجال
وذَبْحَ الطفولة ذَبْحَ السِّخال

وينحو عدد من قصائد الديوان نحوًا رومانسيًا؛ حيث تطالعنا روح القلق والحيرة، والنفور من عالم الواقع بما فيه من أقنعة زائفة، والتطلع إلى عالم جديد مفعم بالصدق والطمأنينة، نجد مثلا لذلك قوله «ص8»:

أريد وجوهًا بلا أقنعهْ
فدنياكُمْ غابة مفزعهْ

وليس شك أن الإحساس بالاغتراب المكاني والزماني يطغى على الشاعر الرومانسي، ويدفعه إلى الشعور الحاد بالضياع وتفاهة العمر، وإلى التشبث بفكرة الطوباوية أو المدينة الفاضلة «اليوتوبيا» بوصفها بديلاً عن تلك الغابة المفزعة التي هي الحياة كما يراها الرومانسيون. وعن هذا الشعور يصدر عبدالله جبر في قصائده: الحلم والواقع، صديق النكد، المهرجون، الوحدة، ثم العمر التافه. لننصت إليه إذ يعبّر عن حدة إحساسه بالضياع، في القبس التالي من قصيدة العمر التافه «ص100»:

في دروب
موحشات كالقبور
تئد الأنس
وتغتال السرور
إنّها القبر الذي يطوي الدهور
في الدجى الجبار
في تلك الجحور
ضاع عمري

ومن الخصائص الرومانسية في ديوان «الثرى والثريا»، لياذ الشاعر بالطبيعة بوصفها الأم الرؤوم، التي بين أحضانها يفرغ أحزانه، ويتخفف من لواعج آلامه. نجد مثلاً لذلك قصيدة: ليلة من ليالي الكورنيش، حيث يعتاض الشاعر بجمال الطبيعة عن قبح الواقع، مما يدفع خياله إلى التوقد، فإذا هو وَصَّاف مجيد، وإذا لوحاته الوصفية تتدفق بالحيوية. يقول «ص28- 29»:

رقص الضوء بآلاف الشموع
وتثنت في العشيات الظلال
فإذا النور على تلك الربوع
مهرجان الأنس في عرس الجمال
يتلوى في ائتلاق ساحر

وتتراسل الحواس في غير قصيدة من قصائد الديوان، فنجد للصمت مجامر، وللسكوت عطرًا، في قوله «ص88»:

مجامر الصمت يهوي من مباخرها
عطر السكوت الذي يهمي بإجلال

ونجد للوشوشة لونًا في قوله «ص95»:

وللصَّبا في نفوس الصحب وشوشة
خضراء تهمس في حب وتحنان

ويميل عبدالله جبر إلى أنسنة الأشياء، ومن ثم فأنت ترى الليل مكفوفًا، والشمس تزغرد، في قوله «ص43»:

في جحور لم تعرف الصبح يومًا
فهي تحيا في ظل ليل كفيف
كلما زغردت ذُكاء عليها
صوتت واحتمت بغير الكهوف

وأنت ترى الليالي جائعة في قوله «ص61»:

مرت علينا الليالي وهي جائعة
فراح يطعمها وردًا ويسقيها

وترى السيف غضوبًا في قوله «ص150»:

وكنا مع السيف الغضوب بموْعد
يصلصل في أعماقنا ويهدد

وترى القصائد ثكلى تتساقط من فرط إعيائها،

الإحساس بالاغتراب المكاني والزماني يطغى على الشاعر الرومانسي، ويدفعه إلى الشعور بالضياع، وإلى التشبث بفكرة المدينة الفاضلة بوصفها بديلا عن غابة الحياة المفزعة

وذلك في قوله «ص151»:

هذي قصائدكم ثكلى مخلعة
تمشي وتسقط من عجز ومن تعب

وأما الذوق الموسيقي لصاحب «الثرى والثريا»، فهو ذوق رهيف، يعرف للأصوات اللغوية مذاقها، ولا يكتفي بالموسيقى الناشئة من تفاعيل البحور، بل يهتدي إلى عدد من الحروف التي تتميز بعطائها الموسيقي، وبخفتها على المسامع والألسن، ثم يعمد إلى نشرها داخل قصائده من دون تجاوز للحدود المقبولة في تكرار الحروف، ويمكن التدليل على ما سبق بالأبيات التالية، التي تنتشر فيها حروف المد، إضافة إلى حرف النون ذي الغنة، يقول «ص61»:

وقيل مَنْ ذلك الشادي على سحر
مَن الذي أطرب الدنيا ومن فيها
من الذي أيقظ الأشواق فانتبهت
وناولته كؤوسًا من تصافيها
هذا فتى الفن، هذا طير ربوته
الليل يرقص من تطريبه تيها

فأنت ترى حروف المد تتآزر مع حرف النون لتضفي على هذه الأبيات إيقاعًا صوتيًا سيَّالاً بالعذوبة والخفة، حتى إنك لا تشعر بثقل حرف «الصاد» في كلمة «تصافيها» مع أن الصاد أحد حروف الإطباق، التي يعسر النطق بها على اللسان.

وأما قوافيه فقد أحكم بناءها، وتخير لها من الحروف ما هو بمضمون القصائد أشكل. وهو يطلقها حينًا، ويقيدها حينًا آخر، محتكمًا في الحالين إلى سلامة ذوقه الموسيقي. وبالجملة فقد سلمت قوافيه من العيوب إلا عيب الإيطاء، الذي يطالعنا مَثَلٌ منه في قصيدة «عداوة الشريف وعداوة الخسيس»، حيث يكرر الشاعر كلمة القافية بلفظها ومعناها في البيتين: الأول والرابع. وهذا عيب قلما يخلو منه ديوان شعري.


الجزيرة
تكفيك
تثري
مساءك
المسائية
تصدران يوميا عن« مؤسسة الجزيرة «للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب:٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف« ٤٠٢٥٥٥٥ «..تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

في السيرة النبوية

قراءة لجوانب الحذر والحماية

كتاب يناقش رصد الحس الأمني لحماية منجزات الدعوة الإسلامية، وتأمين مسيرتها. قام المؤلف - د. إبراهيم علي محمد أحمد - بتتبع الدعوة في مراحلها المختلفة، مستخرجًا الاحتياطات الأمنية التي اتُّخذت في كل مرحلة، ومتلمسًا الحس الأمني والحذر والحيطة والتدبير لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وأساليب الحماية المضادة لخطط قريش، وما يمكن أن يفيد الدعاة من تلك الدروس والعبر.

عالج المؤلف موضوع كتابه في خمسة فصول، أورد في الفصل الأول: جوانب من حماية الدعوة قبل مرحلة الجهر بها، وتناول فيه بدء الدعوة، واختيار دار الأرقم، وتكوين المجموعات الدعوية في المرحلة السرية، كما ناقش الحس الأمني لدى الصحابة في تلك المرحلة الدقيقة. والفصل الثاني الذي جاء بعنوان: جوانب الحماية للدعوة في الفترة الجهرية، تناول فيه المؤلف مقاومة أساليب قريش العدوانية وإحباطها، وتوفير الحماية للدعوة خارج مكة.

واشتمل الفصل الثالث على جوانب الحذر والحماية التي اتُّخذت في الهجرة النبوية، وناقشها المؤلف في أربعة مباحث: الأول: جوانب الحماية والأمن قبل الهجرة، الثاني: جوانب الحذر والحيطة في الإعداد للهجرة، الثالث: من الدار إلى الغار، الرابع: من الغار إلى المدينة.

يقع الكتاب في 166 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر في الدوحة عن سلسلة «كتاب الأمة».

قصد اللبيب

كتاب يتناول الخطبة المنبرية، وكيفية بنائها كي تأخذ دورها وريادتها بين الوسائل المتاحة للتعبير عن الدعوة الإسلامية والتذكير بها. وقد قام المؤلف - علي مدني رضوان - بتقسيم موضوع كتابه قسمين وعشرة مباحث. جاء القسم الأول بعنوان «في إعداد الخطبة وبنائها»، وتفرعت منه خمسة مباحث: المبحث الأول: ضرورة الدعوة إلى الله، والمبحث الثاني: أهمية الخطبة المنبرية في تسيس الحياة وحسن سيرها، وفي المبحث الثالث ناقش ماهية الخطبة، وفي المبحثين الرابع والخامس تناول كيفية إعداد الخطبة الناجحة، وضمان تحقق تأثيرها.

أما القسم الثاني الذي جاء بعنوان «إعداد الخطيب الناجح وكيفية بنائه»، فقد تفرعت منه خمسة مباحث، المبحث الأول: أجاب فيه المؤلف عن سؤال: من هو الخطيب الناجح؟، والمبحث الثاني: مكونات الخطيب الناجح، ومؤهلاته ومصادر ثقافته، والمبحث الثالث: نبه فيه على بعض الموضوعات التي ينبغي أن يتوسع الخطيب في شرحها، وإيضاح ملابساتها. والمبحث الرابع: قدم فيه نماذج من الخطب المؤثرة، أما المبحث الخامس فقد أورد فيه نماذج من الخطب التي تناسب المدن والقرى.

يقع الكتاب في 156 صفحة من القطع الصغير، وقد صدر عن دار الطباعة والنشر الإسلامية في القاهرة.

وداعًا للتربية التقليدية

كتاب يتناول سبل الانتقال من مرحلة التربية التقليدية الجامدة إلى مرحلة جديدة تأخذ في الحسبان متغيرات العصر، وتربط التربية بعملية التطور والتجديد. استمد المؤلف - ياسر الفهد - موضوع كتابه من تخصصه التربوي، ومن فحوى عدد من الكتب التربوية العربية والأجنبية التي سبق أن قام بتحليل مضامينها واتجاهاتها.

يعالج الكتاب عملية التغيير التربوي من خلال محورين: الأول: تجديد النظام التربوي الحالي وإصلاحه وتحديثه. والثاني: استبدال نظم جديدة بالنظم التربوية القديمة لتحل مكانها بالتدرج، وفي هذا المجال أورد جوانب من التقدم المحدود الذي تحقق، والتجارب التي تجري في العديد من الدول المتطورة، حول النظم التربوية الجديدة، مثل: «التربية المفتوحة»، و«التربية السلوكية»، و«السينورجوجيا»، و«نظام مونتيسوري»، و«التعليم التفريدي».

اشتمل الكتاب على عشر مقالات جاءت عناوينها كالتالي: نحو نظم جديدة للتربية، الأولويات التربوية في الدول النامية، البحث والتخطيط في التربية، السكان والبيئة في التربية، اقتصاديات التربية، العمل والتربية، التربية وقضايا الساعة، اتجاهات حديثة في تعليم المعاقين والموهوبين، من تعليم الصغار إلى تعليم الشيوخ، التربية واتجاهات المستقبل. وقد ألحق المؤلف بكتابه فهرسًا للأعلام والدوريات.

يقع الكتاب في 126 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر في دمشق.

كلمات بلون الشمس

مجموعة شعرية تضم بواكير الإنتاج الشعري لعبدالله النجار، نهج فيها أسلوب الشعر العمودي المقفى. وقام الشاعر بتقسيم الديوان، الذي يحوى نحو 56 قصيدة متفاوتة الأطوال، وجزأه، وصنَّف قصائده بحيث عكست ثماني قضايا، عبَّر الشاعر من خلالها عن مواقفه منها وانفعاله تجاهها.

وقد جاءت عنوانات المجزوءات كالتالي: أحباب مضوا، حماة، قصائد تتجه نحو البحار، داري، معاناة في المهجر، حب، قصائد تتجه نحو الغابات، أشخاص، الاغتراب عن السرب.

قدم الديوان إلى القراء اللغوي المعروف الأستاذ حسن الكرمي، وعلق على قصائده الشاعر سليمان المشيني.

تقع المجموعة في 84 صفحة من القطع الصغير، وقد صدرت عن دار عمار للنشر والتوزيع في عمّان بالأردن.

مسابقة مجلة الفيصل

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريال، ١٥٠ ريال)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة ـ مجلة الفيصل،
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد 241

ج 1 : من الآيات الكريمات التي وردت في تكريم الإنسان، قول الله عز وجل: *وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً*. **الإسراء**: 70.

ومن الآيات الكريمات التي وردت في حرص الشريعة على حماية النفس الإنسانية، قول الله تعالى: *وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا*. **الإسراء**: 33.

ج 2 : حث الشارع الحكيم على وجوب التزام الجماعة المؤمنة، ونبذ الفرقة والاختلاف. وإذا كانت الجماعة هي القوة التي تحمي دين الله، وتحرس دنيا المسلمين؛ فإن الفرقة هي التي تقضي على الدين والدنيا معًا. ولقد نهى عنها الإسلام أشد النهي، إذ إنها الطريق المفتوح للهزيمة، وذهاب القوة التي تنصر الحق . ومن الآيات الكريمات التي تنهى المسلمين عن التفرق والتشرذم:

ـ قول الحق تبارك وتعالى: *وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ*. **الأنفال**: 46.

ـ وقول الحق عز وجل: *وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا*. **آل عمران**: 103.

ـ وقول الله تعالى: *وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ*. **الروم**: 31، 32.

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

نتائج مسابقة العدد 241

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، أحمد محمد كايد النصيرات، إربد، الأردن.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعوديًا، أعلاتي بن محمد ودّاد، نواكشوط، موريتانيا.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعوديًا، عمر محمد جرادات، الدوحة، قطر.

ب ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1ـ عيسى بن محمد بن بابه بالحاج، غرداية، تونس.

2ـ يحيى محمد محمود عللوة، أبها، المملكة العربية السعودية.

3ـ خيرة الدبوسي، القيروان، تونس.

4ـ راشد مختار حسن عبدالكريم، أم درمان، السودان.

5ـ أسامة علي أحمد غانم، الشرقية، مصر.

ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة (12 عددًا)، كل من:

1ـ رفيدة علي محمد رشدي، جدة، المملكة العربية السعودية.

2ـ جوليت غازي يوسف، حمص، سورية.

3ـ معتصم فاطمة علي، تزنيت، المغرب.

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)
الاسم: ....
العنوان: ....

ج 3 : حرَّم الإسلام الربا، وجعله من كبائر الإثم. ومن الأحاديث الشريفة التي وردت في تحريم الربا؛ مارواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: وما هُنَّ يارسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

وروى البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وصححه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لعن الله آكل الربا، ومؤكله، وشاهديه، وكاتبه».

ج 4 : هو حصن الباستيل، شُيِّد في القرن الرابع عشر الميلادي، وأصبح رمزًا للاستبداد، نتيجة العمل بنظام الخطابات المبصومة التي يمكن أن يُسجن بسبب توقيع الملك عليها أي شخص، لأية مدة، من دون محاكمة. هاجمه الثوار الفرنسيون وهدموه في 14 يوليو/ تموز 1789م، وأصبح ذلك اليوم عيدًا قوميا لفرنسا.

ج 5 : هذه العملية تُسمَّى «الانكسار». فعندما ينتقل شعاع ضوئي من وسط إلى آخر يخالفه في الكثافة الضوئية بحيث يكون مائلاً على سطح الانفصال فإنه ينحرف عن مساره الأصلي. وزاوية السقوط هي الزاوية بين الشعاع الساقط والعمود المقام من نقطة السقوط على السطح الفاصل. أما الشعاع المنكسر فهو الشعاع بعد نفاذه من السطح الفاصل. وزاوية الانكسار هي الزاوية بين الشعاع المنكسر والعمود السابق.

4- معاذ سليمان حمد الجعافرة، الزرقاء، الأردن.

5- حسن إبراهيم مزروع، المنوفية، مصر.

6- عمر أحمد دليل، الخرطوم، السودان.

7- رقية أحمد محمد عجلان، صنعاء، اليمن.

8- أبو عامر الطيب الكبير، تارودانت، المغرب.

9- الشيماء حسني المحتسب، جدة، المملكة العربية السعودية.

10- سوسن محمود العلبي، دمشق، سورية.

د ■ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- فيصل عبدالله إبراهيم حسن، الحد، البحرين.

2- مزاري وداد بنت الحاج مزاري، المسيلة، الجزائر.

3- عبدالرحمن خال محمد نياز، بيشاور، الباكستان.

4- عبدالهادي محمد صالح العبوش، مكة المكرمة.

5- محمد سالم قاسم،أكودة، تونس.

أسئلة مسابقة العدد 244

السؤال الأول:

وردت في فضل صلاة الضحى أحاديث كثيرة. اذكر ثلاثة أحاديث في فضلها.

السؤال الثاني:

الأضحية اسم لما يُذبح من الإبل والبقر والغنم يوم النحر وأيام التشريق تقرُّبًا إلى الله عز وجل. اذكر حديثين شريفين في ذلك.

السؤال الثالث:

اختلف العلماء في وجوب أداء الزكاة عن حلي المرأة من الذهب والفضة. فمنهم من قال بوجوبها، ومنهم من قال بعدم الوجوب. اذكر قولين من أقوال العلماء في ذلك.

السؤال الرابع:

محمد حسين نصيف، علم من أعلام المملكة العربية السعودية في القرن العشرين. وُصف بأنه عالم جدة وصدرها في عصره. كان مشهورًا بالعلم والكرم. نشر كتبًا سلفية كثيرة وأعان على نشرها، وخلف مكتبة حافلة بالمخطوطات والمطبوعات. متى وُلد ومتى توفي؟

السؤال الخامس:

كان عمر الخيام من علماء الرياضيات المسلمين المبرزين، لكن شهرته في عالمنا العربي قامت على «رباعياته الشعرية». اذكر ثلاثة ممن ترجموا هذه الرباعيات إلى العربية.

ويأتيك بالأمثال:

شِنْشِنَةٌ أعرِفُها منْ أخْزَمِ

أي ما أشبه الفرع بالأصل أو الولد بأبيه.

وقصته أن رجلاً من العرب كان له ولد عاق يقال له أخْزَم كان يؤذي أباه، ولا يرعى له حقًا، ثم مات أخزم وترك بعض البنين، وذات يوم وثب أولاد أخزم على جدهم وضربوه حتى أدموه فقال:

إنَّ بَنِيّ ضَرَّجُوني بالدَّمِ
شِنْشِنَةٌ أعرِفُها مِن أخْزَمِ

علامة شكر!

قال الجاحظ في حكاياته: سألني أحدهم كتابًا بتوصية إلى صديق لي، فكتبت له رقعة قلت فيها: كتابي إليك مع مَنْ لا أعرف، ولا أُوجب حقه، فإذا قضيت حاجته لم أحمدك، وإن رددته لم أذمك. وبعد أيام رجع الرجل إليّ فقلت: كأنك قرأت الرقعة. فقال: نعم. قلت: لا يضيرك مافيها، فإنه علامة لي إذا أردت العناية بشخص. فقال الرجل على الفور: قطع الله يديك ورجليك، قلت: ماهذا؟ قال الرجل: هذه علامة لي إذا أردت أن أشكر أحدًا. فقلت: هذه واحدة بواحدة.

الحياة

سُئل فيلسوف الهند رابندرانات طاغور أن يصف الحياة بإيجاز فقال: الحياة ليست إلا عبور بحر، وفي النهاية نلتقي جميعًا في المركب الضيق نفسه.

كم كنت مخطئًا!

هذه الجملة قالها الأديب الشهير مارك توين، إذ رفض أن يموِّل مخترعًا شابًا معدمًا بمبلغ خمسمئة دولار مقابل نصيب في اختراعه. ولم يكن هذا المخترع غير الكسندر جراهام بل، مخترع الهاتف! فلما ذاعت شهرة «بل» قال توين قولته المشهورة: كم كنت مخطئًا في حق هذا الإنسان النابغة فعلاً!

علامة الانصراف

عُرف محمد بن الجهم ببخله الشديد، فقال له أصحابه مرة: إننا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار طاقتك، فلو جعلت لنا علامةً نعرف بها وقت انصرافنا لكان ذلك أفضل. فأجابهم بسرعة: علامة ذلك أن أقول: ياغلام هات الطعام!

ذكريات

سئل الكاتب يوجين أونيل عن سر تمسك الناس بالذكريات الحزينة، فقال: هي معضلة فعلاً، فذاكرتنا تتمسك بإصرار شديد بالذكريات الأليمة التي لا نريد من أعماقنا أن نتذكرها، أما الأشياء الجميلة فلا بد أن نكتبها في مفكرتنا حتى لا ننساها!

مناجاة

قالت الشاعرة الراحلة روحية القليني:

هل ترى ألقاه يومًا وأرى نور الإله
سيد الخلق جميعًا من حباه واصطفاه
يملأ الرحب جمالاً وجلالاً في سناه
عنده أسأل ربي في سجودي في الصلاه
فعسى أن يقبل النجوى يلبي من دعاه
غافر الذنب كريم ما لنا رب سواه

واحدة بواحدة

أكل أعرابي يومًا على مائدة الحجاج بن يوسف الثقفي، فكان يلتهم الطعام التهامًا، ولاحظ الحجاج ذلك فقال له: ياهذا أرفق بنفسك. فقال الأعرابي وهو لا يزال يلتهم الطعام: وأنت يا سيدي اخفض من بصرك!

الطريق

سأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنه: كيف نمشي في الطريق المستقيم إلى ما نحب؟ فقال: إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون.

اسم الذئب

قال دحية القاضي وكان من مجانين القُصَّاص: كان اسم الذئب الذي أكل سيدنا يوسف عليه السلام كذا. فقالوا له: إن الذئب لم يأكل سيدنا يوسف عليه السلام. فقال: إذن فهذا هو اسم الذئب الذي لم يأكل سيدنا يوسف عليه السلام!

لو ضحكت الحيوانات

قيل لأحد الفلاسفة: ترى، ماذا لو مُنحت الحيوانات موهبة الضحك فجأة فماذا يحدث؟! فقال الفيلسوف باسمًا: لو حدث ذلك لضحكت الحيوانات حتى الإغماء من الإنسان الذي هو أكثر الحيوانات جميعًا سخفًا وحمقًا!

زهد عمر

يروى أن أحد أصحاب الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أخذ يردد في مجلسه قول الله عز وجل: *كُلوا من طيِّبات ما رزقْناكُم*؛ قاصدًا حمل عمر على الإقبال على ما لذ وطاب من الطعام، فلما كثر ترديده، رمقه عمر وقال: يا أخي هيهات هيهات، لقد ذهبت بعمر إلى غير مذهبه، إنما يريد الله طيب الكسب لا طيب الطعام.

وصية علي

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا بعث سرية ولّى أمرها رجلاً ثم قال له: أوصيك بتقوى الله الذي لا بد من لقائه ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة، وعليك بالذي بُعثت له، وعليك بالذي يقربك إلى الله عز وجل، فإن فيما عند الله خلفًا من الدنيا.

استراحة العدد

الحق والفتنة

يروى أن عبدالملك بن عمر بن عبد العزيز قال لوالده: يا أبتِ ما لك لا تنفذ الأمور، فوالله لا أبالي فيَ الحق لو غَلَت بي وبك القدور. فقال عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله تعالى ذمّ الخمر في القرآن الكريم مرتين، وحرّمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة.

ابدأ بنفسك

جاء رجل إلى عبدالله بن العباس رضي الله عنهما فقال له: إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. فقال ابن عباس: أبلغت هذه الدرجة؟ قال الرجل: أرجو. فقال ابن عباس: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل. قال الرجل: وما هُنّ؟ قال ابن عباس: قال الله تعالى: *أتأمرونَ النَّاسَ بالبِرِّ وتنسوْنَ أنفُسَكم*. أحكمت هذه الآية؟ قال الرجل: لا. قال ابن عباس: وقال تعالى: *يا أيُّها الذين آمنوا لِمَ تقولُون ما لا تفعلون*. أحكمتَ هذه الآية؟ قال الرجل: لا. قال ابن عباس: فالآية الثالثة قول شعيب عليه السلام: *وما أُريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكُم عنه إنْ أُريدُ إلاّ الإصلاح ما استطعت*. أحكمت هذه الآية؟ قال الرجل: لا. فقال ابن عباس: إذن فابدأ بنفسك أولاً.

الصدق منجاة

يُروى أن ربعي بن خراش العبسي كان مشهوراً بالصدق، ولم يُعرف عنه أنه كذب قط في حياته، وكان له ابنان عاصيان خارجان عن الطاعة في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، وأراد الحجاج أن يختبر صدق ربعي فأرسل إليه وقال له: أين ابناك العاصيان الهاربان؟ وأدرك ربعي أن الحجاج يريد أن يقتص من ولديه، ومع ذلك قال في ثبات: هما في البيت الآن. وفكر الحجاج برهة وتبيّن له صدق الرجل، فقال: قد عفونا عنهما لصدقك، شرط أن يتوبا عما هما عليه.

حب الزهاد

قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: ماذا تحب في الحياة؟ قال: أحب الموت اشتياقًا إلى خالقي، وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتي، وأحب عيش الفقراء تواضعًا لربي.

مؤهلات

حين انتُخب فيدريلو لاجوارديا عمدة لمدينة نيويورك، كان أول عمل قام به أن جمع كل الذين شاركوا في حملته الانتخابية وقال لهم بعبارة موجزة: اسمعوا إن أول مؤهلاتي لهذا المنصب هو نكراني لكل جميل شخصي.



«الخيل معقود الخير بنواصيها إلى يوم القيامة»

اللوحة بريشة الفنان الأمير خالد الفيصل

تباشير

يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.
وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصيدة

بوح

شعر:
عبد اللّه برهان
زبداني، سورية.

بُحَّ الأنينُ بصدرها شجواً بدا ... في قلبها الشجو وفي قلبي الصدى
في صوتها شوق دفين والهوى ... بين الجوانح تاق أن يتمرَّدا
حرّى الأماني تستطير وسؤلها ... بوحٌ لقلبينا يصيح مغرّدا
أنتِ الرَّجاءُ وياجمال المرتجى ... بين الخوافق أن يعيش ويسعدا
أرعدْتِ في وجهي لئلا أُدفع ... والرَّعدُ صار بوجنتيك تورُّدا
أدمى فؤادي سيف عينيك الذي ... سلَّ النِّصال بواترًا وتجرَّدا
وخجولُ لحظكِ في الحشايا طاعنٌ ... طعن البوارق حرقةً وتوقُّدا

التعليق: قصيدتك «بوح» جيدة السبك، متينة اللغة، صحيحة العروض، تدل على تمكّن لغوي وعروضي، ولكنّ النَّفَسَ الشعري كما يبدو لي يشكو عندك من القصر، وسبب ذلك الصنعة التي تبدو آثارها واضحة في نَصّك القصير. أقف عند قولك:

أرْعَدْتِ في وجهي لئلاّ أدفع
والرعد صار بوجنتيك تورُّدا

يبدو أن صدر البيت يحتاج إلى إشباع حركة العين من «أدفع» ليستقيم العروض، كما لا أجد معنى مقبولاً لقولك «أرعدت»، فإنّ الإرعاد لا يستخدم في معاني الغزل، ولست أدري كيف صار الرعد في وجنتي حبيبتك تورّدًا؛ أمِنَ الغضب؟ والعرب اعتادت أن تعزو تورّد الوجنتين إلى الخجل.

إن هذا البيت ضعيف مبنًى ومعنًى. وقد أنكرت ذائقتي أيضًا قولك: «بوح لقلبينا يصيح مغرّدا» فاستعمال «يصيح» ليس مقامه هنا.

أرجو أن تقرأ أشعار الفحول وشعر الغزل العذري لتستطيع أن تتمثل نهجهم في مثل هذه المقامات، مع تمنياتي لك بالتوفيق.

د. محمد خير البقاعي

متابعات

الأخ إبراهيم خضاري عمار، قنا، مصر:

وصلت إلى المجلة قصيدتك «بكائيات للحب والندم» مع رسالة منك فيها عتب غير رفيق على المجلة لعدم نشرها عملين أدبيين لك، وهما في رأيك يصلحان للنشر. وحتى لا نُتَّهم منك بالتجافي والتعالي مرة أخرى، نورد لك بعض الأخطاء الكثيرة التي مرت بنا في رسالتك المرفقة مع عملك الأخير لترى سببًا واحدًا من أسباب اعتذارنا هذه المرة من عدم النشر:

قلت: حينما يتمنى شيء، في درجة نضوجها، وقد راسلة مجلتي، دون التنوية عن سبب، أن أحطى. والصواب لما قلته على التوالي: شيئًا (مفعول به)، نضجها، راسلتُ، التنويه بسبب، أحظى. وهذه الأخطاء كلها في صحيفة واحدة وغيرها كثير. فإذا أضفنا إليها إهمال النقط تحت الياء المتطرفة إهمالاً تامًا، كان الأمر أدعى إلى التماس العذر للمجلة في الرفض.

أما القصيدة، ففيها هنات، نذكر منها:

البيت2: إبكى والصواب: أبكي، البيت3: تَسَلِ: ولا يجوز حذف الهمزة إلا في الأمر، أو المضارع المجزوم، البيت4: عن أى: والصواب: عن أيٍّ، البيت10: فلا تُقلقْ.. ينَمْ. بينما لا وجه للجزم، ولو رفعنا كُسِرَ وزن البيت.

هذه بعض الأخطاء، كما أنك في كثير مَن الأبيات ترتكب ضرورات لا تليق، أو أخطاء نحوية أو عروضية. ونحن في انتظار أعمال أخرى تكون أقل أخطاءً حتى تجد طريقها إلى النشر، ولا تغرنَّك شهادات التقدير التي أرسلت إلى المجلة صوراً منها، مع دعواتنا لك بالتوفيق.

الأخ محمد عباس محمد، أم درمان، السودان:

قصيدتك في «داء العشق ودوائه» تبدو في نظمها وصورها وألفاظها أقرب إلى الزجل الشعبي منها إلى القصيدة العربية الأصيلة، وهي لا تعدو أن تكون مجرد خواطر لا التزام فيها بأي قاعدة من قواعد الشعر.

وإذا كنت حريصاً على أن تستمر في درب الشعر، عليك أن تقرأ دواوين الشعر القديم، وأن تتابع ما يُطرح من شعر للشعراء المعاصرين ممن لهم تجربة في هذا المجال، وهذا ما ننصح به كل من يطرق باب الشعر والقصة القصيرة، لأن القراءة المتعمقة هي السبيل الأمثل لتنمية الملكات وصقل المواهب، ومن غيرها يصبح المرء كالشجرة التي لا جذور لها.

الأخت هديل عبدالعزيز كيلاني، دمشق، سورية:

قصتك القصيرة «ليلى» تنتمي إلى الخاطرة التي ينتجها التداعي والمعاناة، إذ لا تتوافر فيها مقومات القصة القصيرة، ولا مقومات الفن القصصي بشكل عام؛ لأنها سرد خواطر تأتي بطريق التداعي لفتاة هي محور الخاطرة وعنوانها، وهي الشخصية المهيمنة التي تصدر الأحكام على الآخرين، وتحكم على نفسها، وهذا ما يضعف البناء السردي الذي لا يتشعب؛ وإنما هو نمطي يكثر فيه الوصف والاستغراق في الجزئيات، بينما لغة القصة القصيرة هي لغة كثيفة، كأنما يشحنها القاص بكثير من المعاني التي توحي بها تلك الكلمات، وليست في النص. لغتك لا بأس بها، وأسلوبك جميل. ننصح لك الإكثار من قراءة إنتاج المبدعين من القاصين والروائيين، ونشير إلى بعض الأخطاء اللغوية، فقولك: «لم تعد تع» لا يصح فيها جزم (تع)، لأن المجزوم هو الفعل الأول والصواب «لم تعد تعي»، وقولك: «فلها مع صديقاتها أيامًا»، لا وجه لنصب كلمة «أيام»، وقولك: «بشفتيها اللتان»، والصواب «اللتين»، والفصيح: السكين وليس «السكينة» فهي عامية.

نرجو لك التقدم باطراد، وما زال الوقت لديك لكي تكثري القراءة. وبانتظار مشاركات أخرى، كما نأمل أن تكتبي على وجه واحد من الورقة في المرة القادمة، كما نهنئك على خطك الجميل.

قصيدة

صدى الأوتار

شعر الطالبة:

شريفة بنت ماهاما دادولا عبدالرحمن

أهدي التحية من شذا أشعاري ... من عمق وجداني ومن إكباري
من نغمة يزهو بها قيثاري ... من روضتي الغناء.. تألق بالسنا
بكم تتيه منابر الأحرار ... ياخير من دعم الثقافة.. رائدًا
ولأنتم في القلب والأبصار ... فلأنتم الفرسان في ساحاتها
ورياضُها.. مزهوَّةُ النَّوَّار ... هذي مجلتكم.. مناهلُ ظامئ
أمَّ الخميلة موكبُ الزُّوَّار ... في دَوْحها طيرٌ تُغَرِّد كلما
ما يعجبون به من الأزهار ... يتسابقون ليقطفوا من حقلها
لمواهبٍ حُجبت عن الأنظار ... أضحت دنا «الفيصل» ساحًا حُرَّةً
والبعض منها عرضةٌ لحوار ... لنقاش آراء سديدٌ بعضها
والنقد يرفعه إلى الإكبار ... والفكر يجلوه اجتلاء غموضه
يذكي اللهيب بعزمة الثوَّار ... واليوم فضل الشعر أصبح راسخًا
وحياته.. في كِفة الأقدار ... كم شاعرٍ حمل السلاح بخندق
يأسو الجراح على النجيع الجاري ... يحدو على نغم الرصاص وشِعره
نظم القوافي من صدى الأوتار ... هذه الخواطر نبضة من خافق
داود يدعو الله في الأسحار ... قد صغتها كمزامر غنَّى بها
ومشاعري عجزت عن الإضمار ... إني أُحيِّي الشعر في إعزازكم

ردود خاصة

الأخوين بو صالح نور الدين، ولاية الجلفة، الجزائر، محمد شحادة، دمشق، سورية:

مجلة «الفيصل»، كما هو موضح في صدر صفحاتها وغلافها الأول، مجلة ثقافية شهرية؛ أي إنها تُعنى بشتى صنوف العلم والمعرفة. والقارئ المتابع يجد فيها الأدب والفكر والطب والعلوم والتراث والتاريخ والإعلام والتربية والاقتصاد والقضايا الاجتماعية وغيرها من المجالات التي تهم المثقف في عالمنا العربي والإسلامي، وتجعله على صلة بما يُطرح من قضايا على الساحة الثقافية والفكرية في العالم.

والمجلة تقبل مشاركات الإخوة القراء من شتى بقاع العالم وفق الشروط المُعلن عنها في الصفحة الثالثة من المجلة. وسوف نبعث إليكما ببعض أعداد المجلة لتقفا عن كثب على مضمونها ومنهجها، وبقي أن نفيدكما أن المجلة قد أتمت عامها العشرين في شهر جمادى الآخرة 1417هـ.

الأخ م. فاتح بن عيسى الأشرم، دير الزور، سورية:

الخطاب الذي وصل إليك من المجلة لإبلاغك بوصول المادة المرسلة من قبلك أمر متَّبع في جميع مراسلات الإخوة القراء. ونشكر لك إطراءك على ما تنعته «باهتمامنا». وسوف يصل إليك خطاب آخر يحدد موقف مادتك من النشر. ونطمئن جميع الإخوة الذين يبعثون إلى المجلة بمشاركاتهم بأنها محل عناية واهتمام، وإذا حدث تأخير في الرد على أحدهم، فذلك قد يكون لظرف طارئ، وكذلك نأمل المعذرة عند تأخر نشر المقالات المجازة، لأن ذلك يرجع في الأساس إلى كثرتها، وسوف تأخذ جميعها طريقها إلى النشر بإذن الله.

الأخت رحمة بختاوي، زنقة وادي المخازن، أحفير، المغرب:

سيتولى الدكتور حسن ظاظا بنفسه الرد على رسالتك، فطالعي الكتيب المرفق مع هذا العدد، الذي يضم حوارًا موسعًا بين القراء وظاظا.

الأخت عبير رجب عبدالعظيم، الإسكندرية، مصر:

حُوِّلت رسالتك إلى القسم المختص الذي سيوافيك بالبحوث المطلوبة إن شاء الله، مع دعائنا لك بالتوفيق في الحصول على الماجستير ثم الدكتوراه.

الأخ محيي الدين مصطفى عباس، حلب، سورية:

ستصل إليك أعداد المجلة التي طلبتها، أما طلبات الاشتراك فتُرسل إلى قسم الاشتراك في المجلة، حيث يُرفق شيك بالدولار بالقيمة المذكورة في المجلة، وهي تقابل 150 ريالاً سعوديًا للأفراد، و250 ريالاً سعوديًا للمؤسسات والشركات.

أما سؤالك عن الأشرطة الخاصة بالتضامن الإسلامي، فسيصل إليك رد مفصل عن قيمة كل الأشرطة الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

الأخ محمود الساعدي، دالاس، الولايات المتحدة الأمريكية:

نشكر لك إطراءك، واهتمامك بالحصول على المجلة، وسوف تصل إليك أعداد من المجلة في القريب إن شاء الله.

الأخ عبدالواحد صايم، وجدة، المغرب:

نقدر لك ما تكبدته من جهد في سبيل إعداد «كلمات متقاطعة» خاصة بالفيصل، ونفيدك أن اقتراحك بإيجاد باب لها في المجلة سيكون محل البحث والدرس. ونأمل، بوصفك صحفيًا، أن ترسل إلى المجلة مقالات أو استطلاعات مصورة عن مدينتك وجدة، وبعض ما فيها من الصروح العلمية والثقافية والطبيعية. أما الأعداد التي طلبتها ففي الطريق إليك قريبًا إن شاء الله.

الأخ طلال شاهين، الرقة، سورية:

ما ذكرته في رسالتك ليس الصراحة ولا الحقيقة للأسف؛ وإنما هو مجاف لهما تمامًا. فكل من يراسل مجلة أو صحيفة يعلم أن المادة التي تُرسل إلى دورية لا تُرد إلى مرسلها مرة أخرى، سواء في حال إجازتها للنشر أو عدمه، ثم إن حكمك على مقالتك ليس فرضًا أن يكون مسوغًا للنشر. ونأسف مرة أخرى لعدم إعادة المادة إليك، ومرحبًا بمشاركات أخرى تكون أوفر حظًا من سابقتها.

الأخ حمود أحمد عبدالله آل فازع، بلجرشي، الباحة، المملكة العربية السعودية:

اقتراحك بإعداد ملف عن مكة المكرمة، والمدينة المنورة محل ترحيب من المجلة. ونفيدك أن هناك استطلاعات مصورة عن المدن السعودية سوف يتم إعدادها في المرحلة المقبلة، أما استراحة العدد فتقدمها المجلة وفق منهج محدد، وستصل إليك بعض الأعداد التي طلبتها.

الأخوين الزوهوي سعيد، سيدي قاسم، المغرب، محمد رياض الشريف، ولاية نابل، تونس:

تعتذر المجلة لكما ولجميع الإخوة القراء الذين يطلبون طلبات خاصة خارجة عن اختصاص المجلة، وذلك لعدم استطاعتها تلبية مثل هذه الطلبات، أو الإعلان عنها. وكما هو مبيَّن في زاوية «إيضاحات» فإن المسائل الشخصية، كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج أو ما شابه ذلك، والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها. فنأمل التزام ذلك. ونوجه إلى أن هناك جهات أخرى تتولى مثل هذه الأمور، ويمكن للإخوة القراء مراسلتها.

الإخوة دمبا مودي، نواكشوط، موريتانيا، عكبر ناجم، أدرار، آمال إبرير، باتنة، زقري عبدالعزيز، إينغر، أمين عطية رابح، المسيلة، الجزائر، محمد دفع الله محمد الأمين، الصحافة وسط، الخرطوم، السودان:

نفيدكم أن أضمن السبل للحصول على المجلة هو الاشتراك، وقيمته موضحة في الصفحة الثالثة من المجلة، وتُرسل بشيك بالدولار إلى قسم الاشتراك بالمجلة، أما الوقت المتاح للمشاركة في المسابقة فهو وقت كاف كما يتبين من الردود التي تصل إلى المجلة من الإخوة القراء. والذين طلبوا أعدادًا من المجلة، ستُرسل إليهم هذه الأعداد في حال توافرها، ومرحبًا بكم أصدقاء للمجلة.

بين القارئ والقارئ

أرغب في الحصول على نسخ من القرآن الكريم، وبعض الكتب الدينية، لذا آمل من الإخوة القراء مساعدتي في تحقيق هذه الرغبة.

خالد حسن بن ياز
P.O BOX AK42 ANLOCIA
KUMASI - GHANA

أرجو أن يزودني أي من قراء «الفيصل» الأفاضل بكتاب «سر النجاح» تأليف صمويل جمليز، ترجمة يعقوب صروف 1880م، وسأكون شاكرًا لكم.

وللمعلومية فقد تحدث عن هذا الكتاب الأستاذ الرافعي في كتابه «وحي القلم» ج3.

أحمد عبدالرحمن بله
ص.ب 4363
الخرطوم وسط، السودان.

أتطلع إلى أن يزودني قراء الفيصل الكرام بالأعداد القديمة من مجلة الفيصل؛ وكذلك أعداد سنة 1996م، إلى جانب أعداد مجلة «المنهل»، وإنني على استعداد لأن أرسل أية إصدارات تهم القارئ المتجاوب مع طلبي، كما أنني على استعداد لتحمل مصاريف الشحن بالبريد.

سعودي الطيب بن عمر
ص.ب 417
بوسعادة 28200، الجزائر.

أرغب في الحصول على كتاب «يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة»، تعريب محمد البشير.

مازن بن إبراهيم مغيربي
جامعة أم القرى
ص.ب 23207، رقم الوحدة 324
مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ أحمد عبدالله عواجي، الإحساء، السعودية:

من العناوين التي استطعنا توفيرها لك، هذان العنوانان:

عنوان دار المستقبل العربي:
ص.ب 2485، القاهرة، مصر.

عنوان دار الشروق:
16 شارع جواد حسني
القاهرة، مصر.
هاتف: 3934578
فاكس 3934814

الأخ بنعزوز، مدينة الخميسات، المغرب:

كتاب «الجميل ونظريات الفنون»، للدكتور رمضان بسطاويسي صادر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، وعنوانها:
ص.ب 851، الرياض 11421
هاتف: 4764571 فاكس 4794167

الأخ مصطفى القاسي، صفاقس، تونس:

عنوان جامعة الملك فهد للبترول والمعادن:
المملكة العربية السعودية،
الظهران 31261
هاتف: 8600000، 8603100
فاكس: 8603113

الأخ الحاج أحمد عبدالقادر، الجزائر:

عنوان وزارة المعارف السعودية:
الرياض، هاتف 4785322

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

مع العقل وتربية لا تغتاله



[نظرًا لحدوث خطأ في نشر هذا التعليق في العدد الماضي؛ فإننا نعيد نشره مرة ثانية، مع اعتذارنا للمعلق وللقراء الكرام].

ليس عليَّ إلا أن أعلن عن تقديري وإعجابي بما قرأته لرئيس التحرير في العدد 240 في إطلالته «تربية لا تغتال العقل». فالموضوع مهم جدًا، وقد استوقفتني عباراتٌ حُقَّ لها أن تكتب بماء الذهب؛ مثل قوله: «إن مستقبل الأمة يُصنع في فصولها الدِّراسية»، ثُمَّ توضيحه لأهم غايات النظام التربوي، وهي: «إيجاد إنسان متكامل الشخصية، متشرب ثقافة الأمة، منفتح على الثقافات الأخرى». وقال: «ولا تتحقق هذه الغاية بالتلقين، وحشو الذهن بالمعلومات، فهذا الأسلوب لا يُوْجد إلا نسخًا مكرورة، غير قادرة على التفكير المستقل، مكبلة بقيود التبعية، وإنما يكون ذلك بتعويده ممارسة الفكر الناقد، والحوار الموضوعي، وشحذ الذهن؛ الأمر الذي يؤدي إلى تنمية القدرات المعرفية والإدراكية...».

والحقيقة أنّ التجسيد العلمي والفهم لهذه الأمور يكاد يكون معدومًا، فلقد غاب عن عقول كثيرٍ ممن يرعى الناشئة كنه وظيفته، والتي وحدها تتعامل مع العقل والروح، وما قيمة الإنسان من دونهما؟!

الأمر الذي يستدعي من المربي جهودًا مكثفة للارتقاء بالعقول والسموّ بها لتجوب الآفاق، وتنزل ساحات الإبداع، وبذلاً مماثلاً لتربية الروح وتهذيبها كي لا تسف.

والمشكلة في أغلب البلدان الإسلامية، تكمن في عملية التربية والتعليم التي ما تزال خاضعة للقسر والهيمنة واغتيال العقل. إذ التدريس ما يزال خاضعًا خضوعًا كبيرًا للتقليد دون انتقاد، أو هو يقوم على التقليد الذي لا يسمح بالنقد، ويظهر ذلك في سلطة المعلم المطلقة حتى يومنا هذا، وفي عدم إباحة الكثير من الأسئلة ومعالجتها، وإجبار التلاميذ والطلاب على الحفظ استظهارًا عن ظهر قلب، وإعطاء ذلك أهمية قصوى في بعض فروع الدراسة. وهذا يعني ترسيخًا لمفهوم التخلف، وتجفيفًا لمنابع الإبداع الذي يظهر في عقلية حُرَّة مؤسسة على الحوار الناقد والبّناء. ها هو محمد - صلى الله عليه وسلم - يُعلِّمُ أصحابه فيقول لأبي ذرٍّ: «قل الحق ولو كان مُرًّا».

إن النبي المربي - صلى الله عليه وسلم - يصوغ عقول أتباعه، ويركبها تركيبًا جديدًا، يتمثل في قول الحقّ المر، وليت شعري هل صور الحق المر تبدو في غير نقد الذات، ومحاورة الآخرين، وتقويم الخطأ، وفي فاعلية إيجابية تبذل المهج في سبيل استجماع شمائل الحق؟ مما سينمي طردًا صناعة الحياة، ومنهج الإبداع.

والإسلام أول ما طالب به الإنسان إعمال عقله: فاعلم أنه لا إله إلاّ اللّه. وما أُرسل الرسل إلا ليثيروا دفائن العقول. والقرآن الكريم استعمل أفعال العقل: أفلا تعقلون. لقوم يتفكرون. ولم يأتِ باسم العقل مجرّدًا، وفي هذا إشارة إلى أن قيمة العقل بوظائفه، وضرورة إعماله، فلا يكفي وجوده، بل لا بُدَّ من تشغيله، ثُمَّ لا بد أن ننوه بحقيقة التغيير الذي أحدثه الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا، وأنه صدًى لتلك الصيحة التي جلجلت في أرجاء مكة المكرمة: اقرأ، وهل في هذا الأمر إلا استثمار للعقل وتوظيفه؟

إنه في سبيل عزة قعساء لأمتنا، لا بد من مراجعة طرائق التربية والتعليم، ويكون ذلك بإحياء التربية التي لا تغتال العقل، ورفع الوصاية عن الأفكار، والقداسة لها وللأشخاص.

لقد غيَّرت أمريكا مناهجها الدراسية عندما سبقتها روسيا بإنزال إنسان على القمر.

- لِمَ لا نعيش في عالم الحقائق بعيدًا من قيد الأشخاص؟

- لِمَ نطلب من التلميذ أن يكون صورة عن معلمه أو شيخه؟

- لماذا لا نحيي المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يُؤَصَّل في النفوس، والذي لخصه الإمام أبو حامد الغزالي بقوله: «اقرأ، وانقد، ووازن، ورجِّح، وابحث عن الحق ما استطعت، وتجرد عن الهوى».

هذه هي التربية التي تدل على الصحوة، وهي دليل على حياة الأمة، وخطوة حضارية تعني: نعم نعم للعقل، ولا لاغتياله.

وختامًا: شكر محفوف بالاحترام للدكتور زيد لإثارته هذا الموضوع الحيوي، ولأسرة الفيصل الغرّاء أزكى سلام وتحية من دمشق الفيحاء شام العروبة والإسلام.

علاء الدين محمد علي آل رشي
معهد العلوم الشرعية
شارع الملك العادل، مزرعة، دمشق، سورية.

هل يموت الشعر في العصر الحديث؟!



طالعت باهتمام بالغ الدراسة الأدبية التي كتبها الدكتور نعيم عطية في العدد 241 بعنوان «هل يموت الشعر في العصر الحديث؟»؛ حيث عرض لمواقف النقاد والشعراء وشهاداتهم في الشعر الحديث بعد مرحلة والاس ستيفنز وت. س. إليوت، وبيّن الكثير من الأسباب التي أدت إلى ابتعاد الجمهور عن هذا الشعر، كرأي الناقد ايبشتاين الذي يدين الشعراء في عزلتهم، وتركيزهم على عواطفهم الذاتية بدلا من مخاطبة الناس حيث أصبح عطاؤهم الشعري أكثر تأملية وأقلّ مباشرة؛ مما ساعد بعض الشعراء على الوقوع بالافتعالية، وأصبح من الصعوبة تحديد الشعر الجيد من الشعر الرديء. وعلى أن الدكتور عطية يستند في دراسته إلى تجربة الشعر الأوربية؛ إلا أن هذه الأزمة تسود بكل تجلياتها تجربتنا الشعرية العربية مع الأسف، ويحسن بنا أن نتطرق إليها بالمثل.. ذلك أن المعايير النقدية السائدة حاليا مستمدة من التجربة النقدية الغربية، وأمام هذا الكم الهائل من الشعر الذي يُنشر اليوم في الدوريات العربية اختلطت الأمور على القارئ حين انتهجت بعض الدوريات أسلوبا معينا يشجع هذا النوع من الشعر، ويحجم عن نشر ذاك النوع. وبسبب هذا سادت تسميات جديدة للقصيدة الحديثة. فشاعر يكتب قصيدة (النصّ) وشاعر يكتب قصيدة التفعيلة، وشاعر يكتب قصيدة النثر، ومن ثم جاءت القصيدة التشكيلية (صرعة العصر القادمة). إذ ما على الشاعر إلا أن يرسم بعض الخطوط المتوافقة ويذيّل هذه الخطوط ببعض الكلمات والجمل الشعرية، ثم يدّعي أن هذا الرسم يسمى قصيدة.

إن الدارس للشعر العربي عامة يرفض هذه الأشكال المبتدعة للقصيدة الحديثة، إذ إن الموهبة الحقيقية لا تخفى على القارئ سواء كانت قصيدتها عمودية أو قصيدة تفعيلة. لكن الذي حدث أن قصيدة النثر - إن جازت لنا ولهم التسمية - أفسحت مجالاً كبيراً للأقلام الهشة غير الموهوبة أن تطرق باب الشعر بحجة المغايرة والتحديث، وقد وجدت من يصفق لها إعلاميا حتى أخذت من الشهرة ما لا تستحق. إضافة لذلك أفسحت المدارس الأدبية الغربية كالرمزية والدادائية والسريالية وما فوق الطبيعية المجال لتعددية التأويل في النص الشعري، ولتسويغ التجارب الشعرية الفاشلة بحجة أن هذه التجارب تنتمي للسريالية أو غيرها. ونحن حين نذكر السريالية مثلا نتذكر تجربة بول إيلوار الذي يُعدّ من أفضل شعراء هذه المدرسة، ونتذكر لويس أراغون في بداياته الشعرية السريالية، كذلك الأمر بالنسبة لشارل بودلير ومالارميه وبول فاليري في الرمزية. إن الموهبة العظيمة هي التي تصنع المذهب الشعري وتؤسس له. أما أن يكتب شاعر قصائد لا تنتمي إلى بيئتنا الثقافية بحجة السريالية، ومن ثم يعترض على أنه يمتلك ثقافة واسعة لا يمكن أن يوازيه القارئ فيها فهذا ما لا يمكن تقبله، ذلك أنه أولاً وأخيراً ينشر للقارئ. وإلا كيف سيصبح شاعراً من دون قارئ؟ مع الأسف هناك شعراء أصبحوا شعراء من دون قارئ وذلك من طريق الإعلام الذي فرضهم على الساحة الثقافية، والأمثلة كثيرة على ذلك.

أما بالنسبة لتساؤل ايبشتاين: من قتل الشعر؟ وهل سيختفي هذا الشعر مع الزمن تاركا مكانه للرواية؟ أرى - ضمن هذا المفهوم - أن الشعر يعتمد على التعبير، ومن ثم فهو لن يزول مادام أسمى عنصر إنسانيّ هو الفكر. لأنّ الفكر حركة تتبع تطور الإنسان وارتقاءه الدائم باتجاه بلوغ المرامي الأكثر تعقيداً وتجريداً وبعداً من المادية المباشرة، على الارتباط الدائم بالواقع الإنساني والعناية بالقضايا الاجتماعية؛ فعالم العلاقات الذي تبناه الإنسان المعاصر لا يحول بينه وبين الشعر من حيث هو نتاج شعري قابل لتغير اللغة. والذين لم يستطيعوا مواكبة التجربة الشعرية الأصيلة بما فيها من شروط فنية ونفسية وعقلية يجب أن تتوافر في شخصية الشاعر أعلنوا عن أوضاع فرضت عليهم أنواعا مختلفة من المعاناة سببتها قراءة الشعر المترجم النثري الذي يقدمه الشعراء المعاصرون اليوم، معتقدين أنه النموذج القياسي لكل عمل أدبي إبداعي.

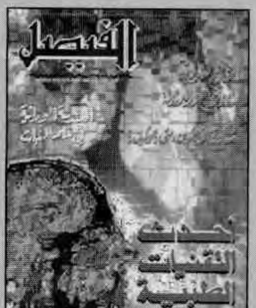
إن الارتباط بالتراث لن يولّد أدبا تقليديا كما قد يدعي البعض. وهذه نقطة مهمة، حيث إن معظم التجارب الشعرية الحداثية تحاول طمس التراث في تجاربها وتبتعد منه بحجة المغايرة والتحديث. غير أن تاريخ الأدب يبرهن على العكس، ذلك أن للمعرفة الإنسانية قوانينها الخاصة في التطور والرقي، وتجربة القرون الماضية تجربة حية خالدة لا يمكن لشاعر تجاهلها، ونحن بهذا المعنى لا نطلب من محمود درويش مثلا أن يكف عن كتابة شعر التفعيلة مع أنه مازال يكتب قصيدة العروض حتى في دواوينه الأخيرة، ذلك أن الرؤية الشعرية هي التي تفرض هيكلية القوام الشعري

(الشكل) لا إرادة الشاعر الحداثيّ. وأنا أوافق الدكتور عطية على أن مغبة انكسار الرابطة الشعرية بين الشعراء والقراء تقع على ضلال الحداثة التي أمرضت الفنون كلها. ولكي يكون هناك شعر عظيم يجب أن يكون هناك شعراء كبار أيضا، لأن هذه الفنون التي أمرضتها الحداثة سمحت للأقلام غير الموهوبة بكتابة الشعر وترويجه، ووجدت من يصفق لها إعلاميا، وبسبب من هذا انطمست الأقلام الموهوبة وسط هذا الركام. وأقول بكل صراحة: إن الكثير من القصائد الحداثية التي تُنشر الآن ما هي إلا خواطر قصيرة يبعثرها الشاعر بين السطور مذيّلة بالنقاط وبشكل عشوائي، دون معرفة بعلامات الترقيم واستخداماتها في اللغة العربية، إذ ما على الشاعر إلا أن يضع بعد كل جملة بضع نقاط وتكتمل اللعبة. لكن لا يجب أن يغيب عن ذهن هؤلاء أن الشعر، من بين الأنواع الأدبية، ليس أسبقها فقط، بل أقربها إلى الطبيعة الإنسانية وأصدقها - إذا عُني الشعر حقا بتصوير المعاناة الإنسانية -؛ فالشعر الذي يصور المعاناة الإنسانية لا يمكن أن يكون غريبا عن بيئته ومحيطه الثقافي والاجتماعي، فالشعر متشابه لدى جميع الشعراء في العالم، لكنه في الوقت نفسه يحمل معالم خاصة به، لذلك فإن الثوب المستعار في القصيدة سرعان ما ينكشف للعامة. ولنلاحظ أيضا أن النثر يغلب لدى الشعراء غير الموهوبين، بينما يتحول إلى كثافة شعرية خاصة لدى الشعراء الموهوبين، وهي مطالب الطبيعة البشرية. ومهما يكن من أمر فإن المشكلة كما يطرحها الناقد جوزيف ايشتاين، وجود اعتراف أليم في أوساط الشعراء بينهم وبين المتلقين المعنيين بالشعر على أن ثمة شيئًا قد حدث كما لو أن الشعر قد فقد ثقله، ومن ثم فقد حقيقته.

ومن تجربتي، بصفتي شاعرًا، يتوضح هذا الشيء مع الأسف، فقد التقيت بشعراء يشاركون في ملتقيات شعرية ولا يجيدون الكتابة بالوزن العروضي، حتى إن بعضهم يجهل كل شيء عن العروض، ومع ذلك يرتقي المنبر ويبدأ بالصراخ بنبرة قوية واثقة من نفسها، بل يأخذ جوائز شعرية أيضا.

إن أزمة الشعر تقع على عاتق النقد أولاً، هذا النقد الذي أصبح مرابيًا يمدح هذا ويعلي من شأنه ويحط من قدر ذاك حسب مزاجه ومصلحته. بينما نجد نقادنا الذين نعتز بهم ينصرفون إلى دراسة الشعر الجاهلي وما جاء بعده من شعر أصيل ليأسهم من خزعبلات الحداثة المفتعلة في كثير من الأحيان. غير أن التجارب الشعرية الحقيقية تتسرّب شيئًا فشيئًا إلى قاع الذاكرة الأدبية، بينما تطفو التجارب الهشة المفتعلة إلى السطح في طريقها إلى النسيان.

طالب عبدالرحمن همّاش
ص.ب 609
حمص، سورية.



نحن والعالم والغذاء

من خلال باب «نافذة على ثقافة العالم» وعرضه لكتاب «نحن والعالم والغذاء» لكاتبته «نان أنكلسباي» في العدد 236 أسجل هنا تعليقي:

في تصور خاص ترى «أنكلسباي» أن أكبر خطر يهدد الموارد الغذائية استمرار تكاثر سكان العالم بمعدل 90 مليون نسمة كل عام.

نظرة المؤلفة هنا تحمل بعض الصحة؛ فعملية استنزاف الموارد الغذائية تُعدُّ خطرًا كبيرًا كفيلاً بإيجاد المجاعات في مختلف مناطق العالم، حيث التكاثر السكاني الهائل.

لكني هنا أستنتج اتهام المؤلفة بشكل غير مباشر للعناية الإلهية، واتهامها بعدم العدل، حيث أوجد الخالق البشر وأهمل أرزاقهم، وهذا غير صحيح.

فهو تعالى - عز وجل - لم يخلق خلقه ثم عجز عن رزقهم، بل إنه تعالى يكتب للإنسان رزقه من قبل أن يُولد ويُوجد أرزاق بقية البشر، بحيث تكفيهم حتى قيام الساعة.

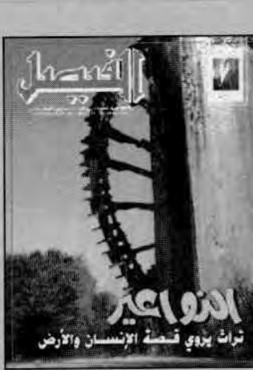
وما المجاعات التي تحصل إلا نتيجة لاختلال التوازن الذي سببه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان واتساع الفجوة الحاصلة بين الأغنياء والفقراء، ووقوع الدول النامية تحت رحمة القروض الطائلة لصالح الدول الغنية، ونشوب الصراعات المسلحة كما في القرن الإفريقي وغيره من مناطق العالم.

وفي حال انتفاء كل هذه الأسباب سيرجع التوازن وتُحلّ المشكلة. وما استعرضته المؤلفة من اعتماد منجزات العلم الحديث لحل المشكلة الغذائية وخفض النفقات العسكرية واعتماد البحوث العلمية تعد حلولاً إيجابية في القضاء على ظاهرة الفقر **والجوع مستقبلاً.**

أحمد المؤذن
كرزكان، البحرين

مناقشات وتعليقات

سرقة شعرية !



نشرت مجلة الفيصل في العدد 237 قصيدة بعنوان «هواجس في أعماق شاعر» لجاك صبري شماس. وبما أن الحقيقة لا بدّ أن تظهر ولو بعد حين، فقد تبيّن لي فيما بعد أن هذه القصيدة مأخوذة - بألفاظها ومعانيها مع شيء من التحوير الذي لا يخفى على المتأمل والمدقق - عن قصيدة بعنوان «ثورة النفس» للشاعر المعروف محمد مهدي الجواهري. ومع أنّ قصيدة جاك صبري شماس قد مضى على نشرها في مجلة الفيصل عدة شهور؛ إلا أنني رأيتُ من واجبي أن أحيطكم علمًا بهذا الأمر. ولكي لا يبقى كلامي دون سند أو دليل، فقد أرفقتُ مع رسالتي صورة عن قصيدة الجواهري، وهي موجودة في الجزء الثالث من ديوانه الصادر عن وزارة الثقافة في دمشق سنة 1981م. وسوف أورد هنا بعض الأبيات من كلا القصيدتين ليتأكد القارئ والمتابع من صحة هذا الأمر.

يقول الجواهري في مستهلّ قصيدته:

سكتُ وصدري فيه تغلي مراجلُ
وبعضُ سكوت المرء للمرء قاتلُ

ويستهلّ جاك شماس قصيدته بقوله:

نطقتُ وثغري فيه تغلي مراجلُ
وحينًا سكوت المرء للذات قاتلُ

ويقول الجواهري في البيت الثاني:

وبعض سكوت المرءِ عارٌ وهجنةٌ
يحاسَبُ من جراهما ويجادَلُ

ويقول جاك شماس في البيت الثاني:

وحينًا سكوت المرء فكرٌ وحكمةٌ
يحاسَبُ من أمريهما ويجادلُ

ولنتابع. يقول الجواهري:

كرهتُ مداجاةً فرحتُ مصارحًا
ولم يجدني نفعًا فرحتُ أجاملُ
وأغرقتُ في إطراء مَنْ لا أهابه
وساجلتُ بالتقريع مَنْ لا يساجلُ

ويقول جاك شماس:

كرهتُ محاباةً فقلتُ مصارحًا
ولم يُجْدني ردّ فقلت أجاملُ
وأطنبتُ في إطراء مَن لا أخافه
وساجلتُ بالتأنيب مَنْ لا يساجل

ويقول الجواهري:

وأصحرتُ عن قلبي فكان تكالبٌ
عليّ لإصحاري وكان تواكلُ

ويقول جاك شماس:

وكشّفتُ عن نفسي فكان تكالبٌ
عليّ لنيّاتي وكان تواكلُ

ويقول الجواهري:

وكنتُ بما راغمتُ نفسي كفاقد
حسامًا وقد رفّتْ عليه الحمائلُ

ويقول جاك شماس:

وكنتُ بما أكرهتُ نفسي كفاقد
حسامًا وقد ماجت عليه الحمائلُ

ويقول الجواهري:

وإن كان بالزلفى يؤمل آيس
وبالخطة المثلى يُخيَّب آملُ

ويقول جاك شماس:

وإن كان بالزلفى يُؤمل يائس
وبالحكمة المثلى يُخيّب آمل

ويقول الجواهري:

على غير ما سنّ الكرام وما التقت
عليه شعوب جمة وقبائلُ

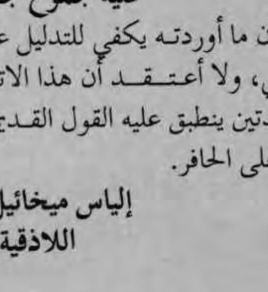
ويقول جاك شماس:

على غير ما خطّ الكرام وما التقت
عليه جموع جمة وقبائلُ

أعتقد أن ما أوردته يكفي للتدليل على صحة دعوتي، ولا أعتقد أن هذا الاتفاق بين القصيدتين ينطبق عليه القول القديم: قد يقع الحافر على الحافر.

إلياس ميخائيل قطريب
اللاذقية، سورية.

حول الحجاج بن يوسف



قرأت تعليق د. محمد فؤاد الذاكري في مناقشات وتعليقات العدد 240، التي أخذ فيها بالرد على أولئك الذين لا يذكرون الحجاج إلا بكل عيب ويبالغون فيقعون في تجن واضح وظلم مفرط.

ومقالتي هذه رد على كلامه الآنف الذكر.

فتعالوا بنا نقرأ سيرة الحجاج أو الشيء اليسير منها، ونقرأ أيضًا من كلام الأئمة فيه، وسنرى أن كلامهم ليس فيه تجن واضح وظلم مفرط بدافع عصبية أو غيرها.

تولَّى الحجاج أمر العراق عام 75هـ بعد أن أنهى المهمة التي كُلِّف بها؛ وهي القضاء على عبدالله بن الزبير في الحجاز. وفي حديثه مع السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعنه حول مقتل ابنها عبدالله بن الزبير، ذكرت له أسماء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في ثقيف مبيرًا وكذّابًا»، قالت: فأما الكذاب ـ المختار بن أبي عبيد الثقفي ـ فرأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إيّاهُ»(1).

اشتهر الحجاج في إمرته على العراق بعسفه وظلمه وجبروته وتأخيره للصلوات عن أوقاتها، كما عُرف عنه كرهه لآل علي بن أبي طالب ولبني هاشم، قال الذهبي في ترجمته: «أهلكه الله في رمضان سنة خمس وتسعين كهلاً، وكان ظلومًا جبارًا، ناصبيًا، خبيثًا، سَفَّاكًا للدماء، وكان ذا إقدام ومكر ودهاء وفصاحة، وقد سُقت في سوء سيرته في تاريخي الكبير، وحصاره لابن الزبير، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق وحروب ابن الأشعث وتأخيره الصلوات إلى أن استأصله الله، فَنَسُبُّهُ ولا نُحِبُّهُ، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عُرَى الإيمان، وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله...»(2).

ويعلق الذهبي أيضًا على حصار الحجاج لابن الزبير فيقول: «بل ليتهُ (ابن الزبير) لا التجأ إلى البيت ولا أحوج أولئك الظلمة والحجاج ـ لا بارك الله فيه ـ إلى انتهاك حرمة بيت الله وأمنه...»(3).

وقال ابن كثير في ترجمته: «وقد كان ناصبيًا يبغض عليًا وشيعته(4) في هوى آل مروان، وكان جبّارًا عنيدًا، مقدامًا على سفك الدماء بأدنى شبهة، وقد روي عنه ألفاظ بشعة شنيعة، ظاهرها الكفر...»(5).

وعندما ذكر الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ الظلم الذي كان قبل توليه الخلافة، ذكر الحجاج فقال: «الوليد بالشام، وقرة بمصر، والحجاج بالعراق، وعثمان بن حيان بالحجاز، امتلأت الأرض والله جورًا»(6).

ويروي ابن سعد في طبقاته عن إبراهيم النخعي أنه قال: «كفى به عمى أن يعمى الرجل عن أمر الحجاج»(7). وقد سجد عندما بُشّر بموت الحجاج.

وينقل شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، كلام المرجئة ـ ناقدًا لهم ـ حين يجعلون إيمان الناس كلهم سواء: «بل إيمان الناس كلهم سواء، إيمان السابقين كأبي بكر وعمر، وإيمان أفجر الناس كالحجاج وأبي مسلم الخراساني وغيرهما...»(8).

وقد يقال هنا إن أهل العراق كانوا أهل شقاق وفتنة، ولا يصلح لهم إلا أمثال الحجاج، يقسو عليهم ويؤدبهم. والرد على هذا: أن تطبيق شرع الله بحذافيره وبعدله ورحمته هو الذي يسكن النفوس ويقمع أهل الشر والبدع، ويرضي أهل الفضل والعلم، ولا يحتاج الشرع إلى زيادة في العقوبات لردع الناس، ومن قال هذا فقد رمى الشرع بالنقص.

وقد يقال: أليس للحجاج حسنات تُذكَر؟ ولماذا تُذكر السيئات دائمًا؟ ونقول: نعم، لا يخلو مثلهُ من حسنات، ولكنها قليلة مغمورة في بحر ظلمه وقتله للعلماء والأبرياء، كما ذكر الذهبي آنفًا، وإن إقامة ساعة من العدل خير من تجييش الجيوش لفتح إقليم واغتنام عدو، وما الفائدة من فتح إقليم إذا خرب الأصل والقاعدة بالظلم والقهر.

ويروي ابن العماد الحنبلي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع أعرابيًا كان مختفيًا من الحجاج يقول:

ربما تجزع النفوس لأمر
وله فَرجَة كحلّ العقال

فقال أبو عمرو: وما الأمر؟ قال: مات الحجاج(9).

وبعد؛ فهذه أقوال أئمة شهد لهم المسلمون جيلاً بعد جيل بعلمهم وفضلهم وأمانتهم وهم أعرف به منّا، نقلتها مع ذكر مراجعها كي يعرف حال الحجاج رحمه الله تعالى وغفر له ذنوبه وغفر لنا ذنوبنا. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تركي بن عبدالله محمد المحيا
ص.ب 15468
صنعاء، اليمن.

إنزال النورماندي وعظة التاريخ



استرعى انتباهي في العدد 240 من مجلة الفيصل الغراء موضوع الدكتور خالص جلبي: «إنزال النورماندي وعظة التاريخ»، وأود تقديم بعض الملاحظات عليه:

أولا: ورد في المقال السالف الذكر ما يلي: «ومن تناقضات التاريخ الرهيبة التي تدعو حقًا للتأمل... قاد إلى نقل المرض النازي إلى الضحية، فتشرَّب الثاني من الأول وحمل مرضه نفسه مع أن الثاني ـ أي الصهيوني ـ هو غريم الأول وخصمه اللدود». ولكن الحقيقة غير ذلك، فالمفكر والفيلسوف الفرنسي رجاء غارودي في كتابه الأخير «الأساطير المؤسِّسَة

للسياسة الإسرائيلية» الذي أثار ضجة كبيرة لدرجة أن دعوى رُفعت ضد جارودي بموجب قانون «جيسوفايوش» الصادر في تموز/ يوليو 1990م، قال في الصفحة الحادية والسبعين من مؤلفه: «إن الغالبية العظمى من المنظمات اليهودية وقفت إلى جانب الحلفاء، إلا أن الجماعة الصهيونية رغم أقليتها في ألمانيا اتخذت سياسة مخالفة منذ 1933م وحتى 1941م؛ إذ تعاونت مع هتلر الذي منحها معاملة تفضيلية عن اليهود ذوي النزعة المتطرفة الذين طاردهم واضطهدهم». واستشهد الفيلسوف الفرنسي برسالة وجهها الاتحاد الصهيوني الألماني إلى الحزب النازي سنة 1933م جاء فيها: «بتأسيس دولة جديدة أعلنت مبدأ الجنس، نأمل أن تتواءم طائفتان مع الهياكل الجديدة.. وإن اعترافنا بالجنسية اليهودية يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصادقة مع الشعب الألماني وحقائقه القومية والعنصرية.. ولبلوغ هذه الأهداف العملية تأمل الصهيونية في أن تتمكن من التعاون حتى مع حكومة معادية تماما لليهود» ص74. بل إن سياسة التواطؤ هذه بلغت ذروتها سنة 1941م عندما اقترفت مجموعة من غلاة الصهاينة جريمة لا تُغتفر من الناحية الأخلاقية، وهي المناداة بالتحالف مع هتلر وألمانيا النازية ضد بريطانيا (ص82 من الكتاب نفسه). وبهذا يتجلى لنا أن الصهيونية والنازية قد تصادقتا طوال حكم هتلر مادام هدفهما الأساسي هو إخراج اليهود من ألمانيا إلى وطن آخر.

ثانيًا: النقطة الثانية تتعلق بمحاكمة نورمبرغ فقد قال كاتب المقال: «عندما دخلتُ ألمانيا مطلع عام 1975م... وفيها - أي نورمبرغ - جرت محاكمات مجرمي الحرب عام 1945م».

كان من الأفضل للكاتب أن يضع كلمتي مجرمي الحرب بين مزدوجتين للأسباب التالية:

1- إن وصول هتلر للحكم كان أحد عواقب معاهدة فرساي المتمثلة بالأساس في حالات الإفلاس والبطالة، وخاصة بعد أن دفعت ألمانيا سنة 1918م (132) مليار مارك ذهبي تعويضًا عن الحرب، فهل تمت محاكمة المسؤولين عن فرض هذه المعاهدة؟

2- بعد حصول هتلر وأعوانه على الأغلبية المطلقة داخل البرلمان بدأ بإعادة التسلح بمساعدة الشركات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية الكبرى، وهكذا شارك الدولار والجنيه والفرنك في المؤامرة التي جاءت بهتلر إلى الحكم (ص97 من الكتاب) فلماذا لم تتم محاكمة المسؤولين عن هذه الشركات؟

3- لم يقف أمام المحكمة الدولية العسكرية - وهي ليست بدولية لأنها تشكَّلت من المنتصرين فقط - كل من:

- تشرشل القائل: «سنجوّع ألمانيا، وسندمر مدنها، وسنحرق محاصيلها وغاباتها» ص100.

- ترُومان الذي ألقى بقنبلتين ذريتين على هيروشيما وناجازاكي خلفتا 300,000 ضحية من المدنيين دون فائدة عسكرية، لأن تسليم اليابان كان قد قرره الإمبراطور هيروهيتو.

- بيريا وستالين اللذان ألقيا بمسؤولية مذبحة كاتين على الألمان التي قُتل فيها الآلاف من الضباط البولنديين.

- المسؤولون الأنجلو - أمريكان الذين قصفوا مدينة دريسدن الألمانية مخلفين 200,000 قتيل مدني دون فائدة عسكرية لأن الجيش السوفياتي كان قد تجاوز هذه الأهداف. ص 101فهل حوكم كل هولاء؟

ثالثًا: النقطة الثالثة تخص ما جاء في هوامش المقال وبالضبط الهامش رقم ستة حيث جاء فيه: «وكانت العملية تتم تحت تعرية.. ثم إدخالهم إلى حمامات محكمة الإغلاق.. ثم ليُرسَلوا بعدها إلى المحارق والأفران..». ولقد فَنَّدَ جارودي وجود هذه الحمامات التي يُصب فيها غاز السيكلون ب التي يمكن تسميتها باسمها الحقيقي: غرف الغاز لأن تصميم غرف الغاز المزعومة كان رديئًا للغاية، ولم تتوافر فيها أي من شروط السلامة. ص133.

إن غاز السيكلون ب كان موجودًا بكميات مهمة في القاعات المخصصة للتطهير بها في القاعات المزعومة أنها كانت غرفا للغاز. ص 133؛ نظرا لأن غاز السيكلون ب المصنوع من حامض السيانيدر عادة ما يُستخدم لتطهير الملابس أو الأدوات التي يُخشى منها أن تنشر الأمراض والأوبئة ولاسيما التيفوس. ص132.

أما عن المحارق فجاء في الكتاب نفسه ص134: أنه من المستحيل حرق الأجسام تحت الماء لأن أوشفيتز وبيكركيناو بُنِيَتا على مستنقعات وفقا للخرائط الرسمية لبكركيناو كمقابر للحرق للتخلص من الجثث.

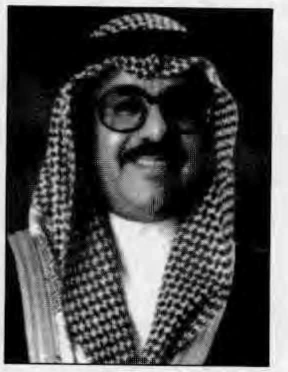
وأما عن الأفران فهي الأخرى خرافة، إذ إن أول من رَوَّج لخرافة الصابون البشري هو هوفيزنتال في مقالاته المنشورة في جريدة الطائفة اليهودية النمساوية «الطريق الجديد»، إذ أورد فيها أنه من نيسان/ أبريل 1942م وحتى آيار/ مايو 1943م استُخدم 900,000 يهودي كمواد أولية في هذا المصنع، وبعد تحويل الجثث إلى المواد الأولية تُستخدم البقايا الدهنية في إنتاج الصابون. ص131. وليس على هذه الإشاعة التي انتشرت كالريح أي دليل يُذكر!!

ولقد أعجبتني المواد التي تضمنها العدد 240 من مجلة الفيصل الرائدة، وخاصة المواد الأدبية، فقد قرأت بشغف شديد الموضوعات التالية: أبعاد العطش في شعر السياب للدكتور غازي مختار طليمات، وقصة قصيدة للدكتور محمود جبر الربداوي، وقراءة في تائية الشنفرى للدكتوره فاطمة عبدالفتاح، وكذا المعيار الأخلاقي في نقد الشعر للدكتوره نوره صالح الشملان، والنقد من النظرية إلى التطبيق للدكتور بشير العيسوي، ورد الكلمات إلى الأصول بين القوانين والمحاذير لصاحبه د. البدراوي زهران، بالإضافة إلى نتاج الأدباء الجدد من ضباب المراهقة إلى حماسة النشر لطارق عبدالفتاح شديد، دون أن أنسى الموضوعات التي تطرق إليها كل من محمد التهامي، والدكتور حسان المالح، والدكتور خلف محمد الجراد. فتحية حارة إلى المشرفين على المجلة، وكذا إلى جميع المشاركين فيها.

فؤاد الغلبزوري
124 زنقة الانطلاقة
القدس السفلى، وجدة، المغرب.

المسلمون، لا الإسلام، في أزمة!!

عبدالرحمن بن محمد السدحان



هناك سؤال ملح يطرق الكثير من الأذهان عمّا آلت إليه أمتنا الإسلامية في هذا العصر، فمن قائلٍ إنها أزمة فكر، إنتاجًا ورواجًا، وآخر يصنفها بالخلاف حول كثير من القضايا، الأصول منها والفروع، عبر منظومة من (الأزمات)، وثالث يصفُ (الأزمة) بأنها إفرازات لظاهرة الإخفاق في تحقيق حدٍّ معقول مما يصبُو إليه أفرادُ المجتمع المسلم نحو حياة أفضل، وهناك مقولات أخرى لا يستوعبها المقام.

وقد تعرضت لحمى هذا السؤال قبل حين، فوصفتُه بأنه سؤال قاس، يستحق أن يُفرَد له كتاب، وما أحسبني ـ بملكَاتي الفكرية المتواضعة ـ بقادر على التصدّي له على نحو يُشبع فضولَ السائلِ، وطموحَ المسؤول، وأحسب أن المكتبة العربية بدورها تعجّ بعشرات المصنَّفات التي تتناول موضوع السؤال من مداخل مختلفة، وطروحات متباينة.

هناك إذن، ما يشبه الإجماع على وجود (أزمة) من نوع أو آخر في دنيا المسلم، لكنَّ المنتمين إلى هذا الموقف يختلفون في تشخيص هوية تلك الأزمة ومفرداتها وأسبابها ونتائجها، مثلما يختلفون في وصف العلاج لها.

أ ـ فهناك فرقة تُعرِّف أزمة الأمة الإسلامية بالابتعاد عن الله، والإغراق في طلب الدنيا، مصالح ولهوًا. وأحسبُ أن في هذا الموقف، على عموميته، قدرًا كبيرًا من الحقيقة التي لا يعافها إلا عقلٌ ضعيف.

ب ـ وهناك فرقة أخرى تُعرِّفها بالإخفاق في تحقيق توازنٍ سويٍّ بين معادلة الدين الحنيفِ، وتحديات العصر الحديث، حيث انقسم الناس ثلاث فئات على الأقل:

1ـ فئة الاستلاب بكل ما هو حديث والاستسلام له، و(الهجرة) إليه بعيدًا عن الجذور.

2ـ وفئة الاغتراب صوب الماضي، هربًا من تحدِّيات العصر وأزماته، وخوفًا من الانزلاق في متاهة التناقض بين طقوس العصر وما ترتبه هُوية التزام الدين، كما تراها، مبدءًا وممارسةً. ويختزل المنتمون إلى هذه الفئة خيارات الحياة إلى نمطين لا ثالث لهما: إمّا الاغراقُ في كل ما هو حديث، وهو أمر مرفوض، وإما الانغلاق ضد كل ما هو حديث، وهو شأن يتحفَّظُ عليه كثيرون من ذوي الألباب، لأنه يتعامل مع حداثية العصر بفرضية أحادية تقوم على الرفض المطلق، بالرمز لا بالمحتوى، وبالظاهر لا المضمون!

3ـ وفئة يعاني أصحابها قدرًا من الانفصام روحًا وسلوكًا، لا إلى هؤلاء، ولا إلى أولئك، ويبحثون عن صيغة توفيقية تُنهي حالة انفصامهم الفكري والروحي وتحقق لهم التوازن المطلوب بين الدين والحياة.

وقد تأتي فرقة ثالثة أو رابعة أو خامسة بتفسيرات أو تأويلات أخرى.

وهنا، نعود إلى مضمون السؤال المطروح في هذه العجالة الفكرية فنقول: إن مسألتيْ الخلاف في أطر فكر المسلم المعاصر والإخفاق في تحقيق طموحاته اللتين خصّهما السائلُ بالذكر، تدخلان ضمنًا تحت مظلة الفجوة الناجمة عن الإخفاق في استيعاب المضامين الحقيقية السامية للدين الإسلامي الحنيف، كمعادلة للدارين، العاجلة والآجلة، من جهة، والتكيف مع متغيرات العصر وتحدياته، من جهة أخرى. وهذا في ظني أبرز مؤشرات الأزمة التي يعيشها مسلمُ اليوم، وأحسب أنها لن تنتهي ما دام المسلم المعاصر يعاني حالة من الغربة بين هويته الدينية، وحيثيات العيش في هذا العصر المتخم بالاكتشافات والتغيرات التي لا تصبر على طعام واحد، كمًّا أو كيفًا! وفي تقديري المتواضع أن مسلم هذا القرن مطالَبٌ بالمحافظة على هويته الدينية، وفي الوقت نفسه، التعامل بحكمة وإبداع مع متغيرات العصر بما لا يتعارض مع هويته الدينية، أو يتناقض معها، لأن ديننا الإسلامي الحنيف، هو دين البشرية في كل العصور.

وأخيرًا أرى أن الأزمة الحقيقية التي يواجهها مسلم هذا العصر.. لا تقتصر على وجود (فجوة) بين هويته الدينية وحيثيات عصره، فتلك محصلة تلقائية تفرض وجودها على مساحة وعيه ووجدانه. ولكن.. كيف يتعامل مع تلك الفجوة تعاملاً مبدعًا يحفظ له كرامة هويته الدينية، وفي الوقت نفسه لا يحرمه فضيلة الانتفاع المباح بمخرجات هذا العصر، وإبداعاته؟!

تلك هي، في تقديري المتواضع، بعض معالم الأزمة الحقيقية، التي يعيشها المسلم المعاصر، وهي في المحصلة الأخيرة: أزمة الإنسان مع نفسه، لا أزمة الدين معه أو بسببه.